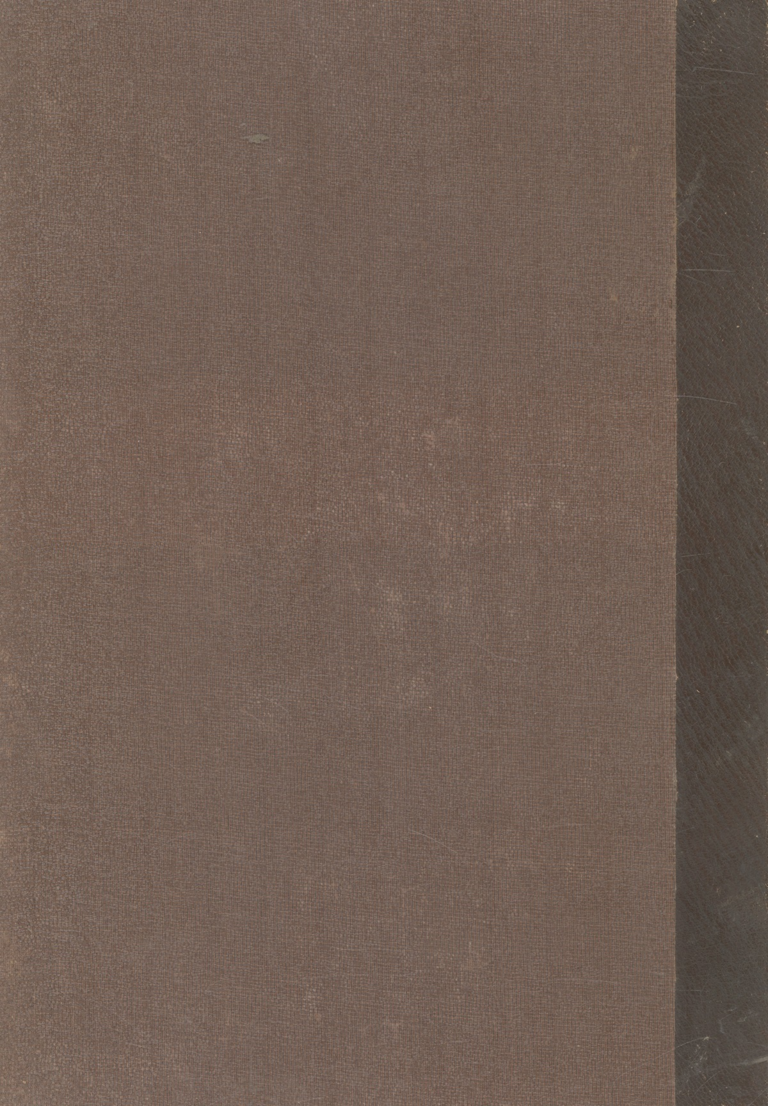


مكتبة الجاحظ

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الكتاب الأول





مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

مصر — ص . ب . الغورية ٧١



تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الرابع

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة للشارح

مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠م / ٨٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

نَبدأ فى هذا الجزءِ ، بعَوْنِ اللهِ وتأييدِه ، بالقول فى جُمْلة الذَّرّة والنملة ، ٢
كما شرَطنا به آخِرَ المصحَفِ[1] الثَّالث . ولا حولَ ولا قوّةَ إلاَّ باللهِ
العلىِّ العظيم[2] .

(خصائص النملة)

قد علمْنا أنْ ليس عندَ الذَّرّةِ غَناَء الفرَسِ فى الحرب ، والدَّفْع عن الحريم . ولكنّا إذا أردْنا موضِعَ العجَبِ والتَّعجيب ، والتَّنْبيهَ على التدبير ، ذكرنا الخسيسَ القليلَ ، والسَّخيفَ المَهين ؛ فأريْناكَ ماعنده من الحِسِّ اللطيفِ ، والتَّقْديرِ الغريب ؛ ومِنَ النَّظر فى العواقب ، ومشاكلةِ الإنسان ومزاحَمَتِه .

والإنسانُ هو الذى سُخِّر له هذا الفَلَكُ بما يشتمل عليه .

وقد علمْنا أنَّ الذَّرّةَ تدّخرُ للشتاءِ فى الصَّيف ، وتتقدَّمُ فى حال المُهلةِ ، ولا تُضيعُ أوقاتَ إمكانِ الحزم . ثم يبلغ [من][3] تفقُّدها وحُسْنِ خُبرِها ، والنَّظر فى عواقبِ أمْرِها ، أنّها تخافُ على الحبوب التى ادَّخَرَتْها للشّتاءِ

---

(١) س ، هـ : « الجزء » . وما أثبت من ط هو ما اختاره الجاحظ فى تسمية أجزاء هذا الكتاب . انظر تقديم الكتاب ص ٢٦ فى صدر الجزء الأول .

(٢) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

فى الصيف ، أنْ تعفَنَ وتُسَوِّسَ[1] ، ويقبلَها بطنُ الأرض ؛ فتخرِجُها إلى ظهرها ؛ لتيبِّسها وتُعيدَ إليها جُفوفها[2] ، وليضربَها النَّسيمُ وَينفىَ عنها اللَّخَنَ والفَساد .

ثمَّ ربّما كان ـ بل يكون[3] أكثَرَ ـ مَكانُها نَدِيًّا . و [إنْ[4]] خافتْ أن تنبت نَقَرتْ موضع القِطْمير[5] من وسط الحبّة ، وتعلم أنّها من ذلك الموضع تبتدئُ وتنبتُ وتنقلب ، فهى تفلق الحبّ كلَّه أنصافاً . فأمّا إذا كان الحب من حبِّ الكُزْبُرة[6] ، فلقته أرباعًا ؛ لأنَّ أنْصافَ حبِّ الكزبرة ينبت مِنْ بين جميع الحبوب . فهى على هذا الوجه مجاوزةٌ لفِطنةِ جميع الحيوان ، حتَّى ربَّمَا كانت فى ذلك أحزمَ مِن كثيرٍ من الناس .

ولها ، مع لطافة شخْصها وخِفَّة وزنها ، فى الشمِّ والاسترواح[7] ماليس لشىء .

٣ وربَّما أكلَ الإنسانُ الجرادَ أو بعضَ مايشبه الجرادَ ، فتسقط[8] من يدِه الواحدةُ أو صدرُ الواحدة ، وليس يرى بقُربِهِ ذَرَّةً ولا له بالذّرِّ عَهْدٌ

(١) يقال ساس الطعام يساس سوسا ، بالفتح ؛ وسوس كسمع ، وسيس كقيل ، وسوّس بفتح السين وتشديد الواو المفتوحة .

(٢) كذا على الصواب فى س . وفى ط ، هـ : « ليبسها ويعيد إليها جفوفها » .

(٣) س : « لسكون » .

(٤) الزيادة من نهاية الأرب (١٠ : ١٧٥) .

(٥) القمطير : شق النواة ، وهو يريد هنا شق كل حبة . ط ، هـ : « أن ينبت بقرب » وأثبت مافى س .

(٦) الكزبرة والكسبرة ، بضم الكاف والباء فى كل منهما ــ وقد تفتح الباء ــ : ضرب من الأبازير معروف .

(٧) الاسترواح : التشمم .

(٨) س : « فيسقط » .

فى ذلك المنزلِ ، فلا يلبثُ أن تُقْبِل ذَرَّةٌ قاصدةٌ إلى تلك الجرادة ، فتروِمَها وتحاولَ قَلْبها ونقلها ، وسحبها وجرَّها ، فإذا أعجزَتْها بعْدَ أنْ بَلَغتْ عُذْرًا ، مَضَتْ إلى جُحرِها راجعةً ، فلا يلبَثُ ذلك الإنسانُ أنْ يراها قد أقبلَتْ ، وخلفها صُوَيْحِباتُها كالخيطِ الأسْوَدِ الممدُود ، حتى يتعاوَنَّ عليها ، فيحملنها .

فأوّلُ ذلك صِدْقُ الشَّمِّ لما لا يشمُّه الإنسانُ الجائع . ثمَّ بُعْدُ الهِمَّةِ ، والجراءةُ على محاولةِ نقل شىء فى وزْنِ جسمِها مائةَ مرَّة ، وأكثَرَ من مائةِ مرَّة .

وليسَ شىءٌ من الحيوان يقْوَى على حمْلِ ما يكونُ ضعف وزنه[1] مرارًا غيرَها . وعَلَى أنَّها لا ترضى بأضْعافِ الأضعافِ ، إلاَّ بَعدَ انقطاعِ الأنفاس

(كلام النمل)

فإنْ قلت : وما علِّمَ الرَّجُلَ أنَّ الَّتى حاولتْ نَقْل الجرادَةِ فعجَزَت ، هى التى أخْبَرَتْ صُوَيْحِباتِها من الذَّرِّ ، وأنها كانت على مقدَّمتهن ؟ قلنا : لِطُول التَّجرِبة ، ولأنّا لم نرَ ذَرَّةً قطّ حاولَتْ نقْلَ جرادةٍ فعَجَزتْ عنها ، ثمَّ رأيناها راجعةً ، إلاَّ رأينا معَها مِثْلَ ذلك ، وإنْ كنَّا لا نَفْصِلُ فى العين بَيْنَها وبَيْنَ أخَوَاتِها ؛ فإنَّه ليس يقَعُ فى القلبِ غيرُ الذى قُلْنا. وعَلَى أنّنا لم نرَ ذَرَّةً قطُّ حملت شيئاً أو مضت إلى جُحرِها فارغةً ، فتلقاها

(١) ط ، ه : « ضعفه » .

ذَرّةٌ ، إلاَّ وافَقَتْها ساعة وخبَّرَتْها بشيء . فدَلَّ ذلك على أنَّها في رجوعِها عن الجرادة ، إنَّما كانت لأشباهِها كالرَّائد لا يكذِبُ أهلَه[1] .

ومن العجَب أنّكَ تُنْكِرُ أنّها تُوحي إلى أخْتِها بشيء ، والقرآنُ قد نطَقَ بما هو أكثرُ من ذلك أضعافا . وقال رُؤْبة بن العجّاج[2] :

لو كُنْتُ عُلِّمْتُ كلامَ الحُكْلِ[3] عِلْمَ سُلَيْمانَ كلامَ النَّمْلِ

وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ حَتَّى إذا[4] أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَيَحْطِمَنَّكُمْ[5] سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ

---

(١) الرائد : من يرود الكلأ والمنزل : أى ينظره ويطلبه ويختار أفضله . والعبارة إشارة إلى المثل المعروف : « الرائد لا يكذب أهله » يضرب للذى لا يكذب إذا حدث . وإنما قيل ذلك للرائد لأنه إن لم يصدقهم فقد غرّر بهم .

(٢) كذا جاءت النسبة فى الصحاح وثمار القلوب ٣٤٩ ، ٥١٥ وأمثال الميدانى (١ : ٤٥٤ ، ٢ : ٨٥) وستأتى أيضاً فى ص ٨ . لكن قال ابن برى : « الرجز للعجاج » . انظر اللسان (حكل) ومثل هذه النسبة عند الدميرى (حسل) .

(٣) ابن برى : « صوابه : أو كنت » وقبله :

تسألنى من السِّنينَ كمْ لِى فقلتُ : لو عُمِّرتُ عُمرَ الحِسْلِ
وقد أتاه زمنُ الفِطَحْلِ والصَّخْرُ مبتلٌّ كطين الوحلِ
أو كنت قد أوتيت علم الحكل كنتُ رهينَ هَرَمٍ أو قتلِ

والحكل من الحيوان ، بالضم : ما لا يسمع له صوت كالذر والنمل . والحسل ، بالكسر : ولد الضب ، زعم الأصمعى أنه يبلغ مائة سنة ثم يسقط سنه ، فعند ذلك يسمى ضبا انظر ثمار القلوب ٣٣٢ .

(٤) فى الأصل : « فلما أتوا » . وهو تحريف من الناسخين وستأتى صحيحة فى ص ٥ وقد اتفق السبعة على القراءة المثبتة .

(٥) تحتمل أن تكون جوابا للأمر ، وأن يكون نهيا بدلا من الأمر . والمعنى لا تكونوا حيث أنتم فيحطمنكم ، على طريقة : لا أرينك هنا .

وَهُمْ لايَشْعُرُونَ . فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ فقد أخبر القرآنُ أنها قدْ عرفتْ سليمانَ وَأَثبتَتْ عينَهُ(١) ، وأنَّ علمَ منطقها عندَه ، وأنها أمرتْ صُويحباتها(٢) بما هو أحزَمُ وأسلم . ثمَّ أخبَرَ أنها تعرِفُ الجنودَ من غير الجنود ، وقد قالت : ﴿ وَهُمْ لاَيَشْعُرُونَ ﴾ . وتخالُكَ أيها المنكِرُ تبسُّمَهُ بحالهنَّ(٣) ، أنَّك لم تعرِفْ قَبْلَ ذلك [الوقتِ و بعْدَهُ ، شيئاً مِنْ هذا الشكل من الكلام ، ولاتدْبيرًا فى هذا المقدار . وأمَّا مافوقَ ذلك فليس لك أن تدَّعيَه . ولكن ، ماتُنكِرُ من أمثاله وأشباهه وما دُونَ ذلك ، والقرآنُ يدلُّ على] أنَّ لَهَا بياناً ، وقولاً ، ومنطقا يَفصِلُ بينَ المعانى التى هى بسَبيلها ؟! فلعلها مكلَّفة ، ومأمورةٌ منهيَّة ، ومُطيعةٌ عاصية . فأوّل ذلك أنّ المسألةَ من(٤) مسائِلِ الجهالَات . وإنَّ مَنْ دَخَلَتْ عليه الشُّبهة من هذا المكانِ لَنَاقِصُ الرَّوِيَّة(٥) رَدِئُ الفِكْرة(٦) . وقد علمنا ، وهم ناس ولهم [بذلك] فضيلةٌ فى الغريزةِ وفى الجنسِ والطَّبيعة . وهم ناسٌ إلى أن ينتهوا إلى وقت البلوغِ ونزولِ الفَرْض(٧) حتَّى لو وَرَدَتْ ذَرَّةٌ لشربَتْ مِنْ أعلاه . ٤

(١) أى ذاته . ط ، هـ : « وأثبتت » .
(٢) س : « صواحباتها » على طريقة جمع الجمع .
(٣) كذا فى س . أى تبسم سليمان بما رأى من حال النمل . ط ، هـ : « تشبه بحالهن » .
(٤) هـ ، ط : « عن » . وأثبت مافى س .
(٥) الروية : النظر والتفكير . ط ، هـ : « الناقص الرؤية » صوابه فى س
(٦) فى الأصل : « ودنى الفكرة » ولعل صوابه ما أثبت .
(٧) ط ، هـ : « الغرض » محرف . وفى العبارة وسابقتها ولاحقتها اضطراب .

(شعر فيه ذكر النمل)

وقال أبو دَهْبَل(١) :

آبَ هــذا اللَّيلُ فاكتَنَعا ... وأمَرَّ النَّــومُ فامتَنَعا(٢)

فى قِبابٍ وَسْطَ دَسْكَرَةٍ ... حَوْلَهَــا الزَّيتُونُ قد يَنَعا(٣)

[ولهــا بالمــاطرونِ إذا ... أكلَ النمــلُ الذى جَمَعا(٤)]

خُــرْفةٌ ، حتى إذا ارتَبَعَتْ ... سَكَنَتْ مِنْ جِلَّقٍ بِيَعا(٥)

---

(١) اسمه وهب بن زمعة الجمحى ، وفى الأغانى (٦ : ١٥٠) أنه قال الشعر فى آخر خلافة على . ومدح معاوية وعبد الله بن الزبير . وقد كان ابن الزبير ولاه بعض أعمال اليمن . وأنه كان سيداً شريفاً ، يحمل الحمالات ، ويعطى الفقراء ، ويقرى الضيف . . . وقد انفرد الجاحظ بنسبة الأبيات الآتية إلى أبى دهبل . والصحيح أنها ليزيد بن معاوية ، يتغزل بها فى نصرانية كانت قد ترهبت فى دير خراب ، عند الماطرون . انظر الكامل ٢١٧ ليبسك وخزانة البغدادى (٣ : ٢٧٩ بولاق) ومعجم ياقوت (الماطرون) واللسان (كنع) . وفى الكامل أيضاً أن بعضهم ينسبه إلى الأحوص .

(٢) ط : «أرب هذا» وصوابه فى س ، هـ والمعجم واللسان ورواية الأخفش فى حواشى الكامل : « طال هذا الهم » ورواية ياقوت : « آب هذا الهم » . واكتنع : حضر ودنا . وأمر : صار مرًّا . وضبطه البغدادى بالبناء للمفعول ، ولست أذهب مذهبه .

(٣) الدسكرة ، بفتح الدال : بناء يشبه قصراً حوله بيوت ، وجمعها دساكر ، تكون للملوك . والوجه فى ترتيب هذا البيت أن يكون بعد الرابع ، كما ورد فى الخزانة والمعجم .

(٤) الماطرون ، بكسر الطاء ، ويروى بفتحها . وبفتح النون ، ويروى بكسرها . ويروى أيضاً : « بالماطرين » وهى رواية المبرد . الذى جما : أى الذى جمه . والنمل يأكل فى وقت الشتاء ماجمعه فى زمن الصيف .

(٥) الخرفة ، بالضم : مايجتنى . ورواية العباب والمخصص (١١ : ٩) : « خلفة » بكسر الخاء وباللام بعدها . والخلفة : الثمر يظهر بعد الثمر الكثير . وهذا اللفظ لايزال مستعملا عند زرّاع مصر . وارتبعت : دخلت فى الربيع . وجلق بكسر الجيم واللام المشددة المكسورة ، قال ياقوت : اسم لكورة الغوطة كلها ، وقيل بل هى دمشق نفسها ، وقيل موضع بقرية من قرى دمشق .

عِنْدَ غــيرِى فالتمس رَجلاً ... يأكلُ التَّنُّوم والسَّلَعَا[١]
ذاكَ شىءٌ لستُ آكِلُه ... وأراهُ مَأكَلاً فَظِعا[٢]

وقال أبو النَّجم فى مثل ذلك :

وكانَ نُشَّابَ الرِّياحِ سُنبلُهْ[٣] ... واخضرَّ نَبْتاً سِدْرُهُ وَحَرْمَلُهْ[٤]
وابيضَّ إلاَّ قاعه وجَدْوَلُهْ[٥] ... وأصبحَ الرَّوضُ لَوِيّا حَوْصَلُهْ[٦]
واصفرَّ من تَلْعٍ فليجٍ بَقَلُهْ[٧] ... وانحتَّ من حَرشاَءِ فَلْجٍ خَرْدَلُهْ[٨]

---

(١) التنوم ، بفتح التاء وتشديد النون المضمومة : شجر له حمل صغار كمثل حب الخروع ويتفلق عن حب يأكله أهل البادية ، وكذا النعام ، وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورق . قلت : كأنه مايسمى اليوم بعباد الشمس . والسلع ، بالتحريك : شجر يرتقى حبالا خضراء لاورق لها ، وقضبانه تلتفّ على الغصون وتتشبك ، وله ثمر مثل عناقيد العنب صغار ، فاذا أينع اسودّ ، فتأكله القرود .

(٢) الفظع ، ككتف : الفظيع .

(٣) جعل سنابل الزرع كأنها رماح للرياح تشرعها فى كل جهة . س : « نشات » وهو محرف .

(٤) السدر ، بالكسر : شجر النبق والحرمل ، كجعفر : نبت يرتفع ثلث ذراع وله ورق كورق الصفصاف .

(٥) ابيض الروض : صوح نباته . وإنما سلم نبت القاع والجدول من ذلك لما بقى من الماء فيهما . وقد اضطره الشعر فرفع مابعد إلا . وحقه النصب .

(٦) حوصل الروض : قراره ، وهو أبطأ هيجا . واللوى : مابين الرطب واليابس .

(٧) التلع ، بالفتح : جمع تلعة ، وهى مجرى الماء من أعلى الوادىّ . والفليج ، بالجيم : عنى به المتسع . ط : « قليج » وقد حرك قاف « بقله » لوزن الشعر .

(٨) ط ، ه : « فلج » صوابه فى س واللسان (حرش ، قطر) . والفلج : النهر الصغير . والحرشاء بفتح الحاء وبالشين : خردل البر . وهى فى الأصل : « خرساء » صوابها من اللسان فى موضعيه .

وانشقَّ عن فصح سواء عنطله[١] وانتفض البَرْوَقُ سُودًا فُلْفُلُه[٢]
واختلفَ النَّمْلُ قِطَارًا ينقُـلُه[٣] طارَ عَنِ المُهْرِ نَسيلٌ يَنْسِلُه[٤]

(استطراد لغوى)

قال أبو زيد : الحسكة القمْلة ، وجمعه حَمَك . وقد ينقاسُ ذلك في الذَّرّة .

قال أبو عبيدة : قرية النمل من التُّراب[٥] ، وهى أيضاً جُرثومة النمل .
وقال غيره : قرية النمل ذلك التراب والجُحر[٦] بما فيه من الذرّ والحبّ والمـازِن . والمـازِنُ هو البيض ، وبه سمَّوا مازن .

---

(١) كذا فى الأصل . ولعل صواب : « عنطله » : « عنصله » والعنصل ، كقنفذ : البصل البرىّ .

(٢) البروق ، بفتح الباء والواو بينهما راء ساكنة : شجر ضعيف له ثمر حب أسود صغار . وهو الذى يقال فيه المثل : « أشكر من بروقة » ؛ لأنها تعيش بأدنى ندى يقع من السماء . ط ، ه : « البرذون » صوابه فى س .

(٣) اختلف : أقبل وأدبر . والقطار : أصله للإبل أن يتلو بعضها بعضاً على نسق . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « فطار » وفى س ، ه : « فطاراً » وصواب روايته من اللسان . ولفظ « ينقله » هى فى ط ، ه : « نيقله » بتقديم النون . صوابه فى س . وفى اللسان : « تنقله » .

(٤) النسيل ، بفتح النون : مايسقط من الصوف والشعر والريش . وأنسل الحيوان الصوف والشعر والريش : أسقطه . وكلمة « طار » أراها جواباً لشرط فى أبيات قبل هذه . وفى الأصل : « يسيل سنبله » ولعل الوجه فيه ما أثبت .

(٥) ط ، ه : « الزاب » ولا وجه له . وصوابه فى س . وفى اللسان : « وقرية النمل : ماتجمعه من التراب » . وفى المخصص (٨ : ١٢٠) : « أبو عبيد : قرية النمل وجرثومته : مايجمع من التراب » .

(٦) فى الأصل : « الحجر » ووجهه ما أثبت .

قال أبو عَمْرو[١] : الزِّبال ما حملت النملةُ بفيها ، وهو قولُ ابنِ مُقبل :

كريم النِّجارِ حَمَى ظَهرَه ... فلم يُرْتَزَأ بِرُكوب زِبالا[٢]

(شعر فى التعذيب بالنمل)

وأنشد ابن نُجَيْم[٣] .

هَلَكُوا بالرُّعاف والنمــل طَوْرًا ... ثمَّ بالنَّحس والضِّباب الذُّكور[٤]

وقال الأصمعىُّ فى تسليط الله الذَّرَّ على بعضِ الأمم :

لحقوا بالزهْوَرَيين فأمسَوْا ... لا ترى عُقْرَ دارهم بالمبين[٥]

سلَّط الله فازرا وعُقَيفا ... نَ فجازاهُمُ بدارِ شَطون[٦]

---

(١) هو أبو عمرو بن العلاء . س : « أبو عمر » .

(٢) البيت فى صفة فحل من فحول الإبل . والنجار ، بالكسر : الأصل . حمى ظهره : أى منع ظهره من الركوب . ويرتزأ ، بالبناء للمفعول : ينقص . وفى ط ، ه « يرتو » و س : « يوتوا » تحريف ما أثبت من اللسان (زبل) والمخصص (٨ : ١٢٠) . و « كريم » هى فى الأصل « كرم » وصوابها فى المصدرين السابقين .

(٣) فى ط ، ه : « لجيم » . وفى س : « لحيم » . وصوابه ما أثبت . واسمه يحيى بن نجيم . وأسلفت ترجمته فى (٢ : ٣٥١)

(٤) الرعاف ، بالراء المضمومة : سيلان الدم : وقد تحدث الجاحظ عن الإهلاك بالرعاف فى (٦ : ٤٥) . س : « بالزعاف » تصحيف . والضباب : جمع ضب ، ذلك الحيوان .

(٥) لعل « الزهويين » اسم مكان . س : « بالزهوتين » . ه : « بالزهويين » وعقر الدار : أصلها . وقيل : وسطها . ط : « عقد » صوابه فى س ، ه

(٦) يقال عقفان ، كعثمان ، وعقيفان بهيئة التصغير ، وسيأتى شرحه . وفى الأصل : « عقيقان » بقافين ، وهو تصحيف صوابه فى اللسان . والرواية فيه :

سُلِّطَ الذَّرُّ ، فازرٌ أو عُقَيفا ... نُ فأَجلاهم لدارِ شَطُون

ط : « فجازاهم به إشطون » صوابه فى س ، ه .

٥ يَتبَعُ القَارَّ والمسافرَ مِنْهُمْ تحتَ ظلِّ المدى بذات الغُصون[١]

فازر ، وعقَيفَان[٢] : صِنفان من الذَّرّ . وكذلك ذكروه عن دغفل [بن حنظلة] الناسب[٣] . ويقال : إنّ أهل تهامَة هلَكوا بالرُّعافِ مرّتَينِ . قال : [وكان آخرُ من مات بالرُّعاف من سادة قريش ،[٤]] هِشامَ ابنَ المغيرة .

قال أميّةُ بن أبى الصَّلت فى ذلك :

نُزِعَ الذِّكرُ فى الحياةِ وغنا وأراهُ العذاب والتَّدميرا[٥]

أرسَلَ الذَّرَّ والجرادَ عليهم وسِنِيناً فأهلكَتْهُمْ ومُورَا[٦]

ذَكَرُ الذَّرِّ إنَّه يفعل الشر رَّ وإن الجرادَ كان ثُبُورا[٧]

---

(١) القار ، تقرأ باختلاس الألف ليستقيم الوزن . وهو مقابل المسافر . وفى الأصل « الفار » بالفاء . و « المدى » هى فى ط ، هـ : « الندى » .

(٢) عقيفان بقاف تليها ياء ثم فاء ، وبهيئة التصغير .

(٣) النص فى لسان العرب : « قال دغفل النسابة : ينسب النمل إلى عقفان والفازر . فعقفان جد السود ، والفازر جد الشقر » .

(٤) هذه الزيادة الضرورية أثبتها اعتماداً على ماورد فى الحيوان (٦ : ٤٥) حيث يتحدث الجاحظ عن الرعاف .

(٥) أى سلبه الله حسن الذكر فى حياته . و « غنا » هى كذلك فى ط ، هـ . وفى س : « غنى » وأراها محرفتين . ورواية الديوان ٣٤ : « سلب الذكر فى الحياة جزاء » . والضمير عائد إلى فرعون ، إذ يقول أمية قبل هذا البيت :

وبفرعون إذ تشاق له الما ء فهلا لله كان شكورا

قال إنى أنا المجير على النا س ولا رب لى علىّ مجيرا

فمحاه الإله من درجات ناميات ، ولم يكن مقهورا

وأما البيت الآتى ، فهو من أمية حديث عن العذاب الذى ألحقه الله ببعض الأمم ، انظر الديوان .

(٦) السنين : جمع السنة ، وهى القحط والأزمة . والمور ، بالضم : الغبار بالريح . س : « دموراً » ولها وجه ؛ فالدمور بالضم . أصله أن يهجم الرجل على القوم ، أو يدخل عليهم بغير إذن ، وأثبت مافى ط ، هـ والديوان، والحيوان (٦ : ٤٥) .

(٧) الثبور : الهلاك .

(نملة سليمان)

وقرأ أبو إسحٰق[١] قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ ﴾ فقال : كان ذلك الوادي معروفاً بوادِي النملِ ؛ فكأنّهُ كانَ حِمى . وكيف نُنْكِرُ[٢] أن يكونَ حمى ؟! [و][٣] النَّملُ ربَّما أجْلَتْ أمّةً من الأُمَمِ عن بلادهم .

ولقد سألْتُ أهل كسكر[٤] فقلت : شَعِيرُكُمْ عَجَبٌ ، وأرْزُكُمْ عَجبٌ ، وسمككم[٥] عجب ، وجِداؤكُمْ عجب ، وبطُّكم عَجَبٌ ، ودَجَاجُكم عجب ، فلو كانَتْ لَكم أعناب ! فقالوا : كلُّ أرْضٍ كثيرةِ النَّمْلِ لاتصلُح فيها الأعناب . ثمَّ قرأَ : ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ ياأيها النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ فجعل تلك الجِحَرَةَ[٦] مَسَاكِن . والعربُ تسميها كذلك. ثمَّ قَالَ : ﴿ لاَيَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ﴾ فجمعَتْ من اسمه وعينه ،

---

(١) هو إبراهيم بن سيار النظام

(٢) ط ، هـ : « فكيف ينكر » .

(٣) الزيادة من ثمار القلوب ٣٤٥ .

(٤) كسكر ، بوزن جعفر : كورة من كور فارس . عن معجم ياقوت .

(٥) هذا هو الموافق لما سبق في ج ٣ ص ٢٩٥ س ٢ . وفي ط ، هـ : « سمنكم » وفي س «صحنكم» وربما كانت هذه الأخيرة محرفة عن : « صحناكم » وقد سبق تفسيرها في حواشي (٣ : ٢٩٥) .

(٦) الجحرة ، بجيم مكسورة تليها حاء مفتوحة : جمع جحر . وفي الأصل : « الحجرة » محرف .

وعرَفَتِ الجُندَ من قائد الجند ، ثم قالت : ﴿وَهُمْ لاَيَشْعُرُونَ﴾ فكانوا معذورينَ ، وكنتم ملومينَ ، وكان أشدَّ عليكم . فلذلك قال : ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا﴾ لِمَا رَأى مِنْ [بُعْدِ[١]] غوْرِها وتَسْدِيدِها ، ومعرفَتِها . فعند ذلك قال : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَى وَالِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

(أمثال فى النمل)

قال : ويقال : «ألطف[٢] من ذَرَّةٍ » و : «أضْبطُ مِنْ نملة[٣] » .

قال : والنملةُ أيضاً : قُرحَةٌ تعرضُ للسَّاق ، وهى معروفةٌ فى جزيرة العرب[٤] .

قال : ويقال : « أنْسَبُ مِنْ ذَرَّة » .

(قول فى بيت من الشعر)

فأمَّا قَوْلُهُ[٥] :

لَوْ يَدِبُّ الحَوْلِىُّ مِنْ وَلَدِ الذَّ ... رِّ عَلَيْهَا لأَنْدَبَتْهَا الكلومُ[٦]

(١) الزيادة من س ، هـ .

(٢) ألطف ، من اللطافة ، وهى الدقة . س : « ألحف » من الإلحاف ، وهو الإلحاح ؛ لأنها تلح فى طلب قوتها .

(٣) أضبط ، من الضبط ، وهو شدة اللزوم . ويقال أيضاً « أضبط من ذرة ، ومن الأعمى ، ومن صبى » أنظر أمثال الميدانى (١ : ٣٩١) .

(٤) فسرها صاحب القاموس بقوله : « قروح فى الجنب . . . . وبثرة تخرج فى الجسد بالتهاب واحتراق ، ويرم مكانها يسيراً ، ويدب إلى موضع آخر كالنملة » .

(٥) هو حسان بن ثابت ، كما فى الموشح ٦٣ ، من قصيدة مثبتة فى ديوانه ٣٧٦ — ٣٨٠

(٦) أندبتها : أثرت فيها . والكلوم : جمع كلم ، بالفتح وهو الجرح . قالوا : وأفضل من قول حسان هذا ، قول امرئ القيس (انظر الموازنة ١٣٦) :

من القاصرات الطرف لودب محول ... من الذر فوق الإتب منها لأثرا

فإنَّ الحوليَّ منها لا يُعْرَفُ مِنْ مَسَانِّهَا[١] ، وإنما هو كما قال الشاعر :

تلقَّط حَــوْلِيَّ الحصى فى منازلٍ ... مِن الحيِّ أمْسَتْ بالحبَيْبَين بلقعا[٢]

قال : وحوليُّ الحصى : صغارها . فشبَّهه بالحوليِّ من ذوات الأربع .

(أحاديث وآثار فى النمل)

ابن جُرَيجٍ ، عن ابن شهاب ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، أنَّ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلَّم قال : « مِنَ الدَّوابِّ أربعٌ لا يُقْتَلْنَ : النَّملة ، والنَّحْلة ، والصُّرَد ، والهُدهُد » .

وحدَّثنا عبدُ الرحمن بنُ عبدِ الله المسعوديّ ، قال : حدّثنا الحسن ابن سعد ، مولى على بن عبد الرحمن بن عبد الله[٣] قال : « نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزِلاً فانطلق لحاجته ، فجاء وقد أوْقَدَ رجلٌ على قريةِ نَمْلٍ ، إمَّا فى شجرةٍ وإمَّا فى أرض ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ فَعَلَ هذا ؟! أَطْفِئْهَا أطْفِئْهَا ! »

ويحيى بن أيوب ، عن أبى زُرعة بنِ جرير[٤] ، قال أنبأنا أبو زرعة

(١) المسان : الكبار السن . ط ، هـ : « مسكنها » وصوابه فى س .

(٢) ط : «بالجبيين» وفى الموازنة ١٣٧ : « بالحين » .

(٣) س : « مولى عبد الرحمن بن عبد الله » .

(٤) هو أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلى الكوفى ، اختلف فى اسمه ، فقيل هرم ، وقيل عمرو ، وقيل عبد الله ، وقيل عبد الرحمن ، وقيل جرير ، من الرواة الثقات . تقريب التهذيب .

عن أبي هريرة قال : « نزل نَبِيٌّ من الأنبياء تحتَ شَجَرةٍ، فعضَّتْه نملةٌ ، فقام إلى نَمْـلٍ كثيرٍ تحتَ شجرةٍ فقتَلَهُنَّ ، فقيل له : أفلا نَمْـلَةً واحدةً ؟! »

وعبد الله بنُ زيادٍ المدنيُّ ، قال : أخبرني ابنُ شهابٍ ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : « سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نَزَلَ نبيٌّ من الأنبياء تحتَ شَجَرةٍ ، فقرَصَتْهُ نَمْـلَةٌ ، فأمَرَ بجَهَازِه[1] فأُخرجَ مِنْ تحتها ، ثمَّ أمَرَ بقَرْيةِ النَّمْلِ فأُحرِقَتْ ، فأوْحَى اللهُ إليه : أفي أنْ قَرَصَتْكَ نملةٌ أهلَكْتَ أُمَّةً مِنَ الامَمِ يسبِّحونَ الله تعالى ؟! فهلاَّ نَمْـلةً واحدة ! » .

يحيى بن كثير ، قال : حدَّثنا عُمر بن المغيرة بن الحارث الزِّمَّانيّ[2] ، عن هشامٍ الدَّسْتَوَائيّ[3] قال : إنَّ النَّمْلَ والذَّرَّ إذا كانا في الصَّيفِ كلِّه ينقُلْنَ الحبَّ ، فإذا كان الشتاء وخِفْنَ أن ينبت فلقْنَه .

هشام بن حسَّان ، أنَّ أهلَ الأحنفِ بن قيس لَقُوا من النَّمْلِ أذًى، فأمرَ الأحنف بكُرْسِيٍّ [فوُضِع عند جُحْرهنَّ ، فجلَسَ عليه ثمَّ تشهَّد] فقال: لَتَنْتَهُنَّ أوْ لَنُحَرِّقَنَّ عليكُنَّ ، أوْ لَنفعَلَنَّ أوْ لنفعَلَنَّ[4] ! قال: فذهبن .

---

(١) الجهاز ، بالفتح : المتاع . والكسر لغة رديئة . وانظر إسناد هذا الحديث والقول فيه عند الدميري

(٢) ط ، هـ : «الزناني» . وأثبت ما في س وكتب في جانب منها : «خ:الزناني».

(٣) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ : « ابن الدستواي » . وانظر ما أسلفت من تحقيق في هذا الراوي (٣ : ٥٣٧ ـ ٥٣٨) وكذا تذييل الجزء الثالث ص ٥٨٣ .

(٤) ط ، هـ : « أو لتفعلن » بالتاء ، وليس بشيء . والتكرار لتأكيد الوعيد

وعوف بن أبي جميلة[١] عن قَسامةَ بن زُهير[٢] قال : قال أبو موسى الأشعَرِيّ : إنّ لكلّ شيء سادةً ، حتّى إنّ للنمل سادة .

عبد الله بن زيادٍ المدنيّ ، قال : أنبأنا ابن شهابٍ ، عن أبي سلمة ابنِ عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقول : خرج نبيٌّ من الأنبياء بالناسِ يستَسقون ، فإذاهُمْ بِنَملة رافعةٍ رأسها إلى السماء ، فقال ذلك النبيُّ : ارجِعُوا فقد استُجِيبَ لكم مِنْ أجْلِ هذا النَّمْلِ ! » .

مِسْعَر بن كِدَام[٣] ، قال . حدّثنا زيد القمّيّ[٤] ، عن أبي الصِّدِّيق النَّاجِي[٥] قال « خرج سليمانُ بنُ داودَ — عليهما الصلاة والسلام — يستسقى فرأى نملةً مستلقِيةً على ظهرها ، رافعةً قوائمَها إلى السماء وهي تقول :

---

(١) عوف بن أبي جميلة ، بفتح الجيم ، الأعرابي العبدي البصري ، ثقة رمى بالقدر وبالتشيع . مات سنة ست ، أو سبع وأربعين بعد المائة ، وله ست وثمانون . تقريب التهذيب .

(٢) قسامة ، بفتح القاف ، ابن زهير المازني البصري راو من التابعين البصريين ، وكان ممن افتتح الأبلة مع عتبة بن غزوان . الإصابة ٧٢٨٠ .

(٣) مسعر ، بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح المهملة ، ابن كدام ، ككتاب ، ابن ظهير الهلالي ، أبو سلمة الكوفي . ثقة ثبت فاضل مات سنة اثنتين ، أو ثلاث أو خمس وخمسين بعد المائة . تقريب التهذيب ، والمعارف ٢١١ . قال ابن قتيبة : « وكان يقول : من أبغضني لجعله الله محدثا ! » . لعله يريد ما يعانون من مشقة التثبت . وفي الأصل : « مسعود » وهو تحريف .

(٤) كذا ورد في الأصل بالقاف ، ولعله «العمي» البصري قاضي هراة ، الذي ترجم له ابن حجر في التقريب ١٧٣ . قالوا : إنما قيل له العمي لأنه إذا سئل عن شيء قال : لاحتى أسأل عمي .

(٥) أبو الصديق بتشديد الدال المكسورة : هو بكر بن عمرو — وقيل ابن قيس — الناجي بالنون والجيم المكسورة ، وهو لقب له ، بصري ثقة مات سنة ثلاث ومائة ، وفي الأصل : « الباجي » وصوابه في القاموس والتقريب .

اللهمَّ إنَّا خلقٌ من خَلْقِك ، ليس بنا غنًى عن سَقْيِك ؛ فإمَّا أنْ تسقِينَا وترزُقَنا ، وإمَّا أنْ تُميتَنا وتُهلِكنا ! فقال : ارجعـــوا فقد سُقِيتمْ بدعوةِ غيركم ! » .

(تأويل آية)

وحدثنى أبو الجهجاه قال : سأل أبو عمرو المكفوف[1] عن قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَيَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَيَشْعُرُونَ . فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا ﴾ فقلت له : إنّ نذيرًا يعجب[2] منه نبيٌّ من الأنبياء ثمَّ يعظُمُ خطرُهُ حتى يُضحِكه لَعَجيب! قال : فقال : ليس التأويل ماذهبتَ إليه . قال : فإنَّه قد يضْحَك النبيُّ ، عليه السلام ، من الأنبياء مِنْ كلامِ الصبيِّ ، ومِنْ نادرةٍ غريبة . وكلُّ شيء يظهَرُ من غير معدِنه ، كالنَّادرة تُسمع من المجنون ، فهو يُضْحِك . فتبسَّمُ سُليمانَ عندى على أنَّه استظرف ذلك المقدارَ من النَّملة ، فهذا هو التأويل .

٧

(سادة النمل)

وقال أبو الجهجاه : سألتُه عن قول أبى موسى[3] : إنَّ لكلِّ شيء سادةً حتى الذَّرُّ . قال : يقولون : إنّ سادَتها اللَّواتى يخرُجْنَ من الجُحْر ، يرتَدْنَ بجماعتها ، ويستبقنَ إلى شمٍّ الذى هُو مِنْ طعامهنَّ .

---

(١) المعروف : أبو عمر ، وهم جماعة فى تقريب التهذيب . س : « المكفولى » .

(٢) س : « إن تدبيراً يتعجب » .

(٣) هو أبو موسى الأشعرى ، كما سبق فى الصفحة التى مضت .

(تأويل شعر لزهير)

وقال زُهَير :

وقَالَ سأقضِي حاجَتِي ثمَّ أتَّــقِي   عدُوِّى بألْفٍ مِنْ وَرَائِي مُلَجَّمِ
فشَدَّ ولم تَفْزَع بُيُوتٌ كثيرةٌ   لَدَى حيثُ ألقتْ رَحْلها أمُّ قشْعَمِ [1]

قال بعض العلماء : قرية النمل .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال فى لسانه حُبْسة : إذا كان فى لسانه ثِقَلٌ يمنعُه من البيان . فإذا كان الثِّقَلُ الذى فى لسانه من قِبَل العُجْمة [2] قيل : فى لسانه حُكْلة . والحُكلُ من الحيوان كلِّه مالم يكن له صوتٌ يُستبَان باختلاف مخارجه ، عند حَرَجِهِ وضجَره ، وطلبِهِ مايغذُوه ، أو عندَ هِيَاجه إذا أراد السِّفاد ، أو عند وعيدٍ لقتالٍ ، وغيرِ ذلك من أمره .

(رأى الهند فى سبب اختلاف كلام الناس)

وتزعم الهندُ أنّ سببَ ماله كثُرَ كلامُ الناس واختلفتْ صُــوَرُ ألفاظِهم [3] ، ومخارجُ كلامهم ، ومقاديرُ أصواتهم فى اللِّين والشدّة ،

---

(١) يقول : شــدّ على عدوه وحده فقتله ، ولم تفزع بيوت كثيرة ، أراد أنه لم يستعن عليه بأحد . س : « يفزع » هـ : « يقرع » وهذه الأخيرة محرفة . وأم قشعم : الحرب ، أو المنية ، أو الضبع ، أو العنكبوت ، أو الذلة . وبكل فسر قول زهير .

(٢) فى الأصل : « العجمية » .

(٣) بعد هذه فى كل من ط ، هـ : « واتسعت على قدر اتساع معرفتهم » وهو =

وفى المدّ والقَطْع ـ كثرةُ(١) حاجاتهم . ولِكثرةِ(٢) حاجاتهم كثرتْ خواطرُهم وتصاريفُ ألفاظِهم ، واتّسعتْ على قدْرِ اتِّساع معرفتهم .

قالوا : لخوائج السَّنانير لاتعدُو خمسةَ أوجه : منها صياحُها إذا ضربت ، ولذلك صورة . وصياحُها إذا دعت أخَواتها وآلافَها(٣) ، ولذلك صورة(٤) . وصياحُها إذا دعَتْ أولادَها للطُّعْم ، ولذلك صورة . وصياحُها إذا جاعَتْ ، ولذلك صورة(٥) . فلما قلَّتْ وجوهُ المعرفةِ ووجوهُ الحاجات ، قلَّتْ وجوهُ مخارجِ الأصواتِ . وأصواتها تلك فيما بينها هو كلامها .

وقالوا : ثمَّ من الأشياء ما يكونُ صوتها خفيًّا فلا يفهمهُ عنها إلا ما كان مِن شكلها . ومنها(٦) ما يُفهِم صاحبَه بضروبِ الحركاتِ والإشاراتِ والشمائل . وحاجاتها ظاهرةٌ جليَّة ، وقليلةُ العددِ يسيرة . ومعها من المعرفة مالا يقصِّر عن ذلك المقدار ، ولا يجوزُه . ٨

[و] رَاضَةُ الإبلِ ، والرِّعاء ، وَرُوَّاضُ الدَّوَابِّ في المُروجِ ، والسُّوَّاسُ ، وأصحابُ القنْص بالكلابِ والفهود ، يعرِفُون باختلاف الأصواتِ والهيآت والتشوُّف ، واستحالةِ البصرِ ، والاضطرابِ ، ضروباً من هذه الأصناف، مَا لايعرف مِثلَه من هو أعقلُ منهم(٧) ، إذا لم يكن له مِنْ مُعَايَنَةِ أصنافِ

= تكرار لعبارة ستأتى بعد سطرين . وإثباتها هنا يفسد الكلام . فالوجه حذفها كما فى س .

(١) ط ، هـ : « كثرت » ووجهه ما أثبت من س

(٢) ط ، هـ : « ولكثرت » صوابه ما كتبت من س .

(٣) الآلاف بمد الهمزة فى أوله : جمع إلف بالكسر وهو الأليف . ط : « آلافهات » صوابه فى س ، هـ .

(٤) ط : « وجه » . وسياق القول يقتضى ما أثبت من س ، هـ .

(٥) ذكر الجاحظ ، كما رأيت ، أربعة أوجه ، لا خمسة . فهو سهو منه .

(٦) فى الأصل : « ومنتهى » .

(٧) فى الأصل : « منه » .

الحيوان مالهُمْ[١] . فالحُكْلُ من الحيوان [من][٢] هذا الشكل . وقد ذكرناه مرّةً قال رُؤْبة[٣] :

لَوْ أَنَّنِي عُمِّرْتُ عُمْرَ الحِسْلِ أَوْ أَنَّنِي أُوتِيتُ عِلْمَ الحُكْلِ
عِلْمَ سُلَيْمَانَ كَلَامَ النَّمْلِ

(تأويل بيت للعُمَانى)

وقال أبو العباس محمّد بن ذُؤَيب الفُقَيمىُّ ، وهو الذى يقال له العُمانىُّ[٤] فى بعض قصائده فى عبد الملك بن صالح . والعُمانىُّ ممن يُعَدُّ ممن جَمع الرّجزَ والقصيد ، كَعُمَرَ بنِ لجإ[٥] ، وجرير بن الخَطَفى ، وأبى النّجم وغيرهم . قال العُمانىّ :

وَيَعْلَمُ قَوْلَ الحُكْلِ لو أَنَّ ذَرَّةً تُسَاوِدُ أُخْرَى لَمْ يَفُتْهُ سِوادُها[٦]

يقول : الذَّرُّ الذى لا يُسمَع[٧] لمناجاته صوت ، لو كان بينها سِوَادٌ[٨] لفهمه. والسِّواد هو السِّرار[٩] .[قال النبىُّ صلى الله عليه وسلم لابن مسعود :

(١) فى الأصل : « لغيرهم » .
(٢) ليست بالأصل .
(٣) انظر ماسبق من التنبيه فى ص ٨ .
(٤) سبقت ترجمته فى (٢ : ١٦٦) .
(٥) فى الأصل : « كعمرو » وصوابه ما أثبت ، وقد سبقت ترجمته فى (١ : ٣٤٩) و« لجأ » هو والد عمر ، وأصل اللجإ المعقل ، والملاذ . فهو اسم مصروف ، وليس مما أتى على وزن الفعل . وانفرد صاحب القاموس بقوله إنه جد عمر ، وأن والده يسمى الأشعث .
(٦) ط : « تساور أخرى » صوابه فى س ، هـ والبيان (١ : ٢١٢)
(٧) ط ، هـ : « لم يسمع » . والأوجه ما أثبت من س .
(٨) ط : « سواء » صوابه فى س ، هـ .
(٩) ط ، هـ : « السواد » والدال لا يفسر بالدال ! صوابه فى س . والسرار ، بالكسر : التحادث سراً .

«أذنَكَ حتى أساوِدَك» أي تسمع سِوادِي. وقالت ابنةُ الخُسِّ: قُرْب الوسادِ [وطولُ السِّواد[1].

قال أبو كبير الهُذَلىُّ :

ساودت عنْها الطَّالبينَ فلم أنَمْ ... حَتَّى نَظَرْت إلى السِّماكِ الأعْزَلِ[2]

وقال النمرُ بنُ تَوْلَب :

ولقَد شهِدْتُ إذا القِدَاحُ تَوَحَّدَتْ ... وشَهِدْتُ عندَ اللَّيل مُوقَدَ نَارِها[3]

عَن ذاتِ أوْلِيَةٍ أساوِدُ رَبَّهَا ... وكأنَّ لَوْنَ المِلْحِ تحتَ شِفَارِها[4]

وقد فسَّرْنا شأنَ الحَكَل[5] .

وقال التيميُّ الشاعرُ المتكلم ـ وأنشد لنفسه وهو يهجو ناساً من بنى تَغْلِبَ معروفين ـ :

عُجْم وحُكْلٌ لاتُبِينُ ، ودِينُها ... عِبادَةُ أعلاجٍ عليها البرانسُ[6]

---

(١) قالت هذا حين سئلت : « ماحملك على أن زنيت بعبدك ؟ » . انظر البيان (١ : ٢١٢) ، والحيوان (١ : ١٦٩) ، والصناعتين ٣٢٠

(٢) ط ، ه : « ساورت » صوابه فى س . والسماك الأعزل : منزلة من منازل القمر ، وهو نجم يظهر مع الفجر .

(٣) القداح هنا قداح الميسر . توحدت : أى أخذ كل رجل قدحا ولم يقدر على غيره ؛ لشدة الزمان وغلاء اللحم .

(٤) عن ذات أولية : أى من أجل ناقة ذات أولية ، رعت وليا بعد ولى من المطر فسمنت . أساود ربها : يقول : أساره وأناجيه لأختدعه عنها فيسمح بها ليجرى عليها الميسر . وكأن لون الملح فوق شفارها : أى أن الشفار التى تذبح بها وتقطع يعلق بها شحم هذه الناقة السمينة فيحكى ذلك لون الملح . ط : « أساور» صوابه فى س ، ه ، والميسر والقداح ص ١١٨ .

(٥) انظر ص ٢٣ وكذا ص ٢١ .

(٦) الأعلاج : جمع علج ، بالكسر ، وهو الرجل من كفار العجم . والبرانس : جمع برنس ، وهو القلنسوة الطويلة ، وكان النساك يلبسونها فى صدر الإسلام . والبرنس أيضاً كل ثوب رأسه منه ملتزق به ، دراعة كان أو ممطراً أوجبة . وفى حديث عمر : « سقط البرنس عن رأسى » هو من هذا . والرواية فى البيان (١ : ٤٨) : « ولكن حكلا لاتبين » .

فصَلَ بينَ الحُكْل والعُجْم ، فجعل العُجْمَ[1] مثلَ ذواتِ الحافر والظِّلْف والخفّ ، وجعل الحُكْلَ كالذّرّ والنَّمل والخنافس ، والأشكال التى ليست تصيحُ من أفواهها . فقال لى يومئذ حفصٌ الفَرْدُ[2] :[أشهَدُ] أنَّ الذى يقال فيه حقٌّ[3] ، كان والله نصرانيًّا ، ثمَّ صار يخبر عن النصارى كما يخبر عن الأعراب !

(بين الأصمعى والمفضَّل)

[و] قال الأصمعىّ للمفضَّل ، لما أنشد المفضَّلُ جعفرَ بنَ سليمانَ[4] قولَ أوسِ بن حجر : ٩

وذاتُ هِـــدمٍ عارٍ نواشِرُها تُصْمِتُ بالمـاء تَوْلَبًا جَـــدِعا[5]

---

(١) ط ، هـ : « ذوات العجم » وكلة « ذوات » مقحمة .

(٢) من المجبرة ، وكان من أهل مصر ، قدم البصرة فسمع بأبى الهذيل واجتمع معه وناظره ، فقطعه أبو الهذيل . وله عدة تصانيف سردها ابن النديم فى الفهرست ٢٥٥ مصر ١٨٠ ليبسك .

(٣) ط ، هـ : « حق » وهو على الصواب فى س .

(٤) كذا أيضاً فى التنبيهات على أغاليط الرواة فى نسختنا الخطية . وفى اللسان أنه سليمان ابن على الهاشمى .

(٥) الهدم ، بالكسر : الثوب الخلق المرقع . هـ ، س : « عدم » والعدم ، بالضم الفقر وفقدان المال ، ولم أجد هذه الرواية فيما عندى . والنواشر : عصب الذراع من داخل وخارج . وعريت نواشره : فقدت ما يكسوها من لحم ، وهو علامة المجاعة . تصمت بالماء تولبا : أى تسكت ولدها الذى يبكى من الجوع بشىء من الماء . وأصل التولب : ولد الحمار ؛ لكن أوساً أساء الاستعارة لجعله الطفل تولباً انظر العمدة (٢ : ٢٠٤) . وهذا البيت قد وهم فيه قدامة فظن أن سوء الاستعارة هذا يسمى معاظلة ، وقال : لا أعرف المعاظلة إلا فاحش الاستعارة . وانظر الرد عليه فى كل من الصناعتين ١٥٥ وسر الفصاحة ١٥١ . والبيت من قصيدة جيدة يرثى بها فضالة بن كلدة مطلعها :

أيتها النفس أجملى جزعا إن الذى تحذرين قد وقعا

وقبل البيت :

ليبكك الشرب والمدامة وال فتيان طرا وطامع طمعا

فجعل الدّال معجمة ، وفتحها ، وصحّف ، وذهب إلى الأجذاع[١] .

قال الأصمعيّ : إنمـا هى : « تَوْلباً جَدِعا » الدّال مكسورة . وفى الجَدِع يقول أبو زُبَيد :

ثُمَّ استقاها فـــلم يقطَعْ نظائَمها عن التضبُّبِ لاعَبَلٌ ولا جَدِعُ[٢]

وإنّمـا ذلك كقول ابن حَبْناء الأشجعى[٣] :

وأرْسَلَ مُهْمَلاً جَدِعًا وخُفًّا ولاجَدِعُ النَّبات ولا جَدِيبُ[٤]

فنفخ المفضَّلُ ، ورفع بها صوتَه ، وتـكلَّم وهو يصيح . فقال الأصمعيّ : لو نفخْتَ بالشَّبُّور لمَ ْ ينفعك ! تكلَّمْ بكلامِ النَّملِ وَأَصِبْ[٥] !

---

(١) الأجذاع : جمع جذع بالتحريك ، وهو من الحافر ما كان فى الثالثة.

(٢) التضبب : السمن وكثرة اللحم . ه فقط : « التضيب » والجدع ، كـكتف : فعل بمعنى مفعول ، ولا يعرف مثله . وهو السيء الغذاء .

(٣) ابن حبناء ، يطلق على (خمسة من الشعراء) ثلاثة منهم إخوة ، وحبناء اسم أمهم كما فى القاموس ومعجم المرزبانى ٣٦٩ والمؤتلف والمختلف ١٠٥ ، أو هو لقب لأبيهم لقب به لحبن أصابه . والحبن داء فى البطن يعظم منه ويرم . الأغانى (١١ : ١٥٦) وأعرف هؤلاء الإخوة الثلاثة هو المغيرة بن حبناء ، وكان بينه وبين أخيه صخر مناقضات شعرية روى بعضها أبو الفرج (١١ : ١٦٢ — ١٦٣) وثالث هذين الأخوين هو يزيد بن حبناء وكان من الخوارج ، وكان أخوه المغيرة من رجال المهلب ابن أبى صفرة. ويعرف بهذا الاسم أيضاً أخوان آخران، أحدهما بلعاء بن قيس الـكنانى وأخوه جثامة . وأمهما الحبناء بنت وائلة . وقد تقدمت ترجمة بلعاء فى (٣ : ٦٠) . جاء فى ط : « حنباء » صوابه فى ه ، س . على أنى أستبعد صحة العبارة هنا إذ ليس أحد من هؤلاء الشعراء الخمسة من تصح له نسبة « الأشجعى » . والمعروف بهذه النسبة من الشعراء هو جبهاء (ويقال أيضاً جبيهاء بالتصغير) وهو شاعر بدوى من مخاليف الحجاز ينتهى نسبه إلى بكر بن أشجع . نشأ وتوفى فى أيام بنى أمية ، وهو من المقلين ، وله حديث مع الفرزدق فى الأغانى (١٦ : ١٤١) .

(٤) المراد بالخف هنا الإبل .

(٥) تجد هذه القصة مع بسط وتفصيل ، فى اللسان (جدع).

والشَّبُّور : شيء مثل البُوق ، والكلمة بالفارسيّة[١] . وهو شيء يكون لليهود ، إذا أراد رأسُ الجالوت[٢] أن يحرّم كلامَ رجلٍ منهم نفَخُوا عليه بالشَّبُّور .

(تحريم الكلام لدى اليهود والنصارى)

وليسَ تحريمُ الكلام مِن الحدود القائمةِ فى كتبهم ، ولكنّ الجاثَلِيقَ[٣] ورأسَ الجالوتِ ، لايمكنُهُما فى دارالإسلام حبسٌ ولاضرْب ؛ فليس عندهما إلاّ أنْ يغرّما المالَ ، ويُحرِّما الكلام . على أنّ الجاثليق كثيرًا مايتغافل عن الرَّجلِ العظيمِ القدْر ، الذى له من السُّلطان ناحيةٌ

وكان طيمانو[٤] رئيس الجاثليق ، قدْ همَّ بتحريم كلام عَونٍ العباديِّ[٥] ، عند ما بلغه من اتِّخاذ السَّرارى[٦] ، فتوعّده وحلف : لَئن فعل ليُسْلِمَنَّ ! وكما ترك الأشقيل[٧] وميخاييل[٨] وتوفيل[٩] ،

(١) الصحيح أنها مأخوذة من العبرية . انظر التذييل .

(٢) انظر لتفسير هذه الكلمة تذييل هذا الجزء .

(٣) الجاثليق ، بفتح الثاء : رئيس من رؤساء النصارى يكون تحت يده المطران ، ثم الأسقف ، ثم القسيس ، ثم الشماس .

(٤) كذا . ولعله : « طيماثوس » كما أفادنيه حضرة المحقق القدير الأب أنستاس .

(٥) العبادى : نسبة إلى العباد ، بكسر العين ، وهم قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة .

(٦) السرارىّ : جمع سرية ، وهى الأمة المملوكة التى بوئت بيتا . ونظام التسرى ، أى اتخاذ السرارى ، نظام إسلامى يقصد به تكثير نسل المسلمين . والتسرى محظور على النصارى . انظر رسائل الجاحظ بهامشة الكامل (٢ : ١٧٦)

(٧) كذا فى س ، هـ . وفى ط : « الأشقيل » .

(٨) س : « متخاييل » .

(٩) وجه الصواب فيه : « ثيوفيل » أو « تيوفيل » .

سَملَ عَيْنِ مَنْوِيل[1] ـ وفى حكمهم أنَّ من أعان المسلمين على الرُّوم يقتل ؛ وإن كان ذا رأى سَمَلوا عينَيه ولم يقتلوه ـ فتركوا سُنَّتهم فيه .

وقد ذكرنا شأنَهم فى غير ذلك ، فى كتابنا على النَّصَارى[2] . فإن أردتَه فاطلبْه هنالك .

(تأويل بيت لابن أبى ربيعة)

وقال عمر بن أبى ربيعة :

لَوْ دَبَّ ذَرٌّ فوقَ ضاحِى جِلْدِها ... لَأَبَانَ مِنْ آثارِهنَّ حُدُورُ[3]

والحَدْر : الورَم والأَثَر[4] يكون عن الضَّرْب .

---

(١) سمل عينه : فقأها . وبدل هذه العبارة فى ط : « وسموعين ومنويل » وفى ه : « سمل عين ومنويل » وصوابه فى س .

(٢) فى الأصل : « النصرى » وهو تحريف . وكتابة الجاحظ عن النصارى وثيقة تاريخية هامة ، تظهرنا على حقائق غريبة ، وتبين لنا مدى اتصال النصارى بالمسلمين فى عصره . وقبل عصره . وتجد فقراً منها بهامشة الكامل (٢ : ١٤٨ ـ ١٩٨) .

(٣) ضاحى جلدها : أى جلدها الضاحى المشرق . وأبان هنا فعل لازم بمعنى بان وظهر . و « حدور » فاعل أبان ، ومنه فى الكتاب : « حم والكتاب المبين » أى البين الظاهر ، فى أوحد وجهى تأويله . وفى ط ، وكذا اللسان (مادة حدر) والمخصص (٢ : ٨٠) « حدورا » بالنصب ، وهو خطأ صوابه فى ه ، س ؛ إذ أن البيت من قصيدة مضمومة الروى ، كما فى ديوان عمر ص ١٢ ، مطلعها :

لمن الديار كأنهن سطور ... تسدى معالمها الصبا وتنير

وقبل البيت :

تلك التى سبت الفؤاد فأصبحت ... والقلب رهن عندها مأسور

(٤) فى الأصل : « والحدر والورم الأثر » وصوابه ما أثبت .

(التسمية بالنمل)

وقد يسمَّى بِنَمْلة ونُمَيْلة ، ويكتنون بها . وتسمَّوا بذَرٍّ ، واكتنوا بأبى ذرّ . ويقال : سيفٌ فى مَتْنِهِ ذَرٌّ ، وهو ذَرِّىُّ السَّيف[1] .

(شعر فى صفة السيف)

وقال ابن ضَبَّة[2] :

وقـد أغدُو مع الفتيا ن بالمنجردِ الـتَّرِّ[3]
وذى البِرْكَةِ كالتَّابو تِ والمَحْـزَمِ كالقَرِّ[4]

---

(١) فى الأصل « ذر السيف » وأصلحته معتمداً على لسان العرب، وفيه : « وذرّىّ السيفِ : فرنده وماؤه ، يشبهان فى الصفاء بمدب النمل والذر . قال عبد الله ابن سبرة :

كل ينوء بماضىالحد ذى شطب جلى الصياقل عن ذريه الطبعا

(٢) ذكره الجاحظ فى البيان (٣ : ٤٣) مع الشعراء العرجان . وهو القائل :

وكنت أمشى على رجلين معتدلا فصرت أمشى على أخرى من الشجر

(٣) المنجرد من الخيل : القصير الشعر ، وذلك من علامات العتق والكرم . ط ، ه : «بالخنجر » س : « بالمتجرد » وصوابه ما أثبت كما فى اللسان (ترر) . والتر من الخيل : المعتدل الأعضاء ، الخفيف ، الدرير . ط ، ه : « والبتر » وأثبت الصواب من س واللسان . وقد روى ابن الشجرى هذا البيت فى أماليه (١ : ٨٢) :

وقد أغدو إلى الهيجا ء بالمحتنك الـثر

روى الكلمة الأخيرة بالثاء المثلثة قال : « يقال سحاب ثر ، الكثير الماء . واستعاروه للفرس الكثير الجرى » .

(٤) البركة ، بالكسر : الصدر . والتابوت : الصندوق يحرز فيه المتاع ، وهى كلمة عبرية الأصل . والمحزم : كمجلس موضع الحزام . والقر بالفتح : الهودج .

معى قاضبـــة كالمِلْـ ـحِ فى مَتْنَيْهِ كالذَّرِّ(١)
١٠ وقـــد أَعْتَسِرُ الضَّرْ بَةَ تثنى شـــنَ الشَّتْرِ(٢)

وقال الآخر :

تَكادُ الرِّيحُ ترميهَا صرارا وتُرْجَفُ إن يُلثّمها خِمارُ(٣)
وتحسَبُ كلَّ شيء قِيلَ حقًّا وَيُرْعِبُ قلبَها الذَّرُّ الصِّغارُ

وقال أوسُ بنُ حجَر ، فى صفة السَّيْف :

كأَن مدَبَّ النَّمْلِ يتْبَعُ الرُّبَا وَمَدْرَجَ ذَرٍّ خافَ بَرْدًا فأَسْهلَا(٤)
على صفحتيه بعد حِين جِلائه كَفَى بالَّذِى أبلى وأنعتُ مُنْصُلَا(٥)

---

(١) القاضبة ، أراد به السيف القاضب ، فالتاء فيه للمبالغة ، كراوية . ولم أر هذا اللفظ لهذا المعنى فى كتاب . وجعله كالملح فى بياضه . والعرب يشبهون الشىء الأبيض بالملح كما سبق تشبيه الشحم به فى ص ٢٤ س ٧ وجاء هذا البيت مخروما فى اللسان (مادة ترر) . ويمكن تصحيحه وإكماله مما هنا .

(٢) اعتسر الضربة ، أصله من اعتسر الرجل الكلام : إذا اقتضبه قبل أن يزوره ويهيئه . يقول : يفاجىء عدوه بالضربة السريعة . ط ، س : « أعسر » صوابه فى هـ . والشتر ، بالفتح : الجرح . وفى الأصل : « الشبر » ولا وجه له وأما « شتن » فهى فى ط : « شنن » والكلمتان غير واضحتين.

(٣) س : « تلثمها » والوجه ما أثبت من ط ، هـ .

(٤) الربا : جمع ربوة ، وهو المكان المرتفع . وفى الأصل : « الدبا » ولا وجه له وصوابه فى ديوان أوس وعيون الأخبار (٢ : ١٨٧) ومعاهد التنصيص (١ : ٤٨) والشعراء ٢٦ . وأسهل : صار فى السهل من الأرض .

(٥) ط : « على صفحة من » والوجه « صفحتيه » مع حذف « من » كما فى س ، هـ والديوان . ورواية الديوان : « على صفحتيه من متون جلائه » .

(انتقام عَقيل بن عُلَّفة مِمَّن خطب إحدى بناته)

قال : وخطب إلى عَقيل بن عُلَّفة بعضَ بناتِه رجلٌ من الحُرْقة[١] من جُهينة ، فأخذَه فشَدَّهُ قِماطاً ، ودهن أستَه برُبٍّ و قَمَطه[٢] وقرَّبه من قريةِ النَّمل ، فأكل النملُ حُشْوَةَ بطنِه[٣]

(شعرٌ فيه ذِكر النمل)

وقال ذو الرُّمّة :

وَقَرْيَةِ لاَجِنٍّ وَلاَ أَنَسِيَّةٍ مُدَاخَلَةٍ أبوابُها بُنِيَتْ شَزْرَا[٤]
نَزَلْنا بها ماتبتغى عندَها القِرَى ولكنَّها كانت لمنزلنا قَدْرا[٥]

وقال أبو العتاهية :

أَخْبِثْ بدارٍ هَمُّهَا أَشِبٌ جَثْل الفُرُوعِ كثيرةٌ شُعَبُه[٦]
إنَّ استهانَتَها بِمَنْ صرَعَتْ لَبِقَدْرِ مَاتَعْلو بِهِ رُتَبُه[٧]

---

(١) كذا على الصواب فى ط ، ه . وهى قبيلة وفى س : « الحدقة » محرف . وفى الأغانى (١١ : ٨٢) أنه من بنى سلامان بن سعد .

(٢) قمطه : جمع بين يديه ورجليه . والرب بضم الراء هو الدبس ، أو هو ثفل السمن والزيت . وفى الأغانى : « ودهن استه بشحم » .

(٣) القصة فى الأغانى برواية تختلف كثيراً عن هذه .

(٤) أراد بالقرية قرية النمل . مداخلة : مخالفة فى بعضها بعضاً . شزرا : على غير استقامة فهى معوجة .

(٥) رواية الديوان ١٧٧ : « لانبتغى عندها » .

(٦) أشب : كثير ، من قولهم شجر أشب : ملتف . جثل : كثير الورق . ط ، ه : « جبل » صوابه فى س .

(٧) فى الأصل : « أزرا سياستها بمن صرعت » وهو تحريف صوابه من ديوان=

وإذا استوَتْ للنَّمل أجنحَةٌ حتى يَطيرَ فقدْ دنَا عَطبُه[1]

وقال البَعيث :

ومولًى كَبَيْتِ النملِ لاخَيْرَ عندَه لمـولاه إلاَّ سَعْيه بنَميم

(بعض ماقيل فى النمل)

قال : وقد سمعت بعضَ الأعراب[2] يقول : إنهُ لنمَامٌ نمْـليٌّ . على قولهم : « كذبَ عليَّ نَمِلٌ[3] » إذا أرادُوا أنْ يخبرُوا أنهُ نمـام . وقال حميد بن ثَوْر ، فى تهوين[4] قوّة الذرّ :

منعَّمَة ، لو يُصْبِحُ الذَّرُّ سارِيًا على جِلْدِها بضَّتْ مدارِجُهُ دما[5]

وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .

قال : وقيل لعائشةَ ـ رضى الله تعالى عنها ، وقد تصدَّقَتْ بحبَّةِ عنب ـ : أتَصَدّقينَ[6] بحبَّةِ عنب ؟! قالت : إن فيها لَمَثَاقِيلَ ذَرٍّ[7] .

= أبى العتاهية ص ٣٥ وثمـار القلوب ٣٤٦ . « لبقدر » هى فى الأصل : « فبقدر » وأثبت ماقى الديوان والثمـار . و « تعلو » هى فى ط : « تقلوا » وتصحيحه من س ، هـ والثمـار . وبدلهـا فى الديوان : « تسمو » .

(١) فى الديوان : « وإن استوت » وانظر الـكلام على البيت عند الدميرى .

(٢) س : « قال : وسمعت أعرابيا » .

(٣) النمل كـكتف والنامل والمنمل ـ كمحسن ـ والمنمل ـ كمنبر ـ والنمـال ، كل أولئك بمعنى النمـام .

(٤) س : « توهين » والتهوين : التقليل . والتوهين : الإضعاف . وهما متقاربان .

(٥) مدارج الذر : موضع دروجه . بضت : خرج منها الدم .

(٦) تصدقين بمعنى تتصـدقين ، حذفت إحدى التاءين تخفيفاً . ط فقط : « أتتصدقين » .

(٧) مثاقيل : جمع مثقال بمعنى مقدار . س : « مثاقيل ذرة » صوابه فى ط ، هـ . وعائشة رضى الله عنها ، تنظر إلى الآية السابقة .

(لغز في النّمل)

وممّا قيل في الشّعر من اللُّغز[1] :

فما ذُو جَناحٍ له حافرٌ وليس يضُرُّ ولا ينفعُ

يعني النَّمل . فزعم أنَّ للنَّمل حافرًا ، وإنَّما يحفِرُ جُحره ، وليس يَحفِرُه بفمه[2] . ١١

(التعذيب بالنمل)

وعذَّب عُمَرُ بن هُبيرة[3] سعيدَ بن عَمْرو الحَرَشيّ[4] بأنواع العذاب فقيل له : إن أردت ألاّ يُفْلِحَ أبدًا فمُرْهُمْ أن ينفُخوا في دُبُرِه النّمل . ففعلوا فلم يفلِحْ بعدها .

---

(١) البيت الآتي في محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) .

(٢) وإنما يحفره بقوائمه الست . انظر الدميري .

(٣) في الأصل : « عمرو بن هبيرة » وصوابه ما أثبت . وعمر هذا ، أمير من الدهاة الشجعان ، ولي الجزيرة في خلافة عمر بن عبد العزيز ، ثم ولاه يزيد بن عبد الملك إمارة العراق وخراسان ، ثم عزله هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ فلم يعرف له خبر بعد ذلك ، وكان قائد أسطول المسلمين في غزوة القسطنطينية سنة سبع وتسعين . انظر التنبيه والإشراف ١٤١ . وكان عمر يكنى أبا المثنى ، وفيه يقول الفرزدق ليزيد (المعارف ١٧٩) :

أوليت العراق ورافديه فزاريا أحذ يد القميص
تفنق بالعراق أبو المثنى وعلم قومه أكل الخبيص

(٤) سعيد بن عمرو الحرشي ، أحد قواد العرب ، وهو الذي قتل شوذبا الخارجي وفتك بمن معه ، وولاه ابن هبيرة خراسان سنة ١٠٣ ، ثم بلغه أنه يكاتب الخليفة مباشرة ولا يعترف بامارته فعزله وعاقبه . والحرشي ، بفتح الحاء والراء ، نسبة إلى الحريش بن كعب بن ربيعة . وفي الأصل : « بن عمر » وصوابه من البيان (١ : ٢٤٦) وكتاب الوزراء (٦١) . و « الحرشي » هي في الأصل : « الجرشي » بالجيم ، وصوابه في البيان وقاموس الأعلام .

(مايدّخر قوته من الحيوان)

قالوا : وأجناسٌ من الحيوان تَدَّخِرُ، وتُشَبَّهُ فى ذلك بالإنسان ذى العقل والرَّوِيَّة[1] ، وصاحبِ النَّظَرِ فى العواقب ، والتفكيرِ فى الأمور : مثلُ الذَّرّ ، والنَّمل ، والفأر ، والجِرذان ، والعنكبوت ، والنَّحل . إلاَّ أنَّ النحل لايدَّخر من الطعام إلاَّ جنساً واحدًا ، وهو العسل .

(أكل الذَّرّ للنمل)

وزعم اليقطرىّ[2] أنَّك لو أدخَلْتَ نملةً فى جُحر ذرٍّ لأكلتها ، حتى تأتىَ على عامَّتها . وذكر أنَّه قد جرَّب ذلك .

(أكل الضِّباع للنمل)

وقال صاحب المنطق : إنَّ الضِّباع تأكل النمل أكلاً ذريعا ؛ وذلك أنَّ الضِّباعَ تأتى قريَةَ النَّملِ فى وقتِ اجتماعِ النّمل ، فتلحَس ذلك النَّملَ بلسانِها ، بشهوةٍ شديدةٍ ، وإرادة قويَّة .

(أكل النمل للأَرضة)

قالوا : وربَّما أفسدت الأَرَضةُ على أهل القرى منازلَهم ، وأكلتْ كلَّ شىء لهم . ولا تزالُ كذلك حتى يَنْشُوَ[3] فى تلك القرى النَّمل ،

---

(١) الروية : النظر والتفكير . ط ، هـ : « الرؤية » صوابه من س .

(٢) يروى عنه الجاحظ فى البيان : وكنيته أبو عثمان .

(٣) كذا فى س . وفى هـ : « ولا يزال » . وفى ط « ولا يزالوا » وهذه الأخيرة محرفة . و« ينشو » هى « ينشؤ » سهل همزها ، وهى بمعنى ينشأ ، فهذا=

فيسلِّط الله ذلك النّملَ على تلك الأرَضة ، حتى تأتيَ على آخرها . وعلى أنَّ النَّملَ بعد ذلك سيكونُ له أذى ، إلاّ أنَّه دونَ الأرضةِ تعدِّيا . وما أكثَرَ مايذهَبُ النَّمل أيضاً من تلك القُرى ، حتى تتمَّ لأهلها السَّلامةُ من النَّوعينِ جميعاً .

وزعم بعضُهم أنَّ تلك الأرَضَة بأعيانها تستحيل نَمْلاً ، وليسَ فَنَاؤُها لأكلِ النَّمْلِ لها ، ولكنَّ الأرضةَ نفسَها تستحيلُ نملاً . فعلى قدْرِ مايَستحيل منها يُرَى النقص[1] فى عددِها ومضَرَّتِها على الأيام .

(مثل فى النمل)

قال : و بِالنَّمْلِ يُضرب المَثَل ؛ يقال : « جاءوا مِثْلَ النَّمْلِ » .

والزِّنْج نوعان ، أحدهما يفخَر بالعدد ، وهم يسمَّون النَّمل ، والآخَر يفخَر بالصَّبرِ وعِظَم الأبدان ، وهم يسمَّون الكلاب . وأحدهما يكبو والآخرُ ينبو . فالكلابُ تكْبو ، والنَّمل تنبو[2]

(أجنحة النَّمل)

قال : ومن أسبابِ هلاك النَّمْلِ نباتُ الأجنحة له . وقد قال الشاعر[3] :

= الفعل يقال من باب منع ومن باب كرم ، كما فى القاموس . ط ، س : « ينشبوا » ولا تصح إلا بتكلف . وأثبت مافى ه .

(١) س : «النقصان» .

(٢) ليس « تكبو » و « تنبو » لفظين عربيين ، بل هما من ألفاظ الزنج فيما يظهر ، فقول الجاحظ : « فالكلاب تكبو » لعل معناه تسمى «تكبو» بالزنجية . وتجد اضطرابا فى رسم هاتين الكلمتين ، فمرة بدئتا بالياء ، ومرة بدئتا بالتاء . وعسى أن يهدينا إلى صوابهما أحد الصوماليين .

(٣) هو أبو الشاهية كما سبق ص ٣٢ .

وإذا استوَتْ للنَّملِ أجنحةٌ حتى يَطِيرَ فقَــدْ دَنَا عَطَبُه[١]

وإذا صارَ النَّمل كذلك أخصبَتِ العصافير؛ لأنها تصطادها فى حال طيرانها .

(وسيلة لقتل النمل)

[قالوا[٢]] : وتُقْتَلُ بأنْ يصبَّ فى أفواه بيوتها القَطِران والكِبريتُ الأصفر ، ويُدَسَّ فى أفواهها[٣] الشَّعر . وقد جرَّبنا ذلك فوجدناه باطِلا . انتهى .

١٢

باب

جملة القول فى القِرْدِ والخِنزير

وفى تأويل المَسْخ ، وكيف كان ، وكيف يُمسَخُ الناس على خلقتهما[٤] دونَ كلِّ شىء ، وما فيهما من العِبرة والمحنة ؛ وفى خصالهما المذمُومة ، وما فيهما من الأمُورِ المحمودة ؛ وما الفَصْل[٥] الذى بينهما فى النَّقص ، وفى الفَضْل ، وفى الذمِّ وفى الحمد .

---

(١) س ، هـ : « دنا أجله » وهو خطأ . انظر ص٣٢ .
(٢) بمثل هذه الزيادة يستقيم الكلام ، وينسجم أوله مع آخره .
(٣) أى أفواه بيوتها .
(٤) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .
(٥) فى الأصل : « الفضل » بالضاد المعجمة ، ووجهه ما أثبت .

(ماذكر فى القرآن من الحيوان)

وقد ذكر الله عزَّ وجلَّ فى القرآن العنكبوتَ ، والذَّرَّ والنَّمْلَ ، والكلبَ ، والحِمار ، والنَّحلَ ، والهُدهدَ ، والغُرابَ ، والذئب[1] ، والفِيلَ والخيل ، والبغال ، والحمير ، والبقرَ ، والبعوضَ ، والمعز ، والضأن ، والبقرة ، والنعجة ، والحوت ، والنُّون[2] . فذكر منها أجناساً فجعلها مثلاً فى الذِّلَّة والضَّعف ، وفى الوهْن ، وفى البَذَاء ، والجهل .

(هَوانُ شأن القرد والخنزير)

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ اللهَ لَايَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَابَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ فقلّلها كما ترى وحقّرها ، وضرب بها المثل . وهو مع ذلك جلَّ وعلا، لم يمسخ أحدًا من حَشْو أعدائه وعظمائهم بعوضة .

وقال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شيئًا لَايَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ . إنّما قرّع الطالبَ فى هذا الموضع[3] بإنكاره وضعفه ، إذ عجز ضعفُه عن ضَعفِ

---

(١) س : « الدب » صوابه فى ط ، هـ . وليس فى القرآن الكريم ذكر للدب ، وإنما هو « الذئب » ورد فى قصة يوسف .

(٢) النون : الحوت العظيم ، وقد سمى يونس عليه السلام : ذا النون فى قوله تعالى : « وذا النون إذ ذهب مغاضبا » لأن النون كان قد التقمه فى اليم ، انظر مفردات الراغب . والجاحظ لم يستوعب ماورد فى القرآن من الحيوان ، وإلا فقد أغفل ذكر الإبل ، والثعبان ، والجراد ، والحية ، والسلوى ، والضفادع ، والغنم ، والفراش ، والقمل .

(٣) ط فقط : « الموضوع » .

مطلوبٍ لاشىء أضعفُ منه ، وهو الذباب. ثمّ مع ذلك لم نجدْه جلّ وعلا ، ذَكَرَ أنّهُ مسخ أحدًا ذُبابا .

وقال : ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾ فَدَلّ بوهْن بيتِه على وهْن خَلْقه ، فكان هذا القولُ دليلاً على التّصغيرِ والتّقليل . وإنما لم يقل : إنّى مسخْتُ أحدًا من أعدائى عنكبوتاً .

وقال تعالى : ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾ فكان فى ذلك دليلٌ على ذمٍّ طباعه ، والإخبار عن تَسَرُّعِهِ وبَذائه . وعن جهله فى تدبيره ، وترْكِهِ وأخْذه . ولم يقل إنى مسخْتُ أحدًا من أعدائى كلباً .

وذكر الذّرّة فقال : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ فكان ذلك دليلاً على أنّه من الغايات فى الصِّغَر والقِلّة ، وفى خِفّة الوزْن وقلة الرجحان . ولم يذكُرْ أنّه مسَخَ أحدًا من أعدائه ذرّة .

وذكر الحمار فقال : ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ فجعله مثلاً فى الجهل والغفلة ، وفى قِلّة المعرفةِ وغِلَظِ الطّبيعة . ولم يقلْ إنّى مسخْتُ أحداً من أعدائى حمارًا .

وكذلك جميع ماخلَق وذَكَر من أصناف الحيوان بالذمّ والحمد . فأمّا غير ذلك ممّا ذكر من أصناف الحيوان[1] ، فإنّه لم يذكرْهُ[2] بذمٍ ولا نقص ، بل قد ذكر أكثرَهن[3] بالأمور المحمودة ، حتّى صار إلى ذكر ١٣

(١) الكلام من مبدإ : « بالذم والحمد » ساقط من س .
(٢) س : « يذكر » .
(٣) س : « أكثرها » .

القرد فقال : ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ فلمْ يكنْ لهما فى قلوبِ النَّاس حال . و [لو][1] لم يكن جعل لهما فى صُدور[2] العامّة والخاصّة من القُبْح والتَّشويه ، ونذالةِ النَّفس ، مالم يجعلْهُ لشىء غيرهما من الحيوان ، لما خصَّهما الله تعالى بذلك .

وقد علمْنا أنَّ العقربَ أشدُّ عداوةً وأذًى ، وأفسَدُ ، وأنَّ الأفعى والثُّعْبانَ وعامَّةَ الأحناش[3] ، أبغَضُ إليهم وأقتَلُ لهم ، وأنَّ الأسَدَ أشَدُّ صَوْلةً ، وأنَّهم عن دفعهم له أعجز ، و بغضَهم له على حسب قوّته عليهم ، وعجزِهم عنه ، وعلى حَسبِ سوءِ أثره فيهم . ولم نَرَهُ تعالى مسَخَ أحداً من أعدائه على صورة شىء من هذه الأصناف . ولو كان الاستنذالَ والاستثقالَ والاستسقاطَ أراد ، لكان المسخ على صورة بناتِ وَرْدانَ أولى وأحقَّ[4] . ولو كان التَّحقيرَ والتَّصْغيرَ أرادَ، لكانت الصُّؤابة والجِرْجِسَة[5] أولى بذلك . ولو كان إلى الاستصغار ذهَبَ لكان الذَّرُّ والقمْل والذُّبابُ أولى بذلك .

والدَّليل على قولنا قوله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِى أَصْلِ الْجَحِيمِ . طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ وليْسَ أن النَّاسَ رأوْا شيطاناً قطُّ على صورة ، ولكنْ لما كان الله [تعالى] قد جعل[6] فى طِباع جميع الأمم استقباحَ جميعِ صُورِ الشَّياطين ، واستسماجَه وكراهتَهُ ، وأجرى على ألسنة جميعهم ضرْبَ المثل فى ذلك — رجع بالإيحاش والتّنفير ، وبالإخافة

---

(١) ليست بالأصل .

(٢) س : « قلوب » .

(٣) الأحناش : الحيات ، جمع حنش بالتحريك . وفى الأصل : «الأجناس» محرف .

(٤) « على صورة » ساقط من س . و « أراد ، لكان » هى فى س : « إذا كان » محرف .

(٥) الجرجس ، بكسر الجيمين : البعوض الصغار . فى الأصل « الحرجسة » صوابه ما أثبت .

(٦) فى الأصل : « جعل لهما » وكلمة : « لهما » مقحمة .

والتقريع ، إلى ماقد جعله اللهُ فى طباع الأوّلين والآخِرين وعندَ جميعِ الأمم على خلاف طبائع جميع الأمم[١] .

وهذا التأويل أشبهُ مِن قولِ مَنْ زعَمَ مِن المفسِّرين ، أنّ رُءوسَ الشّياطين نبات ينبت باليمن[٢] .

وقال الله عزّ وجلّ لنبيِّه : ﴿ قُلْ لاَأَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ، أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ ، فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ فذكر أنه رِجْس ، وذكر الخنزير ، وهو أحد المسوخ[٣] ، ولم يذكر فى هذه الآية التى أحصى فيها أصنافَ الحرام ، وأباح ماوراء ذلك — القِرْدَ .

وصار بعضهم إلى تحريمه من جهة الحديث . وهو عند كثيرٍ منهم يحتمل المعارَضـــة .

(مساوى الخنزير)

فلولا أنَّ فى الخنزير معنًى متقدِّمًا[٤] سوى المسخ ، وسوى مافيه من قبح المنظر وسماجة التمثيل ، وقبح الصوت ، وأكل العَذِرة ، مع الخلاف الشديد

(١) الخلاف بمعنى الاختلاف .

(٢) ممن ذكر هذا التأويل ، فخر الدين الرازى فى تفسير سورة الصافات ، ولكنه مع ذلك استظهر تأويل الجاحظ ، وهو الذى مال إليه أكثر المفسرين . ومما أولوا به الآية أيضاً أن تكون « الشياطين » ضربا من ضروب الحيات .

(٣) المسوخ : جمع مسخ ، ط : « الممسوخ » . والأوجه ما أثبت من س ، هـ .

(٤) ط ، هـ : « متقدماً مما » تصحيحه من س .

واللِّواط المفْرط[1] والأخلاقِ السمجة، ماليس فى القرد الذى هو شريكه فى المسخ — لَمَا ذَكَرَه دونه .

١٤

(علة النص على تحريم الخنزير فى القرآن، دون القرد)

وقد زعم نَاسٌ أنَّ العربَ لم تَكنْ تأكلُ القُرودَ . وكان من تنصَّرَ[2] مِن كبار القبائِل وملوكِها يأكلُ الخنزير ، فأظهر لذلك تحريمَهُ ؛ إذ كان هنالكَ عالَمٌ من الناس ، وكثيرٌ من الأشراف والوضعاء ، والملوكِ والسُّوقة ، يأكلونهُ أشدَّ الأكل ، ويرغَبون فى لحمه أشدَّ الرغبة . قالوا : ولأنَّ لحم القرد يَنْهَى عن نفسِهِ . ويكفِى الطبائعَ فى[3] الزّجرِ عنهُ غَنَثُهُ[4] . ولحم الخنزير ممَّا يُسْتَطابُ ويُتواصَف ، وسَبيلُ لحم القردِ كسَبيلِ لحمِ الكلب بل هو شرٌّ منهُ وأخبَث . وقد قال الشاعر[5] الأَسديُّ الذى لِيمَ بِأكل لحمِ الكلب[6] :

يافقعسىُّ لِمْ أكَلْتَهُ لِمَهْ لو خافَكَ اللّهُ عليهِ حَرَّمَهْ
فَما أكَلْتَ لحمُ ولاَ دَمَهْ

وليس يريد بقوله : « لو خافك الله عليهِ » أنّ الله يخافهُ على شئ أو يخافه[7] من شيء . ولكنَّهُ لَمَّا كانَ الكلبُ عندَهُ مما لايأكله أحد

---

(١) ط ، هـ « واللواطة المفرطة » : وإنما هو « اللواط المفرط » كما فى س

(٢) ط : « تنصر » تصحيحه من س ، هـ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٤) الغنث بالتحريك : ثقل الطعام على النفس ، وفى الأصل : « غثه » .

(٥) الشاعر هو سالم بن دارة كما سبق فى (١ : ٢٦٧ ، ٢ : ١٥٩) .

(٦) أى لامه الناس بأكله لحم الكلب ، وفى الأصل : « لم يأكل لحم الكلب » وهو عكس المراد .

(٧) ط ، هـ : « يخاف » فى الموضعين . وأثبت مافى س .

وَلاَ يُخَافُ عَلَى أَكْلِهِ إلاّ المضطرُّ ، جعل بدل قوله : أَمِنَ الـكلبُ على أَكْل لحمه ، أنّ الله هو الذى لم يخَفْ ذلك فيحرِّمه . وهذا ممّـا لاتقف الأعرابُ عليه ، ولا تَتَبَّعَ الوهمُ مواضِعَه ؛ لأنّ هذا بابٌ[1] يدخل فى باب الدِّين ، فيما يُعرَف بالنَّظر .

(ماقيل فى جودة لحوم الـكلاب)

وقد يأكل أجْراءَ[2] الـكلاب ناسٌ ، ويستطيبونها فيما يزعمون . ويقولون : إنّ جرو الـكلب أسمنُ شىء صغيراً ، فإذا شبَّ استحال لحمه ، كأنّه يشبّه بفرخ الحمام مادام فرخا وناهضا ، إلى أن يستحكم ويشتدّ .

(ذكر من يأكل السنانير)

وما أكثر من يأكل السَّنانير . والذين يأكلونها صِنفان من الناس : أحدهما الفتى المغرور ، الذى يقال له أنت مسحور ، ويقال له : من أكل سِنَّوراً أسودَ بهيما لم يعمَلْ فيه السحر ، فيأكله لذلك . فإذا أكله لهذه العلّة ، وقد غسل ذلِكَ وعصره ، أذهب المـاء زُهُومَته ، ولم يكن ذلك المخدوعُ بمستقذِرٍ مااستطابه . ولعلّهُ أيضاً أن يكون عليه ضربٌ من الطَّعام[3] فوق الذى هو فيه ، فإذا أكله على هـذا الشَّرط ، ودبّر هذا التدبير ، ولم ينكره ، عاوده . فإذا عاوده صار ذلك ضَراوةً له .

---

(١) ط : « فى باب » والوجه حذف « فى » كما فى س ، هـ .

(٢) أجراء ، بفتح الهمزة وسكون الجيم : جمع جرو ، وهو هنا ولد الـكلب .

(٣) س : « من حيث الطعام » ! .

والصِّنف الآخر أصحاب الحمام ؛ فما أكثر ماينصِبُون المصائد[١] للسَّنانير ، التي يُلقُّونَ منها في حمامهم[٢] . وربَّما صادف غيظ أحدهم وحَنَقهُ وَغَضَبهُ عليه ، أن [يكون] السِّنَّور مُفرِطَ السِّمن ، فيدعُ قتْله ويذبحُه . فإذا فعل ذلك مرَّةً أو مرتين ، صار ضراوةً عليها . وقد يتقزَّز[٣] الرَّجلُ من أكل الضَّبِّ والوَرَل والأرنب ، فما هو إلاَّ أنْ يأكُله مرَّةً لبعضِ التَّجرِبة ، أو لبعضِ الحاجــة ، حتى[٤] صار ذلك سبباً إلى أكلها ، حتى يصير بهم الحال[٥] إلى أن يصيروا أرغبَ فيها من أهلها .   ١٥

(طيب لحم الجراد)

وهاهنا قومٌ لايأكلون الجرادَ الأعرابيَّ السمين ، ونحن لانعرف طعامًا أطيبَ منه . والأعراب إنَّما[٦] يأكلون الحيَّاتِ على شبيهٍ بهذا الترتيب ولهذه العوارض .

(أكل الأفاعي والحيات)

وزعم بعضُ الأطبَّاء والفلاسفة ، أنَّ الحيَّاتِ والأفاعيَ تؤكل نِيئةً[٧] ومطبوخة ، ومشويَّة ، وأنَّها[٨] تغذُو غِذاءً حسَنا .

---

(١) كذا بالأصل . والوجه : « المصايد » بلا همز ، مثل معايش .

(٢) أي يصيبهم الشر من السنانير .

(٣) ط ، ھ : « يتقذر » وهذا الفعل لايحتاج إلى « من » فيقال « تقذر الشيء »

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٥) س : « تصير بهم الحال » والحال تذكر وتؤنث .

(٦) ساقطة من س .

(٧) ط ، ھ : « نية » .

(٨) ط ، ھ : « فإنها » .

(رؤبة وأكله الجرذان)

وزعم أبو زيد ، أنّه دخل على رؤبةَ ، وعنده جِرذانٌ قد شوَاهُنّ ، فإذا هو يأكلهنّ ، فأنكر ذلك عليه ، فقال رؤبة : هُنّ خيرٌ من اليرابيعِ والضِّبابِ وأطيَبُ ؛ لأنها عندكم تأكُلُ الخبزَ والتمرَ وأشباهَ ذلك . وكفاك بأكل الجرذان !

ولولا هول الحيَّاتِ[1] فى الصُّدور من جهة السُّموم ، لكانت من جهة التقذُّر[2] أسهلَ أمرًا من الجرذان .

(أكل الذِّبان والزنابير)

وناسٌ من السُّفالة[3] يأكلون الذِّبّان . وأهلُ خُراسانَ يُعجَبون باتخاذ البَزْماوَردِ[4] من فِراخ الزَّنابير ، ويعافون أذنابَ الجرادِ الأعرابيِّ السمين . وليسَ بين ريح الجَرادِ إذا كانت مشويَّةً وبينَ رِيح العقارِبِ مشْويَّةً فرق . والطَّعْمُ تبعٌ للرائحة[5] : خبيثُها لخبيثها ، وطيِّبها لطيِّبها .
وقد زعم ناسٌ، ممن يأكلون العقاربَ مشويَّةً ونيئةً ، أنها كالجراد[6] السِّمان .

---

(١) ط : « أن الحيات » وتصحيحه من س ، هـ .
(٢) س : « التقزز » .
(٣) السفالة ، بالضم : من بلاد الزنج فى شرقى أفريقية . وفى الأصل : « الصقالبة » . وهو تحريف ، صوابه مما سبق فى (٣ : ٣٢٣ س ٧) .
(٤) انظر ما أسلفت من شرح هذه الكلمة فى (٢ : ٢٤٩ التنبيه الرابع) .
(٥) س : « الرائحة » .
(٦) فى الأصل : « كالفراخ » وصوابه ما أثبت ، كما سيأتى واضحاً فى (٥ : ١٠٨) حيث يقول الجاحظ « وريح العقارب إذا شويت مثل ريح الجراد . ومازلت أظن أن الطعم أبداً يتبع الرائحة ، حتى حقق ذلك عندى بعض من يأكلها مشوية ونية أنه ليس بينها وبين الجراد الأعرابى السمين فرق » .

وكان الفضلُ بنُ يحيى يوجِّه خدمَهُ فى طلب فراخِ الزَّنابير ليأكلها . وفراخُها ضربٌ من الذُّبان .

(أكل لحوم البراذين)

فأمّا لحوم البراذين فقد كثُر علينا وفينا ، حتى أنِسْنا به . وزعم بعضهم أنَّه لم يأكلْ أطيبَ من رأسِ بِرْذَونٍ وسُرَّتِه . فأمّا السُّرَّةُ والمَعْرَفة[١] فإنهم يزاحِمون بها الجِدَاء والدَّجاج . ويقدِّمون الأسرامَ المحشوَّة .

(أكل السراطين ونحوها)

ومِن أصحابنا مَن يأكل السَّراطين أكلاً ذريعاً . فأما الرق[٢] والكوسج[٣] فهو من أعجب طعام البحْريِّين . وأهل البَحر يأكلون البلبل[٤] وهو اللّحم الذى فى جوف الأصداف .

والأعرابىُّ إذا وجد أسودَ سالخاً[٥] ، رأى فيه ما لا يرى صاحب الكسمير فى كسميره[٦] .

---

(١) المعرفة ، كمرحلة : موضع العرف من الفرس .

(٢) الرق : سلحفاة المياه .

(٣) الكوسج : جنس من الأسماك الغضروفية كبير يخشى شره ، وهو فى الماء شرٌّ من الأسد فى البر ، يقطع الحيوان فى الماء بأسنانه ، كما يقطع السيف الماضى . ويسمى بالقرش فى سواحل البحر الأحمر . وكلب البحر Dogfish نوع صغير منه . وذكر الأب أنستاس فى مجلة المشرق أن القرش معرب Karcharias اليونانية . انظر معجم المعلوف ٢٢٥ — ٢٢٦ .

(٤) ط : « البلل » وأثبت ما فى س ، هـ .

(٥) الأسود السالخ : ضرب من الحيات .

(٦) كذا بالأصل ، ولم أقف له على تفسير .

(أكل ديدان الجبن)

وخبَّرنى كم شِئْتَ[١] من الناس، أنَّه رأى أصحابَ الجُبْن الرَّطبِ[٢] بالأهوازِ وقراها، يأخذون[٣] القِطعةَ الضَّخمةَ من الجبْن الرَّطب[٤]، وفيها كـكواء الزنابير[٥]، وقد تولَّدَ فيها الدِّيدان، فينفضها وسْطَ رَاحتِه، ثمَّ يقمَحُها[٦] فى فيهِ، كما يقمَحُ السَّويق والسُّكَّر، أو ماهو أطيبُ منهُ.

(ذكر بعض أنواع العذاب)

وقد خبَّر الله تعالى عن أصحاب النِّقم، وما أنزل اللهُ من العذاب، وما أخذ من الشكل والمقابلات، فقال: ﴿فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ

---

(١) وردت هذه العبارة أيضاً فى ص ٤٧ من هذا الجزء. كما ورد مثلها فى ص ٢٤: « وقد خبرنا من لايحصى من الناس » واستعمال « كم » فاعلا، هو لغة رديئة حكاها ابن عصفور، وخرج عليها هو قوله تعالى: « أو لم يهد لهم كم أهلكنا ». انظر مغنى اللبيب.

(٢) فى الأصل: « الجبن والرطب » وأثبت الصواب موافقاً ماسبق فى (٣: ٣٢٣ س ٩). والمراد به ذلك النوع المعتق من الجبن، الذى يسميه عامة مصر: « المش » بكسر الميم. وجاء فى القاموس: « والأرنة بالضم: الجبن الرطب ». وهناك الجبن اليابس كانوا يملحونه ويجففونه. انظر تذكرة داود.

(٣) س « يأخذ أحدهم ».

(٤) ط، هـ: «والرطب» والصواب من س. وانظر التنبيه الثانى من هذه الصفحة.

(٥) الكواء، بالكسر: جمع كوّة بالفتح، وهى الخرق فى الحائط، أو الثقب فى البيت.

(٦) قمح السويق ونحوه، من باب سمع: استفه.

بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ﴾ . ١٦

وليس من هذه الأصنافِ شيءٌ أبلغُ في المُثْـلة والشُّنْعةِ، ممَّن[1] جَعلَ منهم القِرَدَة والخنازير .

(مايقبل الأدب من الحيوان)

فالخنزير يكون أهليا ووحشيا، كالحمير[2] والسَّنانير، مما يعايش النَّاس . وكلها لاتقبل الآداب . وإنَّ الفهودَ وهي وحشيَّةٌ تقبل كلها، كما تقبَلُ البوازِي، والشَّواهين، والصقورة[3]، والزُّرَّق، واليُؤيؤ، والعُقاب، وعَناق الأرض[4]، وجميعُ الجوارحِ الوحشيَّات . ثمَّ يفضلُها الفهدُ بخَصْلةٍ غريبة وذلك أنَّ كبارَها ومَسانَّها أقبَلُ للآدابِ، وإن تقادَمتْ في الوحْش[5]، مِنْ أولادها الصغار، وإن كانت تقبل الآداب؛ لأنَّ الصغيرَ إذا أُدِّبَ

(١) في الأصل . « من أن » .

(٢) ويجمع الحمار أيضاً على أحمرة ، وحمر — بضمتين وبضمة — وحمور ، وحمرات ، ومحموراء . جاء في ط : « كالحامير » وهو تحريف ، صوابه ما أثبت من ه ، س .

(٣) الصقر يجمع على أصقر وصقور وصقورة ، وصقار وصقارة بكسر صاديهما ، وصقر بالضم . ط ، ه : « والصقور » . وأثبت ما في س . والجاحظ يميل إلى هذا الجمع كما سبق في (٣ : ١٨٢ ، ٥٣٩) .

(٤) عناق الأرض ، بفتح العين : دويبة أصغر من الفهد حسن الصورة ، لونه أحمر ، وفي أعلى كل من أذنيه شعرات سود ، يصيد كل شيء حتى الطير ، ويسمى أيضاً التفة ، وهو بالفارسية سياه كوش وبالإفرنجية : Caracal وفي الأصل : « عتاق الأرض » بالتاء . صوابه ما أثبت .

(٥) في مباهج الفكر ، نسختي الخطية : « التوحش » والعبارة تتجه بكل منهما .

فبلغ ، خرج جبينا مُواكِلا[١] ، والمسنّ الوحشيّ يخلُص لك كُله ، حتى يصير أصيدَ وأنفعَ . وصغارُ سباعِ الطّير وكبارُها على خلاف ذلك ، وإن كان الجميعُ يقبل الأدب . والخنزيرُ وإن كان أهليًّا فإنهُ لايقبل الأدبَ على حال ، حتى كأنّهُ — وإن كان بهيمةً — فى طباع ذئب .

وذلك أن أعرابيًّا أخذَ جرْوَ ذئبٍ وكان التقطه التقاطا ، فقال : أخذتهُ وهو لايعرف أبوَيه ولا عملهُما ، وهو غِرٌّ لم يصِدْ شيئًا ، فهو إذا ربّيناه وألّفناه ، أنفعُ لنا من الكلب . فلمّا شبّ عدا على شاة لهُ فقتلَها وأكل لحمها ، فقال الأعرابيُّ :

أكَلْتَ شُوَيهتى وَرُبيتَ فينَا فَمَنْ أَدْرَاكَ أنّ أباكَ ذيبُ[٢]

فالذئب وجرو الذئب إذا كانا سبعين وَحْشِيَّيْنِ [كانا[٣]] ثمّ من أشدّ الوحْش توحُّشا وألزمِها للقِفار ، وأبعَدِها من العمران .

والذّئب أغدَر من الخنزير والخِنّوص[٤] وهما بهيمتان .

---

(١) الجبين ، كأمير : الهيوب للأشياء لايقدم عليها . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل فهى فى ط : « حبيباً » وفى س : « خبا » وفى هـ : « جبنا » وما فى س وهو بمعنى الخداع لايلائم الكلمة التى بعده ، وهى المواكل ، ومعناه العاجز .

(٢) س : « فمن أنباك » ومثل هذه الرواية فى (٦ : ٨ ، ٧ : ٥٦ ، ٨٠) حيث تعاد القصة . وانظر محاضرات الراغب (١ : ١٢٢) ومثل هذه القصة عن عجوز أعرابية عند الدميرى . والشعر فيه :

بقرت شويهتى وفجعت قلبى وأنت لشاتنا ولد ربيب
غذيت بدرها وربيت فينا فمن أنباك أن أباك ذيب
إذا كان الطباع طباع سوء فلا أدب يفيد ولا أديب

(٣) مثل هذه الزيادة ضرورى ليستقيم الكلام .

(٤) الخنوص ، كسنور : ولد الخنزير .

(ضرر الخنزير)

وأمّا ضرره وإفساده ، فما ظنُّك بشيء يُتمَنَّى له الأسَد ؟! وذلك أن الخنازير[1] إذا كانت بقرب ضِيَاعِ قومٍ ، هلَكَتْ تلك الضِّياع ، وفسَدتْ تلك الغلاَّت . وربَّما طلب الخنزير[2] بعضَ العروقِ المدفونَةِ فى الأرض فيخرِّب مائةَ جريبٍ[3] ، ونابه ليس يغلبه مِعْول . فإذا اشتدَّ عليهم البلاء تمنَّوا أن يصير فى جَنْبتهم[4] أسد . ولربَّما صار فى ضياعهم الأسد فلا يَهيجونَه ، ولا يؤذونَه ، ولو ذهب إنسانٌ ليحفر له زُبيةً[5] منعوه أشدَّ المنع ؛ إذ كان ربَّما حَمَى جانبَهم من الخنازير فقط . فما ظنّك بإفسادها ، وما ظنّك ببهيمةٍ يُتَمَنَّى أن يكون بدلها[6] أسد ؟! ثمَّ مع ذلك إذا اجتمعوا للخنازير بالسِّلاح ، وبالآلاتِ والأدوات التى تقتل بها ، فربَّما قتل الرَّجُلَ منهم ، أو عقرَهُ العقرَ الذى لايندمِل ؛ لأنَّه لايضرب بنابه شيئاً إلاَّ قطعَه ، كائناً ما كان . فلو قتَلوا فى كلِّ يوم منها مائةً وقتلتْ فى كلِّ يومٍ إنساناً واحداً ، لما كان فى ذلك عِوض .

---

(١) ط ، هـ : « الخنزير » بالإفراد . والوجه الجمع كما أثبت من س .
(٢) ط ، هـ : « الخنازير » بالجمع . والوجه الإفراد كما أثبت من س .
(٣) الجريب ، يقال فى الأرض كما هنا ، ومقداره عشرة آلاف ذراع ، أو ثلاثة آلاف وستمائة ذراع ، يختلف ذلك باختلاف البلدان . وأما جريب الطعام ، فهو أربعة أقفزة .
(٤) الجنبة ، بالفتح : الناحية . س ، هـ : « جنتهم » وليست مرادة فيما أرى . وأثبت المراد من ط .
(٥) الزبية ، بالضم : حفرة يصاد بها الأسد .
(٦) س : « مكانها » .

١٧ والخنازير تطلب العَذِرَة ، وليست كالجلَّالة(١) ؛ لأنها تطلب أحَرَّها وأرطبَها وأنتنَها ، وأقربها عهداً بالخروج . فهى فى القرى تعرِف أوقاتَ الصُّبح والفجر ، وَقبلَ(٢) ذلك و بعدَه ؛ لبُروزِ(٣) النَّاس للغائط . فيعرف من كان فى بيته نائماً فى الأسحار ومع الصُّبح ، أنَّه قد أسْحَرَ(٤) وأصبح ، بأصواتها ومرورِها ، ووقْعِ أرجلها فى(٥) تلك الغيطان ، وتلك المتبرَّزَات . وبذلك ضربُوا المثلَ ببكور الخنزير ، كما ضربوا المثل بحذَرِ الغراب ورَوَغان الثَّعلب .

على أنَّ الثَّعلبَ ليس بأرْوَغَ من الخِنْزير ، ولا أكَدَّ للفارس ، ولا أشدَّ إتعاباً لصاحبه .

(بعض أسباب المسخ)

فأمَّا قُبْحُ وجهِه فلو أنَّ القُبح والإفلاس ، والغَدْر والكذب ، تجسَّدت ثمَّ تصوَّرتْ(٦) لَمَا زادتْ على قُبح الخنزير . وكلّ ذلك بعضُ الأسباب التى مُسِخ لها الإنسان خنزيراً .

وإنَّ القرد لَسَمِجُ الوجْه ، قبيحُ كلِّ شىء(٧) . وكفاك به أنَّه للمثل المضروب — ولكنَّهُ فى وجهٍ آخَرَ مليحٌ . فمِلْحةٌ(٨) يعترض على قُبْحه

(١) الجلالة من الحيوان : التى تأكل الجلة والعذرة .
(٢) الواو ليست بالأصل، وأثبتها من مباهج الفكر، وفيها أيضاً : «قبيل» مكان : «قبل» .
(٣) كذا فى ط ، هـ ومباهج الفكر . وفى س : «لخروج» .
(٤) أسحر ، بالسين : صار فى السحر ، والسحر : الوقت قبيل الصبح . ط ، هـ : «أصحر» بالصاد ، ولا تليق هنا . وأثبت الصواب من س ومباهج الفكر .
(٥) فى الأصل : «إلى» وصوابه فى مباهج الفكر .
(٦) كذا فى ثمار القلوب ٣٢١ نقلا عن الجاحظ . ط ، هـ : «تجسم وتصور» س : «تحشد ثم تصور» وصوابهما ما أثبت . وانظر سائر القول .
(٧) فى ثمار القلوب : «قبيح فى كل شىء» .
(٨) الملح ، بالكسر ، بمعنى الملاحة ، يقال : ملح ملحاً وملاحة .

فيمازجُه ويُصلِح منه . والخِنزيرُ أقبح منه ؛ لأنّه ضربٌ مُصمَتٌ بهيم ، فصار أسمجَ ببعيدٍ .

(وثب الذكورة على الذكورة)

وحدَّثَنى بعضُ أهل العلم ، ممَّن طال ثَواؤه فى أرض الجزيرة ، وكان صاحبَ أخبارٍ وتجربة ، وكان كلفاً بحبِّ التبيّن[١] ، معترضاً للأُمور ، يحبُّ أنْ يُفضِيَ إلى حقائقها ، وتثبيت أعيانها بعللها ، وتمييز[٢] أجناسها ، وتعرّف مقاديرِ قُواها وتصرُّف أعمالها ، وتنقُّل حالاتها ؛ وكان يعرِفُ للعلم قَدْرَهُ ، وللبيان فضلَهُ .

قال: ربّما رأيت الخنزير الذَّكر وقد ألجأه أكثرُ من عِشرينَ خنزيرا إلى مَضِيق ، وإلى زاوية ، فينزُون عليه واحدًا واحدًا[٣] ، حتى يبلغ آخرُهم

وخبَّرنى هذا الرَّجل وغيرُه من أهل النَّظر وأصحابِ الفكر ، أنّهم رأوا مثلَ ذلك من[٤] الحمير . وذكروا أنّ ذلك إما تأنيثٌ فى طبعه ، وإمّا أنْ يكون له فى أعينها من الاستحسان شبيهٌ بالذى يعترى عيونَ بعضِ الرجال فى الغلمان ، والأحداثِ الشَّبَاب .

وقد يكون هذا بين الغَرانِق والكَرَاكيّ . والتَّسافُد بين الذَّكر والأنثى . والسافد والمسفود إذا كانا من جميع الذكورة ، كثيرٌ فى جميع أصناف

---

(١) فى الأصل : « التبيين » وهو تحريف يتكرر كثيراً . وإنما هو « التبين » بمعنى التفهم والاكتناه .

(٢) فى الأصل : « وتميز » .

(٣) بدله فى مباهج الفكر ، وكذا نهاية الأرب (٩ : ٣٠٠) : « ثم ينزو عليه الأمثل فالأمثل » .

(٤) س : « فى » .

الحيوان ، إلاَّ أنَّه فى جميع الخنازير والحمير أفشى . وأمَّا[1] تسافُد الحمام الذَّكر والأنثى للذَّكر[2] ، فأكثرُ من أن يكون فيه تنازع .

(معارف فى الخنزير)

وباب آخر ممَّا ذكر صاحب المنطق ، فزعم أنّ من الخنازير ماله ظِلف واحد[3] ، وليس لشىء من ذوات الأنياب فى نابه من القوَّة والذَّرَب ما للخنزير الذكر ، وللجملِ ، والفهد ، والكلب .

قال : والإنسان يلقى أسنانه[4] ، وكذلك الحافر والخفّ .

قال : والخنزير لايلقى أسنانَه ألبتّة .

(من لم يثغر)

١٨ ويقال : إنّ عبد الصَّمد بنَ علىٍّ[5] لم يُثغر قط[6] ، وأنَّه دخل قبره بأسنان الصِّبا .

---

(١) ط ، هـ : « فأما » .

(٢) كذا فى س . وفى ط ، هـ : « الذكر للأنثى والأنثى للذكر » .

(٣) يعنى ظلفا غير مشقوق كأنه الحافر . وجاء فى (٧ : ٧٥) : «وفى الخنازير ماليس ظلفه بمنشق » .

(٤) كذا على الصواب فى س . وفى ط ، هـ : « والإنسان لايلقى أسنانه » .

(٥) هو عبد الصمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ويكنى أبا محمد ، ولى الجزيرة لأبى جعفر المنصور ، وكان أقعد بنى هاشم فى عصره . المعارف ١٦٣

(٦) يقال ثغر ، بالبناء للمجهول ، وأثغر ، بالبناء للفاعل : سقطت أسنانه .

(أسنان الذئب والحية)

وزعم بعضهم أنّ أسنانَ الذِّئبِ مخلوقةٌ فى الفكّ ، ممطولةٌ[1] فى نفس العظم . وذلك ممّا توصف به أسنان الحيّة . قال الشّاعرُ :

مُطِلْنَ فى اللَّحْيَيْنِ مَطْلاً إلى الـرَّأسِ وَأشْدَاقٍ رَحِيبَاتِ[2]

والشّاعِرُ يمدحُ الشيء فيشدِّدُ أمرَه ، ويقوّى شأنَهُ ، وربّما زاد فيه ، ولعلّ الذى قال فى الذِّئب ماقال ، هذا أراد .

ولا يشكُّون أنّ الضَّبع كذلك .

(مرق لحم الحيوان)

قال وليس يجمُدُ[3] مرق لحم الحيوان السَّمين ، مثل الخنزير والفرس ، وأمّا ما كان كثير الثرب[4] فمرقته تجمد[5] ، مثل مرق لحم المِعْزَى .

---

(١) المطل : أصله السبك والطبع . ط ، هـ : « ممطوطة » وصوابها من س ومما سبق فى (٢ : ٢١٤ س ٢) .

(٢) سبق البيت فى (٢ : ٢١٤) وسيعاد فى هذا الجزء ص ٥٩ ، ٩٤ ساسى .

(٣) يجمد ، بالجيم : أى يصير جامداً ، والمراد يجمد ما يكون فوقه من الإهالة ، أى الدسم . وسيأتى مثل هذا المعنى بصورة أخرى فى ص ٣٤ ساسى . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى ط ، س « يجمل » وفى هـ : « يجمد » . وكتب فى حاشية س : « خ يحمد خ تحمد » وكل أولئك محرف .

(٤) الثرب : شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء .

(٥) فى الأصل : « تجمل » وانظر التنبيه الثالث من هذه الصفحة .

(طباع الخنزير)

قال : والخنزير الذَّكر يقاتِل فى زمن الهيْج ، فلا يدَعُ خنزيرًا إلاَّ قتله ، ويدنُو من الشَّجرة ويدلُكُ جلدَه ، ثمّ يذهب إلى الطين والحمأة فيتلطخ به ، فإذا تساقط عاد فيه .

قال : وذكورة الخنازير تطرد الذُّكورة عن الإناث ، وربّما قتل أحدُهما صاحبَه وربّما هلكا جميعا ، وكذلك الثِّيرانُ والكِباشُ والتُّيوس فى أقاطيعها ، وهى قبل ذلك الزَّمان[1] متسالمة .

(مايعرض لبعض الحيوان عند الهيج)

والجمل فى تلك الحالة[2] لايدَعُ جملاً ولا إنساناً يدنُو من هَجْمَتِهِ[3] . والجمل خاصَّةً يكره قُربَ الفرَس ، ويقاتله أبدا .

ومثل هذا يعرِض للذِّئبة والذِّئب . والأُسد ليس ذلك من صفاتها ؛ لأنَّ بعضَها لايأوى إلى بعضٍ ، بل ينفرد كلُّ واحدٍ بلبؤته . وإذا كان للذِّئبة الأنثى جِراء[4] ساءت أخلاقُها وصَعُبت ، وكذلك إناث الخيل والفيل : يسوء خلقها فى ذلك الزَّمان . والفيَّالون يحمونها النَّزْو ؛ لأنها إذا نزت جهلت جهلاً شديداً ، واعتراها هَيْجٌ لايُقام له . وإذا كان ذلك الزَّمانُ أجادوا عَقْله ، وأرسلوه فى الفِيَلة الوحشيّة . فأمَّا الخنزير والكلبُ فإنهما لايجهلان على النَّاس ؛ لمكان الألفة .

---

(١) أى زمان الهيج .
(٢) ط ، ه « الحالات » .
(٣) الهجمة ، بالفتح : جماعة الإبل من الأربعين إلى المائة .
(٤) جراء : جمع جرو ، وهو ولدها . س : « جرى » مصحر جرو .

قال : وزعم بعضُ النَّاس أنَّ إناثَ الخيلِ تمتلئُ ريحاً فى زمان هيْجها ، فلا يباعدون الذُّكورة عنها . وإذا اعتراها ذلك ركَضَتْ ركضاً شديدا ، ثمَّ لاتأخذ غرباً ولا شرقاً ، بل تأخذ فى الشِّمالِ والجنوب .

ويعرض مثل هذا العَرَضِ لإناث الخنازير . فإذا[1] كان زمَنُ هَياج الخنازير ، تطأطئُ رءوسها ، وتحرِّك أذنابهاَ تحريكاً متتابعا ، وتتغيَّر أصواتُها إذا طَلَبت السِّفاد . وإذا طلبت الخنزيرةُ السِّفادَ بالت بولاً متتابعا .

(تناسل الخنازير)

قال : وإناث الخنازير تحمل أربعةَ أشهرٍ . وأكثرُ ماتحمل عشرون خِنَّوصا[2] . وإذا وضعت أجراءً كثيرةً لم تقْوَ على رِضاعها وتربيتها .

قال : وإناث الخنازير تحمل مِنْ نزوةٍ واحدة ، وربما كان من أكثر . وإذا طلبت الذَّكرَ لم تنزع حتى تطاوع وتسامحَ ، وترخى أذنابها . فإذا فعلت ذلك[3] تكتفى بنزْوةٍ واحدة .

١٩ ويُعلَفُ الذَّكَرُ الشَّعيرَ فى أوان النَّزْو ، ويصلُح الأُنثى .

(مدد الحمل للحيوان)

والخنزيرة تضع فى أربعةِ أشهرٍ ، والشَّاةُ فى خمسة ، والمرأةُ والبقرةُ فى تسعة أشهر ، والحافر كله فى سنة .

---

(١) س : « وإذا » .
(٢) الخنوص ، كسنور : ولد الخنزير .
(٣) س : « فعند ذلك » .

(خصائص الخنزير)

قال : ومتى قلعت العينُ الواحدة من الخنزير هلك . وكثيرٌ من الخنازير تبقى خمسة عشر عاما . والخنزير ينزو إذا تمّ له ثمانية أشهر ، والأنثى تريد الذّكر إذا تمّت لها ستّة أشهر . وفى بعض البلدان ينزو إذا تمّ له أربعة أشهر ، والخنزيرة إذا تمّت لها ستّة أشهر ، ولكنّ أولادهما لا تجىء كما يريدون . وأجود النّزْو أن يكون ذلك منه وهو ابن عشرة أشهر إلى ثلاث سنين . وإذا كانت الخنزيرة[1] بكرًا ولدت جراءً ضعافا وكذلك [البكر] من كل شىء .

وقالَ اللهُ تَبارك وتعالىٰ : ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَارَزَقْنَا كُمْ وَاشْكُرُوا لِلهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ ثمّ ذكر [غيرَ[2]] الطيّبات فقال : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالمُنْخَنِقَةُ وَالمَوْقُوذَةُ وَالمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ على النُّصُبِ ، وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلاَمِ ، ذٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾[3]

---

(١) ط : « الخنيزيرة » بالتصغير .

(٢) ليست بالأصل : وبها يصح الكلام .

(٣) الدم : أى الدم المسفوح ، وكان أهل الجاهلية يصبونه فى الأمعاء ويشوونها . وما أهل به لغير الله : أى مارفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه . والموقوذة : المضروبة بنحو خشب ، أو حجر ، حتى تموت . والمتردية : التى تردت من علو أو فى بئر فماتت . والنطيحة : التى نطحتها غيرها فماتت . وما أكل السبع : أى ما أكل منه سباع الحيوان الصائد . والنصب : واحد الأنصاب ، وهى أحجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويتقربون بذلك . والاستقسام بالأزلام : ما كانوا يفعلونه من التياسر بالأقداح على الجزور .

ثم قال: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ[1] أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ .

(استطراد لغوى)

وقوله تعالى: ﴿ طَيِّبَاتِ ﴾ تحتمل وجوهاً كثيرة ، يقولون : هذا ماء طيِّب ، يريدون العُذوبة . وإذا قالوا للبُرِّ والشَّعير والأرز طيِّب ، فإنما يريدون أنَّه وَسَطٌ ، وأنَّه فوقَ الدُّون . ويقولون: فمٌ طيِّب الرِّيح ، وكذلك البُرّ ، يريدون أنَّه سليم من النَّتْن ، ليس أنَّ هناك ريحاً طيبة ولا ريحاً منتنة . ويقولون: حلالٌ طيِّب ، وهذا لايحل [لك[2]] ، ولا يَطيب لك ، وقد طاب لك : أى حل لك ، كقوله: ﴿ فَانْكِحُوا[3] مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ .

---

(١) عطف على: « من لعنه الله » أى « ومن عبد الطاغوت » . وقرئ : « عابد الطاغوت » و « عبد الطاغوت » نعت كفطن ويقظ . و « عبدة الطاغوت » و « عبد الطاغوت » جمع كخدم . والطاغوت منصوبة فى قراءة حفص ، مجرورة فى القراءات الأربع التى سردتها . والمراد به الكهنة ، أو من أطاعوه فى معصية الله

(٢) الزيادة من هـ ، س .

(٣) س : « أنكحوا » وهو وجه جائز فى الاستشهاد حيث يصح ترك الواو والفاء ونحوهما ، فى أول الاستشهاد ، وقد سبق مثله فى (٣ : ١٥) ، وسيأتى نظيره فى ٩٢ . وقد كتب إلىّ حضرة المحدث الكبير الأستاذ أحمد محمد شاكر ، أن الشافعى جرى على هذا النحو فى ثلاث مواضع من « الرسالة » وهى : رقم ٦٤٣ قول الشافعى : « لقول الله : يحل لهم الطيبات » والتلاوة « ويحل » . ورقم ٩٧٤ قول الشافعى : « وقال : قاتلوا المشركين كافة » والتلاوة: « وقاتلوا » . ورقم ٩٧٥ قوله : « وقال : اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » والتلاوة : « فاقتلوا » .

قال طُوَيْسٌ المغنِّى لبعضِ[(١)] ولد عثمانَ بنِ عفّان[(٢)] : لقدْ شَهِدْتُ زِفاف أمِّك المبارَكَةِ إلى أبيك الطيِّب . يريد الطَّهارَة . ولو قال : شهدت زِفاف أمِّك الطيِّبة إلى أبيك المبارك ، لم يحسُنْ ذلك ؛ لأنَّ قولك طيِّب إنَّما يدلُّ على قدر ما اتَّصلَ به من الكلام . وقد قال الشّاعر[(٣)] :

والطيِّبونَ مَعاقِدَ الأُزْرِ[(٤)]

وقد يخلو الرَّجلُ بالمرأة فيقول : وجدتها طيِّبة . يريد طَيِّبة الكَوْم[(٥)] لذيذةَ نفس الوطء . وإذا قالوا : فلان طيِّب الخُلُق ، فإنما يريدون الظَّرْفَ والمِلْح[(٦)] .

وقال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ حَتَّى إذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ يريد ريحًا ليستْ بالضعيفة ولا القويّة .

---

(١) طويس هذا ، هو الذى يقال فيه : «أشأم من طويس» وذاك أنه — كما يقولون — ولد يوم قبض الرسول ، وفطم يوم وفاة أبى بكر ، وختن يوم مقتل عمر ، وزوج يوم مصرع عثمان ، وولد له ولد يوم قتل على . وهو أول من تغنى بالمدينة غناء يدخل فى الإيقاع . وعمر حتى مات فى ولاية الوليد بن عبد الملك.

(٢) هو سعيد بن عثمان بن عفان ، وكان سأل طويساً : أينا أسنّ ، أنا أو أنت ياطويس ؟ فأجابه طويس بالجواب الآتى . انظر البيان (١ : ١٨٠) . وأول الجواب فى البيان : « بأبى أنت وأمى ، لقد . . . » الخ .

(٣) هو الخرنق بنت هفان ، من مرثية لها ترثى بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد الضبعى ، وابنها علقمة ، وأخويه حسان وشرحبيل ، ومن قتل معهم من قومهم الخزانة (٢ : ٣٠٦ بولاق).

(٤) صدر البيت :

* النازلين بكل معترك *

والأزر : جمع إزار ، وسكن الزاى للشعر . وهو ماستر النصف الأسفل من الإنسان . والمعنى أنهم أعفاء . ط : « الأرز » صوابه فى س ، ه .

(٥) الكوم ، بالفتح ، بمعنى الوطء.

(٦) الملح ، بالكسر ، بمعنى الملاحة .

ويقال : لايحلُّ مال امرىءٍ مسلمٍ إلاَّ عن طيبِ نفْسٍ منه . وقال الله ٢٠
عزّ وجلّ : ﴿ فإنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾
وقال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا
مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ وذلك إذْ[1]
كانت طيِّبة الهواء والفواكه ، خصيبةً .

وقال : ﴿ إنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ثمَّ قال : ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ
وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ
مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ .

وفى هذا دليلٌ على أنّ التأويلَ فى امرأةِ نوحٍ وامْرأة لوط، عليهما السلام،
على غير ماذهب إليه كثيرٌ من أصحاب التَّفسير : وذلك أنهم حينَ سمعوا
قوله عزّ وجلّ : ﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ
لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا ﴾
فدلَّ ذلك على أنَّه لم يَعْنِ الخيانةَ فى الفرْج .

وقد يقع اسمُ الخيانة على ضروب : أوّلها المالُ ، ثمَّ يشتقُّ من الخيانة
فى المال الغشُّ فى النصيحةِ والمشاورةِ . وليس لأحدٍ أنْ يوجِّه الخبرَ إذا
نزل فى أزواج النبى صلّى الله عليه وسلّم وحُرَم الرُّسُل ، على أسمَجِ الوجوه ،
إذا كان للخبر مذهبٌ فى السَّلامة ، أو فى القُصُور على أدنى العيوب[2] . وقد
علمْنا أنّ الخيانةَ لاتتخطَّى إلى الفرج حتّى[3] تبتدئ بالمال . وقد

---

(١) فى الأصل : « إذا » .
(٢) القصور ، بمعنى الانتهاء . وفى الأصل : « القصود » وليس لها وجه .
(٣) ط ، هـ : « قد » .

يستقيم أن يكونا من المنافقين فيكون ذلك منهما خيانة عظيمة . ولا تكون نساؤهم زوانى ، فيلزمهم أسماء قبيحة . وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ إذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾ وقال : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ وقال : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ وقال : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ و : ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ وقال : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ فقوله : طيِّب ، يقعُ فى مواضعَ كثيرةٍ ، وقدْ فصَّلنا بعض ذلك[1] فى هذا الباب .

ثم رجع بنا القولُ إلى موضعنا من ذِكر الخنزير

ثمَّ قال : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ٢١ ألاَ تراه قد ذكر أصنافَ ماحرَّم ولم يذكرْها بأكثرَ من التّحريم ، فلمّا ذكر الخنزير قال : ﴿ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ﴾ ؟! فجعل الخنزير وإنْ كان غير ميتة أو ذكَرَ الذّابح عليه اسم الله ، أنَّه رِجْسٌ[2] . ولا نعلم لهذا الوجه إلاَّ الذى خصّهُ الله به من ذكر المسخ ، فأراد تعظيمَ شأنِ العِقاب ونزولِ الغضَب، وكان ذلك القول ليس ممَّا يضرّ الخنزير ، وفيه الزّجر عن محارمه ، والتّخويفُ

(١) ط ، هـ : « بعضها » .

(٢) ط : « رجسا » موضع : « أنه رجس » .

من مواضع عذابه. و[إنْ قِيلَ[١]]: ينبغى أن يكون مسَخَ صورة القرد ، فهلاَّ ذ كره فى التحريم مع أصناف ماحرَّم، ثم خصَّهُ أيضاً أنَّه من بينها رجس ، وهو يريد مذهبه وصفته ؟ قلنا: إنّ العربَ لم تكن تأ كلُ القرودَ ، ولا تلتمسُ صيدَها للأ كل . وكلُّ مَن تنصَّرَ من ملوك الرُّومِ والحبشَةِ والصِّين ، وكلُّ مَن تمجَّس من مَلِكٍ أو سُوقة ، فإنَّهُمْ كانوا يرون لِلَحْمِ الخنزِيرِ[٢] فضيلة ، وأنّ لحومَها ممَّا تقوم إليه النفوسُ ، وتنازِع إليه الشّهوات . وكان فى طباع الناس من التكرُّه للحوم القِرَدةِ ، والتقذُّر[٣] منها مايغُنى عن ذكرها . فذكر الخنزيرَ إذْ كان بينهما هذا الفرق ، ولو ذكر ذلك وألحقَ القردَ بالخنزير لموضع التحريم ، لكان ذلك إنما كان على وجه التوكيد لما جعله الله تعالى فى طبائعهم من التكرُّه والتقذّر ، ولا[٤] غير ذلك .

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إلاَّ مَاحَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذٰلكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَ إِنَّا لَصَادِقُونَ[٥] ﴾ .

---

(١) زيادة يقتضيها الكلام . وجواب الاعتراض فى السطر الثالث .

(٢) ط ، هـ : « لحم الخنزير » وصوابه فى س .

(٣) خير منه : « التقزز » .

(٤) س : « لا » بحذف الواو .

(٥) الذين هادوا : اليهود . والمراد بالظفر المخلب والحافر أيضاً . والمراد بالشحوم شحوم الثروب وشحوم الكلى . حملت ظهورهما : أى ماعلق بظهورهما من الشحم. والحوايا : الأمعاء ، واحدها حاوية . والشحم الذى اختلط بالعظم هو شحم الألية . لاتصاله بالعصعص . ط بعد : « ... عليهم شحومهما » : كلمة « الآية » وجاءت مسرودة فى س ، هـ إلى « وإنا لصادقون » .

(وجوه التحريم)

وقد أنبأك[١] كما ترى عن التّحريم أنّهُ يكون مِنْ وجوه : فمنها مايكون كالكذب والظلم والغَشم[٢] والغدْر ؛ وهذه أمورٌ لاتحلُّ على وجهٍ من الوجوه . ومنها مايحرم فى العقْل مِن ذبح الإنسانِ الطِّفلَ . وجعَلَ فى العقول التبيُّنَ[٣] بِأَنّ خالقِ الحيوانِ أو المـالكَ له ، والقادرَ على تعويضهِ ، يقبح[٤] ذلك فى السماع على ألسنة رسله .

وهذا مِمَّا يحرم بعَينِهِ و بِذَاتِهِ لاَأَنهُ[٥] حرِّم لعلة قد يجوز دفعها . والظلم نفسهُ هو الحرام ، ولم يحرَّم لعلة غير نفسهِ .

وباب آخر ، هو ماجاء من طريق التعبُّد ، وما يعرف بالجملة ، ويعرف بالتفسير .

ومنهُ ما يكون عقاباً ، ويكون مع أنهُ عِقابٌ امتحاناً واختبارًا ، كنحو ماذكر من قوله : ﴿ ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ ﴾ وكنحو أصحاب البقرةِ الذين قيلَ لهُمْ : ﴿ اذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ فإنِّى أريد أن أضرِبَ بها القتيل ثم أحْيِيهما جميعا . ولو اعترضوا مِن جميع البقر بقرة فذبحوها ، كانوا غيرَ مخالفين . فلمّا ذهَبوا مذهب التلَكّؤ والتعلّل[٦] ، ثم التعرُّض ، والتعنُّت[٧] فى طريق التعنّت ، صار ذلك سبب تغليظِ الفرض[٨] .

---

(١) كذا على الصواب فى س،هـ . وفى ط : « أنبأناك » .

(٢) الغشم : الظلم .

(٣) فى الأصل : « التبيين » وانظر التنبيه ١ ص ٥١

(٤) س ، هـ : «أن يقبح » وكلة « أن » مقحمة .

(٥) فى الأصل : « وأنه » والوجه ماأثبت .

(٦) التلكؤ : الإبطاء والاعتلال . ط ، س : « التلكى » هـ : « التنظى » صوابه ما أثبت . والتعلل : بمعنى التماس العلل . ط : « التعليل » صوابه ما أثبت من س ، هـ .

(٧) كذا . ولعلها : « التعلل » .

(٨) وذلك أنهم سألوا موسى أسئلة ثلاثة ، فكلما سألوا سؤالا زاد عليهم التكليف = .

وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ ومثله : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا ﴾ يجوز أن يكونَ إنَّما يريدون صَرْفَ العذاب ، ويجوز أن يكون إنما يريدون تخفيف الفرائض . وقد يجوز أن يكونَ[1] على قول من قال : لاأستطيع النظرَ إلى فلانٍ ، على معنى الاستثقال .

وبابٌ آخرُ من التحريم، وهو قوله : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ[2] ﴾ .

(شعر فى الخنزير)

وقال مروان بن محمد[3] :

يَمْشِي رُوَيْدًا يُرِيدُ ختلكم[4] كمشي خِنزيرةٍ إلى عَذِرَه[5]

= انظر الآيات ٦٧ — ٧١ من سورة البقرة . ولو أنهم أطاعوا الأمر بادئ بدء لما عرض لهم هذا التشديد .

(١) فى الأصل : « يجوز إذا » وانظر ما سبق .

(٢) إسرائيل هو يعقوب عليه السلام . وكان حرم على نفسه بعض الطعام كلحوم الإبل وألبانها .

(٣) هو أبو الشمقمق ، الذى سبقت ترجمته فى (١ : ٢٢٥) .

(٤) كذا فى ط . وفى س ، هـ : « خلعكم » وصوابه « حلقتكم » كما سبق فى (١ : ٢٣٩) .

(٥) ط : « غذرة » وتصحيحه من س ، هـ .

وقال آخر[١] :

نِعْمَ جَارُ الخنزيرةِ المرضِعُ الغرْ ثَى إذا ماغــــدا ، أبُو كلثوم[٢]
طاويًا قــد أصاب عند صديقٍ مِــنْ ثريدٍ مُلبَّدٍ مَأْدُومِ[٣]
ثمَّ أنْحَى بِجَعْرِهِ حاجبَ الشَّمْ سِ فَأَلْقَى كالمِعْلَفِ المهْدُومِ

(جرير والحضرمى)

وقال أبو الحسن[٤] : وفد جريرٌ على هشامٍ ، فقال الحضرمى: أيُّكُمْ يشتمهُ ؟ فقالوا : ماأحدٌ يقْدِمُ عليهِ ! قال : فأنا أشتمهُ ويرضَى وَيَضْحَكُ ! قال : فقام إليهِ فقال : أنت جرير ؟ قال : نعم . قال : فلا قرَّبَ اللهُ دارَكَ ولاَ حيَّا مزَارَكَ ! يا كَلْب ! فجعل جريرٌ ينتفخ ، ثمَّ قال لهُ : رَضيتَ فى شرفكَ وَفضْلكَ وَعَفافكَ أنْ تُهاجِيَ القردَ العاجزَ[٥] ؟! يعنى الفرزدق . فضحك .

فحدَّث صديقٌ لى أباالصَّلَع السِّنْدىَّ[٦] بهذا الحديث ، قال : فشِعْرى أعجبُ من هذا ؛ لأنى شتمت البُخَلاءَ ، فشتمت نفسى بأشدَّ ممَّـا شتمتهم . فقال : وَما هو ؟ قال قولى :

لاَتَرَى بيتَ هِجاءٍ أبدًا يُسْمَعُ منِّى
الهِجَا أرْفَعُ مِمَّنْ قَدْرُهُ يصغُرُ عنِّى[٧]

---

(١) هو الحكم بن عبدل ، كما سبق فى (١ : ٢٣٦) .
(٢) الغرثى ، بالغين : جمع غرثان ، وهو الجائع . هـ : « القرثى » صوابه فى ط ، س والبيان (٣ : ١٧٧) .
(٣) فى الجزء الأول : « من ثريد ملبق » . والمأدوم : المخلوط بالأدم بالضم ، وهو يخلط به الخبز .
(٤) هو أبو الحسن المدائنى الأخبارى الراوية .
(٥) ط : « الفاجر العاجز » وأثبت مافى س ، هـ .
(٦) ذكره ابن النديم فى الشعراء المقلين ١٦٤ ليبسك ٢٣٣ مصر . هـ : « المندى »
(٧) س : « ينقص عنى » .

(طريفة)

قال أبو الحسن : كان واحدٌ يسخَر بالنَّاس ، ويدَّعى أنَّه يَرقِى من الضِّرس إذا ضربَ على صاحبه . فكان إذا أتاه مَن يشتكى ضِرسه قال له إذا رقاه : إيَّاكَ أنْ تذكر إذا صِرتَ إلى فِراشك القِردَ ؛ فإنَّك إنْ ذكرته بَطَلَتِ الرُّقْية ! فكان — إذا آوى إلى فراشه — أوَّلَ شىء يخطر على باله ذِكرُ القرد ، ويبيت على حاله من ذلك الوَجَع ، فيغدو إلى الذى رقَاه ٢٣ فيقول له : كيف كنت البارحة ؟ فيقول : بِتُّ وَجِعًا ! فيقول : لعلَّك ذكرْت القرد ! فيقول : نعم ! فيقول : مِنْ ثَمَّ لم تنتفع بالرُّقية !

(شعر لبعض ظرفاء الكوفيين)

وقال بعضُ ظُرَفاء الكوفيِّين :

فَإنْ يشْرَبْ أبو فرُّوخَ أشْرَبْ ⁂ وَإنْ كانت معتَّقَةً عُقَارَا[1]

وإن يأكلْ أبو فرُّوخَ آكُلْ ⁂ وإن كانت خَنانِيصاً صِغارَا[2]

---

(١) العقار ، بالضم : الخمر ؛ لمعاقرتها ، أى ملازمتها الدن ؛ أو لعقرها شاربها عن المشى .

(٢) الخنانيص : جمع خنوص ، كسنور ، وهو ولد الخنزير . والبيتان فى عيون الأخبار (٣ : ١٦) .

(قرد يزيد بن معاوية)

وقال يزيد بن معاوية[1] :

فَمَنْ مبلغٌ القردِ الذى سَبقَتْ به جِيَادَ أميرِ المؤمنين أتَانُ
تَعَلَّقْ أبا قَيْسٍ بها إنْ أطعتنى فليس عليها إن هلكْتَ ضَمَانُ[2]

(جزع بشار من شعر حماد)

وزعم الجردانى ، أنَّ بشَّارًا الأعمى ، لم يجزَعْ من هجاء قطُّ كجزَعِه مِن بيتِ حمَّادِ عَجْردٍ ، حيث يقول :

ويا أقبحَ مِن قردٍ إذا ماعَمِى القِرْدُ

---

(١) س : « أبو يزيد بن معاوية » وصوابه ما أثبت من ط ، هـ والمخصص (١٣ : ١٧٧) . وللبيتين قصة طريفة فى المخصص ؛ فقد ذكر أن يزيد بن معاوية كان له قرد يلعب به ، فلامه الناس على اتخاذه ، فأمر به فشد على أتان وحشية ، ثم أطلقت ، وأمر أن تطلبه الخيل ، فركض الخيل ، وتنادت الفرسان فى طلبه فنجا ولم يدرك . وأنشد يزيد البيتين الآتيين (برواية أخرى) :

تمسك أبا قيس على أرحبية فليس علينا إن هلكت ضمان
فقلت من الشخص الذى سبقت به جياد أمير المؤمنين أتان

قلت : ومعنى اللعب بالقرد هو السباق به . ويتضح ذلك من النص الآتى الذى أنقله عن نهاية الأرب (٩ : ٣٣٧) : « وفى القرد من قبول التأديب والتعليم مالاخفاء به عن أحد ؛ حتى إنه درب قرد ليزيد بن معاوية على ركوب الحمير والمسابقة عليها » .

(٢) أبو قيس : كنية القرد ، كما فى المخصص . بها : أى بالأتان .

(شعر فى الهجاء)

وقال بُشَير بن أبى جَذيمة العَبْسى[١] :

أَتَخْطِرُ لِلأَشْرافِ جِذْيمُ كِبرةً ... وهل يستعدُّ القِرْدُ للخَطَرَانِ[٢]

أبى قِصرُ الأذْنابِ أن يخْطِرُوا بها ... ولُؤْمُ قُرودٍ وَسْطَ كلِّ مكانِ

لقد سمِنَتْ قِرْدانُكُمْ آلَ جِذْيم ... وأحسابُكم فى الحىِّ غيرُ سِمانِ[٣]

الأصمعىُّ[٤] عن أبى الأشهب[٥] عن أبى السليل قال : ماأبالى أخنز يرًا رأيتُ يُجَرُّ برجله[٦] ، أو مثل[٧] عبيد ينادى : يالَ فُلان !

---

(١) هو بشير ، بهيئة التصغير ، ابن أبى جذيمة بن الحكم بن مروان بن زنباع بن جذيمة العبسى ، ذكره الآمدى فى المؤتلف والمختلف ٦١ . وروى له أبو تمام الأبيات الآتية فى حماسته (٢ : ١٨٢) . وفى الأصل : « بشر بن المندى » ، وهو تحريف غير صالح .

(٢) تخطر : من خطر البعير : ضرب بذنبه يمينا وشمالا . والكبرة ، بالكسر : العظمة ، أو التجبر . يقول لقبيل جذيم : أتحدثون أنفسكم بمباراة الأشراف ؟ ! وجعلهم قرودا لخستهم . والقرد لاذنب له يخطر به . ورواية الحماسة : « أتخطر للأشراف ياقرد جذيم » .

(٣) سئل أبو الندى عن معنى هذا البيت فقال : كنى بالقردان هنا عن القمل . أى سمنت أجسامكم وعظمت ، ودقت أحسابكم ولؤمت . وأصل القردان ، بالكسر : جمع قراد بالضم ، وهو دويبة تلزم الإبل ومعاطنها . ورواه أبو تمام : « قعدانكم » جمع قعود ، وهو الذكر الشاب من الإبل . جعل قعدانهم سمينة لأنهم يؤثرونها باللبن على الضيف والجار ، فأحسابهم غير سمان . وقد رد أبو محمد الأعرابى رواية أبى تمام . التبريزى (٤ : ٩) .

(٤) ط : « وقال الأصمعى » صوابه ما أثبت من س ، هـ .

(٥) س : « ابن الأشهب » .

(٦) س : « برجليه » .

(٧) س : « قتيل » .

(استطراد لغوى)

الأصمعىُّ عن أبى طبيان[١] قال : الخُوز[٢] هم البُناة[٣] الذين بنَوا الصَّرح[٤] واسمُهم مشتقٌّ من الخنزير. ذهب إلى اسمه بالفارسية[خوك[٥]]، فجعلت العرب خُوك[٦] خُوزًا[٧]. إلى هذا ذهب.

(تناسل المِسخ)

و[قد] قال النَّاسُ فى المِسْخ بأقاويلَ مختلفة : فمنهم من زعم أنَّ المِسخَ لايتناسل ولا يبقى إلاَّ بقدر مايكونُ موعظةً وعِبْرة ، فقطعوا على ذلك[٨] الشهادةَ . ومنهم مَن زعم أنَّه يبقَى ويتناسل ، حتى جعل الضَّبَّ والجِرِّىَّ[٩] ، والأرانب ، والكلاب وغيرَ ذلك ، من أولادِ تلك الأمم التى مُسِخت فى هذه الصُّور . وكذلك قولهُم فى الحيَّات .

وقالوا فى الوزَغ : إن أباها[١٠] ، لمَّا صنع فى نَار إبراهيمَ و بيت المَقْدِس ماصنع[١١] ، أصمَّهُ الله وأبرصَه ، فقيل : « سامّ أبرص » . فهذا الذى

(١) لم أعثر له على تعريف .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من س . وبدلها فى ط : « الخزر » صوابه ما أثبت من هـ ومن معجم البلدان . والخوز بالضم : أهل خوزستان .

(٣) البناة ، بالضم : جمع بان . وبدله فى المعجم : « الفعلة » . ط ، هـ : « البنات » محرفة .

(٤) الصرح ، بالفتح : بناء عظيم قرب بابل ، يقال إنه قصر بختنصر . عن المعجم .

(٥) فى الأصل ، وهو هنا س : « هزر » وتصحيحه من معجمى استينجاس وريتشاردسن ، والمعارف . لابن قتيبة ص ٢٧٠ . وانظر معجم البلدان (خوز)

(٦) فى الأصل : « خزر » وصوابه ماأثبت . انظر التنبيه السابق .

(٧) فى الأصل : « خنزيرا » . والوجه ما كتبت .

(٨) ط ، هـ : « تلك » . والشهادة معمول قطعوا .

(٩) الجرى : ضرب من السمك . زعم أصحاب الخرافة أنه كان أمة من الأمم مسخها الله انظر الحيوان (١ : ٢٩٧ س ٥).

(١٠) س ، هـ : « أباهم » وقد يستعمل ضمير العاقلين لغيرهم . وقد عقد الثعالبى فى سر العربية فصلا لذلك ، عنوانه : (فصل فى إجراء غير بنى آدم مجراهم فى الإخبار عنه) .

(١١) فى سنن ابن ماجه ، عن عائشة رضى الله عنها ، أنه كان فى بيتها رمح موضوع ، فقيل =

نرى[1] هو من ولده ؛ حتَّى صار فى قتله الأجرُ العظيم ، ليس على أنَّ الذى يقتلُه كالذى يقتل الأُسْدَ والذِّئاب ، إذا خافها على المسلمين .

وقالوا فى سهيلٍ[2] ، وفى الزُّهَرَة[3] ، وفى هارُوت وماروت[4] ، وفى قيرى وعيرى أبوَىْ ذِى القرنين[5] ، وجُرْهم[6] ، ماقالوا .

= لها . ماتصنعين بهذا ؟ فقالت : أقتل به الوزغ فإن النبىّ صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما ألقى فى النار لم يكن فى الأرض دابة إلا أطفأت عنه ، غير الوزغ فانه كان ينفخ عليه النار ، فأمر صلى الله عليه وسلم بقتله . وكذلك رواه الإمام أحمد فى مسنده . وكذا رووا أنه لما أحرق بيت المقدس كانت الأوزاغ تنفخه . الدميرى .

(١) س : « يرى » .

(٢) سهيل ، ذاك النجم . زعموا أنه كان عشاراً باليمن . الحيوان (١ : ٢٩٧) وتأويل مختلف الحديث ١٠ . ومما يشبه هذه الخرافة مازعموا أن ذئباً دخل الجنة لأنه أكل عشاراً .

(٣) الزهرة : ذاك الكوكب . زعموا أنها كانت بغيا عرجت إلى السماء باسم الله الأعظم فسخها الله شهابا . تأويل مختلف الحديث ١٠

(٤) زعم العوام ، متتبعين حكاية اليهود ، أنهما ملكان مثلا بشرين ، وركب فيهما الشهوة ، فتعرضا لامرأة يقال لها الزهرة ، فحملتهما على المعاصى والشرك . ثم صعدت إلى السماء بما تعلمت منهما من السحر — انظر التنبيه السابق وتفسير البيضاوى — وقال الجاحظ فى شأنهما : « وكان الملك من الملائكة إذا عصى ربه فى السماء ، أهبطه إلى الأرض فى صورة رجل وفى طبيعته ، كما صنع بهاروت وماروت ، حين كان من شأنهما وشأن الزهرة — وهى أناهيد — ما كان » . انظر الحيوان (١ : ١٨٧ س ٤) . والمذهب القرآنى فيهما أنهما ملكان أنزلا لتعليم السحر ، ابتلاء من الله للناس ، وتمييزاً بين السحر والمعجزة ، وكانا يقولان لمن يعلمانه : « إنما نحن فتنة فلا تكفر » أى نحن نعلم للعلم لا للعمل ؛ فعلم السحر لا بأس به ، وأما العمل به فحظور ممنوع .

(٥) كذا جاءا بالباء الموحدة فى فقه اللغة بدون اختلاف فى النسخ ، وثمار القلوب ٢٢٦ وكذا فى الجزء الأول من نسخة كوبريلى ، راجع هذه الطبعة ١ : ١٨٨) وفى رسائل الجاحظ ٩٧ ساسى : « قيرى وعيرى » بالمثناة التحتية . وفى ط : « فزى وعبرى » و هـ : « قزى وعزى » و س (فبرى — مهملة — وعبرى) أما أولهما فزعموا أنها أم ذى القرنين ، وأنها كانت آدمية ، وأما الآخر فهو أبو ذى القرنين ، وكان من الملائكة فيما زعموا . انظر الحيوان (١ : ١٨٨) وثمار القلوب . جـ فى الأصل بعده : « وفى أبوى » . وكلمة : « فى » مقحمة كما ظهر لك . وجاء فى ط ، هـ : « ذوى القرنين » تحريف صوابه فى س

(٦) جرهم هذا هو ابن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام ، فيما يرى نساب =

(القول فى المَسْخ)

٢٤ فأمّا القول فى نفس المَسْخ فإنّ النّاس اختلفوا فى ذلك : فأمّا الدُّهريّة فهم فى ذلك صِنفان : فمنهم مَن جَحَد المسْخَ وأقرَّ بالخسْف[١] والرِّيح والطّوفان ، وجعل الخسْف كالزّلازل ، وزعم أنّه يُقِرُّ من القذْف بما كان من البَرَد الكِبار[٢] ؛ فأمّا الحجارة فإنّها لاتجىء من جهة السّماء . وقال : لستُ أُجوِّز إلاَّ ما اجتمعت عليه الأمّة أنّه قد يحدث فى العالم . فأنْكَرَ المسْخَ البتّة .

(أثر البيئة)

وقال الصِّنف الآخَر : لاننكر أنْ يفسُدَ الهواء فى ناحيةٍ من النواحى فيفسدَ ماؤهم[٣] وتفسُدَ تُربتهم ، فيعملَ ذلك فى طباعهم[٤] على الأيّام ،

= العرب . قالوا : ولما ترك إبراهيم ولده إسمعيل وأمه بمكة ، جاءت رفقة من جرهم فنزلوا شعاب مكة ، فنشأ إسمعيل مع أولادهم وتعلم الرمى ونطق بلسانهم ثم خطب إليهم فزوجوه امرأة منهم ، قال ابن إسحق : هى بنت مضاض بن عمرو الجرهمى . والزعم الذى أشار إليه الجاحظ هو قولهم : إن بعض الملائكة عصى الله فأهبط إلى الأرض فى صورة رجل تزوج أم جرهم فولدت له جرهما . انظر الحيوان (١ : ١٨٧ س ٧) . والعرب يسمون ماتولد بين الملك والآدمى — فى زعمهم — : « العلبان » بالعين . فقه اللغة ٨٢ الحلبى .

(١) يقال خسف الله به الأرض : جعلها تسوخ به . قال تعالى فى شأن قارون : « فخسفنا به وبداره الأرض » .

(٢) أى أنه يجوز عنده أن تقذف السماء على الناس برداً كبارا . فأما سقوط الحجارة من السماء للتعذيب فهو ينكره . والانتقام بمطر الحجارة جاء فى القرآن الكريم على أنه عقاب لقوم لوط : « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود » هود ٨٢ . « فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل » الحجر ٧٤ . « لنرسل عليهم حجارة من طين » الذاريات ٣٣ فى الأصل : « أنه يقرب من القذف » وصوابه ما أثبت .

(٣) ط ، هـ : « مائهم » صوابه فى س .

(٤) س : « طبائعهم » .

كما عمل ذلك فى طباع الزَّنج ، وطباع الصَّقالبة[1] ، وطباع بلادِ يأجوج ومأجوج[2] . وقد رأينا العَرب وكانوا أعراباً حينَ نزلوا خراسانَ ، كيف انسلخوا من جميع تلك المعانى ، وترى طباعَ بلاد التركِ كيفَ تطبَعُ الإبلَ والدَّوابَّ وجميعَ ماشيتهم : من سبُعٍ وبهيمةٍ ، على طبائعهم . وترى جرادَ البقولِ والرَّياحين ودِيدانَها خضراءَ ، وتراها[3] فى غير الخُضرة على غير ذلك. وترى القمْلة فى رأس الشابِّ الأسودِ الشَّعر سوداء ، وتراها فى رأس الشَّيخ الأبيضِ الشَّعرِ بيضاء ، وتراها فى رأس الأشْمط شمطاءَ ، وفى لون الجملِ الأورق[4] . فإذا كانت فى رأس الخَضِيب بالحمرة تراها حمراء . فإذْ نَصَلَ خضابه صار فيها شُكْلَةٌ[5] ، من بين بيضٍ وحُمْر .

وقد نرى حَرَّة بنى سُلَيم[6] ، وما اشتملت عليه من إنسانٍ ، وسبع ، وبهيمةٍ ، وطائر ، وحشرة فتراها كلَّها سوداء .

---

(١) الصقالبة : جنس يسكن بين بلاد بلغار وقسطنطينية . معجم البلدان . وقد بين خصائصهم المسعودى فى التنبيه والإشراف ٢٢ .

(٢) جنس من الأسيويين ، بنى من أجلهم سد الصين الذى بناه الإسكندر . وبين المسعودى طباعهم بأنهم فى عداد البهائم .

(٣) ط ، ھ : « أو تراها » س : « ونراها » .

(٤) الشمط ، محركة : بياض الرأس يخالط سواده ، ويستعمل أيضاً فى غير الرأس . وكلمة « شمطاء » والواو بعدها ليستا فى س ، ھ . وفى التنبيه والإشراف ص٢٧ حيث تجد مثل هذا الكلام : « شهباء » . والشهبة نحو الشمط . والأورق من الإبل : مافى لونه بياض إلى سواد .

(٥) الشكلة ، بالضم : اختلاط البياض بالحمرة . وفى الأصل : « شكله » محرف .

(٦) الحرة ، بالفتح : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار . وسليم هو بهيئة التصغير — ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ، وهذه الحرة فى عالية نجد . وانظر الكلام بتفصيل فيما اشتملت عليه هذه الحرة ، فى رسائل الجاحظ ٧٨ ساسى وثمار القلوب ٩٦.

وقد خبَّرَنَا من لايُحصَى من النَّاس أنَّهم قد أدركوا رجالاً من نَبَط بَيسان[١] ، ولهم أذنَابٌ إلاّ تكنْ كأذنَاب التماسيح والأسد والبقر والخيل وإلاَّ كأذنَاب السَّلاحف والجِرْذان ، فقد كان لهم عُجوبٌ[٢] طِوالٌ كالأذنَاب .

وربَّما رأينا الملاّح النَّبَطِيَّ فى بعض الجعفريّات[٣] على وجهِهِ شبهُ القِرْد . وربَّما رأيْنا الرَّجلَ من المغرِب فلا نجد بينهُ وبين المِسخ ، إلاّ القليل .

وقد يجوز أن يصادف ذلك الهواء الفاسدُ ، والماء الخبيثُ ، والتربةُ الرديّةُ ، ناسًا فى صفةِ هؤلاء المغربيِّين[٤] والأنباط ، ويكونون جُهّالا ، فلا[٥] يرتحلون ؛ ضَنَانَةً[٦] بمساكنهم وأوطانهم ، ولا ينتقلون . فإذا طال ذلك عليهم زادَ فى تلك الشعور ، وفى تلك الأذناب ، وفى تلك الألوان الشُّقْر ، وفى تلك الصُّوَر المناسبةِ للقرود .

قالوا : ولم نعرفْ ، ولم يثبُتْ عندنا بالخبر الذى لايعارَض ، أنّ الموضع الذى قلب صُوَر قوم إلى صور الخنازير ، هو الموضع الذى نقل صُوَر قَوْم إلى صُوَرِ القرود . وقد يجوز أن تكون هذه الصُّورُ انقلبت فى مهبِّ الريح الشمالى ، والأخرى

---

(١) بيسان ، هذه ، قرية من قرى الموصل .

(٢) العجوب : جمع عجب ، بالفتح ، وهو أصل الذنب .

(٣) كذا . والمعروف « الجعفر » وهو النهر الصغير ، أو الكبير ، أو الملآن ، أو فوق الجدول .

(٤) ط ، هـ : « المشوهين » . وأثبت مافى س .

(٥) س : « ولا » .

(٦) الضنانة بالفتح : مصدر ضن يضن ، بالفتح والكسر : بخل .

في مهبِّ الجنوب[1] . ويجوز أن يكون ذلك كان في دهرٍ واحد ؛ ويجوز ٢٥
أن يكون بينهما دهرٌ ودهور .

قالوا : فلسْنا ننكر المِسْخ إن كان على هذا الترتيب ؛ لأنّه إن كان على مجرى الطَّبائع ، وما تدور به الأدوار ، فليس ذلك بناقضٍ لقولنا ، ولا مثبتٍ لقولكُم .

قال أبو إسحٰق[2] : الذى قلتم ليسَ بمُحالٍ ، ولا ينْكَر أن يحدُثَ في العالَمَ برهاناتٌ ، وذلك المِسخْ كان على مجرى ما أُعطُوا من سائر الأعاجيب ، والدَّلائل والآيات . ونحن إنَّما عرفنا ذلك من قِبَلهم . ولولا ذلك لكان الذى قلتمْ غيرُ ممتنِع . ولو كان ذلك المِسْخُ في هذا الموضع على ماذكرتم ، ثمَّ خبر بذلك نبيٌّ ، أو دَعا بِهِ نبيٌّ ، لَكان ذلك أعظَمَ الحُجَّة

فأما أبو بكر الأصمّ[3] ، وهشام بن الحكم[4] ، فإنَّهُما [كانا][5] يقولان بالقلْب ، ويقولان : إنَّه إذا جاز أنْ يقلب اللهُ خَرْدلةً من غير أن يزيد فيها جسماً وطولا[6] [أو عرضا[7]] جاز أن يقلب ابنَ آدمَ قِردًا من غير أن ينقُص من جسمه طولا أو عرضاً[8] .

---

(١) انظر لتوضيح هذا الكلام ماسبق في (٣ : ١٧٢ ـ ١٧٣) . وانظر أيضا الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٦٩) .

(٢) هو النظام .

(٣) اسمه عبد الرحمن بن كيسان ، كان من أئمة المعتزلة ، ذكره عبد الجبار الهمداني في طبقات المعتزلة وقال : كان من أفصح الناس وأورعهم وأفقههم ، وله تفسير عجيب . قال ابن حجر : وهو من طبقة أبي الهذيل العلاف وأقدم منه . لسان الميزان ١٦٨٥ .

(٤) سبقت ترجمته في (٣ : ١١) .

(٥) ﻫ : « فكانا » .

(٦) س : « طولا » بحذف الواو .

(٧) الزيادة من س ، ﻫ .

(٨) كذا في ط . وفي س : « منه طولا جسما أو عرضا » ﻫ : « من جسم طولا أو عرضاً » !

وأمّا أبو إسحٰقَ فقد كان ـ لولا ماصَحّ عنده من قول الأنبياء و إجماع المسلمين على أنّه[١] قد كان ، وأنّه قد كان حُجَّةً و برهاناً فى وقته ـ لكان لاينكر مذهبهم فى هذا الموضع .

وقوله هذا قولُ جميعِ من قال بالطَّبائع ، ولم يذهَبْ مذهب جهمٍ[٢] ، وحفصٍ الفَرْدِ[٣] .

وقال ابن العنسىّ[٤] يذكر القرد :

فَهلاَّ غَدَاةَ الرَّمْلِ يَاقِرْدَ حِذْيَمٍ   تُؤَامِرُهَا فى نَفْسِهَا تَسْتَشِيرُهَا

(القول فى تحريم الخنزير)

قال : وسأل سائلون[٥] فى تحريم الخنزير عن مسألةٍ ؛ فمنهم من أراد الطّعن ، ومنهم من أراد الاستفهام ، ومنهم مَنْ أحبَّ أن يعرف ذلك من جهة الفُتيا ؛ إذْ[٦] كان قوله خلافَ قولنا .

قالوا : إنّما قال الله : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾ فذكر اللَّحمَ دونَ الشّحم ، ودونَ الرَّأس ، ودونَ المخّ ، ودونَ العصَب ،

---

(١) أى القلب والمسخ .

(٢) هو جهم بن صفوان السمرقندى ، رأس الجهمية ، وكان يتولى القضاء فى عسكر الحارث بن شريح ، الخارج على أمراء خراسان ، فقبض عليه نصر بن سيار فقتله .

(٣) الفرد ، بفتح الفاء ، لقب له . وفى الأصل : « القردى » وفى لسان الميزان ١٣٥٥ وكذا الفرق بين الفرق ٢٠٢ : « القرد » وصوابه ما أثبت من القاموس وفهرست ابن النديم فى غير ماموضع . قال ابن النديم : « من المجبرة ومن أكابرهم . . . وكان من أهل مصر ثم قدم البصرة ، فسمع بأبى الهذيل واجتمع معه فناظره ، فقطعه أبو الهذيل » .

(٤) كذا فى س . وفى ط ، هـ : « ابن العيسى » بالياء بعد العين .

(٥) فى الأصل : « سائل » والوجه الجمع ، كما يتطلب التفريع الآتى .

(٦) فى الأصل : « إذا » .

ودون سائرِ أجزائه ؛ ولم يذكره كما ذكر المَيْتة بأسرها ، وكذلك[1] الدَّم ؛ لأنَّ القول وقع على جملتهما ، فاشتمل على جميع خصالهما بلفظٍ واحد ، وهو العموم . وليس ذلك فى الخنزير ؛ لأنّه ذكر اللّحم من بين جميع أجزائه وليس بين ذِكْر اللَّحْم والعظْم فرق ، ولا بينَ اللَّحْمِ والشَّحم فرق . وقد كان ينبغى فى قياسكُمْ هذا لو قال : حرِّمت عَلَيْكُمُ الميتَةُ والدَّم وشَحْم الخنزير ، أن تحرِّموا الشحم ، وإنَّما ذكر[2] اللّحم ، فلِمَ حرّمتم الشحم ؛ وما بالُكُمْ ؛ تحرِّمونَ الشّحم عند ذكْر غيرِ الشّحم ! فهلاّ حرَّمتم اللّحم بالكتاب ، وحرّمتم ماسِواه بالخبر الذى لايُدْفَع !؟ فإن بقيَتْ خصلةٌ أو خَصلتانِ ممّا لم تُصيبوا ذِكْره فى كتابٍ منَزَّل ، وفى أثرٍ لايدفع ، ٢٦ رددتموه إلى جهة العقل .

قُلنا : إنّ للنَّاس عاداتٍ ، وكلامًا[3] يعرِّف كلَّ شىء بموضعه ، وإنما ذلك على قدْر استعمالهم له ، وانتفاعهم به .

وقد يقول الرجل لوكيله : اشتر لى بهذا الدِّينار لحما ، أو بهذه الدراهم ، فيأتيه باللّحم فيه الشّحم والعظْم ، والعِرق والعصب والغُضروف . والفؤاد والطِّحالُ ، والرِّئة ، وببعض أسقاط الشاة وحشو البطن . والرأس لحمٌ ، والسَّمك أيضاً لحم . وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ . فَإِنْ كانَ الرَّسول ذهب إلى المستعمَل من ذلك ، وتَرَكَ بَعْضَ مايقع عليه اسمُ لحم ، فقد أخذَ بما عَلَيْهِ صاحبه . فإذا قال حَرَّمتُ عَلَيْكُمْ لحما ، فكأنّه قال: لحم الشّاة والبقرة

---

(١) فى الأصل : « فكذلك » .

(٢) س : « حرم » .

(٣) ط : « وكل ما » هـ : « وكلاما ما » وأثبت الصواب من س .

والجزور . ولو أنّ رجُلاً قال : أكلت لحما — وإنما أكل رأسًا أو كبدًا أوسمكاً — لم يكنْ كاذباً . وللنّاس أن يضعُوا كلامَهم حيثُ أحبُّوا ، إذا كان لهم مجازٌ ؛ إلاَّ فى المعامَلات .

فإنْ قُلت : فما تقول فى الجِلد ؟ فَلَيس للخنزير جلد ، كما أنّه ليس للإنسان جلدٌ إلاّ بقطع ماظهر لك منه بما تحتَه ، وإنّما الجِلْد ما يُسْلخُ ويُدْحَس[1] فيتبرأ ممّا كان بِهِ مُلتزقا[2] ولم يكن مُلتحما ، كفرق مابين جلد الحَوْصَلة والعِرْقين[3] .

فإنْ سألتَ عن الشَّعر ، وعن جلد المنْخَنِقة والمَوقُوذة والمتردِّيَة والنَّطِيحة وما أكل السَّبُعُ[4] ، فإنِّى أزعم أنّ جلدهُ لاَيُدْبَغ وَلاَ يَنْتَفِعُ بِهِ إلاّ الأساكفة ، والقول فى ذلك أنّه كلَّهُ محرّم . وإنما ذلك كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ ﴾ وكَقَوْله عزّ وجلّ : ﴿ وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَىْءٍ إنِّى فَاعِلٌ ذٰلِكَ غَدًا إلاّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ ﴾ .

والعَربُ تقُول للرَّجُل الصانع نجّارًا ، وإن كان لاَيعمل بالمِثْقَبِ والمنشار ونحوه ولاَ يضرب بالمضلع ونحو ذلك . وتسمِّيه خبّازا إذا كان يطبخ ويعجن . وتسمِّى العِيرَ لطيمةً[5] ، وإن لم يكن فيها مايحمل العِطْر إلاّ واحد . وتقول : هذه ظُعُنُ فُلاَنٍ ؛ للهوادج إذا كانت فيها امرأةٌ واحدة . ويقال : هؤلاء بنو فُلان ؛ وإن كانت نساؤهم أكثرَ من الرجال .

---

(١) دحس الرجل الشاة : أدخل يده بين جلدها وصفاقها للسلخ .

(٢) ﻫ : « ملتصقا » وحاسيان .

(٣) ﻫ : « والعرفين » محرف .

(٤) سبق شرح هذه الكلمات فى ص ٥٦ .

(٥) العير ، بالكسر : القافلة . أو الابل تحمل الميرة ، لا واحد لها من لفظها : واللطيمة : العير تحمل المسك والعطر.

فلما كان اللحم هو العمود الذى إليه يُقْصَد ، وصار فى أعظم الأجزاء قَدْرًا ، دَخَلَ سائرُ تلك الأجزاءِ فى اسمِهِ . ولو كان الشَّحمُ معتزلاً من اللَّحم ومفرَدًا فى جميع الشِّحام ، كشحوم الكُلَى[1] والثُّروب ، لم يجزْ ذلك .
و إذا تكلمتَ على المفردات لم يكن المخُّ لحما ، ولا الدِّماغ ، ولا العظم ، ولا الشَّحم ، ولا الغُضروف ، ولا الكروش ، ولا مَا أشبه ذلك . فلما قال: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الخِنْزِيرِ ﴾ وكانت هذه الأشياء المشبَّهة باللَّحم تدخُل فى باب العموم فى اسم اللحم ، كان القَوْلُ واقعاً على الجميع . ٢٧

وقال الشاعر :

مَنْ يَأْتِنا صُبحًا يريدُ غَدَاءَنَا ... فالهَامُ مُنْضَجَةٌ لَدَى الشَّحَّامِ[2]
لحمٌ نَضِيجٌ لاَيُعَنِّى طابخا ... يُؤْتَى به مِن قَبْلِ كلِّ طعامِ[3]

(مسألة الهدهد)

وإذْ قد ذَكَرْنَا بَعض الكلامِ ، والمسائلَ فى بعْض الكلام،فسنذكر شأْنَ الهدهُد والمسألة فى ذلك.قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لاَأَرَى الهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الغَائِبِينَ . لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْلَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ[4]﴾ ثم قال : ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ يعنى الهدهُد . فقال لسليمان المتَوعِّد له بالذَّبح عقُوبة له ــ والعقوبة لاتكون

(١) فى الأصل : « الكلا » وصواب كتابتها بالياء ، وهى جمع كلية ، بالضم .
(٢) الغداء ، بفتح الغين بعدها دال مهملة : طعام الغدوة ، بالضم ، وهى أول النهار . والهام : الرءوس ، واحدها هامة . والشحام : مطعم الشحم .
(٣) لايعنى ، بالنون ، من العناء . وفى هـ ، س : « لايعيى » بالياء .
(٤) فى الأصل : « أولا يأتينى » .

إلاّ على المعصية لبشريّ آدميّ لم تكن عقوبته الذّبح ، فدلّ ذلك على أنّ المعصية إنما كانت له ، ولا تكون المعصيةُ لله إلاّ ممّن يعرف الله ، أو ممّن كان يمكنه أن يعرفَ الله تعالى فترَكَ مايجبُ عليه من المعرفة — وفي قولهِ لسليمان : ﴿ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ . ثمّ قال بعد أنْ عرفَ فصْل[1] مابين الملوك والسُّوقة ، وما بين النِّساء والرجال ، وعرف عِظم[2] عرشِها ، وكثرةَ ماأوتيت[3] في ملكها ، قال : ﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَيَهْتَدُونَ ﴾ فعرَف[4] السُّجُود للشمس وأنكَرَ المعاصي . ثمّ قال : ﴿ أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَايُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ[5] ﴾ ويتعجَّب من سجودهم لغير الله . ثمّ علِمَ أنّ الله يعلم غيبَ السّمواتِ والأرض ، ويَعلم السِّرَّ والعلانية . ثمّ قال : ﴿ اللهُ لاَإِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ وهذا يدلُّ على أنّهُ أعلمُ مِن ناسٍ كثيرٍ من المميِّزين المستدلِّين الناظرين .

قال سليمان : ﴿ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ثمّ قال : ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ. قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ. إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ

---

(١) في الأصل : « فضل » بالضاد المعجمة ، وإنما هو بالصاد المهملة ، بمعنى الفرق .

(٢) في ط : « عظيم » . والوجه ما أثبت من هـ ، س .

(٣) س : « أعطيت » .

(٤) أي الهدهد .

(٥) قرأ حفص وعلى الكسائي بالتاء الفوقية على الخطاب ، والباقون بالتحتية على الغيب غيث النفع ٢٤٥ وابن القاصح ٣٠١ .

وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِي[١] بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ وذلك أنّها قالت : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ . وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [ثمّ[٢]] قال سليمانُ للهدهد: ﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لاَقِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [و] قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ. قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ. قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ فطعن فى جميع ذلك طاعنون ، فقال بعضهم : قد ثبتَ أنّ الهدهد يحتمل العقاب والعتاب ، والتّكليف والثّواب ، والوَلاية[٣] ، ودخولَ الجنّة بالطّاعة ، ودخولَ النّار بالمعصية ؛ لأنّ المعرفةَ تُوجِب الأمرَ والنهيَ ، والأمرَ والنهيَ يوجبان الطاعةَ والمعصية ، والطاعةَ والمعصيةَ يوجبان الوَلاَية والعَداوة ، فينبغى للهداهد أنْ يكون فيها العدوُّ والولىُّ ، والكافر والمسلم ، والزِّنديق والدَّهريّ[٤] . وإذا

٢٨

(١) قرأ نافع والبصرى بإثبات ياء بعد النون الثانية وصلا لاوقفا ، والمكي وحمزة بإثباتها وصلا ووقفا ، إلا أن حمزة يدغم النون الأولى فى الثانية . والباقون بحذفها وصلا ووقفا . غيث النفع ٢٤٥ .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) الولاية ، بالفتح وتكسر : مقابل العداوة .

(٤) الدهرى ، بفتح الدال: الذى يقول بقدم الدهر، ولايؤمن بالبعث. وهناك الدهرى =

كان حُكْمُ الجنس حُكما واحدًا لزم[1] الجميعَ ذلك . وإن كان الهدهدُ لايبلغ عندَ جميع الناس فى المعرفة مبلغَ الذرّة ، والنملة ، والقملة ، والفيلِ ، والقرد ، والخنزير ، والحمام — وجميع هذه الأممِ ، تقدُّمُها عليه فى المعرفة — فينبغى أن تكونَ هذه الأصنافُ المتقدِّمَةُ عليه ، فى عقول هذه الأمّة والأنبياء

وقد رأينا العلماء يتعجَّبون من خُرافات العَرَب والأعرابِ فى الجاهليَّة ومن قولهم فى الدِّيك والغراب[2] ، ويتعجَّبون من الرِّواية فى طوق الحمام فإنّ الحمام كان رائدَ نوح على نبينا وعليه السلام[3] .

وهذا القول الذى تؤمنون به فى الهدهد ، من هذا النوع[4] .

قُلنا : إنّ الله تعالى لم يقل : وتَفَقَّدَ الطَّير فقال مالى لاأرى هدهدًا من عُرْض الهداهد[5] ، فلم يوقع قولَه على الهداهد جُملة ، ولا على واحدٍ منها غيرِ مقصودٍ إليه ، ولم يذهب إلى الجنس عامَّة ، ولكنَّهُ قالَ: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيرَ فَقَالَ مَالِيَ لاَأَرَى الهُدْهُدَ﴾ فأدخَلَ فى الاسم الألفَ واللام ، فجعله معرفة فدلَّ بذلك القصد على أنَّه ذلك الهدهدُ بعينه . وكذلك غُرابُ[6] نوح [وكذلك] حمارُ عُزَيرٍ ، وكذلك ذِئب أُهبانَ بنِ أوس[7] ؛ فقد كانَ لِلّهِ فيه وفيها تدبيرٌ ، وليجعَل ذلك آيةً لأنبيائه ، وبرهاناً لرسله .

= بضم الدال ، وهو الرجل المسن منسوب إلى الدهر أيضاً ، فخالفوا بينهما ، رفعا للالتباس . شرح الشافية ٨٩ . وفى القاموس : « الدهرى ويضم : القائل ببقاء الدهر » .

(١) ط : « ألزم » .

(٢) انظر ص ٣١٨ من الجزء الثانى ، و ص ٤١٠ من الجزء الثالث .

(٣) انظر ص ٣٢١ من الجزء الثانى .

(٤) س : « الشكل » .

(٥) من عرض الطير ، بضم العين ، أى من عامة الطير .

(٦) ط ، هـ : « وكان كغراب نوح » . وانظر الغراب نوح ص ٣٢١ من الجزء الثانى .

(٧) انظر ما أسلفت من الكلام فى (٣ : ٥١٣) .

ولا يستطيع أعقلُ الناس أن يعملَ عمل أجرإِ النَّاس ، كما لا يستطيع أجرأُ النَّاس أن يعملَ أعمالَ أعقلِ الناس . فبأَعمال المجانينِ والعُقلاءِ عرَفنا مقدارهما من صحّة أذهانهما وفسادها[1] ، وباختلاف أعمالِ الأطفالِ والكهول عرفْنا مقدارَهما فى الضعْف[2] والقوّة ، وفى الجهل والمعرفة . وبمثل ذلك فَصَلنا[3] بين الجماد والحيوان ، والعَالِمِ وأعلمَ منه ، والجاهلِ وأجْهلَ منه[4] .

٢٩ ولو كان عند السِّباعِ والبهائمِ ما عند الحكماء والأدباء ، والوزَراء والخلفاء والأمَمِ[5] والأنبياء ، لأثمرت تلك العقول ، باضطرارٍ ، إثمارَ تلك العقول . وهذا بابٌ لا يخطئُ فيهِ إلاّ المانِيَّةُ[6] وأصحابُ الجهالات فقط . فأَمّا عوامُّ

---

(١) فى الأصل . « وفسادها » . والضمير عائد إلى الأذهان . وفى س : « عرفنا ماغاب من صحة أذهانهم » .

(٢) ط ، هـ : « فى الضعيف » ووجهه ما أثبت من س .

(٣) فصلنا ، بالصاد المهملة ، بمعنى ميزنا . وفى الأصل : « فضلنا » بالضاد المعجمة ، محرف .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٥) الأمم : جمع أمة بالضم ، والأمة : الإمام ، ومنه قول الله : « إن إبراهيم كان أمة » فى تفسير أبى عبيدة. س : والأمة ، وهذه محرفة عن « الأئمة » .

(٦) المانية : أتباع مانى ، وهو متنبئ زعم أنه الفارقليط الذى بشر به عيسى عليه السلام ، واستخرج مذهبه من المجوسية والنصرانية ، وكان يقول : إن مبدأ العالم من كونين أحدهما نور والآخر ظلمة . وأنهما فى صراع مستمر لا ينتهى إلا بانتهاء الدنيا ، وفرض على أتباعه صلوات معينة وصوما رسمه لهم. وقتل مانى فى مملكة بهرام ابن سابور ، وأتباعه يزعمون أنه ارتفع إلى جنان النور . وكان ملوك الفرس يطاردون أتباعه ، فلما انتثر أمر الفرس وقوى أمر العرب ، وجدوا لديهم سعة صدر ، فنزحوا إليهم فى أيام ملوك بنى أمية ؛ فإن خالد بن عبد الله القسرى كان يعنى بهم ، وكان يرمى بالزندقة . حتى كانت أيام المقتدر فإنهم جلوا إلى خراسان . انظر فهرس ابن النديم ٤٥٦ — ٤٧٤ . وقد جعل ابن النديم النسبة إليه (منانى) وهى نسبة شاذة ، و (مانوى) وهى نسبة جائزة . ومثل الأولى فى الشذوذ : « حرنانى » نسبة إلى مدينة حرّان . و « عنانى » نسبة إلى عانى من اليهود .

الأمم، فضلا عن خواصهم ، فهم يعلمون مِن ذلك مثلَ مانعلم. وإنما يُتفاضَل بالبيان والحِفظ ، وبنسق المحفوظ[١] . فأمَّا المعرفة فنحن فيها ســواء . ولم نعرف العقلَ وعدَمه ونقصانه ، وإفادته ،وأقدارَ معارفِ الحيوان إلاَّ بِمَا يظهر منها[٢] . وبتلك الأدلَّة عرفنا فرقَ مابين الحيِّ والميت ، وبين الجماد والحيوان .

فإن قال الخصم : مانعرف كلامَ الذِّئب ، ولا معرفة الغُراب ، ولا علمَ الهدهد . قلنا : نحن ناسٌ نؤمن بأنَّ عيسى عليه السلام خُلِق من غير ذكرٍ وإنَّمـا خُلق من أُنثى ؛ وأنَّ آدَمَ وَحَوَّاءَ خُلقا من غير ذكرٍ وأنثى ، وأنَّ عيسى تكلَّم فى المهد ، وأنَّ يحيى بن زكريَّا نطق بالحكمةِ فى الصِّبا ، وأنَّ عقيماً ألقحَ ، وأنَّ عاقرًا ولدت[٣] ؛ وبأشياءَ كثيرةٍ خرجت خارجيةً من نَسَقِ العادة[٤] . فالسّبب الذى به عرَفنا أنّه قد كان لذلك الهدهد مقدارٌ من المعرفة ، دونَ ماتوهَّمتم وفوق مامع الهدهد . ومتى سأَلتمونا عن الحجَّة فالسبيل واحدة . ونحن نقرُّ بأنَّ مَن دخــل الجَنة من المجانين والأطفال يدخلون عقلاءَ كاملين ، من غير تجاربَ وتمرينٍ وترتيب . فسأَلتكُمْ عما ألهم الهدهد ، هى المسأَلة عمَّا أُلهم الطفل فى الجنة .

---

(١) كذا فى ه . وفى ط ، س : « المحفوظة » .
(٢) أى من المعرفة . وفى الأصل : « وأقدار معارف أسباب الحيوان وما يظهر منها » .
(٣) إشارة إلى زكرياء عليه السلام وزوجه ، فإنه كان كبيراً حين ولد له يحيى ، وكانت امرأته عاقراً . « قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر » . وإلى إبراهيم عليه السلام وزوجه أيضاً « قالت ياويلتى ءألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا » .
(٤) كذا فى س . وفى ط : « وبأشياء كثيرة خارجة عن نسق العادة » و ه : « وبأشياء كثيرة خارجة من . . » الخ .

فإن قال قائل: فإنْ [كانَ[1]]ذلك القولُ كلُّه، الذى كان من الهدهد، إنما كان على الإلهام والتّسْخير ، ولم يكن ذلك عن معرفةٍ منه ، فلم قال ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ ﴾؟ قلنا : فإنّه قد يتوعّد الرَّجُلُ ابنه ـ وَهو بَعْدُ لم يَجرِ عليْهِ الأحكامُ ـ بالضَّرب الوجيعِ ، إن هو لم يأْتِ السُّوق، أو يحفظْ سورَةَ كَذَا وَكَذا ؛ فلا يعنفُهُ أحدٌ على ذلك الوعيد . ويكذبُ فيضرِبه على الكذب . ويضرب صبيًّا فيضربه لأنه ضربه . وهو فى ذلك قد حَسُنَ خطّه ، وجاد حسابُه ، وشدَا من النَّحو [والعروض[2]] والفرائض[3] شدْوًا حسنا ، ونفع أهلَه ، وتعلم أعمالاً ، وتكلَّم بكلام ، [و[4]] أجاب فى الفتيا بكلامٍ فَوْقَ معانى الهدهد فى اللّطافة وَالغموض . وَهُوَ فى ذلك لم يكمُل لاحتمال الفرض[5] وَالوَلاية وَالعداوَة .

فإن قال : فهل يجوز لأحدٍ أن يقول لابنهِ : إنْ أنت لم تأتِ السُّوق ذبحتك ؛ وَهُوَ جادّ ؟ قُلنا : لايجوز ذلك . وَ إنَّمَا جاز ذلك فى الهدهد لأنَّ سليمان ـ وَمَنْ هو دونَ سليمان من جميع العالم ـ له أن يذبح الهدهدَ والحمامَ والدِّيك ، والعَناق[6] والجدْى . والذَّبحُ سبيلٌ من سُبُل منايام . فلو ذبحهُ سليمانُ لم يكن فى ذلك إلاَّ بقدر التَّقديم والتأْخير ، و إلاَّ بقدْر صَرفِ[7] مابين أن يموت حتْفَ أنفهِ ، أو يموتَ بالذَّبح . ولَعَلَّ صَرْفَ مابينهما ٣٠

(١) ليست بالأصل . وبها يستقيم الكلام .
(٢) الزيادة من س ، هـ .
(٣) هذه الكلمة ساقطة من هـ . وفى ط : « العرائض » صوابه فى س .
(٤) ليست بالأصل . وهى ضرورية .
(٥) ط : « الغرض » صوابه فى س ، هـ .
(٦) العناق ، كسحاب : الأنثى من ولد المعز .
(٧) الصرف : الزيادة . ط ، هـ : « ضرب » صوابه فى س .

لا يكون إلاَّ بمقدار ألم عِشرين دِرَّة[١] . ولعلَّ نتْف جناحِه يَفي بذلك الضرب . وإذا قلنا ذلك فقد أعطينا ذلك الهدهدَ بعينه حقَّ مادلَّت عليه الآية ، ولم نجزْ ذلك فى جميع الهداهد ، ولم نَـكُنْ[٢] كَمَنْ ينكر قدرة الله على أن يُرَكِّبَ[٣] عصفورًا من العصافير ضربًا من التراكيب يكون أدهى من قيس بن زهير[٤] . ولو كان الله تعالى قد فعل ذلك بالعصافير لظهرت كذلك دلائل .

على أنَّا لو تأولْنا الذَّبحَ على مثالِ تأويلِ قولنا فى ذبْح إبراهيم إسماعيلَ[٥] عليهما السلام ــ وَإنما كان ذلك ذبحاً فى المعنى لغيره[٦] ــ أو على معنى قول

(١) أى عشرين ضربة بالدرة . والدرة ، بالكسر : السوط ، ويغلب استعمالها فى سياط السلاطين . وكلة « إلا » ساقطة من س .

(٢) فى الأصل : « ولم يجز ذلك فى جميع الهداهد ولم يكن » .

(٣) ط ، هـ : « تركب » ولاتصح إلا بتقديم « على » على كلة : « قدرة » وصوابها من س .

(٤) الدهاء : جودة الرأى وكمال العقل . وقيس بن زهير هو سيد عبس ، وكان له ضلع كبيرة فى حرب داحس والغبراء ، وهو صاحب داحس . ذكروا من دهائه أنه مر ببلاد غطفان ، فرأى ثروة وعديدا ، فكره ذلك ، فقال له الربيع بن زياد العبسى : إنه يسوءك مايسر الناس ! فقال: ياابن أخى ، إنك لاتدرى. إن مع الثروة والنعمة التحاسد والتباغض والتخاذل ، وإن مع القلة التعاضد والتوازر والتناصر. وكان يقول : « أربعة لايطاقون : عبد ملك ، ونذل شبع ، وأمة ورثت ، وقبيحة تزوجت ! » . انظر أمثال الميدانى (١ : ٢٥٠) . ولحرب داحس والغبراء ، الأغانى (٧ : ١٤٣ ، ١٦ : ٢٣) والعقد (٣ : ٣١٣) والكامل لابن الأثير (١ : ٣٤٣) والميدانى (١ : ٣٥٩ ، ٢ : ٥١) . هـ : « أدمى » وهو تحريف .

(٥) س : « إسحاق » وقد اختلف المؤرخون المسلمون ، وكذلك أصحاب التفاسير فى الذبيح منهما ، والأعرف عنـدهم أنه « إسماعيل » بأدلة سردها البيضاوى فى تفسيره . انظر سورة الصافات ، وليس فى القرآن الكريم نص على أحدمنهما. وفى سفر التكوين ، الأصحاح الثانى والعشرين ، ماينص صراحة على أن الذبيح إسحاق. وإلى هذا الرأى مال معظم الصحابة . انظر المعارف ١٧ وآكام المرجان ٢٠٩ وابن سلام ١٥٨ .

(٦) وهو الكبش ، فإن إسماعيل ، أو إسحاق ، لم يذبح ، وإنما همّ أبوه بذبحه ، ووقع الذبح فعلا على الكبش . س : «ذبحا فى العين» صوابه فى ط ، هـ .

القائل : أمّا أنا فقد ذبحته وضربت عنقَه ، ولـكن السيف خانني . أو على قولهم : المِسْك الذَّبيح[١] ، أو على قولهم : فجئت وقدْ ذَبَحَنِي العطش — لكان ذلك مجازًا .

ولو أنَّ صَبيًّا مِن صبياننا سُئل ، قبل أن يبلغَ فرضَ البلوغ بساعة ، [وكان[٢]] رأى مَلِـكة سبإ[٣] فى جميع حالاتها ، لما كان بعيدًا ولا ممتنعا أن يقولَ : رأيتُ امرأةً ملِـكَةً ، ورأيتها تسجُدللشَّمس من دون الله ، ورأيتُها تُطيعُ الشَّيطانَ وتَعصِى الرَّحمن . ولا سيما إنْ كانَ من صِبيان الخلَفاء والوُزراء ، أو مِنْ صبيان الأعراب .

والدَّليل على أنَّ ذلك الهدهدَ كان مسخَّرا وميَسَّرًا ، مَضِيُّه إلى اليمن ، ورجوعُه من ساعته .

ولم يكن من الطَّير القواطعِ فرجع إلى وكره . والدَّليل على ذلك أنَّ سليمان عليه السلام لم يقل: نعم قد رأيت كلَّ ماذكرتَ ، وأنت لم تعلم حين مضَيت بطّالاً هاربا من العمل ، أتُـكْدِى أم تنجح ؛ أو ترى أُعجوبةً أو لاتراها . ولـكنَّهُ توعَّدهُ على ظاهر الرَّأى ، ونافره القول ؛ ليُظهرَ الآيةَ والأعجوبة .

(طعن الدهرية فى ملك سليمان)

ثمَّ طعَن فى مُلك سُليمانَ ومَلِـكةِ سبإ ، ناسٌ من الدُّهريَّة ، وقالُوا[٤] : زعمتم أنَّ سُليمان سأل ربَّه [فقال] : ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مُلْـكاً لاَيَنْبَغِى لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِى ﴾

(١) أى الذى شقت فأرته . وفأرة المسك : نافجته أى وعاؤه .

(٢) ليست بالأصل ، وبها يصلح الـكلام .

(٣) ليست فى س . وبدلها فى هـ : « سبأ » محرفة عما أثبت من ط .

(٤) فى الأصل : « وقال » .

وأنَّ الله تعالى أعطاه ذلك ، فملَّكه على الجنِّ فضلاً عن الإنْس ، وعلَّمه منطِقَ الطَّير ، وسخَّر له الرِّيح ، فكانت الجنُّ له خَوَلاً ، والرِّياحُ له مسخرة ثمَّ زعمتم ـ وهو إمَّا بالشَّام وإمَّا بسَوَادِ العِراق ـ أنَّه لايعرف باليمن مَلِكَةً هذه صفتُها . ولو كُنا اليومَ دونَ سليانَ فى القدْرة ، لايخفى عليهم صاحب الخَزَرِ ، ولا صاحبُ الروم ، ولا صاحبُ الترك ، ولا صاحب النُّوبة . وكيف يجهل سليانُ موضِعَ هذه المِلكة ، مع قرْبِ دارِها واتِّصالِ بلادها ! وليس دونَها بحارٌ ولا أوعارٌ ؛ والطريق نهجٌ للخُفِّ والحافر والقدَم[١] . فكيف والجنُّ والإنسُ طوعُ يمينه . ولو كان ، حين خبَّره الهدهدُ بمكانها ، أضرَبَ عنها صفحًا ، لكان لقائلٍ أن يقول : ما أتاه الهدهدُ إلاَّ بأمرٍ يعرفه . فهذا وما أشبهَهُ دليلٌ على فساد أخباركم .

٣١

قُلنا : إنَّ الدُّنيا إذا خلاَّها الله وتدبيرَ أهلها، ومجارىَ أمورِها وعاداتها كان لعمرى كما تقولون . ونحن نزعمُ أنَّ يَعْقوبَ بنَ إسحقَ بنِ إبراهيمَ كَانَ أنبهَ أهْلِ زمانِه ؛ لأنّه نبيٌّ ابنُ نبيٍّ . وكان يوسُف وزير مَلِكِ مصر من النَّباهة بِالموضع الذى لايُدفَع[٢] ، وله البُرُدُ[٣] ، وإليه يرجع جوابُ الأَخبار ، ثمَّ لم يعرِفْ يَعقوبُ مكانَ يوسُفَ ، ولا يوسفُ مكانَ يَعقوبَ عَليهما السلام ـ دهرًا من الدُّهور ، مع النَّباهةِ ، والقُدْرةِ ، واتِّصال الدار .

وكذلك القولُ فى موسى بنِ عمرانَ ومَنْ كَانَ معه فى التِّيه[٤] ، فقد

---

(١) طريق نهج : واضح . والخف : أى الإبل . ط ، ه : « الخف » صوابه فى س .

(٢) النباهة : الشهرة . ط ، ه : « ومن » والوجه حذف الواو ، والنص فى س « وللملك النباهة فى الموضع الذى لايدفع » . وليس بشىء .

(٣) البرد : جمع بريد .

(٤) التيه ، هو الموضع الذى ضل فيه موسى عليه السلام وقومه . قال ياقوت : « وهى أرض بين أيلة ومصر وبحر القلزم وجبال السراة من أرض الشام » .

كانوا أمّةً من الامم يتَسكّعُونَ[1] أربعين عامًا، فى مقدارِ فراسخَ يسيرةٍ ولا يهتدون إلى المخرج . وما كانت بلادُ التّيه إلاّ من ملاعبهم ومُنْتَزَهاتهم[2] . ولا يعدم مثـلُ [ذلك[3]] العسكرِ[4] الأَدلاّءَ والجمّالين[5]، والمُكارِينَ[6] ، والفيُوجَ[7] ، والرُّسلَ ، والتّجار . ولكنَّ الله صَرَفَ أوهامَهم ، ورفع ذلك الفَصْلَ[8] من صدورهم .

وكذلك القول فى الشّياطين الذين يسترِقون السّمْعَ فى كلّ ليلة ، فَنَقُولُ[9] : إنّهم لو كان كلما أراد مُرِيدٌ[10] منهم أن يصعَدَ ذَكَرَ أنّه قد رُجم صاحبُه[11] ، وأنّه كذلك منذ كان لم يصل معه أحدٌ إلى استراقِ السّمْع[12] ، كان محالاً أن يرومَ ذلك أحَدٌ منهم مع الذِّكرِ والعِيان .

---

(١) تكسع : ذهب فى ضلاله . ومثله تسكع بتقديم السين . ط ، ﻫ : «يكسعون» والوجه ما أثبت من س .

(٢) كذا بتقديم النون فى الأصل .

(٣) الزيادة من س ، ﻫ .

(٤) كان بنو إسرائيل قد خرجوا ليملكوا الأرض المقدسة بالقتال . انظر تفسير سورة المائدة للآيات ٢٠ ــ ٢٦ وسفر العدد ، الأصحاح ٣٢ ، ٣٣ .

(٥) الجمالين ، بالجيم .

(٦) المكارين : جمع مكار . والمكارى : من يكترى الناس منه دابته ، أى يستأجرونها .

(٧) الفيوج ، بالضم وفى آخره جيم : جمع فيج بالفتح ، وهو رسول السلطان المسرع فى مشيه ، يحمل الأخبار من بلد إلى بلد ، معرب من «پيك» بالفارسية . ط ، س : «الفيوح» صوابه فى ﻫ .

(٨) الفصل هنا بمعنى التمييز . ط ، ﻫ : «القصد» وأثبت ما فى س .

(٩) ط ، ﻫ : «فتقول» بالتاء . صوابه فى س .

(١٠) إن قرئت بالضم ، كانت من أراد بمعنى شاء . وإن قرئت بالفتح كانت من التمرد.

(١١) ط ، ﻫ : «قد رجم أو رجم صاحبه» والوجه ما أثبت من س .

(١٢) س . «سمع» .

ومثل ذلك [أنّا] قد علمْنا أنّ إبْليسَ لايزالُ عاصياً إلى يومِ البَعث . ولو كان إبْليسُ فى حال المعْصِيَة ذَاكِرًا لإخبارِ الله تَعالى[١] أنَّه لايزالُ عاصيًا وهو يَعلم أنّ خَبرَه صِدقٌ ، كان محالاً أنْ تدعُوَه نفسُه إلى الإيمانِ ، ويطمَعَ فى ذلك ، مع تصديقِهِ بأنّه لايختار الإيمانَ أبدًا .

ومن المحال أن يجمَع بين وجودِ[٢] الاستطاعة وعــــدم الدّواعى وجواز الفعل .

ولو أنّ رجلاً عَلِم يقينًا أنّه لاَيخرُج من بيتِهِ يومَه ذلك ، كان محالاً أن تدعُوَه نفسه إلى الخروج ، مع علمه بأنّه لايفعل . ولكِنّ إبْليس لمـا كانَ مصروفَ القَلبِ عن ذِكْرِ ذلك الخبر[٣] ، دخل فى حَدِّ المستطيعين .

ومثل ذلك أنّ النبى صلى الله عَليه وسلم لَمّا بشره الله بالظَّفرِ وتمام الأمر[٤] بشّر أصحابَه بالنَّصر ، ونزولِ الملائكة . ولو كانوا لذلك ذاكرين فى كلّ حالٍ ، لم يكن عليهم مِنَ المحاربة مؤونة . وإذا لم يتكلفوا المؤونة[٥] لم يؤجَروا . ولكِنّ الله تَعالى بنظره إليهم رفَع[٦] ذلك فى كثيرٍ من الحالات

---

(١) كذا فى س . وفى ط : « ذكر إخبار الله تعالى » وفى هـ : « ذاكرا الأخبار الله تعالى » وما فى هـ محرف .

(٢) فى الأصل : « وجوب » بالباء .

(٣) أى عن تذكر ذلك الخبر .

(٤) الكلام من أول الفقرة إلى هنا ساقط من س . والجاحظ يشير بكلامه هذا إلى ما كان فى وقعة أحد ، ممـا تشير إليه الآيات ١٢٢ — ١٢٦ من ســورة آل عمران .

(٥) س ، هـ : « المؤن » .

(٦) س : « دفع » بالدال .

عن أوهامهم ؛ ليحتملوا[1] مشقَّة القِتال ، وهم لايعلمون: أيغلِبُون أم يُغْلَبون أو يَقْتُلُونَ أم يُقتلون.

٣٢ ومثل ذلك مارفع من أوهام العَرب ، وصرف نفوسهم عن المعارَضَةِ للقرآن ، بَعْدَ أنْ تحدَّاهم الرَّسولُ بنظْمه . ولذلك لم نَجِدْ أحَدًا طمِع فيه . ولو طمِعَ فيه لتكلفه، ولو تكلف بَعضُهُمْ ذلك فجاء بأمرٍ[2] فيه أدنى شُبهة لعظمت القصَّة على الأعراب وأشباهِ الأَعْراب ، والنِّساءِ وأشباه النساء ، ولَأَلْقَى ذلك للمسلمين عملاً ، ولطَلَبوا المحاكمةَ والتراضى ببعض العرب ، ولكثُرُ القيلُ والقال .

فقد رأيتَ أصحابَ مُسَيْلِمَة[3] ، وأصحاب بنى النواحة[4] إنما تَعَلَّقُوا بما ألَّف لهُمْ مُسَيلمة من ذلك الكلام ، الذى يَعلَمُ كلُّ مَن سَمِعه أنَّه إنما عَدا على القرآن فسلَبه ، وأخَذَ بعضَه ، وتَعاطى أن يُقَارِنَه . فكان لله ذلك التَّدبيرُ ، الذى لايبلغه العِبادُ ولو اجتمَعوا له .

فإنْ كان الدَّهرىُّ يريدُ من أصحَابِ العِبَادَاتِ والرُّسُلِ ، ما يريد من

(١) س : « ليتحملوا » .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) هو أبو ثمامة ، مسيلمة بن حبيب الحنفى من أهل اليمامة ، ادعى النبوة بمكة قبل الهجرة ، وصنع أسجاعا ، عارض فيها بزعمه القرآن ، منها قوله : « والشمس وضحاها . فى ضوئها ومجلاها . والليل إذا عداها . يطلبها ليغشاها . فأدركها حتى أتاها . وأطفأ نورها ومحاها » وقوله : « ياضفدع نقى نقى . كم تنقين . لا الماء تكدرين . ولا الشرب تمنعين » وكان قد قوى أمره فى اليمامة ، وظهر جدا بعد وفاة الرسول ، فأرسل أبو بكر خالد بن الوليد فى جيش لمقارعته ، فكان له النصر على بنى حنيفة فى يوم اليمامة ، وقتل مسيلمة وكثير من أتباعه ، واستشهد من المسلمين ألف ومائتا رجل .

(٤) كذا بالأصل .

الدَّهريّ الصِّرفِ ، الذى لا يُقِرُّ إلا بما أوجَدَه العِيان ، وما يَجرِى مَجرَى العِيان ــ فقَدْ ظَلَمَ .

وقَد علِم الدَّهريُّ [أننا نعتقِد(١)] أنّ لنا ربًّا يخترع الأجسامَ اختراعا وأنّهُ حَيٌّ لا بحياة ، وعالِمٌ لا بعلم(٢) ، وأنّه شىءٌ لا ينقسم ، وليس بِذِى طُول ولا عرْض ولا عُمق ، وأنّ الأنبياء تحيي(٣) الموتى . وهذا كلُّه عنْدَ الدهريِّ مستنكَر ، و إنمَا كان يكون له علَيْنا سبيل(٤) لو لم يكن الذى ذكرنا جائزا فى القِياس ، واحتجْنا إلَى تثبيت الرُّبوبيَّةِ وتصديقِ الرِّسالة ، فإذا كان ذلك جائزًا ، وكانَ كونُه غيرَ مستنكَرٍ ، ولا محالٍ ، ولا ظُلمٍ ، ولا عيبٍ ، فلم يبقَ له إلاَّ أنْ يسألَنَا عن الأصْلِ الذى دعا إلى التَّوحيدِ ، وإلَى تثبيت الرسل .

وفى كتابنا المنزل الذى يدلُّنا على أنّه صِدْقٌ ، نَظْمُه البديع الذى لا يقدِر على مثله العباد ، معَ ماسِوَى ذلك من الدَّلائِلِ التى جَاء بها مَنْ جَاء به .

وفيه مسطورٌ أنّ سليمانَ بنَ داودَ غبَرَ حِيناً ــ وهو ميّت ــ معتمِدًا على عصاه ، فى الموضع الذى لا يُحْجَب عنه إنْسِيٌّ ولا جِنِّيٌّ ، والشَّياطينُ منهُمْ المَكْدُودُ بالعَمَل الشديد(٥) ، وَمِنْهُمْ المحبوسُ والمستعبد ، وكانوا كما قال

---

(١) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إلى مثلها .

(٢) هذا مذهب المعتزلة ؛ إذ ينفون عن الله عز وجل صفاته الأزلية ، فيقولون : ليس لله علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا أى صفة أزلية .

(٣) ط ، هـ : « تحى » صوابه فى س .

(٤) بدله فى س : « وإنما كان يكون له علة » .

(٥) المكدود : المرهق المتعب . ط ، هـ : « بالغل الشديد » والأوجه ما أثبت من س .

الله تعالى: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِى[(١)] وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾ وقال : ﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ . وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى الْأَصْفَادِ ﴾ ، وَأَنَّهُ غَبَرَ كذلك حيناً وهو تُجاهَ أعينِهم[(٢)] ، فلاهُمْ عرفُوا سجيَّةَ وُجوهِ الموتَى ، ولا هو إذْ كان ميِّتاً سقط سُقوطَ الموتى . وثبتَ قائماً معتمداً[(٣)] على عصاه ، وعصاه ثابتةٌ قائمةٌ فى يده ، وهو قابضٌ عليها . وليستْ هذه الصِّفَةُ صفةَ موتانا .

وقال : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِى الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ ونحنُ دونَ الشَّياطينِ والجنِّ فى صِدْق الحسِّ ، ونُفوذِ البصر . ولوْ كُنَّا مِن بعضِ الموتى بهذا المكان ، لما خَفِىَ علينا أمرُه وكان أدنى ذلك أنْ نظنَّ ونرتاب . ومتى ارتابَ قومٌ وظنُّوا وماجُوا[(٤)] وتكلموا وشاوروا ، لَقِنُوا وثُبِّتُوا[(٥)] . ولا سيَّما إذا كانوا فى العذاب ورأوْا تَباشيرَ الفرَج .

٣٣

---

(١) الجوابى : جمع جابية ، وهو الحوض الجامع . وإثبات الياء فى آخر الكلمة وصلا ووقفا قراءة ابن كثير ومجاهد ، وإثباتها وصلا فقط قراءة ورش وعاصم . وحذفها وصلا ووقفا قراءة الباقين . وهذه القراءة الأخيرة هى مافى س ، ه . وما أثبت من ط هو القراءة الأولى .

(٢) تجاه ، يصح ضبطها بالضم والكسر والفتح . عن القاموس .

(٣) ط : « معتمد » وهو خطأ ظاهر .

(٤) ه : « وناجوا » أى ناجى بعضهم بعضاً .

(٥) لقنوا : عرفوا وفهموا . فى الأصل : « ولقنوا » وإنما هو جواب الشرط . و« ثبتوا » أى سكنت قلوبهم بقوة البرهان والدلالة . وفى الكتاب : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك » .

ولولا الصَّرْفة[1] التى يُلقيها الله تعالى على قَلْبِ مَنْ أَحَبَّ ، و[لولا[2]] أنّ الله يقدِرُ على أنْ يشغَلَ الأوهامَ كيف شاء ، ويذكِّر بما يشاء، ويُنَسِّى مايشاء ، لما اجتمع أهلُ داره وقصْره ، وسُوره ورَبَضِه[3] ، وخاصَّتُه ، ومن يخدُمه من الجنِّ والإنْس والشَّياطين ، على الإطباق بأنّه حَىٌّ . كذلك كان عندهم . فحدث ماحَدَث من موته ، فلمَّا لم يشعرُوا به كانوا على مالم يزالوا عليه . فعلِمْنا أنَّ الجنَّ والشَّياطينَ كانت تُوهِم الأغبياء والعَوَامَّ ، والحُشْوَة[4] والسَّفلة ، أنَّ عندهما شيئاً من عِلْمِ الغيب ـ والشياطين لاتعلم ذلك ـ فأرادِ الله أنْ يكشِف من أمْرِهم للجُهَّال ما كان كَشَفَه للعلماء . فبهذا وأشباهه من الأمور نحنُ إلى الإقرار به مضطرون[5] بالحجَج الاضطراريَّة فليس لخصومنا حِيلةٌ إلاَّ أن يوافِقُونَا[6] ، وينظروا فى العلَّة التى اضطرتنا إلى هذا القول ؛ فإن كانت صحيحةً فالصَّحيحُ لايُوجِب إلا الصحيح . وإنْ كانت سقيمةً علِمْنا أنَّما أُتينا من تأويلنا[7] .

وأما قوله : ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ ﴾ فإنَّ التَّعذيبَ يكون بالحبس ، كما قال الله

---

(١) الصرفة ، بالفتح : أن يصرف الله عبده عن أمر . ط : « المعرفة » س : « الصدقة » صوابهما فى هـ .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) الربض ، بالتحريك : سور المدينة .

(٤) الحشوة ، بالضم والكسر : أصله الدغل فى الأرض . أراد به الدون من الناس .

(٥) س : « مضطرين » .

(٦) يوافقونا ، بتقديم القاف : من الموافقة ، وهى أن يقف المرء مع غيره فى خصومة ومجادلة . وفى الأصل : « يوافقونا » بتقديم الفاء ، وليس بشىء .

(٧) أتينا : أى قهرنا وغلبنا . وفى الأصل : « أوتينا » ولا يصح بها الكلام . ط ، هـ : « أن ما » والوجه ما أثبت من س . وفى س أيضاً « علم » مكان « علمنا » و « أقاويلنا » موضع « تاويلنا » .

عزَّ وجلَّ: ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَالَبِثُوا فِى الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ . وإنّما كانُوا مُخَيَّسِينَ[1] .

وقد يقول العاشق لمشوقتِه : يامعذِّبتى ! وقد عذَّبتنى[2] !

ومن العذَابِ ما يكُونُ طويلاً ، ومِنْه ما يكونُ قصيرَ الوقْت . ولو خَسفَ اللهُ تَعالى بقومٍ فى أقلَّ من عُشْر ساعة[3] لجاز لقائل أن يقول : كان ذلك يومَ أحلَّ اللهُ عذابَه ونقِمتَه ببلاد كذا وكذا .

(قوة الخنزير وشدة احتماله)

وقال أبو ناصرة : الخنزير ربَّما قتل الأسد ، وما أكْثرَ مايَلْحَقُ بصاحب[4] السَّيفِ والرُّمح ، فيضربُه بنابِهِ ، فيقطَعُ كلَّ ما لقيه من جسَده : من عظمٍ وعصَبٍ ، حتى يقتلَه . وربَّما احتال أن ينبَطح[5] على وجهِ على الأرض ، فلا يغنى ذلك عنْه شيئاً :

وليس لشىءٍ من الحيوان كاحتمال بدنِه لِوَقْع السهام ، ونفوذِها فيه .

(بعض طباع الخنزير)

وهو مع ذلك أرْوَغُ من ثعلب ، إذا أراده الفارس . وإذا[6] عدا أطمَعَ فى نفْسه كلَّ شىء ، وإذا طولب أعيا الخيْلَ العِتاق . والخنزيرُ

(١) المخيس ، هو من قولهم : إبل مخيسة : لاتسرح . ط : « محبوسين » وهى صحيحة بمعنى « مخيسين » . س ، هـ : « محبسين » تحريف ما أثبت .
(٢) ط ، هـ : « عذبتينى » .
(٣) ط ، س : « ساعات » والوجه فيه ما أثبت من هـ .
(٤) س : « صاحب » .
(٥) كذا على الصواب فى س . وفى ط ، هـ : « ينتطح » .
(٦) س : « فإذا » .

مع ذلك أنسَلُ الخلق ؛ لأنَّ الخِنزِيرةَ تَضَعُ عِشرين خِنَّوْصاً ، وهو مع كثرة إنساله — مِنْ أقوى الفحُول على السِّفاد ، ومَعَ القوّة على السِّفاد هو أطولها مُكْثاً فى سفادِه ، فهْوَ بذلك أجمَعُ للفحُولة[1] .

٣٤ وإذا كانَ الكلبُ والذِّئبُ موصوفَين بشدّة القَلْبِ : اطُول الخَطْم[2] ، فالخنْزِيرُ أولى بذلك .

وللفِيل نابٌ عجيب ، ولكِنَّهُ لقصر عنقه لايبلغ النَّابُ مبلغا[3] ، وإنَّمَا يستعينُ بخُرطومِهِ ، وخُرطومُهُ هو أنفه ، والخَطْمُ غير الخرطوم .

(ماقيل فى طيب لحمه وإهالته)

قال أبو ناصرة : وله طيبٌ ، وهُو طِيبُ لحمِه ولحمُ أولاده[4] . وإذا أرادُوا وصفَ اختلاط[5] وذَكِ الكُرْكِيِّ[6] فى مَرَق طبيخ ، قالُوا كأنَّ إهالتَه إهالةُخنزير[7] ؛لأنَّه لايسرع إليها[8] الجمود . وسرعةُ جمودِ إهالة الماعز

---

(١) فى الأصل : « أجمع الفحولة » ولا تصح . وفى ط ، ﻫ زيادة : « بهذا » فى آخر الجملة ولا وجه لها كما فى س .

(٢) سبق مثل هذا الكلام فى (٢ : ٢١٣ س ١) .

(٣) ط : « لقصر عنقه لايبلغ الباب يقصر عنه ولا يبلغ » الخ . وأثبت صوابه من س ، ﻫ .

(٤) بدل هذه العبارة فى ﻫ : « وله طيب لحمه » فقط . وجملة « وله طيب » ساقط من س .

(٥) كذا على الصواب فى ﻫ . وفى ط ، س : « اختلاف » .

(٦) الكركىّ ، بالضم : طائر كبير أغبر اللون أبتر الذنب طويل العنق والرجلين : Crane . قال الدميرى : « وللملوك مصر وأمرائها فى صيده تغال لايدرك حده ، وإنفاق مال لايستطاع حصره وعده » . ط : « الكركى » صوابه فى س ، ﻫ .

(٧) الإهالة ، بالكسر : الشحم . والودك : الدسم . ﻫ : « إهاله إهال خنزير » محرف .

(٨) س : « إليه » محرف .

فى الشِّتاء عيب . وللضَّأن فى ذلك بعضُ الفضيـــلة على الماعز ؛ ولا يلحق بالخنزير .

(قبول عظم الخنزير للالتحام بعظم الانسان)

وإذا نقص من الإنسان عَظْمٌ واحْتيجَ إلى صِلتهِ فى بعض الأمراض لم يلتحِمْ بهِ إلاّ عَظْمُ الخنْزِير .

(صوت الخنزير)

وإذا ضُرِب فصاح لم يكن السَّامِعُ يفصِلُ بينَ صَوته و بينَ صوت صبيٍّ مضروب[1]

(طيب لحمه)

وفى إطباقِ جميع الأممِ على شهوةِ أكله واستطابَةِ لحمِهِ ، دليلٌ على أنَّ له فى ذلكَ ماليس لغيْره .

(زعم المجوس فى المنخنقة ونحوها)

والمجوس تزعم أنَّ المُنخنقَة والموقُوذَة والمتردِّية[2] ، وكلَّ ما اعْتُبِط ولم يمت حَتْفَ أنفِه[4] ، فهو أطْيب لَحْماً وأحلى ؛ لأنَّ دَمَه فِيهِ ، والدم حُلوٌ

---

(١) وقد تهيأ لابن آوى مثل هذا الصوت كما سيأتى فى (٥ : ٨٩) .

(٢) س : « المنخنق والموقوذ والمتردى » . وانظر ماسبق ص ٥٦ .

(٣) اعتبط ، بالبناء للمفعول : مات من غير علة . ويقال مات حتف أنفه : أى بلا ضرب ولا قتل . ط ، هـ : « وكلما اعتبط » الخ وصواب كتابته ما أثبت . وبدلها فى س : « إذا اعتبط » الخ .

دَسِمٍ . وإنما عافَه مَن عافَه من طَريق العادة والدِّيانة ، لا من طريق الاستقذار والزُّهْدِ الذى يكُونُ فِي أصل الطبيعة .

(اختلاف ميل الناس إلى الطعام)

وقد عافَ قومٌ الجِرِّيَّ والضِّبابَ[1] على مثل ذلك ، وشُغِف بِهِ آخرون .

وقد كانت العربُ فى الجاهليَّة[2] تأكل دمَ الفصْد[3] ، وتفضِّل طَعمه ، وتُخبِر عمَّا يورثُ من القوَّة .

قال : وأىُّ شىء أحسَنُ من الدّم ، وهل اللَّحمُ إلا دَمٌ استحالَ كما يستحيل اللَّحمُ شحما ؟! ولكنّ الناس إذا ذَكروا معناه ، ومن أين يخرج وكيف يخرج ، كانَ ذلِكَ كاسِرا لهُمْ ، ومانعًا من شهوتِه .

(بعض مايغير نظر الانسان إلى الأشياء)

وكيف حال النَّار فى حسنها[4] ، فإنَّه ليس فى الأرض جسمٌ لم يصبغ أحسن منْه[5] . ولَوْلاَ معرفتهُمْ بقتْلها وإحْراقها وإتلافها ، والألم والحُرْقةِ المولدين[6] عنها ، لتضاعف ذلك الحُسْن[7] عِنْدَهُمْ . وإنَّهم ليَرَوْنَها

---

(١) الجرّىّ ، بالجيم المكسورة بعدها راء مشددة مكسورة : ضرب من السمك سبق الكلام عليه فى (١ : ٢٣٤) . والضباب ، بالكسر : جمع ضب .

(٢) ط : « فالجاهلية » صوابه فى س ، هـ .

(٣) وذلك بأن يضعوا الدم ، بعد فصده فى الأمعاء ويشوونها . انظر ص ٥٦

(٤) س : « جنسها » وأراه تحريفاً .

(٥) كذا فى ط ، س . وفى هـ : « لم يصنع أحسن منه » .

(٦) ط : « المولودين » صوابه فى س ، هـ .

(٧) س : « الحس » محرف .

فى الشِّتاء بغير العُيونِ التى يرونَها بها فى الصَّيف . ليس ذلك إلاَّ بقدْر ما حدَثَ من الاستغناء عنها .

وكذلك جِلاء السَّيف ؛ فإنَّ الإنسانَ يَستحسِنُ قَدَّ السَّيفِ وخَرْطَه ، وَطبْعَهُ وبرِيقَه . وإذا ذكر صنيعَه والذى هُيِّئَ له ، بَدَا لهُ فى أكثرِ ذلك[١] ، وتبدَّل فى عينه ، وشغَلَه ذلك عن تأمُّل محاسنه .

ولولا علْم النَّاس بعداوة الحيَّاتِ[٢] لهم ، وأنَّها وحشيَّة لا تَأْنَس ولا تقبل أَدَبًا ، ولا تَرْعَى حقَّ تربية ، ثمَّ رأَوا شيئًا من هذه الحيَّاتِ[٢] ، البيض ، المنقَّشَةِ الظُّهور — كَمَا بَيَّتُوها ونوَّمُوها إلاَّ فى المهد ، مع صِبيانهم .

(ردٌّ على من طعن فى تحريم الخنزير)

فيقال لصاحب هذه المقالة[٣] : تحريم الأغذيَةِ إنَّمَا يكونُ من طريق العبادة والمِحْنة ، وليس أنَّ جوهَرَ شىء من المأكول[٤] يوجِبُ ذلك . ٣٥
وإنَّمَا قلنا : إنَّا وجدْنا الله تعالى قد مسَخَ عبادًا من عباده فى صُوَرِ الخنزير [دونَ بقيَّةِ[٥] الأجْناس ، فعلمنا أنَّه لم يَفعَلْ ذلك إلاَّ لِأُمورٍ اجتمعتْ فى الخنزير[٦]]. فكان المسخ على صورته أبلغَ من التَّنكيل. لم تقُلْ إلاَّ هذا

(١) بداله : أى نشأ له رأى آخر .
(٢) ط : « الحياة » وإنما هو جمع حية كما فى س ، هـ .
(٣) هذا البحث الآتى متعلق بما سبق فى ص ٢٥ — ٢٧ ساسى وليس له ارتباط بما مر قريباً .
(٤) إلى هذه الكلمة ينتهى المجلد الأول من النسخة الخطية المرموز إليها برمز « س » وتبتدئ المعارضة بعدها من أول المجلد الثانى منها .
(٥) هـ : « جميع » .
(٦) الزيادة من س ، هـ .

(طباع القرد)

والقرد يَضحَكُ ويَطرَب ، ويقعى ويَحكى ، ويتناولُ الطَّعامَ بيديه ويضعُه فى فيه ، ولَهُ أصابعُ وأظفار ، ويَنقى[1] الجوز ، ويأنس الأُنْسَ الشَّديد ، وَيَلْقَنُ بالتَّلقين الكثير ، وإذا سقَط فى الماء غرِق ولم يسبَحْ ؛ كالإنسانِ قبلَ أنْ يتعلَّمَ السِّباحة . فلم تجد النَّاسُ للذى اعترى القِرْدَ من ذلك ـ دونَ جميعِ الحيوان عِلّةً ـ إلاَّ هذه المعانى التى ذكرتها[2] ، من مناسبَة الإنسانِ مِنْ قِبَلِها .

ويُحكى عنه من شدَّة الزَّواج ، والغَيرةِ على الأزواج ، مالا يحكى مثلُه إلاَّ عن الإنسان ؛ لأنَّ الخنزيرَ يَغَارُ ، وكذلك الجملُ والفرَسُ ، إلاّ أنهَا لاتزاوج . والحمارُ يَغارُ ويحمى عانَتَهُ الدَّهر كُلَّه[3] ، ويضربُ فيها كضربه لو أصابَ أتَاناً من غيرها وأجناس الحمام تزاوج ولا تغار .

واجتمعَ فى القرد الزَّواج والغَيرة ، وهما خَصلتانِ كريمتان ، واجتماعُهما من مفاخرِ الإنسانِ على سائر الحيوان . ونحن لم نَرَ وجْهَ شىء غيرِ الإنسان أشبَهَ صورةً وشبها ، على مافيه من الاختلاف ، ولا أشبَهَ فماً ووجهًا بالإنسان من القِرْد . ورُبّما[4] رأيْنا وجهَ بَعْضِ الحمر[5] إذا كان ذا خطْمٍ ، فلا نَجِدُ بَيْنَهُ وبين القِرْدِ إلاّ اليسيرَ .

---

(١) أصله من قولهم : نقى العظم نقياً : استخرج نقيه . والنقى بالكسر : مخ العظام وشحمها . فالمعنى يستخرج لب الجوز .

(٢) س : « ذكرناها » .

(٣) العانة . جماعة الحمر الوحشية.

(٤) ط : « وبما » تصحيحه من س ، ه .

(٥) المراد بالحمر هنا الروس . وجاء فى التنبيه والإشراف ١٢٢ : « والروم تسميهم روسيا . معنى ذلك : الحمر » . فى الأصل : « بعض وجه الحمر » .

(أمثال فى القرد)

وتقول[١] الناس: « أكْيسُ من قِشَّةٍ[٢] » و « أمْلَحُ مِنْ رُبَّاحٍ[٣] » ولم يقل أحد : أكيس من خِنزير ، وأملحُ من خِنّوص . وهو قول العامّة : « القرد قبيحٌ ولكنّه مليح » .

(كفّ القرد وأصابعه)

وقال النّاس فى الضبّ : إنه مِسخٌ . وقالوا : انْظُر إلى كفّه وأصابعه . فكَفّ القرد وأصابعهُ[٤] أشْبَهُ وأصنعُ . فقدّمَتِ القردَ على الخنزير من هذا الوجه .

(علة تحريم لحم الخنزير)

وأمّا القولُ فى لحمه ، فإنّا لم نزعمْ أنّ الخنزيرَ هو ذلك الإنسانُ الذى مُسخ ، ولا هو من نَسله ، ولم ندَعْ لحَمُهُ من جهة الاستقذارِ لشَهْوته فى العَذِرة ، ونحن نجد الشَّبُّوط والجِرّىّ[٥] ، والدّجاج ، والجَرادَ ، يشاركْنهُ فى ذلك ولكن للخصال التى عدّدنا من أسباب العبادات . وكيف صار أحقّ بأنْ تمسخ الأعداء[٦] على صورته فى خلقتِهِ .

---

(١) س : « ويقول » .

(٢) القشة ، بالكسر : القردة ، أو ولدها الأنثى .

(٣) الرباح ، كرمان : القرد الذكر .

(٤) ط : « فكيف والقرد أصابعه » وهو — لاجرم — تحريف .

(٥) الشبوط والجرى : ضربان من ضروب السمك . وانظر مثل هذا الكلام فى (١ : ٢٣٥) .

(٦) أى أعداء الله .

(حديث عبيد الكلابى)

قال : وقلت مَرّةً لعبيد الكلابىّ ـ وأظهرَ مِن حُبّ الإبل والشّغَفِ بها مادَعانى إلى أن قلت لَهُ ـ : أبينها و بينكم قرابة[1] ؟ قال : نعم ، لها فينا خُؤولة. إنّى والله ماأعنى البَخاتىّ ، ولكنى أعنى العِرَاب ، التى هى أعرب! قلت لَهُ : مَسَخَكَ الله تعالى بعيرًا ! قال : الله لايمسخُ الإنسانَ على صُورةِ كريمٍ ، و إنما يمسخه على صورةٍ لئيم ، مثل الخنزير ثم القرد[2] .

فهذا قولُ أعرابىٍّ جِلفٍ[3] تكلم على فِطرته .

(قول فى آية)

٣٦ وقد تكلم المخالفُون فى قولِهِ تعالى : ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ[4]﴾ .

وقد طعَن ناسٌ فى تأويل هذه الآيةِ ، بغيرِ علمٍ ولا بيانٍ ، فقالوا : وكيف يكون ذلك وليس بين أن تجىء[5] فى كلّ هلال فرقٌ ، ولا بينها إذا جاءت فى رأس الهلال فرقٌ ، ولا بينَها إذا جاءتْ فى رأس السَّنَةِ فرق .

---

(١) س : « أبينكم وبينها قرابة » .

(٢) ط ، هـ : « الخنزير والقرد » .

(٣) الجلف ، بالكسر : الرجل الجافى .

(٤) هذه القرية هى أيلة ، أو مدين ، أوطبرية ، وكل منها حاضرة البحر أى قريبة منه. « يعدون فى السبت » : يتجاوزون حدود الله بالصوم يوم السبت . « يوم سبتهم » أى يوم تعظيمهم أمر السبت ، سبتت اليهود : عظمت سبتها . « شرعا » : ظاهرة على وجه الماء .

(٥) كذا الصواب فى س . وفى ط ، هـ : « يجىء » .

(هجرة السمك)

وهذا بحرُ البَصرةِ والأُبلّة ، يأتيهم ثلاثةَ أشهرٍ معلومة معروفة [من السنة] السَّمكُ الأسْبور(١) ، فيعرفون وقتَ مجيئهِ وينتَظِرُونه ، ويَعرِفون وقتَ انقطاعه ومجيء غيره ، فلاَ يمكث بهم الحالُ إلاّ قليلاً حتَّى يُقبِلَ السَّمكُ من ذلك البحر ، فى ذلِكَ الأوان ، فَلاَ يَزَالونَ فى صَيْدِ ثَلاَثَةَ أشهرٍ معلومةٍ من السَّنَةِ ، وذلِكَ فى كلِّ سنةٍ مرَّتين لكل جنس . ومعلومٌ عندهم أنه يكون فى أحــد الزمانين أسمَنَ ، وهو الجُواف(٢) ، ثمَّ يأتيهم الأسْبور(٣) ، على حساب مجيء الأسبور(٤) والجُوافِ . فأمّا الأَسْبور فهو يقطع إليهم من بلادِ الزِّنج . وذلِكَمعْرُوفٌ عند البحْريِّينَ . وأنَّ الأَسْبور فى الوقت الذى يقطَع إلى دِجلةِ البصرة لايوجَد فى الزِّنج ، وفى الوقت الذى يُوجَدُ فى الزنج لايوجد فى دِجلة(٥) . وربَّما اصطادُوا منها شيئا فى الطريق فى وقت قطعِهاَ المَعْرُوفِ(٦) ، وفى وقت رجوعها . ومَع ذلِكَ أصنافٌ من

---

(١) سبق الكلام عليه فى (٣ : ٢٥٩) . وفى الأصل : « الأشبور » محرف .

(٢) فى الأصل : « الجراف » . وانظر ما أسلفت من التحقيق فى (٣ : ٢٥٩) .

(٣) فى الأصل : « الأشبول » . وهو تحريف . انظر له (٣ : ٢٥٩) .

(٤) ط ، هـ : « الأشبول » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) س : « الدجلة » وإدخال « أل » على « دجلة » خطأ ، فإن المعرفة لاتعرف . وانظر لأشباه هذا الوهم درة الغواص ٢٥

(٦) يقال قطع الطائر والسمك : إذا انتقل من بلد إلى بلد .

السمك كالإِرْبيان[١] ، والرَّقّ[٢] ، والكَوْسَج[٣] ، والبرد[٤] ، والبَرَستُوج[٥] . وكلُّ ذلك معْرُوف الزَّمانِ ، متوقعُ المَخرَج .

وفى السَّمك أوابدُ وقواطع ، وفيها سيّارةٌ لاتقيم . وذلك الشَّبَهُ يُصابُ . ولذلك صارُوا يتكلمُونَ بخَمْسَةِ السنة[٦] ، يهذُّونها[٧] ، سوى ماتَعَلَّقُوا به من غيرها .

ثمَّ القواطع من الطير قد تأتينا إلى العِراق منهم[٨] فى ذلك الإِبَّان جماعاتٌ كثيرةٌ ، تَقْطَعُ إلينا ثمَّ تَعُودُ فى وقتها .

---

(١) الإربيان ، بالكسر : ضرب من السمك ، يعرف فى مصر باسم : «الجنبرى» ، كما فى معجم المعلوف . وقد سبق للجاحظ كلام فيه ، انظر (١ : ٢٩٧ س ٦) وفى الأصل : «الأرسان» محرف عما أثبت .

(٢) الرق : السلحفاة المائية .

(٣) الكوسج : سمك بحرى كبير عظيم الضرر تخافه دواب البحر ، ويعرف باسم «القرش» أيضاً فى سواحل البحر الأحمر .

(٤) كذا . ولعله : «البز» أو «البزون» وهو نوع من السمك معروف بالعراق

(٥) البرستوج : سمك قدمت تحقيقاً فيه بالجزء الثالث ص ٢٥٩ — ٢٦٠ وهو من السمك الذى يقطع إلى البصرة كما فى (٣ : ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٣) وهذه الكلمة مضطربة فى الأصل : فهى فى ط : «الكرنوح» و س : «الكونوح» و ه : «الكرموح» وهى تحريفات عجيبة لما أثبت .

(٦) لعله إشارة إلى الأصناف الخمسة المتقدمة .

(٧) هذ الحديث يهذه : سرده . وفى الأصل : «يهدونها» بالدال المهملة ، ولا وجه له .

(٨) جعل لغير العاقل ضمير العاقل ، وهو جائز . وفى القرآن : «يأيها النمل ادخلوا مساكنكم» «والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه» «لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون» «إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين» .

(رد على المعترض)

قُلْنا لهؤلاء القَوْم : لَقَدْ أصبتم فى بَعض ماوصفتم ، وأخْطأتم فى بَعض .
قال الله تعالى : ﴿ إذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لاَيَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ ﴾ ويومُ السبتِ يدورُ مَعَ الأَسابيعِ ، والأَسابيعُ تدور مع شهورِ القَمَرِ [(١)] .وهذا لايكونُ مَعَ استواءٍ من الزمان. وقد يكونُ السبتُ فى الشتاء والصَّيف والخريف ، وفيما بين ذلك . ولَيْسَ هذا من باب أزمان قواطع السَّمكِ [(٢)] وهَيْجِ الحَيَوان وطلب السِّفاد ، وأزمان الفلاحَةِ ، وأوقاتِ الجَزْر والمَدّ ؛ وفى سبيل الأَنواء ، والشجر كيْفَ يَنْفُضُ [(٣)] الوَرَق والثمار ؛ والحيّاتِ كَيف تَسلَخُ [(٤)] ، والأَيائِلُ كَيف تُلقِى قُرونَها [(٥)] ، والطيرِ كيف تَنطق ومتى تسكت .

٣٧ ولو قال لَنَا قائل: إنى نَبِىٌّ [و [(٦)]] قُلْنَا لَهُ: وما آيتك ؟ وماعلامتك ؟ فقال : إذا كان فى آخر تَشرينَ الآخِرِ أقبل إليكم الأَسْبُور [(٧)] من جهة البحر ـ ضَحكُوا منـه وسخِروا بِهِ . ولو قال : إذَا كانَ يَوْمُ الجُمَعَة أو يومُ الأَحَد أقبـل إلَيكم الأَسْبُور [(٧)] ، حَتَّى لايزالُ يصنع ذلك فى كلّ

(١) ط : « القمرية » صوابه فى س ، هـ .
(٢) س : « وليس هذا مرتين كأزمان قواطع السمك » .
(٣) ينفض ، بالفاء : يسقط الورق أو الثمر . ط ، هـ : « ينقض » صوابه فى س وقد سبق مثله فى (٣ : ٢٣٢ س ١٤) .
(٤) يقال سلخت الحية تسلخ من بابى نصر ومنع ، وانسلخت تنسلخ : إذا انسرت من جلدتها . جاء فى س : « تنسلخ » وكلمة « الحيات » ســاقطة من س وموضعها فى ط ، هـ بعد كلمة « تسلخ » وقد رددتها إلى موضعها الطبيعى الملائم
(٥) الأيل ينصل قرنه فى كل سنة ، كما سبق فى (٣ : ٢٣٢ س ١٣ ، ١٤) .
(٦) ليست بالأصل ، والـكلام فى حاجة إليها .
(٧) فى الأصل : « الأشبور » . وانظر التنبيه الأول من الصفحة ١٠١

جمعة ــ علِمْنا اضطرارًا إذَا عايَنَّا الذى ذَكَرَ على نَسَقه أنّه صادق ، وأنّه لم يعلمْ ذلك إلاّ من قِبَلِ خالِق ذلك[١] . تعالى الله عن ذلك .

وقد أقرَرْنا بعجيبِ مانرى من مطالع النُّجوم ، ومن تناهى المدّ والجزْر على قدر امتلاءِ القمر ونُقصانه ، وزيادته ومحاقه[٢] ، واستراره[٣] . وكلُّ شىء يأتى على هذا النَّسقِ من المجارِى ، فإنَّما الآيةُ فيه لِلهِ وحــــدَه على وحدانيَّته .

فإذا قال قائلٌ لأهل شريعةٍ[٤] ولأهل مُرسًى ، من أصحابِ بحرٍ أو نهر أو وادٍ ، أو عينٍ ، أو جدول : تأتيكم الحِيتانُ فى كلّ سبت . أو قال : فى كلّ رمضان . ورمضانُ متحوِّلُ الأزمانِ فى الشِّتاءِ والصيف ، والرَّبيعِ والخريفِ . والسَّبتُ يتحوّل فى جميع الأزمان . فإذا كان ذلك كانتْ تلك الأعجوبةُ[٥] فيه دالةً على توحيد الله تعالى ، وعلى صِدقِ صاحب الخبَر ، وأنّه رسولُ ذلك المسخِّر لذلك الصِّنف . وكان[٦] ذلك المجىء خارجًا من النَّسق القائم ، والعادةِ المعروفة . وهذا الفرقُ بذلك بَيِّنٌ . والحمدُ لله .

---

(١) بدله فى ط ، هـ : « السمك » .

(٢) المحاق ، مثلثة : آخر الشهر ، أو ثلاث ليال من آخره ، أو أن يستسر القمر فلا يرى غدوة ولا عشية .

(٣) استرار القمر : أن يختفى ، وذلك ليلة ثمان وعشرين ، وإذا كان الشهر ثلاثين فسراره ليلة تسع وعشرين . فى ط ، هـ : « إسراره » صوابه فى س . وبعد هذه الكلمة فى ط : « واستدارته » .

(٤) الشريعة ، هنا مورد الماء .

(٥) س : « فإن كان ذلك كانت أعجوبة » .

(٦) ط ، هـ : « فكان » .

(شنعة الخنزير والقرد)

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ وفى الموضعِ الذى ذكَرَ أنَّه مسَخَ ناسًا خنازير قد ذكر القُرُود[١] . ولم يذكُرْ أنَّهُ مَسَخَ قومًا خنازير ، ولم يمسَخْ منهم قرودًا[٢] . وإذا كان الأمر كذلك فالمسخُ على صورة القِرَدة[٣] أشنَع ؛ إذْ كان المسخُ على صورتها[٤] أعظمَ[٥] ، وكان العقابُ به أكبر . وإنَّ الوقت الذى قد ذكر أنَّه قد مسخ ناساً قرودًا فقد كان مسخَ ناسًا خنازير . فلم يدَعْ ذِكْرَ الخنازير وذَكَرَ القرودَ[٦] إلاَّ والقرودُ فى هذا الباب أوجَعُ وأشنَع وأعظمُ فى العُقوبة ، وأدلُّ على شدةِ السَّخْطة[٧] . هذا قول بعضهم .

---

(١) س : « قرودا » وفى ط ، هـ زيادة واو قبل « قد » وهو تحريف .

(٢) أى أنه عند ذكره مسخ قوم خنازير قرنه أيضاً بالمسخ بالقرود ، وذلك قوله تعالى فى الآية الستين من سورة المائدة : « قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير » . وفى الأصل : « ولم يذكر أنه مسخ قوما قرودا ولم يمسخ منهم خنازير » . وأصلحته بما ترى .

(٣) فى الأصل : « القرد » بالافراد . ووجهه الجمع كما سترى .

(٤) فى الأصل : « على صورتهما » وإنما الضمير عائد إلى جماعة القردة .

(٥) فى الأصل : « أعم » ولا وجه له . وانظر ما سيأتى .

(٦) أى وحدها ؛ إذ قال فى سورة البقرة، الآية الخامسة والستين : «ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ولم يذكر الخنزير . وقال فى سورة الأعراف ١١٦ : «فلما عتوا عن مانهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين» ولم يذكر الخنزير .

(٧) السخطة ، بالفتح : الكراهة ، يقال سخطه سخطا ، بالضم ، والتحريك ، وبضمتين ، وسخطة . وفى حديث هرقل : «فهل يرجع أحد منهم سخطة لدينه»

(استطراد لغوى)

قال : ويقال لموضع الأنف من السِّباع الخَطم ، والخُرطوم ـ وقد يقال ذلك للخنزير ـ والفِنْطِيسة[1] ، والجمع الفناطيس . وقال الأعرابىّ : « كأنّ فناطيسها كراكِرُ الإبل[2] »

(خصائص بعض البلدان)

وقال صاحب المنطق : لا يكونُ خِنزيرٌ ولا أيِّلٌ بحريًّا . وذكر أنّ خَنازيرَ بعض البُلدانِ يكونُ لها ظلفٌ واحد ، ولا يكون بأرضِ نهاوَنْدَ حِمَارٌ ؛ لشدَّة بردِ الموضع ، ولأنَّ الحِمار صَرِدٌ .

وقال : فى أرضِ كذا وكذا لا يكون بها شىءٌ من الخَلْدِ[3] ، وإن نقله إنسانٌ إليها لم يحفر،ولم يتَّخذ بها بيتا. وفى الجزيرة التى تسمَّى صِقلِّيَة[4] لا يكُونُ بها صنفٌ من النمل ، الذى يسمَّى أقرشان[5] . ٣٨

---

(١) الفنطيسة ، بالكسر : خطم الخنزير . وفى اللسان : « وروى عن الأصمعى : إنه لمنيع الفنطيسة والفرطيسة والأرنبة ، أى هو منيع الحوزة حمى الأنف. أبوسعيد : فنطيسته وفرطيسته:أنفه» فهى قد تستعمل لغير الخنزير .

(٢) كذا على الصواب فى ط . وفى ه : « قناطيسها » وفى س : «فناطيسه» . والكراكر : جمع كركرة ، بالكسر ، وهى صدر كل ذى خفّ .

(٣) الخلد ، بالضم : ضرب من الفأر .

(٤) صقلية ، بكسرات ولام مشددة : تلك الجزيرة الأوربية الإيطالية . س ، ه : « أصقلية » ولعلها لغة فى تعريبها .

(٥) س : « أفرشان » بالفاء .

(قول أهل الكتابين فى المسخ)

وأهل الكتابين[١] يُنكرون أنْ يكونَ الله تعالى مسخَ النَّاس قرودًا وخنازير ، و إنما مسخ امرأة لوط حَجَرًا[٢] كذلك يقولون .

القول فى الحيات

اللهمَّ جنِّبنا التكلفَ ، وأَعِذْنَا من الخطَل ، واحمِنا من العُجْبِ بما يكونُ منَّا ، والثِّقةِ بمَا عندنا ، واجعلْنا من المحسنين .

(احتيال الحيات للصيد)

حدثنا أبو جعفرٍ المكفوفُ النحويُّ العنبريُّ ، وأخوه رَوحٌ الكاتب ورجالٌ من بنى العنْبر ، أن عندهم فى رمال بلْعنبرِ حيَّةٌ تصيد العصافير وصِغَارَ الطيرِ بأعجبِ صيدٍ. زعموا أنها إذا انتصفَ النهارُ واشتدَّ الحرُّ فى رمالِ بلعنبر ، وامتنَعت الأرض على الحافى والمنتعل ، ورَمِض الجندب[٣] ،

---

(١) التوراة والإنجيل .

(٢) الذى فى سفر التكوين من التوراة ، الإصحاح ١٩ : ٢٤ — ٢٦ : «فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا ونارا من عند الرب ، من السماء ، وقلب تلك المدن ، وكل الدائرة ، وجميع سكان المدن ونبات الأرض ، ونظرت امرأته من ورائه فصارت عمود ملح » .

(٣) الجندب ، وزن برقع ودرهم ، وبضم الجيم وفتح الدال : ضرب من الجراد صغير : Grasshopper . ورمض : آلمه الرمض وأحرقه ، وهو بالتحريك شدة وقع الشمس على الرمل ونحوه .

غمست هذه الحيّةُ ذنبَها فى الرّمل ، ثم انتصبَتْ كأنها رمحٌ مركوزٌ ، أو عودٌ ثابت[(١)] ، فيجىء الطائرُ الصغيرُ أو الجرادةُ ، فإذا رأى عودًا قائمًا وكره الوُقُوعَ على الرّمل لشدّة حرّه ، وقعَ على رأس الحيَّة ، على أنّها عُود. فإذا وقعَ على رأسها قبضَتْ عليه . فإن كان جرادةً أو جُعَلاً أو بعْضَ مالا يُشْبعها مثلُه ، ابتلعته[(٢)] وبقيتْ على انتصابها . و إن كان الواقعُ على رأسها طائرًا يُشبعها مثلُه أكلتهُ وانصرفت . وأنّ ذلك دأبُها مامَنَعَ الرّمل جانبَه[(٣)] فى الصّيفِ والقيْظ ، فى انتصاف النهار والهاجرة . وذلك أنّ الطائرَ لايشكُّ أنّ الحيّةَ عودٌ ، وأنهُ سيقُوم له مقام الجِذْل للحِرْباء[(٤)] ، إلى أنْ يسكن الحرُّ ووَهَجُ الرّمْلِ .

وفى هذا الحديثِ من العَجَبِ أنْ تكون هذه الحيَّةُ تَهتَدى لمثل هذه الحيلة . وفيه جَهلُ الطائرِ بفرقِ مابينِ الحيوانِ والعُود . وفيه قلّةُ اكتراثِ الحيَّة بالرّمْل الذى عادَ كالجمر[(٥)] ، وصلحَ أن يكون مَلّةً وموضعا للخبزة[(٦)] ، ثمّ [أن][(٧)] يشتمل ذلك الرّمل على ثلث الحيَّة ساعاتٍ من النّهار ، والرملُ على هذه الصفة . فهذه أعجوبةٌ من أعاجيب مافى الحيّات .

---

(١) فى نهاية الأرب (١٠ : ١٣٩) : « نابت بالنون .

(٢) س : « أكلته » .

(٣) س : « جانبها » محرف .

(٤) الجذل ، بالكسر ويفتح : ماعظم من أصول الشجر ، وما على مثال شماريخ النخل من العيدان . والحرباء : بالكسر : دويبة من العظاء بطيئة الحركة تتلون ألوانا : Chameleon . وهى إذا احتمت بجذل شجرة لم يميزها الرائى ؛ لأنها تتلون سريعاً بلون الجذل ، فيحسبها نتوءا فيه لا أنها شئ غريب عنه ، فتحفظ نفسها بذلك .

(٥) عاد هنا ، بمعنى صار .

(٦) الملة ، بالفتح : الرماد الحار . والخبزة ، بالضم : عجين يوضع فى الملة حتى ينضج .

(٧) ليست بالأصل

(رضاع الحية وإعجابها باللبن)

وزعم لى رِجَالٌ من الصَّقالبةِ ، خصيانٌ وفحول ، أنَّ الحيَّة فى بلادهم تأتى البقرةَ[١] [المحفَّلةَ[٢]] فتنطوى على فخذيْها[٣] ورُكبتيها إلى عراقيبها ، ثمّ تُشْخص صدرَها نحو أخلافِ ضَرْعِها ، حتى تلتقم الخِلف ؛ فلا تستطيع البقَرةُ [مع قوّتها[٤]] أن تَتَرَمْرَمَ[٥] . فلا تزالُ تمصُّ اللبن ، وكلما مصَّت استرخت . فإذا كادت تتلفُ أَرسلتها .

وزعموا أن تلك البقَرَةَ إمّا أن تموتَ[٦] ، وإمّا أنْ يصيبَها فى ضرعها فسادٌ شديدٌ تَعْسُرُ مداواته[٧] .

والحيَّةُ تُعْجَبُ باللبن . وإذا وجدت الأفاعى[٨] الإناء غير مخمَّر[٩]

---

(١) ط : « البقر » وأثبت مافى س ، هـ ونهاية الأرب (٩ : ١٣٩) .

(٢) الزيادة من نهاية الأرب . والمحفلة ، بفتح الفاء المشددة : الناقة أو البقرة أو الشاة لايحلبها صاحبها أياما حتى يجتمع لبنها فى ضرعها ، فإذا احتلبها المشترى وجدها غزيرة اللبن فزاد فى ثمنها . وفى الحديث : « من اشترى شاة محفلة فلم يرضها ردها ورد معها صاعا من تمر » . وبدلها فى س ، هـ : « المحتفلة » تحريف ما أسلفت .

(٣) ط : « فخذى البقرة » .

(٤) الزيادة من نهاية الأرب .

(٥) تترمرم : تتحرك .

(٦) بدلها فى نهاية الأرب : « تتلف » .

(٧) س ونهاية الأرب : « يعسر دواؤه » .

(٨) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٩) خمر الإناء : غطاه .

٣٩ كرعت فيه[١] ، ورُبَّمَا مجّت فيه ماصار فى جوفها ، فيصيبُ شاربَ ذلك اللبَنِ أذًى ومكروهٌ كثير .

ويقال إنَّ اللبن محتَضر[٢] . وقد ذهب ناسٌ إلى العمَّار ، على قولهم إنَّ الثوبَ المعصْفَر محْتَضَر[٣] . فظنَّ كثيرٌ من العلماء أنَّ المعنى فى اللبن إنَمَا رَجَعَ إلى الحيَّات .

(ماتعجب به الحيات)

والحيَّةُ تُعْجَبُ باللُّفَّاح[٤] والبِطِّيخ[٥] ، وبالحُرْف[٦] ، والخردل المرْخُوف[٧] ؛ وتكره ريحَ السَّذابِ[٨] والشِّيح ، كما تكره الوَزَغُ ريحَ الزَّعفَرَان .

---

(١) كرع فى الماء أوفى الإناء ، كمنع وسمع ، كرعا وكروعا : تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بإناء .

(٢) محتضر ، بالضاد المعجمة المفتوحة : تحضره الجن فيما يزعمون ؛ قالوا : ولذلك يسرع إليه الفساد . وفى الأصل : « محتصر » بالمهملة . وليس صوابا .

(٣) ط : « مختصر » س : « محتصر » . وصوابه ما أثبت من ﻫ . وانظر التنبيه السابق .

(٤) اللفاح بالضم وتشديد الفاء : نبت عريض الورق وله ثمر فى حجم التفاح إلا أنه أصفر شديد العفوصة والقبض ، فاذا نضج مال إلى حلاوة ما . ويسمى بالشام تفاح الجنّ . وأصله يتكون كصورة الإنسان بيديه ورجليه ، ولذلك يسمى بالسريانية : « يبروحا » أى يتقمصه الروح ، ويسمى بالفارسية : « هزار كشاى » أى يحل ألف عقدة .

(٥) لايزال هذا الزعم باقيا فى مصر ، والعامة عندنا إذا أرادوا أن يحفظوا البطيخ المشقوق من أذى الحيات والهوام ، غيبوا نصل السكين فى جوفه ، فيعصمه ذلك من شر الهوام فيما يرون !

(٦) الحرف ، بالضم : هو المعروف بحب الرشاد .

(٧) المرخوف ، بالخاء المعجمة : الذى وضع عليه الماء فاسترخى . وهذه الكلمة محرفة فى أصلها ، فهى فى ط ، ﻫ : « المزخرف » وفى س : « المرحوف » بالحاء المهملة .

(٨) ﻫ : « السداب » بالمهملة ، تصحيف .

(قوة بدن الحية)

وليس فى الأرض شىء جسمه مثلُ جسم الحيَّةِ ، إلا والحيَّةُ أقوى بدناً منه أضعافا . ومن قوّتها أنها إذا أدخَلَتْ رأسها فى جُحْرِها ، أو فى صَدْعٍ إلى صدرها ، لم يستطعْ أقوى النّاس وهو قابضٌ على ذنبها بكلتا[1] يديه أنْ يخرجها ؛ لشدَّةِ اعتمادها ، وتَعاونِ أجزائها . وليست بذاتِ[2] قوائم لَهَا أظفارٌ أو مخالبُ أو أظلاف[3] ، تُنْشِبُهَا فى الأرض ، [و[4]] تتشبث بها[5] ، وتعتمدعليها. وربما انقطَعَتْ فى يدى[6] الجاذِب لها ، مَعَ أنها لدْنَةٌ ملساء عَلِكَةٌ[7] . فيحتاج الرفيق[8] فى أمرها عند ذلك ، أنْ يُرسلها من يديهِ بعضَ الإرسال ، ثمَّ ينشطُها[9] كالمختطف والمختلس ، وربما انقطع ذنبها فى يد الجاذب لها . فأمّا أذنابُ الأفاعى فإنها تنبُت .

---

(١) كذا على الصواب فى س ؛ إذ أن كلا وكلتا إذ أضيفتا إلى اسم ظاهر ألزمتا الألف وفى ط ، ه : « بكلتى » وهو خطأ .

(٢) فى الأصل : « بذى » ووجهه ما أثبت .

(٣) ط ، ه : « لها أظلاف » صوابه فى س .

(٤) الزيادة من س ، ه .

(٥) س : « تثبت فيها »

(٦) ط : « يد » وانظر السطر الرابع من هذه الصفحة .

(٧) علكة ، كفرحة : من قولهم طعام عالك وعلك ، ككتف : متين الممضغة . ط ، ه : « من أنها » وذا عكس المراد ، إذ المعنى أن ملاستها تقتضى انزلاقها من يد الجاذب ، وكونها علكة يستلزم أن تكون متينة تعز على القطع .

(٨) س : « فتحتاج إلى الرفق » وهى عبارة لاتساير باقى الكلام .

(٩) نشط الشىء ، من باب نصر : اختلسه .

ومن عجيب[١] مافيها من هذا الباب ، أنّ نابَها يُقطَع بالـكاز[٢] ، فينبت حتى يتمّ نباته فى أقلّ من ثلاث ليال .

(نزع عين الخطاف)

والخُطَّاف فى هذا الباب خلافُ الخنزير ؛ لأنَّ الخطاف[٣] إذا قُلعتْ إحدى عينيه رجَعت . وعينُ البِرْذَوْنِ يركبها البَياضُ ، فيذهب فى أيَّامٍ يسيرة .

(الاحتيال لناب الأفعى)

وناب الأفعىّ يُحتالُ له بأن يُدخلَ فى فيها حُمّاض أترُجّ[٤] ، ويطبق لحيُها[٥] الأعلى عَلَى الأسفل ، فلا تقتل بعضّتها أيامًا صالحة .

والمِغْناطيس الجَاذب[٦] للحديد ، إذا حُكَّ عليــــه الثُّوم[٧] ، لم يجذب الحديد .

---

(١) س : « أعاجيب » .

(٢) الـكاز ، بالزاى : هو المقص بالفارسية . ط : « بالـكار » صوابه فى س ، هـ ومعاجم المر ، وپاستينجاس ، وريتشاردسن .

(٣) س : « الخنزير » صوابه فى ط ، هـ . وسيأتى فى ص ٤٨ ساسى : « فإن نازعا لو نزع عيون فراخ الخطاطيف وفراخ الحيات لعادت بصيرة » .

(٤) الأترج ، سبق الحديث عنه فى (٣ : ٥٨١) وحماضه : شحمه .

(٥) اللحى ، بالفتح : العظم الذى فيه الأسنان من داخل الفم . ط ، هـ : « لحييها » بالتثنية ، صوابه الإفراد كما فى س .

(٦) المغنطيس والمغناطيس، بكسر الميم من كل منهما ، وكذا المغنيطس بفتح الميم وكسر النون وفتح الطاء : حجر يجذب الحديد ، معرب . وفى الأصل أيضا : « الجاذبة » صوابه ما أثبت .

(٧) الثوم ، بالضم ، ذاك النبت المعروف . س : « عليها » وهى على الصواب فى ط ، هـ . وجه مناسبة هذه الفقرة لما قبلها ، هو أن بعض المواد إذا اقترنت بمادة أخرى فقدت بعض خواصها .

(خصائص الأفعى)

والأفعى لاتدورُ عينُها فى رأسها ، وهى تلد وتبيض ، وذلك أنها إذا طَرَّقت ببيضها[1] تحطَّمَ فى جوفها ، فترمى بفراخِها أولادًا ، حتى كأنها من الحيوان الذى يلد حيوانًا مثلَه .

وفى الأفاعى من العجَب أنها تُذبح حتى يفُرَى منها كلُّ ودَج ، فتبقى كذلك أيَّامًا لاتموت . وَأمرتُ[2] الحاوىَ فقبض على خَرَزَة[3] عنقها ، فقلت له : اقبضها من الخرَزَة التى تليها قبضًا رفيقا[4] . فما فتحَ بينها بقدر سَمِّ الإبرة حتَّى بَرَدَتْ ميتَّة[5] . وزعم أنَّه[6] قد ذبحَ غيرَها من الحيَّاتِ فعاشَتْ على شبيهٍ بذلك ، ثمَّ إنَّه فَصَلَ تلك الخرَزة عَلَى مثالِ ماصنع بالأفعى ، فماتت بأسرعَ من الطَّرْف .

---

(١) طرقت ببيضها ، بتشديد الراء : حان لها أن يخرج بيضها . ط : « طرقت بيضها » صوابه فى س ، هـ .

(٢) ط ، هـ : « فأمرت » بالفاء .

(٣) الخرزة ، بالتحريك : الفقرة من فقرات الظهر أو العنق .

(٤) س : « من الفقرة » والفقرة والخرزة سيان . هـ : « فصلا رقيقا » محرف .

(٥) سم الإبرة : ثقبها . بردت : ماتت .

(٦) الضمير المستكنّ ، للحاوى الذى سبق ذكره .

(قوة بدن الممسوح)

وكلُّ شيء ممسوحِ البَدن[١] ، ليس بِذِى أيدٍ ولا أرْجُل[٢] ، فإنَّه يكون شديدَ البدن ، كالسَّمكة[٣] والحيَّة .

(حديث فى سم الأفعى)

وزعم أحمد بن غالب[٤] قال : باعنى حَوّاءٌ ثلاثين أفعى بدينارين ، ٤٠ وأهدى إلىَّ خمساً اصطادها من قُبالة القلب[٥] ، فى تلك الصحارى على شاطئ دجلة . قال : وأرَدْتها للتِّرياق . [قال] : فقال لى حين جاءنى بها : قل لى : مَن يعالجها ؟ [قال] : فقلت له : فلان الصيدلانىّ . فقال : ليس عن هذا سألتك ، قل لى : من يذبحها ويسلُخها ؟ قال : قلت : هذا الصيدلانىُّ بعينه . قال : أخاف أن يكون مغرورًا من نفسه . إنَّه والله إن أخطأ موضع المفصِل من قفاه[٦] ، وحركتُه أسرعُ من البرق ، فإن كان لا يحسن[٧]

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من هـ . و « ممسوح » بالحاء المهملة ، وقد فسره بما سيأتى . وفى الأصل : « ممسوخ » بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف .

(٢) ط : « رجل » والوجه الجمع كما فى س ، هـ .

(٣) ط ، هـ : « كالسمك » .

(٤) س : « أحمد بنى غالب » . والصواب ما أثبت من ط ، هـ . ويؤيده اتفاق النسخ على إثبات « ابن غالب » فى الصفحة ١١٦ .

(٥) موضع أوماء ، لم أهتد بعد إلى ضبطه أو تعيينه .

(٦) ط : « قفاها » صوابه فى س ، هـ .

(٧) س : « يحس » .

ولا يدرى كيف يتغفله ، فينقرُهُ نَقْرَةً[١] ، لَمْ يُفْلِحْ بَعْدَهَا أَبَدًا . ولكنى سَأَتَطَوَّعُ لك بِأَنْ أعمل ذلك بين يديه . قال : فبعثت إليه . وكان رأسه [إلى[٢]] الجَوْنة[٣] ، فَيُغْفِلُ[٤] الواحدةَ فيقبض على قفاها بأسرع من الطَّرْفِ[٥] ، ثمَّ يذبحها . فإذا ذبحها سال من أفواهها لُعابٌ أبيض ، فيقول : هذا هو السم الذى يقتُل ! قال : فجالت يدُه جَوْلةً . وقطرت من ذلك اللُّعاب قطرةٌ عَلَى طرَف قميصِ الصيدلانىِّ . قال : فتَفَشَّى[٦] ذلك القاطرُ حتَّى صار فى قدر الدِّرهم العظيم . ثم إنَّ الحوَّاء امتحَن ذلك

(١) النقر ، بالقاف ، أصله للطير ، واستعماله فى الحيات غريب ، لم أر مثله إلا فيما ورد فى ص ٦٣ ساسى ، وكذا فى أثناء قصة رواها الجهشيارى (فى كتاب الوزراء والكتاب) بشأن حية مر بها رجل فقالت له : أدخلنى فى كمك حتى أدفأ ثم أخرج فأدخلها فلما دفئت قال لها : اخرجى ! فقالت : إنى مادخلت فى هذا المدخل قط فخرجت حتى أنقر نقرة . وبعدها : « ووالله لئن دخل أسامة لينقرنك نقرة » كل أولئك بالقاف . انظر الجهشيارى ٥٦ س ١٤ ، ١٥ . والمعروف فى الأفاعى : نكز ينكز ، بالنون ثم الكاف بعدها زاى معجمة ، كما سيأتى فى ص ٨٤ ساسى.

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) الجونة ، بفتح الجيم : سليلة (تصغير سلة) مغشاة أدما (أى جلدا مدبوغا) تكون مع العطارين . ذاك أصلها . ط ، هـ : « الحونة » بالحاء ، صوابه فى س .

(٤) يقال أغفلت الرجل : أصبته ووجدته غافلا ، وعلى ذلك فسر بعضهم قوله عز وجل « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا » اللسان . س ، هـ : « فيتغفل » يقال تغفلته واستغفلته : تحينت غفلته . والرواية المثبتة من ط .

(٥) الطرف : مصدر طرف بصره : أطبق أحد جفنيه على الآخر . والطرف أيضاً العين. س : « فى أسرع من الطرف » .

(٦) تفشى بالفاء: انتشر واتسع . وفى اللسان : « تفشى الحبر : إذا كتب على كاغد رقيق فتمشى فيه » . ط ، س : « فتغشى » بالغين بدل الفاء ، ووجهه ما أثبت من هـ .

الموضعَ فتهافت في يده ، وبقيت الأفاعي مُذَبَّحة[1] [تجول] في الطست ويكدم[2] بعضُها بعضًا ، حتى أمسينا .

قال : وبكرت على أبي رجاء إلى باب الجِسر ، أحدِّثه بالحديث ، فقال لي ودِدْت أني رأيت موضع القطْرة من[3] قميص الصَّيدلاني ! قال : فوالله مارِمْتُ[4] حتَّى مرَّ معى إلى الصَّيدلانيِّ ، فأريْتُه موضعَه .

وأصحابُنا يزعمون أنَّ لعابَ الأفاعي لايَعمَلُ في الدَّم . إلاَّ أنَّ أحمدَ ابنَ المثنَّى زعم أنَّ من الأفاعي جنسًا لايضُرُّ الفراريج من بينِ الأشياء ، ولا أدري أيُّ الخبرين أبعد : أخبرُ ابن غالب في تفسيخ الثَّوب ، أو خبر ابن المثنى في سلامة الفرُّوجِ عَلَى الأفعى ؟

(ماتضيء عينه من الحيوان)

وزعم محمد بن الجهم أنَّ العيون التي تضيء بالليل كأنها مَصابيحُ ، عُيونُ الأُسْد والنمورِ ، والسَّنانيرِ والأفاعي . فبينا نحنُ عندَه إذْ دخل عليه بعضُ من يجلب الأفاعيَ من سِجِسْتان ، ويَعْمَلُ التِّرياقات ، ويبيعها أحياءً ومَقْتُولة[5] ، فقال له : حَدِّثهم بالذى حَدَّثتني به من عين الأفعَى . قال : نَعَم ، كنتُ في مَنْزِلِي نائمًا في ظلمة ، وقد كنتُ جمعتُ رءوس أفَاعٍ[6]

---

(١) ط : « مذبوحة » وأثبت ما في س ، هـ .

(٢) يكدم : يعض . ط : « يكدم » بدون واو قبلهما .

(٣) ط ، هـ : « في » .

(٤) مارمت ، بكسر الراء من « رمت » : أي مابرحت .

(٥) في الأصل : « معمولة » .

(٦) في الأصل : « أفاعي » بإثبات الياء . والوجه حذفها .

كنَّ عندى ، لأرمىَ بها ، وأغفلتُ تحت السَّرير رأسًا واحدًا ، ففتحْتُ عَينى تجاهَ السَّريرِ فى الظلمةِ ، فرأيت ضياءً إلاَّ أنَّه ضئيلٌ ضعيفٌ رقيق ، فقلت : عينُ غولٍ أو بعضِ أولادِ السَّعالى ، وذهبَتْ نفسى فى ألوانٍ من المعانى، فقمت فقدَحْت نارًا، وأخذتُ المصباح معى،ومضيت نحوَ السرير فلم أَجِدْ تَحْتَهُ إلاَّ رأسَ أفعى[1] ، فأطفأتُ السِّراج ونِمتُ[2] وفتحْتُ عينى ، فإذا ذلك الضوء على حاله ، فنهضْتُ فصَنعتُ كصنيعى الأوَّل ، حتى فعلتُ ذلك مِرارا . قال : فقلت آخر مرَّة : ما أرى[3] شيئًا إلاَّ رأسَ ٤١ أفعى ، فلو نحَّيتُهُ ! فنحَّيته وأطفأْتُ السِّراج ، ثمَّ رجعْتُ إلى منامى ، ففتحْتُ عينى فلم أرَ الضَّوء ، فعلمت أنَّه من عين الأفعى ، ثمَّ سألتُ عن ذلك ، فإذا الأمرُ حَقٌّ ، وإذا هو مشهورٌ فى أهل هذه الصِّناعة .

(قوة بدن الحية وعلة ذلك)

قال : وربَّما قبضَ الرَّجلُ الشديدُ الأَسْرِ والقُوَّةِ القبضةَ على قفا الحيَّة فتلتفُّ عليه فتصرعُهُ . وفى صُعودِها وفى سعيها خلفَ الرَّجلِ الشديدِ الحُضْر ، أو عند هربِها حتَّى تفوتَ وتسبق ، وليستْ بذاتِ قوائم ، وإنما

(١) الأفعى مؤنثة ، وقد استعملت اسما ووصفا . فمن جعلها وصفا لم يصرف كما لا يصرف أحمر ، ومن جعلها اسما صرف ، كما صرف أرنبا وأفكلا . المخصص (١٦ : ١٠٦) .

(٢) س : « ونمنا » ونام هنا بمعنى رقد .

(٣) ط ، ه : « لا أرى » .

تنسابُ عَلَى بطنها ، وفى تدافعِ أجزائها وتعاونها ، وفى حَرَكَةِ الكلِّ[١] من ذاتِ نفسها ، دليلٌ على إفراطِ قُوَّةِ بدنها .

ومن ذلك أنها لاتمضَغ ، وإنما تبتلع ، فربَّما كان فى البَضْعة أو فى الشىء الذى ابتلعتْه عَظْمٌ ، فتأتى جِذْمَ شجرةٍ ، أو حَجرًا شاخِصا[٢] فتنطوى عليه انطواءً شديدا فيتحطّم[٣] ذلك العَظْم حَتَّى يَصِيرَ رُفَاتًا .

ثمَّ يُقطعُ ذنبُها فينبت . ثمَّ تعيشُ فى الماء، إن صارت فى الماء ، بَعد أنْ كانَتْ بريَّة ، وتعيشُ فى البرِّ بَعْدَ أن طال مُكثُها فى الماء وصارتْ مائيَّة .

قال : وَإنَّمَا أتتْها هذه القُوَّة ، واشتدَّت فقَرُ ظهرِها هذه الشِّدَّة؛ لكثرةِ أضلاعِها ، وذلك أنَّ لها من الأضلاع عددَ أيَّامِ الشَّهر . وهى مع ذلك أطولُ الحيوان عمرًا .

(موت الحية)

ويزعمون أنَّ الحيَّة لاتموتُ حَتْفَ أنفها ، وإنَّمَا تموتُ بعَرَضٍ يَعْرِضُ لها . ومع ذلك فإنه ليس فى الحيوان شىءٌ هُوَ أصبرُ عَلَى جوعٍ من حَيَّةٍ ؛ لأنَّها إن كانَتْ شابَّةً فدَخَلَتْ فى حائط صخر ، فتتبَّعُوا موضعَ مَدْخلهَا بوتدٍ أو بحجر[٤] ، ثمَّ هدمُوا هذا الحائط ، وجدُوها هناك منطوية

(١) أى كل أجزائها . ط ، هـ : « حركتها الكل » صوابه فى س . والواو التى قبل « فى » ساقطة من ط .

(٢) شاخصا : مرتفعا . س : « حجر شاخص » صوابه فى ط ، هـ .

(٣) س : « فيحطم » .

(٤) س : « حجر » .

وهى حَيّةٌ . فالشّابةُ تُذكر بالصَّبْر عند هذه العلّة[١] . فإن هَرِمَتْ صغُرت فى بدنها ، وأقنعَهَا النَّسيم ، ولم تشتهِ الطعم . وقد قَالَ الشاعرُ :ـ وهُوَ جَاهلىٌّ[٢] ـ :

فابعَثْ لهمن بعض أعراض اللَّمَم[٣] ‏ لُمَيْمَةً من حَنَشٍ أعمَى أصمّ

قَدْ عاشَ حتى هُوَ لا يَمْشِى بدمْ ‏ فكلَّما أقْصَدَ مِنْهُ الجُوعُ شَمّ[٤]

وهذا[٥] القولُ لهذا المعنى . وفى هذا الوجه يقُول الشاعر[٦] :

داهية قَدْ صغُرَتْ من[٧] الكِبَرْ ‏ صِلٌّ صفاً ماينطَوى من القِصَر[٨]

---

(١) أى تذكر بالصبر على الجوع . والعبارة ساقطة من هـ . وفى ط ، س : « تذكر الضمر » . وصوابه ما أثبت .

(٢) مثله فى ص ٩٤ ساسى . وبعض هذا الرجز سيأتى فى (٦ : ٣٩ ، ١٣٤) .

(٣) اللمم ، بالفتح : مايلم بالإنسان من شدة ، ومثله « اللمة » بالفتح . وقد صغرها فيما سيأتى .

(٤) أى شم الهواء ، يطعمه بدل الطعام ، كما سبق . ط ، هـ : « سم » بالمهملة ، صوابه فى س وفى ص ٩٥ ساسى . وأقصده : أصابه إصابة محققة .

(٥) س : « فهذا » .

(٦) هو خلف الأحمر كما سيأتى فى ص ٩٥ ساسى ، أو هو النابغة كما فى ديوان المعانى (٢ : ١٤٥) وأصل نهاية الأرب (١٠ : ١٤٥) وحماسة ابن الشجرى ٢٧٣ ـ ٢٧٤ .

(٧) ضبطت : « داهية » بالنصب فى المخصص (٨ : ١٠٩) . وروى صاحب المخصص أيضاً « حارية » بالنصب كذلك .

(٨) الصفا : الحجر الصلد الضخم لاينبت شيئاً . ط : « صفا » صوابه فى س ، هـ يقول : قد قصر حتى مايمكن انطواؤه . فى نهاية الأرب : « لاتنطوى » وفى ديوان المعانى : « لاينطوى » وفى حماسة ابن الشجرى : « ماينتوى » وهذه مصحفة .

طويلة الإطراقِ من غير خَفَرْ[1] كأنّمَا قد ذهبت بِهاَ الفِكر[2]
جَاء بهاَ الطوفان أيّامَ زَخَر[3]

(صَبْرُها على فَقْدِ الطُّعْم)

ومن أعاجيبهاَ أنها وإن كانَتْ مَوْصُوفَةً بالشَّرَهِ والنَّهَم ، وسرعَةِ الابتلاع ، فلها فى الصّبرِ فى أيّامِ الشّتاء ماليس للزَّهِيدِ[4] . ثمَّ هى ٤٣ بَعْدُ [ممَّا[5]] يصير بها الحالُ إلى أن تستغنِيَ عن الطُّعم[6] .

(النمس والثعابين)

ثمّ قَدْ يزعمُون أنَّ بمصرَ دويْبّةً يقال لها النمس[7] يتخذهَا الناطور[8] إذا اشتدّ خوفه مِنَ الثّعَابين ؛ لأنَّ هــــذه الدَّابةَ تتقبضُ وتنضمُّ ،

(١) الإطراق ، بالقاف : إرخاء العينين والنظر بهما إلى الأرض . ط ، ﻫ : «الأطراف» بالفاء . ومثله فى ديوان المعانى ، ونهاية الأرب . وهو تصحيف لاوجه له والصواب المثبت من س وحماسة ابن الشجرى . والخفر : شدة الحياء ، وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « تفر » وفى س ، ﻫ : « نفر » وفى أصل نهاية الأرب « حفر » وصوابها فى ديوان المعانى وحماسة ابن الشجرى والرواية فى ص ٩٥ ساسى : « حسر » . وقد أنث « طويلة » لأن الصل بمعنى الحية وهى مؤنثة .

(٢) كذا فى ط ، ﻫ . ورواية س : « كمطرق قد ذهبت به الفكر » .

(٣) زخر ، بالزاى المعجمة : كثر ماؤه وعظمت أمواجه . ﻫ : « ذخر » محرف .

(٤) فى التهذيب : « رجل زهيد وامرأة زهيدة ، وهما القليلا الطعم » : والطعم ، بالضم : الطعام .

(٥) من س . ﻫ .

(٦) ط : « الطم » صوابه فى س ، ﻫ .

(٧) النمس ، بالكسر : حيوان أكدر اللون أحمر العينين قصير القوائم طويل الجسم والذنب ، ولايزال معروفا فى مصر ، يراه الفلاحون فى بعض المزارع ، ويستأنسه بعض التجار فى حوانيتهم . والعامة يضربون بعينه المثل ، فيقولون : « عينه كعين النمس ، وفلان نمس » يعنون بالأول أنه حديد البصر سريعه ، وبالثانى أنه ألمعى حاذق لا تفوته الفرصة .

(٨) الناطور : حافظ النخل والشجر ، قيل إنه دخيل . وقال الأصمعى هو الناطور

تَتَضَاءَلُ[١] وتستدقّ ، حتى كأنها قُدَيْدَة[٢] أو قطعةُ حبْل ، فإذا عضَّها الثُّعبان وانطوى عليها زفَرَتْ ، وأخذَتْ بنفَسها وزَخَرت[٣] جوفَها فانتفخ . فتفعل ذلك وقد انطوى عليها ، فتقطعه قِطَعاً من شِدّةِ الزَّخْرة[٤] . وهذا من أعجب الأحاديث .

(القواتل من الحيات)

والثَّعابينُ إحدَى القواتِل . ويزْعُمون أنها ثلاثةُ أجناسٍ لا ينجَعُ فيها رُقيةٌ ولا حِيلة ، كالثعبان ، والأفعى ، والهندية[٥] . ويقال : إنَّ ما سِواها فإنما يقتلُ مع ما يُعِدُّها من الفزَع ؛ فقد يفعل الفزَع وحْدَه ؛ فكيف إذا قارنَ سُمَّهَا[٦] ؟! [وسُمُّهَا][٧] إنْ لم يقتُلْ أمرَضَ .

= والنبط يجعلون الظاء طاء ، ألا تراهم يقولون « برطلة » وإنما هو ابن الظل . قلت : ذاك معناها التفصيلي الاشتقاقي ، وكلمة « بر » بمعنى الابن بالنبطية ، فهو يريد أن النبط ألفوا الكلمة من لفظهم ومن كلام العرب . ومعنى الكلمة : المظلة الضيقة انظر المعرب ص ١٤٧ ثم ص ٢٩ .

(١) تتضاءل : تتقبض وينضم بعضها إلى بعض . وهذه الكلمة ساقطة من س ، ومحرفة في ط ، هـ برسم « تنصال » .

(٢) قديدة : مصغر القدة بالكسر ، وهي واحد القد ، كما في القاموس . والقد : سيور تقدّ من جلد فطير غير مدبوغ ، فتشد بها الأقتاب والمحامل ، كما في اللسان . ط ، هـ : « فريدة » صوابه في س .

(٣) زخر الشيء : ملأه ، كما في القاموس . س : « زجرت » وكتبت النقطة العليا بالمداد الأحمر ، والسفلى بالأسود ، ولم أستطع توجيه : « زجرت » بالجيم .

(٤) هـ : « الزجرة » وانظر التنبيه السابق . س : « الزحرة » مصحفة .

(٥) في العبارة نقص وتشويه . وانظر مانقل الدميري عن الجاحظ (١ : ٤١١) .

(٦) ط ، هـ : « قارنه » .

(٧) ليست بالأصل . والكلام في حاجة إليها .

(ما يفعل الفزع فى المسموم)

ويزعمون أنَّ رجلاً قال(١) تحتَ شجرةٍ ، فتدلَّت عليه حيَّةٌ منها فعضَّت رأسَه ، فانتبه محمرَّ الوَجْهِ ، فحكَّ رأسَه ، وتَلَفَّتَ(٢) ، فلم يَرَ شيئاً ، فوضع رأسَه ينامُ ، وأقام مدَّةً طويلةً لايرى بأسًا ، فقال له(٣) بَعْضُ مَنْ كان رأى تدلِّيَهَا عليه ثمّ تقلُّصَها عنه وهروبَها منه(٤) : هل علمتَ مِنْ أىِّ شىءٍ كان انتباهُك تحتَ الشَّجرة ؟ قال : لا واللهِ ، ماعلمت . قال : بلى ، فإنَّ الحيَّةَ الفُلاَنيَّة نزلت عليك حتَّى عضَّتْ رأسَك ، فلما جلست [فزعا] تقلَّصتْ عنك وتراجعَتْ . فَفَزِع فَزْعَةً وصَرَخَ صرخةً كانَتْ فيها نَفْسُهُ . وكأنهُمْ توهَّمُوا أنَّه لما فزِع واضطرَبَ ، وقد كان ذلك السّمُّ مغمورًا ممنوعا فزال مانِعُهُ ، وأوغله ذلك الفَزَعُ ، حِينَ(٥) تفتَّحت منافسُه ، إلى موضع الصَّميم والدِّماغِ وعُمْقِ البدَن ، فانحلَّ موضعُ العَقْد الذى انعقدَتْ عليه أجزاؤه وأخلاطُه .

وأنشد الأصمعىُّ :

نَــكِيثة تنهشه بمنبذ(٦)

---

(١) قال ، هنا ، بمعنى نام فى القائلة ، وهى نصف النهار .

(٢) ط ، هـ : « ويلتفت » وأثبت ما فى س والدميرى .

(٣) بدل هذه العبارة فى س : « فلما كان ذلك قال » .

(٤) « وهروبها منه » ساقط من س . وفى ط ، هـ : «من كان رأى حاله» الخ

(٥) فى الأصل : « حتى » .

(٦) ط ، هـ : « ونكشة » .

وأنشدَ لأبى دُوادٍ الإيادىّ :

فأَتانى تَقْحِيمُ كَعْبٍ لِىَ المَنْ طِقَ إِن النَّكِيثَة الإِقْحَام[١]

(أثر الفزع فى فعل السم)

قال : فالفزَعُ إمّا أنْ يكونَ يُوصِل السمَّ إلى المَقاتِل ، وإمّا أن يكون معينًا له ، كتعاونِ الرَّجُلين على نزع وتِد . فهم[٢] لايجزمون على أنّ الحيَّة من القواتل البتّة[٣] ، إلاَّ أنْ تقتلَ إذا عضَّت النائمَ والمغشىَّ عليه ، والطفلَ الغريرَ ، والمجنونَ الذى لايَعْقِلُ ، وحتّى تجرَّبَ عليهِ الأدوية .

(الترياق وانقلاب الأفعى)

وكنت يومًا عند أبى عبدالله أحمد بن أبى دُواد ، وكان عنده سَلْمويه[٤] وابن ماسويه ، وبختيشوع بن جبريل ، فقال : هل ينفع التِّرياق من نهشة

---

(١) التقحيم : أن يجعله يقحم أى يدخل فى الأمر فجأة بلا روية . فى الأصل : «تفخيم» صوابه فى الشعراء ٣٧ . وكعب ، هو كعب بن مامة ، الرجل الجواد ، وكان قد بلغ أبا دواد شىء عنه . الشعراء ٣٧ . وفى الأصل «إلى المنطق» تصحيحه من الشعراء ، والنكيثة : الخطة الصعبة ، ط ، هـ : «النكيشة» صوابه فى س والشعراء . والإقحام بمعنى التقحيم ، ط ، هـ : «الاخام» تصحيحه من س والشعراء ، وقد روى ابن قتيبة أربعة عشر بيتا من هذه القصيدة .

(٢) بدل هذه الكلمة والتى قبلها فى ط : «وترام» تحريف صوابه فى س ، هـ

(٣) يقال : جزم على الأمر ، بفتح الزاى مخففة ، أو مشددة : أى سكت ، س : «لايجزمون أن الحية» الخ ، ومؤدى العبارتين واحد عند التأمل .

(٤) فى الأصل : «وكان أخذ داود عنده سلمويه» والكلمة الثانية ، والثالثة يفسدان الكلام .

أفعى ؟ فقال بعضهم : إذا عَضَّتِ الأفعى فأُدرِكَتْ قبل أن تَنقَلِب[١] نفع

٤٣ الترياق، وإن لَمْ تُدْرَك لَمْ يَنفَعْ؛ لأنهم إنْ قلّوا مِنَ التِّرياقِ قتلَهُ السُّمُّ ، وإن كثّروا مِنْهُ قتله الفاضلُ عن مقدار الحاجة .

قلت : فإنَّ ابنَ العجوزِ[٢] خبّرَنى بأنها[٣] ليست تنقلب لِمَجِّ السمِّ وإفراغِهِ ، ولكنَّ الأفعى فى نابها عَصَل[٤] ، وإذا عضّت استفرغت إدخالَ النّابِ كلِّه ، وهو أحْجَنُ أعْصَل[٥] ، فيه مشابه من الشِّصّ[٦] ، فإذا انقلبَتْ كان أسهلَ لنزْعه وسلِّه . فأمّا لصبِّ السّمّ وإفراغه فلا .

قَالَ : والله لعلّه ماقلت ! [قلتُ] : مَاأسْرَعَ ماشككْتَ !!

ثمّ قلت له : فكأنّما[٧] وضعوا الترياق واجتلَبُوا الأَفاعىَ وضنُّوا[٨] وعزمُوا على أنه لاينفع إلاّ بِدَرْكِ الأَفْعَى قبلَ أنْ تَنقلب ! وكيف صار التِّرياقُ بعد الانقلاب لايكونُ إلاّ فى إحْدَى منزلتين : إمّا أن يقتل بكثرته ، وإمّا ألاّ يَنْفَعَ بقلّته ! فكأنَّ الترياقَ ليس نفعُه إلاّ [فى[٩]] المنزلةِ الوسطى التى لاتكون فاضلةً ولا ناقصة ! ولكنى أقولُ لك : كيف يكون نفعه إذا كان الترياقُ جيِّدًا قويًّا ، وعُوجل فسُقِى المقْدَارَ الأَوسطَ ، قبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الصَّميمَ ، ويغوصَ فى العُمْقِ[١٠] . وعلى هذا وُضع ، وهم كانوا أحْزَم

---

(١) س : « تقلب » .

(٢) فى ص ١٣٤ ساسى : « ابن أبى العجوز » . وهو أحد الحوائين .

(٣) س : « بأن الأفعى » .

(٤) العصل، بالصاد المهملة والتحريك : الاعوجاج . س ، ه : « عضل » مصحف

(٥) س : « أعضل » بالصاد المهملة كما فى ه ، ط .

(٦) هذه العبارة ليست فى ه ، وفى ط ، س : « النقص » . ووجهه ما أثبت

(٧) فى الأصل : « فإنما » .

(٨) كذا .

(٩) ليست بالأصل .

(١٠) أى عمق البدن ، كما مر فى ١٢٢ س ١١ وفى الأصل : « العميق » .

وأحْذَقَ مِنْ أن يتكلَّفوا شيئاً ، ومقدارُه من النَّفعِ لا يُوصَل إلى معرفته .

ويقول بعضُ الحُذَّاق : إنَّ سقيَ التِّرياقِ بعدَ النهش بساعةٍ أو ساعتَين مَوْتُ المنهوش .

ثم قلتُ له : وما علَّمك ؟ وبأيِّ سببٍ أيقنتَ[١] أنها تمجُّ من جوفِ نابها شيئاً ؟! ولعله ليس هنالك إلاّ مخالطةُ جوهرِ ذلك النَّابِ لدم الإنسان ! أَوَلَسْنَا قد نجدُ من الإنسانِ مَنْ يَعَضُّ صاحِبَهُ فيقتُلُهُ ، ويكونُ معروفاً بذلك ؟! وقد تُقرُّون أنَّ الهنديَّة والثُّعبانَ يقتُلان ، إمَّا بمخالطة[٢] الرِّيق الدم ، وإمَّا بمخالطة السِّنِّ الدَّم ، من غير أن تدَّعُوا أنَّ أسنانَهما مجوَّفة[٣] . وقد أجمع جميعُ أصحابِ التِّجارب أنَّ الحيَّة تُضْرَبُ بقَصَبَةٍ[٤] فتكونُ أشدَّ عليها من العصا . وقد يضرَبُ الرجلُ على جسَده بقُضْبان اللَّوْزِ وَقُضْبَانِ الرُّمان ، وقُضبانُ اللَّوْزِ أعلَكُ[٥] وألْدَن ، ولكنَّها أسلَمُ[٦] ، وقُضبان الرُّمَّان أخفُّ وأسخَفُ ولكنها أعطب .

وقد يطأ الإنسانُ على عَظْمِ حَيَّةٍ أو إبْرَةِ عقْرَبٍ ، وهما ميْتَتان ، فيلقى الجهد . وقد يُخْرَجُ السِّكِّينُ من الكِيرِ وهو مُحمًّى ، فيُغْمَسُ في اللبن

---

(١) كذا في س . وفي ط ، هـ : « علمت » .

(٢) ط ، هـ : « لمخالطة » .

(٣) س : « جوف » : جمع جوفاء .

(٤) س : « بعصية » تصغير عصا ، صوابه في ط ، هـ .

(٥) أعلك بمعنى أشد وأمتن . ويقال : طعام عالك وعلك ـ ككتف : متين المضغة . وألدن . من اللدونة ، وهي اللين . واللدن . اللين .

(٦) ط ، س : « اسم » صوابهما في هـ .

فمتى خالَطَ الدَّمَ قامَ مقامَ السمّ ، من غير أن يكون مَجَّ في الدَّم رطوبةً غليظَةً أو رقيقَةً .

وبعض الحجارة يُكْوَى بها — وهو رِخْوٌ — الأَوْرَامُ حتى يفرقها ويُخْمِصهاَ(١) من غير أن يكونَ نفذَ إِلَيْهَا شيءٌ مِنْهُ ، وليس إلاّ الملاقاة .

قلتُ :(٢) ولعلَّ قُوًى قد انفصلَتْ من أنيابِ الأفاعي إلى دماء النَّاس .

وقد رَوَوْا أنَّه قيل لجالينوس : إنّ هاهُنا رجلاً يَرقي العقاربَ فتموتُ ، أو

٤٤ تنحلّ فلا تعمل ، فرآه يرقيها ويتفُلُ عليها ، فدعا به بحضرةِ جماعةٍ وهو على الرِّيق ، ودعا بغَدائه فتغَدَّى مَعَه ، ثمّ دُعِيَ له بالعقارب فتَفَلَ عليها ، فلم يَجِدْ لعابه يصنَعُ شيئاً إلاّ أنْ يكون ريقاً . وهُوَ حَدِيثٌ يدورُ بينَ أهل الطبِّ ، وأنت طبيب . فلم أَرَهُ في يومه ذلك قال شيئاً إلاّ مِن طريق الحَزْر والحَدْس ، والبلاغات .

(السُّموم)

وسمومُ الحيَّاتِ ذواتِ الأنياب ، والعقاربِ ذواتِ الإبر ، إنَّمَا تَعْمَلُ في الدَّم بالإجمادِ والإذابة . وكذا سمومُ ذواتِ الشعر والقُرُونِ والجُمِّ ، إنَّمَا تَعْمَلُ في العصب ، ومنها مايعمل في الدم .

---

(١) ط : «حتى يفرقها» س : «حتى يعرقها» صوابه في ﻫ . ويخمصها : يجعلها تتحمص أي تتقبض وتتضاءل وتسكن . ﻫ : «يخمصها» بالخاء المعجمة ، وهي صحيحة بمعنى الأولى .

(٢) في الأصل . «فإن قلت» . وصوابه حذف «فإن» . وقراءة الفعل بضمير المتكلم ، وهو الجاحظ . وانظر انتصار الجاحظ للقول بالقوى الفاصلة من بعض الأشياء ، في الجزء الثاني من الحيوان ص ١٣٥ — ١٤٠ .

(شرب المسموم للَّبن)

وحدَّثني بعضُ أصحابنا قال : كنتُ إمَّا برماى[١] وإما بنارى[٢] وهما بلادُ حيَّاتٍ وأفاعٍ[٣] ، ونحن في عُرْس ، إذ أدخَلوا الخِدْرَ العروسَ[٤] فأبطئوا عليه شيئاً ، فأغمى وتلوّتْ على ذراعه أفعى[٥] ، فذهبَ ينفضها وَحَجَمَتْ على ذراعه ـ وقد يقال ذلك إذا كانت العضَّة في صورةِ شَرْطِ الحجَّام ـ فصَرَخَ وجاءوا يتعادَوْن[٦] فوجدُوها فقتلوها ، وسقَوه في تلك اللَّيلةِ لبَنَ أربعينَ عنزًا ، كُلَّما استقرّ في جوفه قَعْبٌ من ذلك اللَّبَن قاءَ فيَخْرُجُ مِنْهُ كأمثال طَلْعِ[٧] الفُحَّال الأبيض[٨] ، فيه طرائق من دَسَمٍ تعلُوه خُضرة ، حتى استوْفَى ذلك اللَّبَنَ كُلَّه . قال : فعندها قال شيخٌ من أهل القرية : إن كنتم أخرَجْتم ذلك السّمَّ فقد أخرجتم نَفْسَهُ معَه ! قال : فغبَرَ أيَّامًا بأسوإ حالٍ ثمَّ مات . قال : وكنتُ أعجَبُ من سُرعةِ استحالة اللَّبَنِ وجُموده .

---

(١) هـ : « برمار » .

(٢) س : « بهارى » .

(٣) في الأصل : « أفاعى » بإثبات الياء ، وصوابه ما أثبت .

(٤) العروس ، يقال للرجل والمرأة ، والمراد هنا : الرجل .

(٥) انظر ما كتبت عن هذا اللفظ في ص ١١٧

(٦) يتعادون : يتبارون في العدو .

(٧) هذه الكلمة ليست في الأصل ، وهي ضرورية . والطلع : نور النخل ما دام في الكافور ، أي الغلاف .

(٨) الفحال ، كرمان : الذكر من النخل . والأبيض صفة للطلع لا للفحال .

(اكتفاء الحيات والضباب بالنسيم)

قلتُ : والحيَّاتُ البرِّيَّة إذا هرِمت تنسَّمت النَّسيمَ فاكتفتْ به[١] ، وكذلك الضِّبابُ إذا هرِمت .

قال : ولا يكون ذلك للمائيّة من حيَّاتِ الغياضِ[٢] وشُطوطِ الأنهار ، ومناقِع[٣] المياه .

(الحيات المائية)

قال : والحيَّات المائيَّة ، إمَّا أن تكون برِّيَّةً أو جبليّةً ، فاكتَسحتها السُّيولُ واحتملَتْها فى كثيرٍ مِنْ أصناف الحشَراتِ والدَّوابِّ والسِّباع ، فتوالدت تلك الحيّاتُ وتلاقَحَتْ هناك . وإمَّا أنْ تكون كانت أمهاتُها وآباؤُها فى حيَّات الماء . وكيف دارت الأمورُ فَإنَّ الحيَّاتِ فى أصل الطَّبع مائيّة . وهى تعيشُ فى النَّدَى ، وفى الماء ، وفى البرِّ وفى البحر ، وفى الصَّخر والرَّمل . ومن طباعها أن ترقّ وتلطف على شكلين : أحدهما لطول العمر ، والآخر للبُعد من الرِّيف . وعلى حسب ذلك تعظُم فى المياه والغياض .

---

(١) س : « واكتفت بذلك » .

(٢) الغياض : جمع غيضة بالفتح ، وهى مجتمع الشجر فى مغيض ماء . ه : «الغيات» محرف .

(٣) مناقع ، بالقاف : جمع منقع بالفتح ، وهو الموضع يستنقع فيه الماء . ط : « منافع » صوابه فى س ، ه .

(ماأشبه الحيات من السمك)

قال : وكلُّ شىء فى الماء ممّا يعايش السمك ، مما أشبه الحيّات كالمارماهى[1] والأنكليس[2] فإنها[3] كلها على ضربين : فأحدهما من أولاد الحيات انقلبت بما عرض لها من طباع البلد والماء . والآخر من نسل سمك وحيات تلاقحت[4] ؛ إذ[5] كان [طِبَاعُ[6]] السمك قريبا من طباع تلك الحيّات . والحيّاتُ فى الأصل مائيّة ، وكلّها كانت حيّات . ٤٥

---

(١) المارماهى : ضرب من السمك الشبيه بالحيات ، وليس بحيات . واللفظ فارسى وضبطت راؤه بالكسر فى معجم Palmer. ط ، ه :« كالماء ماهى » صوابه فى س .

(٢) الأنكليس : ضرب من حيات الماء . وقد جعل الجاحظ هذا وما قبله نوعين . وقد وجدت الدميرى يقول إنهما نوع واحد . انظر رسمى (الانكليس والجرى) فيه . وقال داود فى التذكرة : « مارماهى هو حيات الماء المعروف عندنا بالأنكليس ، سمك شبيه بالحيات » .ولفظه يونانى معرب كما فى معجم المعلوف ١١ . وضبطه صاحب القاموس ، وكذا الدميرى ، بفتح الهمزة واللام وبكسرهما ، ويقال فيه أيضا « أنقليس » بالقاف .

(٣) فى الأصل : « وإنها » .

(٤) ط ، ه : « وتلاقحت » والصواب حذف الواو كما فى س .

(٥) س : « إذا » صوابه ما أثبت من ط ، ه .

(٦) ليست بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(قرابة بعض النبات لبعض)

وقد زعم أهلُ البصرة أنّ مُشَان(١) الـكوفة قريبٌ(٢) من بَرْنِيّ(٣) البصْرَة ، قلبته البلدة .

ويزعمُ أهلُ الحجاز أنَّ نخلَ النارجيل(٤) هو نخل المُقْل(٥) ، ولـكنّه انقلب لطباعِ البلدة . وأشباهُ ذلك كثير ؛

ويزعمون أنَّ الفيَلة مائيّة الطِّباع بالجاموسيَّة والخنزيريّة التي فيها .

---

(١) المشان كغراب وكتاب : نوع من أطيب الرطب ، واللفظ معرب « موشان » الفارسية معناه أم الجرذان ، وقد ترجم الفرس هذا اللفظ العربي إلى لغتهم . وكلمة «موش» معناها الفأر بالفارسية . والألف والنون علامة الجمع عندهم . وأم جرذان: نوع من التمر كبار ، قيل إن نخله يجتمع تحته الفأر ، وروى صاحب اللسان عن أبي حنيفة أن أم جرذان آخر نخلة بالحجاز إدراكا ، قال الساجع : « إذا طلعت الخراتان ، أكلت أم جرذان » وروى عنه — أى عن أبي حنيفة — صاحب المخصص أنها نخلة تجيها الجرذان فتصعدها فتأكل منها .

(٢) فى الأصل : « قريبا » .

(٣) البرنى ، بالضم وبالفتح : ضرب من التمر ، جاء فى المخصص (١١ : ١٣٣) « وأم جرذان بالمدينة مثل البرنى بالبصرة ، تلقط أبدا حتى لا يبقى عليها شىء » وهو معرب من « برنيك » الفارسية ، « بر » بمعنى حمل ، و « نيك » بمعنى جيد ، فمعناه الحمل الجيد . وهذه الـكلمة محرفة فى الأصل . فهى فى ط ، هـ : « مسان » وفى س : « قرنبا » والوجه فيه ما ذكرت ، انظر التنبيه الأول من هذه الصفحة .

(٤) النارجيل : الجوز الهندى ، تعريب « ناركيل » . وضبط بفتح الراء ضبط قلم فى القاموس واللسان . ط : « النارجيلى » صوابه فى س ، هـ .

(٥) المقل ، بالضم : حمل شجرة الدوم .

(الذئب والنسيم)

قال : والذِّئْبُ أيضاً ، وإن كان عندهم[١] ممَّا لايجتزى بالنَّسيم[٢] ، فإنّه من الحيوان الذى يفتح فاه للنَّسيم ؛ ليبرد جوفه من اللهيب[٣] الذى يعترِى السِّباع؛ ولأنّ ذلك يمدّ قوّته، ويقطع عنه ببرودته[٤] ولطافته الرِّيق. فإن كان ذا سُعْرٍ[٥] [إذا عدا[٦]] احتشى ريحاً .

(اختلاف صبر الذئب والأسد على الطعام)

وربّما جاعَ الأسد ففعل فِعْلَ الذِّئب ، فالأسد والذِّئب يختلفان فى الجوع والصبر ؛ لأنَّ الأسدَ شديدُ النَّهَمِ ،رغيبٌ حريص شَرِهٌ ؛ وهو مع ذلك يحتملُ أنْ يبقى أيّامًا لايأكلُ شيئاً . والذِّئبُ وإن كان أقفر[٧] منزلاً ، وأقلّ خِصْبا ، وأكثرَ كَدًّا[٨] وإخفاقا ، فلا بدّ له من شىء يُلقِيه فى جوفه ، فإذا لم يجدْ شيئاً استعارَ النسيم .

---

(١) ط ، س : « عنده » صوابه فى هـ .
(٢) فى الأصل : « الهرم منها لا يجتزى بالنسيم » وكلمة « الهرم » مقحمة . وكلمة « منها » محرفة عما أثبت .
(٣) س : « اللهث » .
(٤) س : « ببرده » .
(٥) السعر ، بالضم : الجوع والحر . وفى الأصل : « سحر » . ولا وجه له .
(٦) الزيادة من س ، هـ .
(٧) كذا على الصواب فى ط ، هـ ومباهج الفكر والدميرى وثمار القلوب ٣١٠ وفى س : « أقعد » ولا وجه له .
(٨) كذا فى الأصل ومباهج الفكر والدميرى . والكد : الشدة فى العمل ، والإلحاح فى محاولة الشىء . وربما كانت هذه الكلمة : « إكداء » والإكداء بمعنى الإخفاق .

(حيلة بعض الجائعين)

والنَّاس إذا جاعُوا واشتدَّ جوعُهم شدُّوا على بطونهم العمائم . فإن استقلوا ، وإلاَّ شدُّوا الحَجَر[١] .

(شعر فى الذئب)

وأنشَدَ[٢] :

كَسِيدِ الغَضَا العَادِى أضلَّ جِراءَه[٣]،

على شَرَفٍ مُسْتَقْبِلَ الرِّيحِ يَلْحَبُ[٤]،

كأنّه يجمع استِدْخالَ الرِّيحِ والنَّسيم ، فلعلَّه أن يجدَ ريحَ جِرائه .

وقالَ الرَّاجز[٥] :

يَسْتَخْبِرُ[٦] الرِّيحَ إذا لم يَسْمَعِ ... بِمثْلِ مِقْرَاعِ الصَّفَا المُوقَّعِ[٧]

(١) روى ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث ٣١٨ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مادعا على مضر بقوله : « اللهم اشدد وطأتك على مضر . . . » الخ — نال الجدب رسول الله وأصحابه حتى شد هو وشد المسلمون على بطونهم الحجارة من الجوع . ط « الحجز » صوابه فى س ، ه .

(٢) ط ، : « وأنشدوا » ،

(٣) السيد : الذئب ، والغضا : الجمر بالتحريك ، وهو ماواراك من شجر وغيره ، وذئب الغضا أخبث الذئاب . العادى ، بالدال : الذى يعدو . أضل جراءه : فقد أولاده ، والجراء ، بالكسر : جمع جرو . ط ، ه : « أصل » ، ط ، ه ، س : « جراءة » وذانك تصحيفان .

(٤) الشرف : ماعلا من الأرض ، وإنما يستقبل الريح ليتشمم ريح أولاده . يلحب : يسرع .

(٥) هو أبو الردينى العكلى ، كما أسلفت فى الجزء الأول ص ٣٤ نقلا عن البيان (١ : ٧٢) .

(٦) ط : « يستبخر » صوابه فى س ، ه والبيان (١ : ٧٢) .

(٧) المقراع : الفأس يكسر بها الصخر . الموقع : المحدد . وقع الحديدة : حددها .

(شَمّ الظليم)

والظَّلِيم يكون على بيضه فيشمُّ ريح القانص من أكثَرَ من غَلْوَةٍ ، ويبعُد عَنْ رِئالِه[١] فيشمُّ ريحَها من مكانٍ بعيد .

وأنشدنى يحيى بن نُجيم[٢] بن زَمَعة قال :

أشمُّ من هَيَقٍ وأهْدَى من جَمَلْ[٣]

وأنشدنى عَمْرُو بن كِرِكِرة[٤] :

مازَالَ يشتَمُّ اشتمامَ الهيْقِ

قال : وإنّما جعله ذئبَ غضاً لأنهم يقولون : ذئبُ الخَمَرِ[٥] أخبث .

ويقولون : شَيْطان الحَماطة[٦] : يريدون الحيّة .

(بعض ضروب الحيّات)

وكلُّ حيّةٍ خفيفةِ الجسم فهى شَيطان[٧] . والثِّقالُ لاتَنْشط من أرضٍ إلى أرض ، وتنقلُ عمَّا تبلغُه المستطيلاتُ الخِفاف . وقال طرَفة :

تلاعِبُ مَثْنَى حَضْرَمِيٍّ كأنّهُ تعَمُّجُ شَيْطانٍ بذى خِرْوعٍ قَفْرِ[٨]

---

(١) الرئال : جمع رأل ، وهو فرخ النعام .

(٢) فى الأصل : « لحيم » باللام ، وهو تحريف . وقد سبقت ترجمة يحيى بن نجيم فى (٢ : ٣٥١) .

(٣) الهيق ، بالفتح : ذكر النعام . وأهدى : من الهداية .

(٤) سبقت ترجمته فى (٣ : ٥٢٥) . ط : « عمر » صوابه فى س ، ه .

(٥) الخمر ، بالتحريك : ما واراك من شجر وغيره .

(٦) الحماطة ، بالفتح : واحدة الحماط ، وهو شجر التين الجبلى ، والحيات تألفه .

(٧) قال الجاحظ فى (١ : ١٥٣) : « ويسمون الحية إذا كانت داهية منها شيطانا »

(٨) ط : « خضرمى » صوابه فى س ، ه . تعمج : تلو . ط ، ه : « تمعج » صوابه فى س . وقد سبق البيت فى (١ : ١٥٣) وسيعاد فى (٦ : ٥٩) .

الـكِرْمانى عن أَنَس — ولا أدرى مَنْ أنسٌ هذا — فِي صفة ناقة :

شَنَاحِيَةٌ فيها شناحٌ كأنّها
حَبَابٌ بكفٌ الشَّأْوِ من أسطعٍ خَشْرِ[1]

والحَباب : الحيّة الذّكر .

(بعض المضاف إلى النبات من الحيوان)

وكما يقولون : ذئب الخَمَر ، يقولون : أرنب الخلّة[2] ، وتيس الرَّبْل[3]

٤٦ وضبُّ السَّحَا[4] . والسَّحَا[4] بقلةٌ تحسُنُ حالُه[5] مَنْ أكلها .

وكذلك يقولون : « ماهو إلاّ قُنْفُذُ بُرْقَةَ[6] » لأنه يكون أخبثَ له .

وذلك كلّه على قَدْر طبائع البُلدانِ والأغْذِيَةِ العاملةِ فى طبائع الحيوان .

(١) الشناحية : الطويلة الجسيمة . والشأو : الزمام . ط : « الشاء » صوابه فى س ، ه والجزء الأول ص ١٥٣ . والأسطع : العنق الطويل . والخشر : المستوى .

(٢) الخلة ، بالضم : شجرة شاكة ، وفى ثمار القلوب ٣٣٠ : « الحلة » بالحاء المهملة وهى بالكسر : شجرة شاكة أيضاً .

(٣) المراد بالتيس هنا . الذكر من الظباء أو الوعول . والربل بالفتح : ضروب من الشجر إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفطرت بورق أخضر من غير مطر . وفى الأصل : « الرمل » ، وهو تحريف صوابه فى ر ٦ : ٣٨) ، وجاء فى شعر امرئ القيس :

وراح كتيس الربل ينفض رأسه أضاة به من صائك متحلب

(٤) السحا ، بالفتح : جمع سحاة ، وهى شجرة شاكة . س : « السحاء » وهى بالكسر نبت شائك يرعاه النحل ، عسله غاية .

(٥) س : « حالة » .

(٦) البرقة ، بالضم : غلظ من الأرض فيه حجارة ورمل وطين مختلطة .

(بعض طبائع البلدان)

ألا ترى أنّهم يزعمُون أنَّ مَن دخَلَ أرضَ تُبَّتَ[١] لم يزَلْ ضاحكا مسروراً ، من غير عَجَبٍ[٢] حتّى يخرجَ منها .

ومن أقام بالموصِل حولاً ثم تفقّد قوّته وجد فيها فضلاً . ومن أقام بالأهواز حَوْلاً فتفقَّد عقلَه[٣] ذُو فِراسةٍ وجد النُّقصانَ فيه بيِّنا . كما يقال فى حُمَّى خَيبر[٤] ، وطِحال البحْرين[٥] ، ودماميل الجزيرة[٦] ، [وجَرَب الزّنج[٧]] . وقال الشّماخ[٨] :

(١) تبت ، بضم التاء وتشديد الباء المفتوحة : ذاك الإقليم الصينى .

(٢) العجب : ما يتعجب منه . وتجد مثل هذا الكلام فى معجم البلدان وثمار القلوب ٣١٠ وعيون الأخبار ١ : ٢١٩ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٦٤ . قال ياقوت فى نعت أهلها : « والتبسم فيهم عام حتى إنه ليظهر فى وجوه بهائمهم » .

(٣) ط ، هـ : « قوته » صوابه فى س وعيون الأخبار ومحاضرات الراغب . قال ياقوت : « ومن أقام بها سنة نقص عقله » .

(٤) خيبر ، هى الولاية التى كانت عندها الغزوة المشهورة ، وكانت ذات سبعة حصون ولذلك تسمى « خيابر » أيضاً ، كما ورد فى شعر لابن قيس الرقيات . ومعنى « خيبر » الحصن باللغة العبرية كما فى معجم البلدان . ويقال لها أيضاً « خيبرى » كما ورد فى الأمثال : « به الورى وحمى خيبرى » . أمثال الميدانى (١ : ٩٥) وفى العقد (٤ : ٣٠١) مايفهم منه أن يهود خيبر كانوا يتبعون نظاما صحيا كفل لهم قلة التعرض لحماها : « سئل يهود خيبر : بم صححتم على وباء خيبر ؟ قالوا : بأكل الثوم ، وشرب الخمر ، وسكون اليفاع ، وتجنب بطون الأودية ، والخروج من خيبر عند طلوع النجم وعند سقوطه » .

(٥) قالوا : من سكن بالبحرين عظم طحاله ، قال شاعرهم :

ومن يسكن البحرين يعظم طحاله ويغبط بما فى بطنه وهو جائع

(٦) هذه الجزيرة هى المسماة « جزيرة أقور » ، وهى التى بين دجلة والفرات مجاورة تشتمل على ديار بكر وديار مضر ، ومن أمهات مدنها حران والرهان والرقة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور ، وماردين وآمد وميافارقين والموصل . انظر معجم البلدان .

(٧) هذه الزيادة من هـ . وفى ثمار القلوب ٤٣٥ : « طرب الزنج » حيث تحدث فى ذلك حديثاً طويلا . وكل منهما خاصة من خواص الزنج . وسيأتى فى ٤٧ ساسى فى الكلام على بلاد الزنج : « ألا يزال جربا ما أقام بها » .

(٨) س : « شماخ » .

كأنَّ نطاة خَيْبَرَ زوَّدَتْه بَكُورَ الوِرْدِ رَيِّثَةَ القُلُوعِ[١]

وقال أوسُ بن حجَر .

كأنَّ به إذْ جئتَه[٢] خَيْبَرِيَّةً يَعُودُ عَلَيْهِ وِرْدُهَا وقُلاَلُهَا[٣]

وقال آخـــر :

كأنّ حمَّى خَيبر تَمُلُّه[٤]

وكذلك القول فى وادى جُحفة[٥]،وفى مَهْيَعَةَ[٦] ، وفى أصول النخل حيث كان .

وقال عبد الله بن همام السَّلولىُّ فى دماميل الجزيرة :

---

(١) نطاة ، بالنون المفتوحة : عين ماء بقرية من قرى خيبر . وفى الأصل : « قطاة » صوابه فى معجم البلدان حيث روى البيت ، وديوان الشماخ ٥٧ . زودته : أعطته زادا . بكور الورد : يعنى حمى تباكر بوردها جسمه . ريثة القلوع : بطيئة الانكشاف والبرد . فى الأصل : « رتقه » مكان « ريثه » صوابه فى المعجم والديوان . وقبل البيت :

ألا تلك ابنة الأموى قالت أراك اليوم جسمك كالرجيع

(٢) فى الأصل : « كأن به أدحية » . وفى ديوان أوس : « أرخيه » صوابهما ما أثبت من معجم البلدان (نطاة) وثمار القلوب ٤٣٦ وعنى بالخيبرية الحمى .

(٣) الورد ، بكسر الواو : اسم من أسماء الحمى، أو هو يوم ورودها . « قلالها » ، كذا جاءت بالأصل : . وفى المعجم والثمار : « ملالها » . والملال ، بالضم : حرارة الحمى ، أو التقلب من المرض . وما فى الأصل هو الموافق ماقى الديوان .

(٤) تمله : كأنها تضعه فى الملة ، وهى بالضم : الرماد الحار .

(٥) الجحفة بين مكة والمدينة . روى أنه لما قدم الرسول المدينة استوبأها ، وحم أصحابه فقال : « اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة ، أو أشد ، وصححها ، وبارك لنا فى صاعها ومدها ، وانقل حماها إلى الجحفة » .

(٦) مهيعة : موضع قريب من الجحفة .

أُتيحَ له مِنْ شُرْطَةِ الحَيِّ جَانِبٌ غَلِيظُ القُصَيْرَى لحمُهُ مُتَكَاوِسُ[1]

تَرَاهُ إذا يَمْشِي يحكُّ كأنَّمَا به من دَماميل الجَزِيرةِ ناخسُ[2]

فحدَّثنى أبو زُفَرَ الضِّرارى[3] قال : مات ضِرار بن عمرو وهو ابن تسعين سنةً بالدَّماميل . قلت : والله إنّ هذا لعجب ! قال : كلاَّ إنَّما احتملها من الجزيرة .

وكذلك القولُ فى طواعِين الشّام . قال أحدُ بنى المغيرة ، فيمن مات منهم بطَوَاعِينِ الشام ، ومن مات منهم بطَعْنِ الرِّماح أيَّامَ تلك المغازى :

مَنْ يَنزِلِ الشَّامَ وَيَعْرَسْ بِهِ[4] فالشَّامُ إنْ لَمْ يُفْنِهِ كَاذِبُ

أَفْنَى بنى رَيْطَةَ فُرسانَهمْ عِشرينَ لم يُقْصَصْ لهم شارِبُ[5]

ومِن بنى أعمامِهِمْ مِثْلَهم لِمِثْلِ هذا عجِبَ العاجِبُ[6]

طَعْنٌ وطاعُونٌ مناياهُمُ ذلك ماخَطَّ لنا الكاتِبُ

(١) شرطة كل شىء : خياره ، ومنه شرطة السلطان وهم خيار جنده . فى الأصل : « سوطة » وتوجيهه من معجم البلدان . والجانب : الرجل الغريب . والقصيرى بضم القاف وفتح الصاد مع القصر : أعلى الأضلاع . ط : « القيصرى » س « القصير » صوابه فى هـ ومعجم البلدان ، والرواية فيه . « عريض القصيرى » . متكاوس : متراكب متراكم . ط ، هـ . « متقاوس » س . « متقاوس » تصحيحه من معجم البلدان .

(٢) الحك : مشية فيها شبه بمشية المرأة القصيرة إذا تحركت وهزت منكبيها . ورواية المعجم : « أبد إذا يمشى يحيك » . الأبد : السمين . يحيك : يتبختر ويختال . ط « كا نما » صوابه فى س ، هـ والمعجم .

(٣) ط . « الضارى » صوابه فى س ، هـ . وبدله فى ثمار القلوب ٤٣٨ . « أبو زرعة » فقط .

(٤) عرس به ، كفرح : لزمه .

(٥) فرسانهم ، بدل من بنى ريطة . لم يقصص لهم شارب : أى أنهم فى مقتبل الشباب .

(٦) العاجب : المتعجب . وفى ثمار القلوب ٤٣٥ : « يعجب العاجب » وفى س . « عجب عاجب » ، وهو مثل من أمثلة المبالغة ، كقولهم يوم أيوم ، وليل أليل ، وروض أريض ، وظل ظليل ، وحرز حريز ، وداء دوى .

(قدوم عبد الله بن الحسن على عمر بن عبد العزيز وهشام)

قال : ولمّا قَدِمَ عبدُ الله بن الحسن بن الحسن رضى الله عنهم ، على عمرَ بنِ عبدالعزيز — رضى الله عنه — فى حَوَائجَ له ، فلمَّا رأى مكانَه بالشام ، وعَرَفَ سِنَّه وسَمْتَه وعقلَه ، ولسانَه ، وصلاته وصيامه ، فلم يكنْ شىءٌ أحبَّ إليه من ألاَّ يراه أحــــدٌ من أهل الشام ، فقال له : إنِّى أخافُ عليكَ طَواعينَ الشَّام ؛ فإنَّك لن تَغْنَمَ أهلَك أكثَرَ منك[1] ، فالحَقْ بهم ؛ فإنَّ حوائجك ستسبقُك إليهم[2] . ثمّ قدم على هشامٍ ، فكره عبدُ الله أن يدخل منزلا له[3] حتّى يأتيَه فى ثيابِ سفَره ؛ مخافة سوءِ ظنّه[4] . فلما أعلمه الحاجبُ مكانَه ، ودخل عليه وعايَنه ، كره أن يقيم بها طَرْفَةَ عين . قال : اذكر حوائجك . قال : أحطُّ رَحْلى وأضعُ ثيابَ سفرى ، وأتذكَّرُ حوائجى . قال : إنَّك لنْ تجِدَنى فى حالٍ خيراً لك منِّى الساعة ! يريد أنّ القُلوبَ أرقُّ ماتكونُ إذا تلاقت العيونُ عن بُعْدِ عهد . وليس ذلك أراد[5] .

٤٧

---

(١) فى ثمار القلوب : « وإنك لم يغنم أهلك خيراً منك » وسبق مثل هذه الرواية فى (٣ : ٤٧٢) .

(٢) ثمار القلوب : « فإن حوائجك ستتبعك » وفى الحيوان (٣ : ٤٧٢) : « فإن حوائجهم ستسبقك » .

(٣) ط ، هـ : « منزله » .

(٤) أى لئلا يظن به العداء . وفى ط ، هـ : « شرحة » وما أثبت من س أوجه

(٥) انظر لتوضيح هذا ماسبق فى (٣ . ٤٧٢ س ١٣ ، ١٤) .

(طحال البحرين)

والعامّة تنشد :

مَنْ يَسْكُنِ البَحْرَيْنِ يعظُمْ طِحالُهُ   وَيُغْبَطْ بمـا فى بَطْنِهِ وَهْوَ جَائِعُ

ونظر دُكَينٌ الرّاجزُ، إلى أبى العباس[١] محمّدِ بنِ ذُؤَيبٍ الفُقَيمىّ الرّاجز، وهو غُلَيِّمٌ مصفرٌّ مَطحُول[٢] ، وهو يمتحُ على بَكَرةٍ[٣] ويرتجز . فقال : من هذا العُمانىّ[٤] ؟ فلزمته هذه النّسبة .

(جرب الزنج)

وحدّثنى يوسفُ الزِّنجىّ أنّه لابدَّ لكلِّ مَن قدِم من شِقِّ العراق إلى بلادِ الزِّنج ألاّ يزالَ جَرِبًا، ما أقام بها . وإنْ أكثرَ من شُرْبِ نبيذِها، أو شَرابِ النّارَجيل ، طمَسَ الخُمارُ على عقله ، حتّى لايكونَ بينه وبين المعتُوه إلاّ الشّىء اليسير .

---

(١) ط ، هـ : « ابن العباس » صوابه فى س ، وقد تقدمت ترجمته فى (٢ : ١٦٦) وفى الأغانى (١٧ : ٨١) : « ويكنى أبا عبد الله » فهما كنيتان له . ومثل ذلك فى العرب كثير . وفى المعارف ٢٥٩ فصل خاص بمن له كنيتان أو ثلاث

(٢) المطحول : الذى يشكو مرض طحاله .

(٣) البكرة ، بالفتح وتحرك : خشبة مستديرة فى وسطها محز يستقى عليها .

(٤) العمانى نسبة إلى عمان ، بضم العين بعدها ميم مفتوحة مخففة ، وهى بلاد عربية فى جنوب خليج فارس . وضبطت بتشديد الميم فى (خريطة) الممالك الإسلامية ، خطأ. وكانت البحرين وعمان منفصلتين قبل الدولة العباسية . قال ياقوت : « فلما ولى بنو العباس صيروا عمان والبحرين واليمامة عملا واحداً » . ومما يجدر ذكره أن أصل نسبة أبى العباس إلى البصرة ، أى هو بصرى ، كما فى الأغانى . وقد عقد ابن قتيبة فصلا لمثل هذه النسب فى المعارف ٢٥٧ — ٢٥٨ .

(طبيعة المصيصة)

وخبّرنى كم شئتَ من الغُزاة ، أن مَن أطالَ الصَّومَ بالمصيصة[١] فى أيّام الصّيف ، هاج به المِرار . وأنّ كثيراً منهم قد جُنُّوا عن[٢] ذلك الاحتراق .

(طبيعة قصبة الأهواز)

فأمّا قصَبَة[٣] الأَهواز ، فإنّها قلبتْ كلَّ مَن نزَلها من بنى هاشم إلى كثيرٍ من طِباعهم وشمائلهم[٤] ، ولا بدَّ للهاشميِّ ، قبيحَ الوجهِ كانَ أوحسناً ، أو[٥] دميماً كان أو بارعًا رائعا، مِنْ أن يكون لوجْهه وشمائله طبائعُ يَبينُ بها من جميعِ قريشٍ وجميعِ العرب . فلقد كادَتْ البلْدةُ أن تنقل ذلك فتبدِّله[٦] ، ولقد تَخَيَّفَتْهُ[٧] وأدخلَت الضَّيمَ عليه ، وبيَّنَتْ أثرَها فيه فما ظنُّك بصنيعها فى سائر الأجناس[٨] ؟!

ولفسادِ عُقولِهم ، ولؤمِ طبْع بلادِهم، لاتراهم مع تلك الأموالِ الكثيرةِ،

(١) يقال مصيصة ، بالفتح والصاد المشددة المكسورة ، ومصيصة بالتخفيف ، والأولى أصح ، وهى بين أنطاكية وبلاد الروم .

(٢) ط ، هـ : « من » .

(٣) ط ، هـ : « قضية » صوابه فى س . وقصبة الأهواز ، أى أكبر مدنها . قال صاحب العين : « الأهواز : سبع كور بين البصرة وفارس » .

(٤) أى طبائع الأهوازيين وشمائلهم . وفى معجم البلدان : « فانقلبوا إلى طباع أهلها » .

(٥) الأفضل إسقاط هذا الحرف كما فى ثمار القلوب ٤٣٧ .

(٦) هذه الكلمة وسابقتها ساقطتان من س .

(٧) تخفيه وتخوفته : تنقصته . ط : « تخفيته » صوابه فى س ، هـ .

(٨) فى ثمار القلوب ٤٣٥ نقلا عن الجاحظ : « ولقد تخفيه وتدخل الضنى عليه وتبين أثرها فيه » . الخ .

والضِّياع الفاشية ، يحبُّون من البنينَ والبناتِ مايحبُّه أوساطُ أهلِ الأمصار على الثَّروة واليَسار ، وإن طال ذلك . والمـال مَنْبَهَةٌ كما تعلمون .

وقد يكتسبُ الرَّجُل ، من غيرهم ، المُوَيل[١] اليسير، فلا يرضى لولده حتَّى يفرضَ له المؤدِّبين[٢] ، ولا يرضى لنسائه مثل الذى كان يرضاه قبل ذلك[٣] . وليس فى الأرض صناعةٌ مذكورةٌ ، ولا أدبٌ شريفٌ ، ولا مذهبٌ محمودٌ ، لهم فى شيء منه نصيبٌ وإن خَسَّ[٤] . ولم أرَ بِهاَ وَجْنةً حمراءَ لصبيٍّ ولا صبيّةٍ ، ولا دمًا ظاهراً ولا قريباً من ذلك . وهى قتّالَةٌ للغُرَباء .

٤٨ وعلى أنَّ حُمَّاها خاصَّةً ليست للغريب بأسرَعَ منها إلى القريب . ووباؤها[٥] وحُمَّاها،فى وقت انكشاف الوَباءِ ونُزوعِ الحمَّى عن جميع البُلدانِ.

وكلُّ محمومٍ فى الأرض فإنَّ حُمَّاه لاتنزِع عنه ، ولا تفارِقُه ، وفى بدنه منها بقيَّة ؛ فإذا نزَعَتْ عنه فقد أخَذَ منها عند نفسه البراءةَ ، إلى أنْ يعود إلى الخلْط ، وَأنْ يجمعَ فى جوفه الفسادَ[٦] . وليست كذلك الأهواز

---

(١) مويل : تصغير مال .

(٢) المؤدبون : جمع مؤدب ، بكسر الدال . والجاحظ ومن نحا نحوه يجعل المؤدب فوق المعلم . قال فى رسالة المعلمين (هامشة الكامل ١ : ٢٠) : « لو استقصيت عدد النحويين والعروضيين والفرضيين والحساب والخطاطين ، لوجدت أكثرهم مؤدب كبار ومعلم صغار » س . « المودين » محرف .

(٣) كذا فى س . وفى ط ، هـ : « ولايرضى للسانه بمثل الذى كان يرضاه قبل ذلك » وتصحح مع إعادة الضمير إلى ولده ، أى هو يختار لولده المتازين من المؤدبين

(٤) خس : قلّ . وفى الأصل وكذا فى معجم البلدان : « حسن » . وبعدها فى المعجم « أودق أوجل » ، وياقوت بدون ريب ينقل كلام الجاحظ .

(٥) ط ، هـ : « ووباها» .

(٦) بدله فى معجم البلدان : « إلا أن تعود لمـا يجتمع فى بطنه من الأخلاط الرديئة » .

لأنها تُعاوِد من نزَعتْ عنه من غير حدَث ، كما تعاود أصحابَ الحدَث ؛ لأنَّهم ليسوا يُؤْتَون من قبل النَّهَمِ [١] ، ومن قِبَل الخلْط والإكْثار ، وإنَّمـا يُؤتَوْن من عينِ البلدة .

وكذلك جمعَتْ سوقُ الأهوازِ الأفاعيَ فى جبلِها الطَّاعِنِ فى منازلهـا ، المطِلِّ عليها ؛ والجَرَّاراتِ [٢] فى بيوتِها ومقابرها ومنابرها . ولَو كان فى العالَمَ شىءٌ هو شرٌّ من الأفعَى والجرَّارة ، لمـا قَصَّرَت قصَبة الأهواز عن توليدِه وتلقيحه . وبَليتُها [٣] أنَّها من ورائها سِبَاخٌ [٤] ومناقعُ مياهٍ غليظةٍ وفيها أنهارٌ تشُقها مَسَايِلُ كُنُفِهم [٥] ، ومياهُ أمطارهم ومُتَوضَّآتِهِمْ [٦] . فإذا طلَعت الشَّمسُ فَطالَ مُقامُها ، وطالت مقابلتُها لذلك الجبل ، قبل

(١) الأولى : « التخم » جمع تخمة . كما جاء فى معجم البلدان .

(٢) الجرارات : ضرب من العقارب .

(٣) كذا على الصواب فى س . وفى ط : « تليينه » وفى هـ : « تليينها » . وفى معجم البلدان زيادة : « من » قبل : « بليتها » .

(٤) سباخ ، بالكسر : جمع سبخة بالتحريك ، وهى الأرض تعلوها ملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر . هـ : « سباحة » س : « سباخة » محرفتان عما أثبت من س .

(٥) كذا فى س ومعجم البلدان . ونحوه فى ثمار القلوب ٤٣٧ . وفى ط : « لسقيها مسائل كنفهم » و هـ : « تسبقها مسائل كنفهم » والكلمة الأولى فى ط لها وجه وفى هـ محرفة . أما الكلمة الثانية : « مسائل » فهمزها خطأ ، لإن ياء مفرده مسيل ياء أصلية . ولم يرد الهمز إلا فى كلمتين ، إحداهما : « مصائب » وهذه لايعترف بها الأصمعى ويقول إنها من لغة أهـل الأمصار والمعروف : « مصيبات » . والثانية لم ترد إلا فى بعض القراءات غير السبع ، من قول الله : « وجعلنا لكم فيها معايش » . انظر المصباح . وقال السفاقسى : « وشذ خارجة فرواه عن نافع ، وهو ضعيف جداً ، بل جعله بعضهم لحنا » غيث النفع ١٣٠ .

(٦) كذا فى معجم البلدان . وفى الأصل : « ومتوضئهم » بالإفراد . وفى ثمار القلوب « ميضآتهم » .

بالصَّخْرِية التي فِيــه(١) تلكَ الجرّارات . فإذا امتلأتْ يبَساً وحرارةً ، وعادتْ جمرةً واحدةً ، قذفت ماقَبلت من ذلك عليهم .

وقد تُحدِث [تلك] السِّباخ(٢) وتلك الأنهار(٣) بُخَاراً فاسداً ، فإذا التقى عليهم ماتُحدِث السِّباخُ وما قذفه ذلك الجبلُ ، فسَدَ الهواء . و بفساد الهواء يفسُد(٤) كلُّ شيءٍ يشتملُ عليه ذلك الهواء .

وحدَّثنى إبراهيمُ بن عبَّاسٍ بن محمدِ بن منصورٍ، عن مَشْيخةٍ(٥) من أهل الأهواز، عن القوابل، أنهنَّ ربّما قَبِلْنَ(٦) الطِّفلَ المولودَ ، فيجدْنَهُ فى تلك السَّاعةِ محمومًا . يعرِفْنَ ذلك ويتحدَّثْن به .

(عيون الحيات والخطاطيف)

[قال(٧)] : ويعرِض لفراخِ الحيَّات مثلُ الذى يعرِض لفِراخِ الخَطاطِيف ؛ فإنَّ نازعًا لو نزَع عيونَ فراخِ الخطاطيفِ ، وفراخِ الحيّاتِ ، لعادتْ بصيرةً(٨) .

---

(١) ط ، هـ : «بالصخرة» صوابه فى س . ط : «فيها» صوابه فى س ، هـ

(٢) سبق تفسير هذه الكلمة فى الصفحة السابقة .

(٣) س فقط : « الأمطار » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س ، هـ .

(٥) مشيخة ، كمرحلة ، وأيضاً بفتح الميم وكسر الشين : جمع شيخ . ط فقط : « شيخة » وهى صحيحة أيضاً ، وضبطها كعنبة وسدرة .

(٦) قبلت القابلة الولد : تلقته عند خروجه .

(٧) الزيادة من س ، هـ .

(٨) ذاك زعم .

(مفارقة السلحفاة والرق والضفدع للماء)

وزعم[١] أنَّ السُّلحفاةَ والرّقّ ، والضّفدع ، ممّا لابدَّ له من التنفُّس، ولابدَّ لها من مفارقةِ الماء ؛ وأنَّها تبيض وتكتسب الطعم وهى خارجة[٢] من الماء ؛ وذلك لِلنَّسب الذى بينها و بين الضّبّ[٣] ، وإن كان هذا بَرِّيًّا وهذا بحريًّا .

(شبه بعض الحيوان البرى بنظيره من البحرى)

ويزعمُون أنَّ ما[٤] كان فى البرِّ من الضبِّ والورَل والحِرباء ، والحلكاء[٥] ، وشحْمة الأرض ، والوزَغ والعظَاء[٦] مثلُ الذى فى البحر من السُّلَحفاةِ والرّقّ ، والتِّمساح ، والضِّفدع ؛ وأنَّ تلك الأجناسَ البرّيّةَ وإن اختلفَتْ فى أُمورها ، فإنّها قد تتشابه فى أمور ؛ وأنّ هذه الأُجناسَ البحرية من تلك ، ككلب الماء من كلب الأرض .

---

(١) نسى الجاحظ أن يذكر صاحب الزعم ، أو سقط من الناسخين . وقد يكون الزاعم صاحب المنطق .

(٢) ط : « خراجة » تحريف مافى س ، هـ .

(٣) س : « وذاك النسب » الخ . ط ، هـ : « التى » صوابها فى س .

(٤) ط : « أيما » صوابه فى س ، هـ .

(٥) الحلكاء ، بالضم ، وبالفتح ، وبالتحريك : ضرب من العظاء . ط فقط: « الحلكى » وهى صحيحة فى ذاتها ، وضبطها بضم الحاء واللام ، وتشديد الكاف المفتوحة . ولكنى لا أحسب الجاحظ استعمل هذه اللغة ، وإنما هو تحريف من الناسخ .

(٦) العظاء ، بالفتح : جمع عظاءة ، وهى دويبة كسام أبرص . س : « والقطاة » هـ : « والقطا » صوابه فى ط .

(صوم بعض الحيوان)

وقد زعم صاحبُ المنطق أنّ الحيَّة وسامّ أبْرَص[١] من العظَاء ، والتِّمساح ، تسكنُ فى أعشّتها[٢] الأربعةَ أشهر الشديدةَ البرد[٣] ، لاتطعم شيئاً ؛ وأنّ سائر الحيّاتِ تسكنُ بطنَ الأرض . فأمّا الأفاعى فإنّهَا تسكُن فى صُدوعِ الصَّخر . ٤٩

وليس لشىءٍ من الحيوانِ من الصَّبر عن الطُّعمِ مالهذه الأجناس . و إنَّ الفيل ليناسبُها من وجهين : أحدهما من طول العمر ؛ فإنَّ منها ماقد عاش أربعَمائةِ سنة . والوجه الآخر أنّ الفيلة مائيَّة [وهذه الأجناس مائيَّة[٤]] و إن كان بعضُها لايسكن المـاء

(داهية الغَبَر)

قال :وسَمِعتُ يونُسَ بنَ حَبيبٍ[٥] يقول:«داهية الغَبَر[٦]» قال : وقيل

---

(١) ط : « تلك الحية » والوجه حذف الكلمة الأولى كما فى س ، ه . ط ، ه « من سام أبرص » صوابه فى س .

(٢) كذا ، وأصل العش للطائر .

(٣) ط : « أربعة أشهر شديدة البرد » . س : « الأربع الأشهر الشديدة البرد » وفيه تحريف . وأثبت مافى ه .

(٤) هذه الزيادة من ه .

(٥) فى الأصـل : « حرب » والصواب ما أثبت . وقد تقدمت ترجمته فى (١ : ٣٢٩) .

(٦) الغبر بالتحريك وبغين معجمة فى أولهـا : المـاء يغبر حينا فى المستنقع ، كما يفهم من التعليل الآتى . وفى أمثال الميدانى (١ : ٤٠) : « وسمعت أن الغبر عين ماء بعينه تألفه الحيات » . وفى معجم البلدان : « الغبر آخر محال سلمى بجانب جبل طيئ ، وبه نخل ، ومياه تجرى أبداً » . ط : « القبر » صوابه فى س ، ه .

ذلك لأنها ربَّما سكنَتْ بقُربِ ماء، إمَّا غديرٍ وإمَّا عينٍ، فتخْمِى[1] ذلك الموضعَ. وربما غبر ذلك الماء فى المنْقَع حيناً وقد حمئه. وقال الكذَّابُ الحِرمازىّ[2]:

يابنَ المعلَّى نزَلَتْ إحدَى الكُبَرْ[3] داهيةُ الدَّهرِ وصَمَّاء الغَبَرْ[4]

قال: وسأل[5] الحكم بنُ مروانَ بنِ زنباعٍ، عن بنى عبد الله ابن غطَفان، قال: [أفعى[6]] إنْ أيقظْتها لسعَتْك، وإن تركْتَها لم تضِرْك.

(نادرة تتعلق بالحيات)

وذكر عن سعيد بن صخر[7] قال: نُهش رجلٌ من أهل البادية كثيرُ المال، فأشفى على الموت، فأتاهم رجلٌ فقال: أنا أرْقيه، فما تُعطونى[8]؟

---

(١) كذا على الصواب فى س. وفى ط: «فتحس» وفى ه: «فتنحى» محرفتان.

(٢) سبقت ترجمته فى (٣: ٤٨٤).

(٣) كذا الرواية أيضاً فى ثمار القلوب ٣٣٦. والرواية فى اللسان (غبر) وكذا فى أمثال الميدانى: «أنت لها منذر من بين البشر» أى يامنذر. وفى اللسان أنه يمدح بهذا الشعر المنذر بن الجارود.

(٤) ط: «العبر» بالعين المهملة، صوابه فى س، ه.

(٥) كذا. ولعلها: «وسئل».

(٦) الزيادة من س، ه. وانظر ماسبق من الكلام على «أفعى» فى ص ١١٧.

(٧) سبقت ترجمته فى (٢: ٣٦٣).

(٨) ط: «فمان تعطونى» صوابه فى س، ه. وقد حذف إحدى نونى: «تعطونى» وهو جائز. وفى المغنى: «ونحو تأمرونى يجوز فيه الفك والإدغام والنطق بنون واحدة».

فشارطُوه عَلَى ثلاثين درهما[١] ، فرقَاه وسقَاه أشياءَ ببعض الأخلاط ، فلمَّا أفاقَ قال الرَّاقى والمداوى : حقى ! قال الملدوغ : وما حقه ، قالوا : ثلاثون درهما . قال أُعطيه من مالى ثلاثينَ درهما فى نَفَثَاتٍ نَفَثَهَا ، وَحَمْضٍ سَقاه[٢] ! لاتُعطوه شيئًا !

(حديث سكر الشطرنجى)

وحدَّثنى بعضُ أصحابِنا عن سُكَّرٍ الشِّطرنجىّ ، وكان أحمقَ القاصِّين[٣] ، وأحذقَهم بلعب الشِّطرنج ، وسألته عن خرق كان فى خَرَمَةِ أنفه[٤] فقلت له : ما كان هذا الخرق ؟ فذكر أنَّه خرج إلى جَبُّلَ[٥] يتكسَّب بالشِّطْرَنج ، فقدم البلدةَ وليس معه إلاَّ درهمٌ واحد ، وليس يَدرِى أينجَح أم يَخْفِق ، ويَجِدُ صاحبَه الذى اعتمَدَه أمْ لاَيجده[٦] ؟ فورد على حَوَّاء وبين يديه جُوَنٌ عِظَامٌ[٧] فيها حياتٌ جليلة .

والحيَّة إذا عضَّت لم تكنْ غايتُها النَّهش أوالعضّ[٨] ، وأن ترضى بالنَّهش،

---

(١) ط : « فارقوه عن ثلاثين درهما » تصحيحه من س ، هـ .

(٢) الحمض ، بالفتح ، أصله كل نبت مالح أوحامض ، وجعله هنا للدواء الذى فيه حموضة هـ : «وحرس سق» والكلمة الأولى فى هـ محرفة .

(٣) جمع قاص للقصص . س ، هـ : «العالمين» .

(٤) الخرمة ، بالتحريك : موضع الخرم من الأنف . وفى الأصل : « الخزامة » ، وهى ككتابة : البرة تجعل فى الأنف . ولا وجه لها .

(٥) جبل ، بفتح الجيم وتشديد الباء المضمومة : بليدة بشاطئ دجلة . وفى الأصل : « الجبل » ولا تصح ؟ فإن الجبل اسم البلاد كثيرة تمتد مابين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم القاموس ومعجم البلدان .

(٦) ط : « ويجدو صاحبه الذى اعتمده أيجده أم لا » س : « ويحده أجه » الخ صوابهما فى هـ .

(٧) جون ، بضم الجيم وفتح الواو : جمع جونة ، بالفتح . وقد سبق تفسيرها .

(٨) ط : « والعض » .

ولـكنَّها لاتعضُّ إلاَّ للأَكل والابتلاع . وربَّمَا كانت الحيَّات عِظامًا جدًّا ولا سمومَ لهـا ، ولا تَعْقِر[١] بالعضّ؛ كحيات الجَوْلاَنِ[٢] .

وفى البادية حيَّة يقال لها الحُفَّاث[٣] والحُفَّاث من الحيَّات تأكل الفأر وأشباهَ الفأر ، ولهـاوعيدٌ مُنكَرٌ ، ونفْخٌ وإظهارٌ للصَّولة ؛ وليس وراء ذلك شَىْء[٤] . والجاهل ربَّمـا ماتَ من الفزَع منها . وربَّما جمعت الحيَّة السَّمَّ وشدَّةَ الجَرْح ، والعضَّ والابتلاعَ ، وحَطْمَ[٥] العظْم .

فوقف سُكَّرٌ على الحوّاءِ وقد أُخرج من جَونتِه أعظمَ حَيَّاتٍ فى الأرض، وادّعى نُفوذَ الرُّقيةِ وجَودةَ التِّرياق ، فقال لهسُكَّرٌ[٦] : خُذْ منِّى هذا الدِّرهمَ وارقنى رُقْيةً لاتضرُّنى مَعَها حيّةٌ أبدا ! قال: فإنِّي أفعل . قال : فأرْسِلْ قبل ذلك حَيَّةً ، حتّى ترقِيَنى بعدَ أن تعضَّنى ؛ فإنْ أفقْتُ علمتُ أنَّ رُقْيَتَك صحيحة . قال : فإنِّى أفعـــل ، فاختَرْ أيَّتَهنَّ شئت . فأشار إلى واحدةٍ ممَّـا تعضُّ للأَكلِ دونَ السَّمّ ، فقال : دعْ هذه ؛ فإنَّ هذه إن قبضَتْ على لحمك لم تفارقكَ حتى تقطعك[٧]! قال:فإنِّى لاأريد غيرَها . وظنَّ أنّه إنَّمـا زَوَاها عنه لفضيلةٍ فيها . قال : أمَّا إذْ أبيت إلاَّ هذه فاختَرْ موضعاً من جَسَدِكَ حَتَّى أرسلها عليه . فاختارَ أنفه ، فناشده وخوّفه،فأبى إلاَّ ذلك

٥٠

(١) تعقر : تجرح . وفى ط : « تنفر » تحريف مافى س ، هـ .
(٢) الجولان ، بالفتح : جبل من نواحى دمشق . معجم البلدان .
(٣) الحفاث ، بحاء مضمومة بعدها فاء مشددة مفتوحة . ط : « الحناث » س ، هـ : « الخفاث» صوابهما ما أثبت .
(٤) ط : « سيا » صوابه فى س ، هـ .
(٥) محرفة فى الأصل ، فهى فى ط ، هـ : « خطم » وفى س : « حكم » .
(٦) ط : « سكن » صوابه فى س ، هـ .
(٧) س : « لم تفارقه » فقط .

أو يردَّ عليه دِرْهَمَهُ . فأخذها الحوّاء وطواها على يده ؛ كى لايدعَها تنكُز(١) فتقطع أنفَه من أصله . ثمَّ أرسلها عليه . فلما أنشبت أحَدَ نابَيْهَا فى شِقِّ أنفه صَرَخ عليه صَرخةً جمعتْ عليه أهلَ تلك البَلْدة ، ثُمَّ غُشِى عليه ، فأخذَ الحَوّاء فوُضع فى السِّجن ، وقتلوا تلك الحيّات ، وتركوه حتّى أفاقَ كأنّه أجنُّ الخلْق ، فتطوّعوا بحمله فحملوه مع المُكَارِى(٢) ، وردُّوه إلى البصرة ، و بَقِىَ أَثَرُنَابِهَا فى أنفه إلى أن مات .

(مايغتصب بيت غيره من الحيوان)

قال : وأشياء من الحشرات لاتتخذ لنفسها ولا لبيضها ولاأولادها(٣) بيوتاً ، بل تظلم كلَّ ذى جُحر جُحرَه ، فتخرجُه منه ، أو تأكُلُه إنْ(٤) ثبَتَ لها .

والعربُ تقول للمُسىء : « أَظْلَمُ مِنْ حَيَّةٍ » لأنَّ الحيَّة لاتتَّخذ لنفسها بيتاً . وَكُلُّ بيتٍ قصدَت نحوَه هرب أهلُه منه ، وأخْلَوْه لها .

(عداوة الورل للحيات)

والورَل يقْوَى(٥) على الحيَّاتِ ويأكلُها أكلاً ذريعاً . وكلُّ شِدَّةٍ يلقاها

---

(١) تنكز ، آخره زاى ، كما فى س . وفى ط ، هـ : « تنكر » محرفة .

(٢) المكارى : من يكرى الناس دابته . والكراء : الأجرة . س : « مكارى » صوابه : « مكار » بحذف الياء

(٣) س : « ولبيضها ولأولادها » .

(٤) ط : « إذ » .

(٥) ط : « يقول » صوابه فى س ، هـ .

ذو جُحْر منها فهى تَلقَى مِثلَ ذلك من الورَل . والورَلُ ألْطَفُ جِرْمًا من الضَّبّ .

وزعم أنَّهُمْ يقولون : « أَظْلَمُ مِنْ وَرَل » كما يقولون : « أَظْلَمُ مِنْ حَيَّةٍ » ، وكما يقولون : « أَظْلَمُ مِنْ ذِئْبٍ » ويقولون : « مَنْ اسْتَرْعَى الذِّئْبَ ظلَم[(1)] » .

(الورل والضبّ)

وبراثن الوَرَل أقوى مِن براثِنِ الضّبّ . والضِّبابُ تحفر جِحَرَتَها فى الكُدَى[(2)] . والوَرَل لايحفُرُ لنفسه بل يُخْرِجُ[(3)] الضّبّ من بيته . فتزعم الأعرابُ أنّه إنّما صار[(4)] لايحفر [لنفسه إبقاءً على براثنه . ويمنع الحَيَّةَ أن تحفُر بيتها] أنّ[(5)] أسنانَها أكَلُّ من أسنان الفأر [ومن التى تحفر بالأفواه والأيدى ؛ كالنمل والذّرّ وما أشبه ذلك] . والحيّة[(6)] لاترى أن تعانِيَ ذلك ، وَحَفْرُ غيرِها ومعاناتُه يكفيها .

---

(١) استرعاه : جعله راعيا . وظلم : أى ظلم الغنم ، أو ظلم الذئب حيث كلفه ماليس فى طبعه . وأصل المثل فى الميدانى (٢ : ٢٣٠) .

(٢) جحرة ، كعنبة جمع جحر . وفى الأصل : «أجحرتها» وليس قياسا ولا مسموعا . والصواب ما أثبت . والكدى : جمع كدية ، بالضم : وهى الأرض الصلبة . وكتبت فى الأصل بالألف خطأ ؛ إذ أصلها الياء .

(٣) ط ، هـ : «تخرج» صوابه فى س .

(٤) ط : «أنها إنما صارت» وتصحيحه من س ، هـ .

(٥) ط ، هـ : « لأن » صوابه فى س .

(٦) ط ، هـ : «فهى» .

(شعر فى ظلم الحية)

وفى ضَرْبِ المثل بظُلْم الحيّة ، يقول مضرِّس بن لقيط [(١)] :

لَعَمْرُكَ إنِّى لَوْ أخاصِمُ حَيَّةً إلى فَقْعَسٍ مَا أَنْصَفَتْنِىَ فَقْعَسُ [(٢)]

إذا قلتُ ماتَ الدَّاء بينى و بينَهُمْ سَعَى حَاطِبٌ منهم لآخَرَ يقْبِسُ [(٣)]

فما لَكُمُ طُلْسًا إلىَّ كأنَّكُمْ

ذِئَابُ الغَضَا والذِّئْبُ باللَّيلِ أَطْلَسُ [(٤)]

وجعله أطلس ؛ لأنّه حين تشتدُّ ظُلمة اللَّيل فهو أخفى له ، ويكونُ حينئذٍ أخبثَ له وأضرَى .

٥١ وقال حَرِيزُ بن نُشْبَة العَدَوِىّ [(٥)] ، لبنى جعفر بن كلاب ، وضَرَبَ جَوْرَ الحَيَّةِ والذِّئْبِ فى الحُكمِ مثلاً ، فقال :

---

(١) سبقت ترجمته فى (٣ : ٤٥٩) . وقد نسب البحترى الشعر فى حماسته ٣٨٠ إلى عامر بن لقيط الأسدى . وهذه النسبة الأخيرة أيضاً فى محاضرات الراغب (١ : ١٧٤) . وفى البيان (٢ : ١٢٤) : « قال الأسدى » .

(٢) قال الجاحظ فى البيان : « يقول : بلغ من ظلم قومنا لنا أنّا لو خاصمنا الذئاب والحيات وبها يضربون المثل فى الظلم ـ لقضوا لهما علينا » . وفقعس ، هو ابن طريف ، أبو حى من قبيلة أسد .

(٣) الحاطب : الذى يجمع الحطب . فى البيان : « أتى حاطب » .

(٤) طلسا : جمع أطلس ، وهو الذى فى لونه غبرة إلى سواد . ط : « طلسى » صوابه فى س ، ه والمراجع المتقدمة . وقد روى البحترى أبياتا بعد هذا فى حماسته .

(٥) هو حريز ، بحاء مهملة وزاى ، ابن عبدة ، أحد بنى زيد بن نشبة بن عدى بن أسامة ابن مالك بن بكر بن حبيب ، كما فى المؤتلف ٧٢ . وفى الأصل : « جرير » مصحف . ونشبة ، بضم النون بعدها شين معجمة ، هو جده لا أبوه . س : « نسة » محرف .

كَأَنَّنِي حِينَ أَحبُو جَعْفَرًا مِدَحَى ... أَسقِيهِمُ طَرْقَ مَاءٍ غيرِ مَشْرُوبِ (١)

ولو أُخاصِمُ أَفْعَى نَابُهَا لَثِقٌ ... أو الأَساوِدَ من صُمِّ الأَهاضيبِ (٢)

لكنتمُ معها إِلْبًا ، وكان لَهَا ... نَابٌ بأسفل ساقٍ أو بعُرْقُوبِ (٣)

ولو أُخاصمُ ذِئْبًا في أَكِيلته ... لجاءني جَمْعُكُمْ يسعَى مع الذِّيبِ (٤)

(فم الأفعى)

قال : والحيَّة واسعةُ الشَّحْوِ والفم ، لها خطم (٥) ، ولذلك ينفذُ نابُها . وكذلك كلُّ [ذِي (٦)] فمٍ واسعِ الشَّحو ؛ كفم الأسد . فإذا اجْتَمَعَ له سعةُ الشَّحو وطولُ اللَّحيين ، وكان ذا خَطمٍ وخُرطومٍ فهو أشدُّ له ؛ كالخنزير ، والذِّئب والكلْب . ولو كان لرأس الحيَّة عَظْمٌ كان أشدَّ لعضِّها (٧) ، ولكنَّه جلدٌ قد أطبقَ (٨) على عظمين رَقِيقَيْنِ مستطيلين بفكِّها الأعلَى والأسفل . ولذلك (٩) إذا أهوَى الرَّجُلُ بحَجرٍ أو عصًى ، رأيتَها تلوِّى رأسها

---

(١) ماء طرق ، بالفتح : بالت فيه الإبل وبعرت ، وقد طرقته . غير مشروب : غير صالح لذلك .

(٢) أفعى : سبق الكلام في تنوينها ص ١١٧ . لثق : مبتل بما ينطف من السم.

(٣) هم ألب عليه ، بالفتح والكسر : مجتمعون عليه بالظلم والعداوة . ط ، هـ : « إلبا معها » وبذا يختل الوزن . والوجه ما أثبت من س . و « ناب » هي بالنون في س . وفي ط ، هـ : « باب » ولهذه وجه .

(٤) الأكيلة : شاة تنصب ليصاد بها الذئب ونحوه . كالأكيل ، والأكولة بالضم .

(٥) ط ، هـ . « له خطم » صوابه في س .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) عظم : المراد عظم شديد . هـ ، ط : « خطم » ولا تصح . وانظر ماسبق قريبا .

(٨) كذا في س ، هـ . وفي ط : « انطبق » .

(٩) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ : « وكذلك » .

وتحتال فى ذلك ، وتمنعه بكلِّ حيلةٍ ؛ لأنَّها تعلم وتحسُّ بِضَعْفِ ذلك الموضع منها ، وهو مَقْتَلٌ . وما أَكْثَرَ ما يكون فى أعناقها تخصيرٌ[١] ولصدورها أغباب[٢] ، وذلك فى الأفاعى أعمُّ . وذلك الموضعُ المستدقّ إنَّما هو شىء كهيئة الخريطة ، وكهيئة فم الجِراب ، مُنْضَمُّ الأَثْنَاء[٣] ، مُثَنَّى[٤] الغضُون . فإذا شئتَ أن تفتَح انفتح لك فمٌ واسع .

ولذلك قال إبراهيم بن هانئ : كان فَتْحُ فمِ الجرابِ يحتاجُ إلى ثلاثة أيدٍ[٥] ، ولولا أنّ الحالين قد جعلوا أفواهَهم بدل اليد الثَّالثةِ لقد كان ذلك ممتنعًا حتَّى يستعينُوا[٦] بيدِ إنسان .

وهذا ممَّا يعدُّ فى مجون ابنِ هانئ .

وكذلك حُلوقُ الحيَّاتِ وأعناقها وصدورُها ، قد تراها فتراها فى العَين رقيقةً ، ولا سيَّما إذا أفرطَتْ فى الطُّول .

(شراهة الحية والأسد)

وهى تبتلعُ فِراخ الحمام. والحَيةُ أنهَمُ وأشره من الأسد . والأسدُ يبلَعُ البَضْعَةَ العظيمةَ من غير مضْغٍ ؛ وذلك لما فيه من فَضْل الشرَه . وكذلك الحيّة . وهما واثقان بسهولةِ وسَعَةِ المَخرج .

---

(١) تخصير : أى دقة فى وسطها .
(٢) جمع غبب ، وهو اللحم المتدلى تحت الحنك .
(٣) الأثناء : التغضنات . ط : « ضم » صوابه فى س ، هـ . وفى ط : « الانستاء » وفى س ، هـ : « الانثناء » صوابهما ما أثبت .
(٤) س ، هـ : « منثنى » .
(٥) س ، هـ : « أيدى » صوابه فى ط .
(٦) ط : « يستعين » صوابه فى س ، هـ .

(تِنِّين أنطاكية)

[و] مِمَّا عظَّمها وزادَ فى فَزَع النَّاس منها ، الذى يرويه أهلُ الشام ، وأهْلُ الْبَحْرَيْن ، وأهل أنطاكِيَة[١] ؛ وذلك أنِّى رأيتُ الثلثَ الأعلى من منارةِ مسجد أنطاكِيَة أظهرَ جِدَّةً من الثلثين الأسفلين ، فقلت لهم : مابالُ هذا الثلثِ الأعلَى أجدَّ وأطْرَى[٢] ؟ قالوا : لأنَّ تِنِّينا[٣] تَرَفَّعَ مِنْ بَحْرِنَا هذا ، فكان لايمرُّ بشىء إلاَّ أهلكه ، فمرَّ على المدينة فى الهواء ، محاذياً لرأس هذهِ المنارة ، وكانَ أعلى ممَّا هى عليه ، فضربَه بذنَبِهِ ضَرْبَةً ، حَذفت[٤] من الجميع أكثَرَ من هذا[٥] القدار ، فأعادوه بعد ذلك ، ولذلك اختلَفَ فى المَنْظَرِ . ٥٢

---

(١) أنطاكية ، بالفتح ثم السكون ، والياء مخففة . قال ياقوت : وليس فى قول زهير :

علون بأنطاكية فوق عقمة   وراد الحواشى لونها لون عندم

وقول امرئ القيس :

علون بأنطاكية فوق عقمة   كجرمة نخل أو كجنة يثرب

دليل على تشديد الياء ؛ لأنها للنسبة . وكانت العرب إذا أعجبها شىء نسبته إلى أنطاكية

(٢) أطرى : من الطراوة وهى الغضاضة والحداثة . هـ ، س : « أطوى » صوابه فى س . والكلام بعد هذه الكلمة إلى : « هذه المنارة » ساقط من س .

(٣) التنين ، كسجيل : حية عظيمة . ط : « تسميتنا » صوابه فى هـ .

(٤) ط : « خرقت » صوابه فى س ، هـ .

(٥) ط : « هذه » صوابه فى س ، هـ .

(الخلاف فى التنين)

ولم يزل أهلُ البِقاع يتدافعون أمْرَ التِّنِّين . ومن العجب أنّكَ تكون فى مجلسٍ وفيه عِشرُون رَجُلاً ، فيجرى ذِكرُ التِّنِّين فينكرُه بعضهم . وأصحاب التثبت[1] يدّعون العِيانَ . والموضع قريب ، ومَنْ يعاينُه كثير . وهذا اختلافٌ شديد .

(قول الأعراب فى الأَصَلة)

والأَعرابُ تقول فى الأصلة[2] قولاً عجيباً : تزعُمُ أنَّ الحيَّة التى يقال لها الأَصَلة لاتمرّ بشىء إلاّ احترق . مع تهاويلَ كثيرةٍ ، وأحاديثَ شنيعةٍ .

(الأجدهانى)

وتزعم الفُرْس أنّ الأجدهانى[3] أعظمُ من البعير ، وأنّ لها سبعةَ رءوس ، وربّمَا لَقِيَتْ ناسًا فتبتلع من كلِّ جهةٍ فمٍ ورأْسٍ إنسانا . وهو من أحادِيث الباعةِ والعجائِز[4] .

---

(١) ط ، هـ : « التثبيت » ووجهه ما فى س .

(٢) الأصـلة : حية كبيرة الرأس قصـيرة الجسم . واللغويون يختلفون فى تحليتها ، أى نعتها .

(٣) لم أهتد إلى ضبطه . وهو هكذا بالأصل .

(٤) ط : « أو العجائز » وتصحيحه من س ، هـ .

(الحية ذات الرأسين)

وقد زعم صاحبُ المنطق أنّه قد ظهرَتْ حَيّةٌ لهـا رأسانِ . فسألتُ[1] أعرَابيًّا عن ذلك فزَعَمَ أنّ ذلك حَقٌّ . فقلت له : فمن أىّ جهةِ الرّأسينِ تسعى ؟ ومن أيِّهما تأ كلُ وتَعَضّ ؟ فقال : فأمّا السَّعْىُ فلا تَسْعَى ، ولـكنّها تَسْعَى إلى حاجتها بالتقلب ، كما يتقلّب الصبّيانُ على الرّمْل . وَأمّا الأ كْل فإنهـــــا تتعشى بفمٍ وتتغدّى بفم . وأمّا العضُّ فإنها تعضُّ برأسيها معًا !! فإذا به أ كذبُ البَرِيةَّ . وهذه الأحاديثُ كلها ، ممّا يزيد فى الرعب منها ، وفى تَهْويل أمرها[2] .

(فُرانق الأسد)

ومِثْلُ شأنِ التِّنِّين مِثْلُ أمْرُ فُرانِقِ الأسد[3] ؛ فإنّ ذكرَه يجرى فى المجلس ، فيقول بعضهم : أنا رأيتهُ وسَمِعْتُهُ !

---

(١) ط ، ه : « فسئلت » صوابه فى س .

(٢) س : « والاستهالة لمنظرها » . والـكلام من بعد هـذه الـكلمة ، إلى « لمنظرها » الآتية ، ساقط من س .

(٣) الفرانق ، بضم الفاء . وفى الأصل « غرانق » صوابه ما أثبت . ولفظه معرب من « پَرْوَانَكْ » الفارسية. القاموس المحيط،ومعجماستينجاس . وهو ضرب من الوحش ، يتقدم الأسد ويرشده إلى فريسته .

(فزع الناس من الحية)

وربما زاد فى الرعب منها والاستهالةِ لمنظرها قولُ جميعِ المحدِّثين : إنَّ من أعظم ماخَلَقَ اللهُ الحَيةَ والسَّرطانَ والسَّمك !

(طول عمر الحية)

وتقول الأعراب : إنَّ الحَيةَ أطولُ عمرًا من النَّسر ، وَإن الناسَ لم يجدُوا حَيةً قطُّ ماتت حتْفَ أنفِهَا ، وإنمَا تموت بالأمرِ يعرض لهـا[١] . وذلك لأمور : منها قولهم إنَّ فيها شياطينَ ، وإنَّ فيها مِنْ مِسخ ، وإنَّ إبليسَ إنما وسوس إلى آدمَ وإلى حَوَّاء من جَوْفها .

(زعم الفضل بن إسحاق)

وزعم لى الفضلُ بن إسحاقَ ، أنهُ كان لأبيه [نُخَّانِ[٢]] ، وأنَّ طولَ كُلِّ نخ تسعةَ عشرَ ذراعا[٣] .

---

(١) ط : « بالأمر الذى يعرض لهـا » .

(٢) موضع هذه الكلمة بياض فى الأصل . وقد أثبتها اعتمادا على سياق الكلام . والنخ ، بالضم : بساط طوله أكثر من عرضه ، فارسى معرب . اللسان ، والألفاظ الفارسية . وضبطه صاحب القاموس بالفتح .

(٣) ط : « وأن طول كليهما » وأثبت مافى س ، هـ . وفى س : « كليا » بدل « ذراعا » وهو خطأ . وقد أتى الجاحظ بهذا الخبر شاهدا على المبالغة والتهويل ، فيما يظهر . انظر ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(ضروب الحيات)

ومن الحيَّات الجُرْد والزعْر ، وذلك فيها من [الغالب[(١)]] .
ومنها ذواتُ شعر ، ومنها ذواتُ قرون . [وأرسطو يُنْكِرُ ذلك[(٢)]]
و إنَّمَا يتخلق لها فى كلِّ عام قشرٌ وغِلاف فأمَّا[(٣)] مقادير أجسامها فقط .

(انسلاخ جلد الانسان)

وأمَّا الجلودُ فإنّ الأرمينيَّ زَعمَ أنه كان عندهم رجلٌ ينقَشِر من جلده وينسلخُ فى كلِّ شهرٍ مَرَّةً . قال فجمع ذلك فوُجد فيه مِلْء جراب . أو قال : أكثرُ .

(علة الفزع من الحية)

٥٣ وأمَّا الذى لا أشك فى أنه قد زاد فى أقدارها فى النفوس ، وعظَّم من أخطارها ، وهوَّل مِن أمْرها ، ونبّه على مافيها من الآيةِ العجيبةِ والبرهانِ النـيِّر ، والحجَّةِ الظاهرة ، [فَمَا[(٤)]] فى قلب العصا حَيَّة ،

---

(١) موضع هذه الكلمة بياض فى الأصل . وجاء فى حياة الحيوان : « ومن أنواعها الأزعر وهو الغالب فيها » .
(٢) هذه الزيادة عن الدميرى . ومكانها بياض بقدر نصف سطر فى س . ولم يبيض لها فى ط ، هـ .
(٣) بعد هذه الكلمة بياض نحو نصف سطر فى س فقط .
(٤) ليست بالأصل ، وبها يتم الكلام .

وفى ابتلاعها ماهوَّلَ به القومُ وسحَروا منْ أعْيُنِ النَّاس ، وجاءوا به من الإفك .

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَافِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لاَ أَقُولَ عَلَى اللهِ إلاَّ الحَقَّ [قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ(١)] فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِى إِسْرَائِيلَ . قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ(٢) ﴾ .

فإنْ قلت : إنه إنما حوَّل العصاَ ثُعباناً لأنهم جاءوا بحبال وعِصِىٍّ فحوَّلوها فى أعين الناس كلهاَ(٣) حيّات ، فلذلك قلبَ اللهُ العصاَ حَيةً(٤) على هذه المعارضة ولو كانوا حينَ سحرُوا أعيُنَ الناس جَعَلوا حبالهم وعصيَّهُمْ ذِئَاباً فى أَعْيُنِ الناسِ ونمُورًا ، لجَعَلَ اللهُ عصاَ مُوسى ذئبًا أَوْ نَمِرًا ، فلم يكن ذلك لخاصَّةٍ فى بَدَنِ الحَيةِ .

قلنا : الدّليل على باطل ماقلتم ، قَوْلُ الله تعالى : ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسى . قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهاَ وَأَهُشُّ بِهاَ عَلَى غَنَمِى وَلِىَ فِيهاَ مَآرِبُ أُخْرَى . قَالَ أَلْقِهاَ يَامُوسى . فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ وقالَ اللهُ عزَّ وَجلَّ(٥) : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسى لِأَهْلِهِ إِنِّى آنَسْتُ نَارًا(٦) ﴾

(١) هذه التكملة ليست فى س ، هـ . وإسقاطها تحريف شنيع . وبدلها فى ط كلة : « إلى » . وهـذه الآية وسابقتها ولاحقتاها ، هى الآيات ١٠٤ ــ ١٠٧ من سورة الأعراف .

(٢) هذا سهو من الجاحظ ؛ فإن هذه الآية من سورة أخرى هى سورة الشعراء ، وهى الآية الرابعة والأربعون .

(٣) ط ، هـ : « كأنها » وأثبت مافى س .

(٤) س : « قلت إن المصاحية » وهو تحريف مافى ط ، هـ .

(٥) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من هـ .

(٦) هذه هى الآية السابعة من سورة النمل . وتمامها : « سآتيكم منها بخبر أوآتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون » .

إلى قوله : ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ، يَامُوسَى لَاتَخَفْ إِنِّى لَايَخَافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ[١] ﴾ فقلبت[٢] العصا جانًّا ، وليس هناك حبالٌ ولا عِصِيٌّ . وقال الله[٣] : ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ . قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُبِينٍ . قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ فقلبُ[٤] العصا حَيَّةً كانَ فى حالاتٍ شَتَّى[٥] . فكان هذا مِمَّا زاد فى قدْر الحية .

وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال فى دعائه أن لا يميتَه اللهُ لَديغا . وتأويل ذلك : أنَّه صلى الله عليه وسلم ما اسْتَعَاذَ بالله من أن يموتَ لديغاً[٦] وأنْ تكونَ مِيتته بأكْلِ هذا العدوِّ ، إلا وهو من أعداءِ اللهِ ، بل من أشدِّهم عداوة .

وقال النّبيُّ صلى الله عليه وسلم : « أَشَدُّ النّاسِ عذاباً يومَ القيامةِ مَنْ قتَلَ نَبيًّا أو قتَلَهُ نبيٌّ » كأَنَّهُ كان فى المعلوم[٧] أنَّ النبيَّ لايقتُل أحدًا ،

---

(١) سها الجاحظ مرة أخرى فجعل عقب الآية هكذا : « ياموسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين » نخلط بين هذه الآية وبين الآية ٣١ من سورة القصص : « وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ياموسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين » . ومن العجب أن يمر على هـذا السهو والذى قبله نحو أحد عشر قرنا فلا يتهيأ أحد لإصلاحه ورده إلى نصابه . والحمد لله .

(٢) هـ : « فقلب » ولها وجه .

(٣) سقطت هذه الكلمة من س . وسقطت الكلمة الأولى فى الآية من ط . وهما مثبتتان فى هـ . والآيات هى ٢٩ — ٣٢ من سورة الشعراء .

(٤) س : « فقلبت » ولا تصح .

(٥) رسمت هذه الكلمة بالألف فى ط . وهى بقية من بقايا الرسم الأول .

(٦) ط « مستعاذ بالله أن يموت لديغا » وتصحيحه وإكماله من س ، هـ .

(٧) كذا فى ط . وفى س ، هـ : « العلوم » وهى ركيكة .

ولا يَتَّفِقُ ذلك إلاَّ فى أشْرَارِ[١] الخلْق . ويدلُّ على ذلك ، الذى اتَّفق مِن قتل أُبَىِّ بنِ خلفٍ بيدِه[٢] ، والنَّضر بن الحارث[٣] ، وعُقبة بن أبى مُعيط[٤] ، ومعاوية بن المغيرة بن أبى العاصى[٥] — صبرًا[٦] .

(١) أشرار . جمع شرير ، بالكسر والراء المشددة المكسورة ، وهو الكثير الشر . أو هو جمع شر ، مثل زند وأزناد . اللسان والقاموس . ط ، ه : «شرار» ولم أجدها فيهما فى مادة (شرر) ورأيتها فى شعر صخر أخى الخنساء (الخزانة ١ : ٣٩٣ سلفية) :

* والله لا أمنحها شرارها *

(٢) هو أبى بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، كان أدرك الرسول فى الشعب يوم أحد ، وهو يقول : أى محمد ! لانجوت إن نجوت ! فقال القوم يارسول الله أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال : دعوه : فلما دنا منه تناول رسول الله الحربة من الحرث بن الصمة ، وطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مراراً — أى تقلب فجعل يتدحرج . سيرة ابن هشام (يوم أحد) .

(٣) هو النضر بن الحارث بن كلدة ، أحد بنى عبد الدار . أسر يوم بدر كافراً فضرب الرسول عنقه صبراً. حماسة البحترى ٤٣٤ . أو قتله على وهو قافل مع الرسول من غزوة بدر إلى المدينة .السيرة ٥٠٨ .ورثته أخته قتيلة بأبيات ،هى من أروع آيات البيان العربى ، رواها ابن هشام فى السيرة ٥٣٩ وأبو تمام فى الحماسة (١ : ٤٠١) والبحترى فى حماسته ٤٣٤ والجاحظ فى البيان (٣ : ٢٣٦) . فيقال إن الرسول لما بلغه الشعر قال : « لو بلغنى هذا قبل قتله لمننت عليه ! » . وقيل إن قتيلة بنته ، كما فى حماسة البحترى والإصابة ٨٨٤ من قسم النساء .

(٤) عقبة بن أبى معيط — بهيئة التصغير — كان ممن أسر يوم بدر من المشركين ، قتل فى أثناء قفول الرسول من غزوة بدر ، قتله عاصم بن أبى الأقلح الأنصارى.وكان عقبة قد احتج قبل قتله فقال : « أأقتل من بين قريش صبراً ؟ » فقال عمر ابن الخطاب : « حن قدح ليس منها ! » يعرض بنسبه . الروض الأنف (٢ : ٧٧) .

(٥) هو معاوية بن المغيرة بن أبى العاصى بن أمية بن عبد شمس ، وهو جد عبد الملك ابن مروان ، أبو أمه : عائشة بنت معاوية ، كان أسره الرسول بعد غزوة حمراء الأسد ، عند رجوعه إلى المدينة ، فلجأ إلى عثمان بن عفان،فأستأمن له الرسول فأمنه على أنه إن وجد بعد ثلاث قتل ، فأقام بعد ثلاث وتوارى ، فبعث الرسول زيد بن حارثة وعمار بن ياسر إليه ، وقال : إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا . فوجداه فقتلاه . السيرة ٥٩١ . ط : « معاوية بن أبى المغيرة » . صوابه فى س ، ه كما فى السيرة .

(٦) قتله صبراً : حبسه ورماه حتى مات . صبره . نصبه وحبسه ليقتل . ومما ينبغى =

وحُدِّثت[١] عن عبد الله بن أبى هند ، قال : حدّثنى صيفىّ بن أبى أيُّوب ، أنه سمع أبا بَشِيرٍ الأنصارىّ[٢] يقول : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلَّم يتعوَّذُ من هؤلاء السَّبْع : كان يقول : اللهمَّ إنى أعوذُ بك من الهَدْم[٣] وأعوذُ بك من التردِّى[٤] ، وأعوذُ بك من الغَمِّ والغَرَق[٥] ، وأعوذ بك من الحَرَقِ والهَرَم[٦] ، وأعوذ بك أن يتخبَّطنى الشَّيطانُ عند الموت[٧] وأعوذ بك من أن أموتَ فى سبيلك مُدْبِرًا ، وأعوذ بك من أن أموتَ لديغاً » .

٥٤

وطلحة بن عمرو قال : حدثنى عطاء أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللَّهُمَّ إنى أعوذُ بك من الأسَد [و[٨]] الأسْوَدِ ، وأعوذ بك من الهَدْم » .

= ذكره هنا، أن الجاحظ قد صرح فى كتاب العثمانية ص ١٠ بأن الرسول « لم يقتل بيده إلا رجلا واحداً » فهؤلاء الثلاثة قد أمر الرسول بقتلهم ، ولم يقتلهم بيده .

(١) فى الأصل : « حدث » . والوجه ما أثبت .

(٢) أبو بشير الأنصارى ، ذكره ابن حجر فى الإصابة ١٣٠ (قسم الكنى) . وقيل اسمه قيس بن عبيد بن الحرير بمهملتين مصغراً ، أورده ابن سعد فيمن شهد الخندق . وقيل مات سنة أربعين .

(٣) فى رواية أخرى : « اللهم إنى أعوذ بك من الأهدمين » قيل فى تفسيره : هو أن ينهدم على الرجل بناء ، أو يقع فى بئر ، حكاه الهروى فى الغريبين . اللسان (هدم) .

(٤) تردى : سقط فى بئر أو نهر أو هوة .

(٥) كذا فى هـ واللسان (غرق) . والجامع الصغير ١٥٤١ رواية عن النسائى والحاكم . وفى ط ، س : « الفرق » بمعنى الخوف .

(٦) الحرق ، بالتحريك : النار أو لهبها . والهرم ، بالتحريك : أقصى الكبر . ط ، س : « الهدم » صوابه فى هـ .

(٧) تخبطه الشيطان : صرعه ولعب به .

(٨) هذه الزيادة الضرورية من الدميرى (رسم الأسود السالخ) . وفيه : روى أبوداود =

(استطراد لغوى)

قال : ويقال للحيَّة : صَفَرَتْ تَصْفِرُ صفيرًا ، والرجل يصفِر بالطير للتنفير ، وبالدوابِّ وببعضِ الطير للتعليم . وتتخذ الصَّفَّارَة [يُصْفَرُ بِهَا[1]] للحمامِ وللطيرِ فى المزارع . قال أعشى هَمْدان يهجُو رَجُلاً :

وإذا جَشَـا للزَّرع يوم حَصادِه قَطَعَ النَّهَـارَ تأوُّهاً وصَفِيرَا

(لسان الحية)

والحَيَّة مشقوقة اللسانِ سوداؤه . وزعم بعضهم أن لبعض الحيَّات لسانين . وهذا عندى غلطٌ ، وأظنُّ أنَّهُ لما رأى افتراقَ طرف اللسان[2] قضى بأنَّ له لسانين .

(عجيبة الضب)

ويقال : إن[3] للضَّبِّ أيْرَين ، ويسمَّى أير الضَّبِّ نِزْكاً[4] .

قال الشاعر[5] :

= والنسائى والحاكم وصححه ، عن عبد الله بن عمر قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر فأقبل الليل قال : يا أرض ، ربى وربك الله ، أعوذ بالله من شرك ، وشر مافيك ، وشر ماخلق فيك ، وشر مايدب عليك ! أعوذ بالله من أسد وأسود ، ومن الحية والعقرب ، ومن ساكن البلد ، ومن والد وما ولد ! » . الأسود : نوع من الأفاعى شديد السواد ، يقال له أسود سالخ ؛ لأنه يسلخ جلده كل عام .

(١) الزيادة من هـ فقط .

(٢) ط : « طرفى اللسان » . وأثبت مافى س ، هـ .

(٣) ط : « بأن » .

(٤) النزك ، بكسر النون وتفتح . ط : « طرك » هـ : « ترك » س : « نزك » صوابه ما أثبت وانظر الجزء السادس ص ٢٢ حيث صرح الجاحظ بضبطه .

(٥) هو أبو الحجاج . وقال ابن برى : « هو لحمران ذى الغصة ، وكان قد أهدى =

كَضَبٍّ له نِزْكانِ كانا فَضِيلةً على كلِّ حافٍ في الأنام وناعِل[1]

قَالَ أبو خَلف النمريّ : سئل أبو حيّة النميرى عن أير الضَّبِّ ، فزعم أنّ أيرَ الضّب كلسان الحيَّة : الأصل واحدٌ ، والفرع اثنان .

(زعم بعض المفسرين فى عقاب الحية)

و بعض أصحاب التفسير يَزْعُمُ أنّ الله عاقبَ الحيَّةَ حينَ أدخلت إبليس فى جوفها ، حتى كَلَّمَ آدمَ وَحَوَّاءَ وخدعهما على لسانها ، بعشرِ خِصال : منها شقُّ اللسان[2] . قالوا : فلذلك ترى الحيَّةَ إذا ضُرِبَتْ للقَتْلِ كيف تخرج لسانَها لترِىَ الضّاربَ عقوبةَ الله ، كأنها تَسْترحم . وصاحب هذا التفسير لم يقلْ ذلك إلاّ لحيَّةٍ كانت عنْدَهُ تَتَكلَّمُ ، ولولا ذلك لأنكر آدمُ كلامها ، وإن كان إبليسُ لايحتال إلاّ من جهة الحيَّة ، ولا يحتال بشىء غيرِ مموّهٍ ولا مشبَّه .

= ضبابا لخالد بن عبد الله القسرى » . انظر اللسان (مادة نزك) حيث تجد أبيات الشاهد . وقال ابن السيد فى الاقتضاب ٣٥٥ : « كان خالد ولاه بعض البوادى فلما جاء المهرجان أهدى كل عامل إليه ماجرت عادة العمال بإهدائه ، وأهدى إليه حمران قفصاً مملوءا ضبابا وكتب إليه » وأنشد الأبيات التى رواها الجاحظ أيضاً فى الجزء السادس .

(١) الرواية : « سبحل له نزكان » انظر الحيوان (٦ : ٢٢) واللسان (نزك ، وسبحل) والمخصص (٨ : ٩٧) وعيون الأخبار (٢ : ٩٨) وأدب الكاتب ١٥٤ ومعجم الأدباء (٩ : ١٦١) ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٣) . وفى ط « طركان » و هـ . « تركان » صوابه فى س والمراجع . والناعل : من يلبس نعلا . س : « وفاعل » محرف .

(٢) انظر ماسيأتى فى ص ٦٦ .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال : أرضٌ مَحْوَاةٌ وَمَحْيَاة من الحيّات[١] كما يقال أرض مَضَبَّة وَضَبِبَةَ من الضِّباب[٢] ، وفأرة من الفأر .

(قولهم : هذا أجل من الحرش !)

وقال الأصمعىُّ فى تفسير قولهم فى المثل : « هذا أَجَلُّ مِنَ الحَرْش» :[٣]
إنّ الضبّ قال لابنه : إذا سمعتَ صَوْتَ الحَرْشِ فلا تخرُجَنّ ! قال : وذلك أنّهُمْ يزعمونَ أن الحَرْشَ تحريكُ[٤] اليدِ عندَ جُحْرِ الضَّبِّ ؛ ليخرج إذا ظَنَّ أنه حية ــ قال : وسمع ابنُه صوت الحفْر فقال : يَاأَبَهْ هذا الحرش ؟ قال : يابنىَّ ، هذا أجل من الحرْش ! فأرسلها مثلاً .

(أسماء ما يأكل الحيات)

بين الحياتِ و بين الخنازير عداوة ، والخنازيرُ تأكلها أكلا ذريعًا . ٥٥

---

(١) وذلك إذا كانت كثيرة الحيات .

(٢) أرض مضبة ، بفتح الميم والضاد وتشديد الباء . وفى ط ، س : « مضببة » و هـ « مضبته » صوابهما ما أثبت . وضببة ، كفرحة ، وهو من شواذ المضعف . ط ، هـ : « ضبية » صوابه فى س . والضباب ، بالكسر : جمع ضب .

(٣) انظر هذا المثل وما قيل فيه ، عند المرتضى فى أماليه (١ : ١٧٠) والميدانى (١ : ١٧٠) والبغدادى فى الخزانة (٤ : ٥٩٤ ــ ٥٩٥ بولاق) .

(٤) هـ . « تحريد » بالدال . والتحريد : التعويج .

وسمومُ ذواتِ الأنيابِ من الحيّات ، وَذواتِ الإبر[١] ، سريعةٌ فى الخنازير ، وهى تَهْلِكُ عند ذلك هلاكاً وشيكا ؛ فلذلك لاترضى بقتلها حتى تأكلها . وتأكُلُ الحيَّاتِ العِقْبانُ ، والأيايِلُ ، والأراوىُّ[٢] ، والأوعالُ ، والسَّنانير والشاهْمُرْك[٣] ، والقنفذُ . إلاَّ أن القُنفُذَ أكثرُ مايقصِدُ إلى الأفاعى ، وإنما يظهر بالليل . قال الرَّاجز :

قنفذ ليــل دائم التَّجْآبِ[٤]

وهذا الراجز هو أبو محمد الفقعسىُّ .

(التشبيه بالقنفذ)

وكذلك يشبَّه النَّمَّامُ ، والمُداخِلُ ، وَالدَّسِيس[٥] ، بالقنفذ ؛ لخروجه بالليلِ دونَ النهار ، ولاحتياله للأفاعى . قال عَبْدة بن الطبيب :

اعْصُوا الذى يُلقِى القَنافذَ بَيْنَكُمْ ... مُتَنَصِّحًا وَهُوَ السِّمامُ الأنْقَعُ[٦]

يُزْجِى عَقَارِبَهُ ليبعَثَ بينكمْ ... حَرْبًا كما بَعَثَ العُرُوقَ الأخْدَعُ[٧]

---

(١) أى وسموم ذوات الإبر . وفى الأصل : « ومن ذوات الإبر » .

(٢) الأراوى : جمع أروية ، وهى أنثى الوعول .

(٣) سبق الكلام عليه فى (٣ : ٣٣٦) .

(٤) التجآب : تفعال من جاب يجوب ، وأصله « التجواب » . ولم أجد من نبه عليه إلا مايفهم من عبارة صاحب اللسان : « وفلان جواب جأب : أى يجوب البلاد ويكسب المال » . ط : « التجأب » هـ : « التجارب » صوابه فى س .

(٥) الدسيس ، بسينين بينهما ياء : من تدسه ليأتيك بالأخبار . ط : « الدبيس » صوابه فى س ، هـ .

(٦) س ، هـ : « أعصى » .

(٧) يزجى : يسوق ويدفع . ط : « يرخى » س ، هـ : « ترخى » صوابهما =

حَرَّانَ لايَشْفِي غَلِيلَ فؤادِهِ عَسَلٌ بِمَاءٍ فى الإناء مُشَعْشَعُ(١)

لاتأمَنُوا قَوْمًا يشب صبيهم بَيْنَ القَوَابِلِ بالعَداوَةِ يُنْشَعُ(٢)

وهذا البيت الآخِرِ يضم إلى [قول(٣)] مجنونِ بنى عامر :

أتانى هَوَاهاَ قَبْلَ أَنْ أعْرِفَ الهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فتمَكنَا

ويضم إليه قول ابْنِ أوْدٍ(٤) : « الطينة تَقْبَلُ(٥) الطبائع ما كانت لَيِّنَةً » .

ثم قال عبْدة بنُ الطَّبِيب ، فى صلة الأبياتِ التى ذكر فيها القُنفذَ والنَّمِيمةَ :

إنَّ الذين تُرَوْنَهُمْ خُلاَّنَكُمْ يَشْفِي صُدَاعَ رُءُوسِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا

قومٌ إذَا دَمَسَ الظَّلاَمُ عَلَيْهِمُ جَدَعُوا قَنَافِذَ بالنميمة تَمْزَعُ(٦)

= ماأثبت ، والرواية فى حماسة البحترى ٢٤٠ : « يهدى » .والأخدع : واحد الأخدعين ، وهما عرقا الرقبة . س ، هـ : « الفروق » صوابه فى ط والحماسة .

(١) شعشع العسل بالماء : مزجه به وخلطه .

(٢) القوابل : جمع قابلة ، وهى التى تتلقى الولد عند ظهوره . س ، هـ : « القرامل » وهى الإبل ذوات السنامين . وليس يتجه بها المعنى . ينشع بالعداوة : كأنه يوجر بها ، أى توضع فى فمه ليشربها .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) كذا فى ط ، هـ . وفى س : « ابن أمر » .

(٥) فى الأصل : « تقتل » ووجهه ماأثبت . وفى س زيادة واو ، قبل : « الطينة » .

(٦) دمس : اختلطت ظلمته . الحماسة : « فهم إذا دمس » . وجذعوا : هو من =

وهذا الشعر من غُرر الأشعار . وهو مِمَّا يحفظ .

وقال الأودىُّ[١] :

كقنفذ القُنِّ لاتخفى مَدارجُهُ   خبٌّ إذا نامَ عَنْهُ الناس لم ينمِ[٢]

(عهد آل سجستان على العرب)

وفى عهد آل سجستان على العربِ حين افتتحوها[٣] : لاتقتلوا قُنفُذًا

= جذع بين البعيرين : قرنهما فى قرن ، أى حبل . ورواية الحماسة ، واللسان « مادة مزع » وديوان المعانى (٢ : ١٤٤) : « حدجوا » . وهو من حدج البعير والناقة : شد عليهما الحدج ، بالكسر ، وهو نحو الهودج والمحفة . والمعنى أعدوا تلك القنافذ . وتمزع ، من المزع ، وهو شدة السير . وفى اللسان : « ابن الأعرابى : القنفذ يقال لها : المزاع » بتشديد الزاى . س ، هـ : « تمرع » بالراء صوابه فى ط ، والحماسة ، واللسان (مادة مزع) .

(١) اسمه صلاءة بن عمرو . والأودى : نسبة إلى أود بن الصعب بن سعد العشيرة . كان من كبار الشعراء القدماء فى الجاهلية ، وله شعر حكمى سائر . انظر الشعراء والأغانى (١١ : ٤١ ـ ٤٢) والبيت فى ديوان المعانى (٢ : ١٤٤) منسوب إلى أيمن بن خريم .

(٢) القن ، بالضم : موضع ، وفى ديوان المعانى : « الرمل » . والخب ، بالفتح ويكسر : الخداع . « عنه » هى فى الأصل : « عند » محرفة . وفى ديوان المعانى : « ليل » .

(٣) كان ذلك سنة إحدى وثمانين حين أرسل الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فى جيش كثيف حسن العدة ، وكان يسمى « جيش الطواويس » ، إلى سجستان لغزو رتبيل ملك زابلستان ، ففتح كثيراً من بلادهم .

ولا وَرَلاً وَلاَ تَصِيدُوا[١]؛ لأنها بلادُ أفاعٍ[٢] . وأكثرُ ما يجتلبُ أصحابُ صنعة التِرياق والحواءون الأفاعيَ من سِجِستان . وذلك كَسْبٌ لهم وحِرْفَةٌ ومَتجرٌ . ولولا كثْرَةُ قنافذِها لما كان لهم بها قرارٌ .

(أكل القنفذ للحية)

والقنفذُ لايبالى أيّ موضع قبضَ من الأفعى . وذلك أنه إن قبض على رأسها أو على قفاها فهى مأكولةٌ على أسهل الوُجوه ، وإن قَبَضَ على وسَطها أو على ذنَبها ، جذَبَ ماقبض عليه ، فاستدار وتجمّع ، ومنحه سائرَ بدَنِهِ،فمتى فتَحَتْ فاها لتقبضَ على شىء منه ، لم تصلْ إلى جلده مع شوكِهِ النَّابت فيه . والأفعى تهرُب منه ، وطلبُه لها وجراءتُه عليها ، على حَسَبِ هربِها منه وضعْفها عنه .

٥٦

(أمثال فى الحية والوَرَل والضَّبِّ)

وأمَّا قولهم : « أضَل من حَيّةٍ » و « أضَلُّ من وَرَلٍ » و « أضَلُّ من ضَبٍّ » — فأمَّا الحيّة فإنّها لاتتَّخذ لنفسها بيتاً ، والذَّكَرُ لايقيم فى الموضع، وإنما يقيم على بيضها بقدر ماتخرج فراخُها وتقوى على الكَسْب والتماس الطعم ، ثمّ تصير الأنثى سَيَّارَةً ، فمتى وَجَدَتْ جُحْرًا دخلتْ واثقةً بأنّ

(١) أى ولا تصيدوا شيئاً منها . ط : « ولا ورلا تصيدونه » س : « ولا ولاور لاتصيدوه » . وصوابه ما أثبت من هـ . وعند ياقوت : ألا يقتل فى بلدهم قنفذ ولا يصطاد » .

(٢) فى الأصل : « أفاعى » ووجهه ما أثبت . قال ياقوت فى سجستان : « فما من بيت إلا وفيه قنفذ » .

السَّاكِنَ فيه بين أمرَين : إمّا أقام فصار طُعْمًا لهـا ، وإمَّا هرَب فصار البيتُ لهـا ما أقامت فيه ساعةً ، كان ذلك من ليلٍ أو نهار .

(بيض الحيات)

وقد رأيتُ بيض الحيَّاتِ[١] وكسرتُها لأتعرَّفَ مافيها ، فإذا هو بيضٌ مستطيلٌ أكدرُ اللون أخضر ، وفى بعضه نَمَشٌ ولُمَعٌ[٢] . فأمّا[٣] داخلُه فلم أرَ قَيْحًا قطُّ ، ولا صديدًا خَرَجَ من جُرحٍ فاسدٍ ، إلاَّ والَّذى فى بيضها أسمجُ منه وأقذر . ويزعمون أنها كثيرةُ البيض جدًّا ، وأنَّ السلامة فى بيضها [على[٤]] دونِ ذلك ، وأنَّ بيضها يكون منضَّدًا فى جوفها طُولاً على غِرار[٥] واحد ، وعلى خيط واحد .

(جسم الحية)

وهى طويلة البطن والأرْحامِ . وعددُ أضلاعِها عددُ أيام الشهر . وكان ذلك بعضَ مازاد فى شدّة بدنها[٦] .

---

(١) ط : « الحياة » صوابه فى س ، ﻫ .

(٢) النمش ، بالتحريك : نقط بيض وسود . وفى الأصل : « هش » وليس بشىء . وأثبت الصواب موافقا مافى الدميرى (١ : ٤١٠) . واللمع : جمع لمعة ، بالضم ، وهى كل لون خالف لونا .

(٣) ط ، ﻫ : « فإذا » صوابه فى س .

(٤) الزيادة من س ، ﻫ .

(٥) على غرار : أى على قالب . ط ، ﻫ : « عرار » س : « عراد » صوابهما ما أثبت .

(٦) بعد هذا فى كل من ط ، ﻫ عبارة دخيلة على الكتاب ، أثبتها هنا إثباتا تاريخيا : « كنت بعجت بطن عقرب إذ كنت بمصر فوجدت فيه أكثر من سبعين عقارب صغار كل واحدة نحو أرزة . حرره أبو بكر السروكى » . وقد سلمت س من إثبات هذا التشويه الدخيل .

(أكثر الحيوان نسلا)

والخلق الكثير الذَّرء[1] الدَّجاجُ . والضَّبُّ أكثرُ بيضاً من الدَّجاجة. والخنزيرة تَضَعُ عشرين خِنَّوْصًا .

ويخرُج من أجوافِ العقارب عقاربُ صغارٌ ، كثيرةُ العدد جدًّا . وعامَّة العقارب إذا حَبِلَتْ كان حَتْفُها فى وِلادها[2] ؛ لأنَّ أولادها إذا اسْتوَى خَلْقُهَا أكَلَتْ بطونَ الأمَّهَاتِ حتّى تثقبها[3] . وتكونُ الوِلادةُ من ذلك الثَّقب ، فتخرجُ والأمهاتُ ميِّتة .

وأكثرُ من ذلك كلهذَرْءِ السَّمك ؛ لأنَّ الإنسان لو زَعَمَ أنّ بيضة[4] واحدة من بَعْضِ الأسْبور[5] عشرة آلاف بيضة ، لكان ذلك لعظَمِ ماتحملُ ، ولدِقَّة حَبِّه[6] وصِغره . ولكن يعتريها أمران : أحدهما الفساد ، والآخَرَ أنَّ الذكورةَ فى أوانِ ولادة الإناث تَتْبَعُ أذنَابَهَا ، فكُلَّما زَحَرَتْ بشىء التقمتْه والتهمتْه .

ثمَّ السَّمك بعد ذلك فى الجملة إنمـا طبعها أن يأكل بعضُها بعضًا .

---

(١) الذرء : النسل . ط ، س : « الذر » صوابه ما أثبت من ه .

(٢) الولاد ، بالكسر : الولادة . ط ، ه : « أولادها » صوابه فى س . وفى نهاية الأرب (١٠ : ١٤٧) نقلا عن الجاحظ : « ولادتها » .

(٣) كذا على الصواب فى س . وفى ط : « تثقفها » و ه : « يثقفها » محرفتان . وفى نهاية الأرب « تثقبها » .

(٤) البيضة هنا : اسم للمرة من باض يبيض .

(٥) الأسبور ، سبق الكلام عليه فى (٣ : ٢٥٩) وفى الأصل : « الأشبور » مصحف .

(٦) أى حب البيض . ط ، ه « جثته » تحريف ما أثبت من س .

(علة كثرة الأولاد)

ويزعمون أن الكَثْرَةَ فى الأولادِ إنّمَا تكون من العفَنِ واللَّخَن، وعلى قدْرِ كثرةِ المائيَّة وقلّتِهاَ. فذهبوا إلى أنَّ أرحامَ الرُّوميَّاتِ والنَّصرانيَّاتِ أكثرُ لخنًا ورُطوبة؛ لأنّ غَسْلَ الفرُوجِ بالماء البارِدِ مرارًا فى اليوم، مِمَّا يطيِّب الأرحامَ، وينفى اللَّخنَ والعفَن. ويزعمون أنَّ المرأَةَ إذا كان فرجُها نظيفاً، وكانت مُعَطَّرَة قويّةَ المُنّةِ قَلَّ حملُها، فإنْ أفرطَتْ فى السِّمَنِ عادتْ عاقرًا. وسِمَانُ الرِّجال لايكاد يعتريهم ذلك.

٥٧

وكذلك العاقر من إناث الإبل والبقر والغنم والنَّخْل. إذا قويت النَّخلة وكانت شابّةً، وسَمِنَ جُمَّارُها، صارتْ عاقرًا لاتحمل، فيحتالون عند ذلك بإدخال الوَهَن عليها.

(اعتراض على التعليل السابق)

وقد طعن فى ذلك ناسٌ فقالوا: إنّ فى الضَّبِّ على خلاف ماذكرتم. قد تبيضُ الأنثى سبعين بيضة فيها سبعون حِسْلا[1]. ولولا أنّ الضَّبَّ يأكلُ ولدَه لانتفشتِ الصحارى ضِبابًا. والضبُّ لايحفر إلاّ فى كُدْية[2] وفى بلادِ العَرَاد[3]. وإذا هرمت تبلّغتْ بالنّسيم. وهذا كله مِمَّا يستدلُّ

---

(١) الحسل، بالكسر: ولد الضب.

(٢) الكدية، بالضم: الأرض الصلبة الغليظة.

(٣) العراد: حشيش طيب الرائحة. ط، ه: «العرار» محرفة صوابه بالدال =

به على بُعْدِ طبعها من اللَّخَن والعفن[١] .

قيل لهم : قد يمكنُ أن يكون ذلك كذلك[٢] فى جميع صفاتها إلاَّ فى أرحامها فقط .

(سفاد الحيات)

وليس للحيَّاتِ سِفادٌ معروف يَنْتَهِى إليه علمٌ ، ويقف عليه عِيان وليس عند الناس فى ذلك إلاَّ الذى يَرَوْنَ من ملاقاة الحيَّة [للحيَّة[٣]] والتواءِ كلٍّ منهما على صاحبه ، حتى كأنهما زوجُ خيزرانٍ مفتولٌ ، أو خَلخَالٌ مفتولٌ . فأمَّا أن يقفوا على عضوٍ يدخل أو فرج يدخل فيه فلاَ .

(ذكر الأيم والجرادة الذكر فى الشعر)

والعرب تذكُرُ الحيّاتِ بأسمائها وأجناسها . فإذا قالوا : أَيْم ، فإنما يريدون الذَّكَرَ دونَ الأنثى . ويذكرونه عِنْدَ جودةِ الانسيابِ ،

= كما أثبت من س . وانظر « اللسان » (عرد) . ومن تكاذيب الأعراب قولهم على لسان الضب :

أصبح قلبي صردا لايشتهى أن يردا
إلا عرادا عردا أو صليانا بردا
* أو عنكثا ملتبدا *

(١) أى أن سكنى الضباب فى الكدى وهى بعيدة عن الرطوبات ، وفى تلك البلاد التى تنبت الحشيش الطيب الرائحة — من شأنه أن يبعد طباعها من اللخن والعفن . وفى الأصل : « على بعض طبعها » الخ وقد ظهر لك صوابه مما بينت .

(٢) كذا فى ط . وفى س : « قد يكون أن كون ذلك » فقط . وفى هـ : « قد يكون أن يكون ذلك كذلك » .

(٣) هذه الزيادة الضرورية من س ، هـ .

وخِفَّةِ البدن ، كما تذكر الشُّعراء فى صفة الخيل الجرادةَ الذَّكَرَ[١] ، دُونَ الأنثى . فهم وإن ألحقُوا لها فإنما يريدون الذَّكَرَ . قال بِشْرُ ابنُ أبى خازم :

جَرَادَةَ هَبْوَةٍ فيها اصفرارُ[٢]

لأنّ الأنثى لا تكون صفراء ، وإنما الموصوفُ بالصُّفْرة الذَّكر[٣] ؛ لأنّ الأنثى تكون بين حالتين[٤] : إمّا أنْ تكون حُبْلى بِبَيْضِها[٥] فهى مُثْقَلة وإمّا أن تكون [قد[٦]] سرأت وقذَفت بيضها[٧] ، فهى أضعفُ ما تكون .

قال الشاعر :

أَتذهَبُ سَلْمَى فى اللِّمَامِ وَلاَ تُرَى ... وفى اللَّيلِ أَيْمٌ حيثُ شاءَ يسيبُ[٨]

---

(١) ط : « والجرادة الذكر » . وإثبات الواو يفسد المعنى . وإنما يعنون الذكر دون الأنثى لأن الجرادة الذكر أسرع من الأنثى ، وأخف ، كما فى الموازنة للآمدى ٧٥ .

(٢) الهبوة : الغبرة . وصدر هذا البيت كما فى المخصص (١٦ : ١١٥) :

* مهارشة العنان كأن فيه *

(٣) أى كون الشاعر ذكر الصفرة ، قرينة لأنه عنى الذكر . ومثل الشعر المتقدم قول علقمة ابن هبيرة الأسدى (الموازنة ٧٥ والمخصص ١٦ : ١١٥) أو قد بن مالك (معجم المرزبانى ٣٣٩) :

كأن جرادة صفراء طارت ... بألباب الغواضر أجمعينا

(٤) هذا تعليل من الجاحظ لاختيار الشعراء فى كلامهم الجرادة الذكر ، دون الأنثى .

(٥) ط : « إن جلى بيضها » س ، هـ . « إن حبلى بيضها » وأصلحت الكلام وأكملته بما ترى .

(٦) الزيادة من هـ .

(٧) سرأت الجرادة والسمكة ، من باب منع : باضت .

(٨) اللمام ، بالكسر : اللقاء اليسير .

(آثار الحيات والعظاء فى الرّمال)

وإذا انسابت فى الكُثْبانِ والرّملِ ، يبينُ مواضعُ مَزَاحِفِها ، وعُرِفت آثارُهاَ .

وقال آخر[١] :

كأنَّ مَزَاحِفَ الحيَّاتِ فيها قُبيلَ الصُّبْحِ آثَارُ السِّيَاطِ[٢]

وكذلك يعرفون آثار العِظاء . وأنشدَ ابن الأعرابىّ :

بها ضربُ أذنَاب العِظاء كأَنها مَلاعِبُ وِلْدَانٍ تخطّ وتمصع[٣]

وقال الآخر ، وهو يصف حيّات :

كأَنَّ مَزَاحِفهاَ أُنسعٌ جُرِرْنَ فُرَادَى ومَثْناتها[٤]

٥٨

وقال ثمامة الكلبىُّ :

كأَنَّ مَزَاحِفَ الهزْلَى[٥] صباحًا خُدُودُ رَصَائع جُدِلَتْ تؤاما[٦]

---

(١) هو المتنخل الهذلى ، كما فى جمهرة أشعار العرب ص ١٢٠ . وقبله :

كأن وغى الخموش أميم فيها وغى ركب أميم أولى زياط

(٢) رواية المخصص (١٦ : ١٠١) . « كأن مزاحف الحيات فيه » ونهاية الأرب (١٠ : ١٤٦) « وهنا » مكان . « فيها » .

(٣) تمصع : تسرع .

(٤) ط . « مراحفها » . هـ : « مراجفها » صوابه فى س . والأنسع : جمع نسع بالكسر ، وهو سير يضفر ويجعل زماما للبعير وغيره . وانظر رواية البيت فى نهاية الأرب (١٠ : ١٤٦) .

(٥) الهزلى ، بالزاى : الحيات . ولا يعرف لها واحد . جاءت فى الأصل بالذال فى هذا السطر والسطرين بعده وهو تحريف .

(٦) الخدود هنا بمعنى: آثار الجر والسحب . والرصائع ، بالصاد المهملة : جمع رصيعة =

والهَزْلَى من الحيَّات . قال جرير أو غيره :

ومِن ذات أَصْفَاء سُهُوب كَأَنهَا   مَزَاحِفُ هَزْلَى بينها متباعدُ[(١)]

وقال بعضُ المحدثين ، وذكر حال البرامكةِ كيفَ كانتْ ، وإلى أيِّ شيء صارت :

وإذا نَظَرْتَ إلى الثَّرَى بعِرَاصهم

قُلتَ : الشجاعُ ثوى بها والأرقمُ[(٢)]

وقال البَعيث :

لَقًى حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وهى ضَيْفَةٌ   فجاءتْ بيَتْنٍ للضيافةِ أرشَما[(٣)]

مُدامِنُ جَوْعَاتٍ كأنّ عروقَهُ   مَسَارِبُ حَيَّاتٍ تَسَرَّبْنَ سَمْسَمَا[(٤)]

= وهى سير مضفور فى أسفل حمالة السيف . ط ، ﻫ . « وضائم » س . « صائم » كذا . وهما تحريف ما أثبت . جدلت : أحكم فتلها . ط : « خذلت » ﻫ . « خزلت » س : « حذلت » والوجه ما كتبت . تؤاما : جمع توأم . والمراد : أزواجا .

(١) ذات أصفاء : أى أرض ذات صخور ملساء . والأصفاء : جمع صفا . والصفا : جمع صفاة . ط ، ﻫ : « إصفاء » صوابه فى س . والسهوب : المستوية الواسعة . والبين : البعد، إن جعلنا « بينها » مبتدأ مرفوعا . ويصح أن تكون ظرفا منصوبا ، أى مزاحف متباعد بينها . ط ، ﻫ : « بيتها » صوابه فى س .

(٢) الشجاع : الحية الذكر . والأرقم : حية فيها بياض وسواد ، وهى أخبث الحيات وأطلبها للناس . ط : « الشجاع بها ثوى » .

(٣) اللقى ، بالفتح : الذى لايدرى لمن هو ، وابن من هو . ط ، ﻫ : « فتى » س : «لقد» وصواب الرواية ما أثبت من الجزء الأول ص ٢٥٨ والاقتضاب ٣٤٦ واللسان (ضيف ، رشم ، يتن ، لقى) . ضيفة : أراد أن أمه حملت به وقد دعيت إلى ضيافة ، فجاء حريصاً على الدعوات محبا للضيافات . وكنى عن زنى أمه . واليتن : الذى يخرج رجلاه عند الولادة قبل رأسه ، وكان يتشاءمون به ، لخروجه مقلوبا . والأرشم : الذى يتشمم الطعام ويحرص عليه . ط : « أرثما » س ، ﻫ : « أرسما » محرفان عما أثبت من المراجع المتقدمة وأدب الكاتب ١٢٧ .

(٤) مدامن جوعات : أى هو يدمن الجوع . وفى الأصل : « مدافع جرعات =

(روعة جلد الحية)

ولا ثوبَ ، ولا جَناحَ ، ولا سِتْرَ عنكبوتٍ[١] ، إلا وَقِشْرُ الحيَّةِ أَحْسَنُ منه وأرقُّ ، وأخفُّ وَأَنْعَمُ ، وأعجبُ صنعةً وتركيباً . ولذلك وصفَ كُثَيِّرٌ قميصَ ملِكٍ ، فشبَّهه بِسَلَخ الحيَّة ، حيث يقول :

إذا ما أفادَ المَـالَ أودَى بِفَضْلِهِ حقوقٌ ، فَـكُرْهُ العاذلاتِ يوافقُه

يجرِّر سِرْبالاً عليه كأنَّه سَبِيءُ لهِزْلَى لم تُقَطَّعْ شَرَانِقُهُ[٢]

والسَّبِيء : السَّلْخُ والجلد . قال الشاعر :

* وقد نَصَلَ الأظْفارُ وانسَبَأَ الجِلْدُ[٣] *

= « كأن عروقها » وصوابه من الاقتضاب ٣٤٧ واللسان (سمسم) . ومعجم البلدان (سمسم) . جعل عروقه كأنها مسارب الحيات أى آثارها فى الرمال ، وهى ملتوية دقيقة . و « سمسم » بفتح السينين : اسم موضع . وتسربنه . مشين فيه . وفى الأصل : « يسربن » وصوابه من المراجع المتقدمة . ويروى : « تشرين سمسما » بالشين المعجمة . والسمسم ، بفتح السينين أيضاً : السم . أى كثر فيهن السم فدقت أجسامهن ، لأن الحية إذا كثر سمها دق خلقها .

(١) المراد بستر العنكبوت : بيته الذى ينسجه . وقد نقل هذا الكلام فى ثمار القلوب ٣٤٠ .

(٢) السبيء : جلد الحية تسلخه . وجاءت هنا مهموزة ، يؤيد همزها الشعر بعدها . والهزلى بالزاى : الحيات . وجاءت فى الأصل بالذال ، وهو تحريف . والشرانق : سلخ الحية إذا ألقته . ط : « سرادقه » س ، هـ : « سرائقه » صوابه من اللسان (سبي) ومما سبق فى (٣ : ٤٨٦) .

(٣) نصلت أظفاره : خرجت . وانسبأ الجلد : انسلخ .

(صمم النعام والأفعى)

وتزعمُ العربُ أنَّ النَّعامَ والأفعى صُمٌّ لاتسمَع ، وكذلك هما من بينِ جميعِ الخَلْقِ . وسنذكرُ من ذلك فى هذا الموضع طرَفاً ، ونؤخر الباقِيَ إلى الموضعِ الذى نذكُر فيه جملة القَوْل فى النَّعام .

(أصحاب الدعاوى الكبيرة)

وقد ابتُلينا بضَرْبين من الناس ، ودعواهما كبيرة[1] ، أحدهما يبلغ من حبه للغرائب[2] أن يجعل سَمْعه هدَفاً لتوليد[3] الكذابين ، وقلبَه قراراً لغرائب الزُّور . ولِكَلَفِهِ بالغريب ، وشَغَفِهِ بالطُّرَفِ ، لايقفُ على التَّصحيح والتمييز ، فهو يدخل الغثَّ فى السمين ، والممكنَ فى الممتنع ، ويَتَعَلَّقُ بأدنى سببٍ ثمَّ يدفع عنه كلَّ الدَّفعِ .

والصِّنف الآخَر ، وهو أنَّ بعضهم يرى أنَّ ذلك لايكون منه عنْدَ من يسمعه يتكلم إلا من خاف التقزُّزَ[4] من الكذب .

(قول فى صمم الأفعى وعماه)

فزعم ناسٌ أنَّ الدَّليلَ على أنّ الأفاعىَ صُمٌّ ، قولُ الشاعر :

(١) س ، هـ : « وعودهما كثير » صوابه فى ط .

(٢) ط : « للغريب » .

(٣) هـ : « لتوكيد » وجهه ماأثبت من ط ، س .

(٤) ط ، س : « التقذر » هـ : « التقزر » صوابهما ماأثبت . وفى العبارة قبله اضطراب .

أنعَتُ نضناضًا من الحَيَّاتِ أصمَّ لا يَسْمَعُ للرُّقَاةِ[1]

وقد ذكروا بالصَّممِ أجناسًا من خبيثات الحيَّات ، وذهبوا إلى امتناعها

من الخروج عند رُقيةِ الرَّاقى عند رأس الجُحْر ، فقال بعضهم : ٥٩

وذاتِ قَرْنَيْنِ من الأفاعى صمَّاء لاَ تَسْمَعُ صَوْتَ الدَّاعِى

ويزعمونَ أنّ كلّ نَضْنَاضٍ أفعًى . وقال آخَر :

ومِنْ حَنَشٍ لاَيُجيبُ الرُّقَا ةَ أَرْقَشَ ذِى حُمَةٍ كالرِّشَا[2]

أصمَّ سَمِيـــعٍ طويلِ السُّبَا تِ مُنْهَرِتِ الشِّدقِ عارِى النسَا[3]

فزعم أنّه أصمُّ سميعٌ ، فجاز له أن يجعله أصمّ بقوله : « ومِنْ حَنَشٍ

لايُجيبُ الرُّقاة » . وقال الآخر :

أَصمَّ أَعْمَى لاَيُجيبُ الرُّقَى يَفْتَرُّ عَنْ عُصْلٍ حَدِيداتِ[4]

والأفعى ليس بأعمى ، وعينه لاتنطبق ، وإنْ قُلِعَتْ عينهُ عادت .

وهو قائمُ العَيْنِ كعَيْنِ الجرادة ، كأنها مِسمارٌ مضروب . ولهـا بالليل شُعاع

خفىٌّ . قال الرَّاعى يصفُ الأفعى :

---

(١) الرقاة : جمع راق . ورسمت فى الأصل بالتاء المفتوحة خطأ .

(٢) الحمة : إبرة الحية . والرشاء : الحبل . جعل الحمة كالرشاء فى الطول . وهى مبالغة ظاهرة . وروىّ البيتين هو الألف .

(٣) منهرت الشدق : واسعه . والنسا ، بالفتح : عرق .

(٤) عصل : جمع أعصل بمعنى الملتوى . س ، ه : « عضل » صوابه فى ط . وقبله كما سيأتى فى ٩٤ :

وكم طوت من حنش راصد طلسفـــر فى أعلى الثنيات

ويُدنى ذِرَاعَيهِ إذا ماتبادَرَا   إلى رأسِ صِلٍّ قائمِ العَيْنِ أسفعِ[١]

وهذه صفةُ سَليمِ الأفعى[٢] فيجوز أنْ يكون الشاعرُ وصفها بالتمنع من الخروج بالصَّمَم ، كما وصفَها بالعمى ؛ لمكان السُّباتِ وطُولِ الإطراق .

قال الشاعرُ :

أصمَّ سميــع طَويل السُّباتِ   مُنهرت الشِّدْقِ عارِى القرَا[٣]

وقال آخر :

منهرتِ الشِّدقِ رَقُودِ الضُّحى   سارٍ طَمُورٍ بالدُّجُنَّاتِ[٤]

وَتَارَةً تحْسَبُــــهُ مَيِّتاً   مِن طُولِ إطْرَاقٍ وإخباتِ[٥]

يُسْبِتُهُ الصُّبْحُ وَطَوْرًا لَهُ   نَفخٌ وَنَفْثٌ فى المغاراتِ[٦]

وَيُعْلَمُ أنّهُ وَصَفَ أفعى بقوله :

أصمَّ أعمَى لايُجيبُ الرُّقَى   يَفْتَرُّ عن عُصْلٍ حَــــديداتِ[٧]

مُنْهَرِتِ الشِّدْقِ رَقُودِ الضُّحَى « الخ »

ثم ذكر أنيابَهُ ، فقال :

قُدِّمْنَ عَنْ ضِرْسَيْهِ وَاسْتأْخَرَا   إلى صِمَاخَيْنِ وَلَهْوَاتِ

---

(١) الأسفع : الأسود . ه : « أسقع » صوابه فى ط ، ه .

(٢) السليم : الملدوغ .

(٣) القرا : الظهر . وقد سبق نظير هذا البيت فى ١٧٩ س ٧ .

(٤) الطمور : الوثاب . طمر : وثب . والدجنات : الظلمات .

(٥) الإخبات : الاطمئنان والسكون .

(٦) يسبته الصبح : ينيمه . ط : « يثبته » صوابه فى س ، ه . والنفث : النفخ وفى الأصل : « تقب » . وهو تحريف صوابه مما سيأتى س ٩٤ . ولا تثقب الحيات بل تنفث . والمغارات : جمع مغارة ، وهى الجحر . س : « المفارات » ولا وجه له .

(٧) سبق هذا البيت فى الصفحة السابقة .

فجعله أعصل[١] الأنياب ، منهرتَ الأشْداق ، ثمَّ وصفَها بالشَّباتِ وطولِ الإطراق ، وبِسُرْعَةِ النَّشْطَةِ[٢] ، وخفّة الحركة ، إذا همَّت بذلك وكانت تعظم[٣] .

(شعر امرأة جمع صِفَةَ الحية)

وقد وصفتها امرأةٌ جاهليّةٌ بجميع هذه الصِّفةِ[٤] ، إلاَّ أنها زادت شيئاً . والشِّعرُ صحيح . وليس فى أيدى أصحابنا مِنْ صِفةِ الأفاعِى مثلها ٦٠

وقدْ رأيتُ عندَ داودَ بن محمَّدٍ الهاشميِّ كتابًا فى الحيَّات ، أكثرَ من عشرةِ أجلادٍ ، مايصحّ منها مقدارُ جلدٍ ونصف .

ولقدْ ولَّدُوا على لسانِ خلَفٍ الأحمَرِ ، والأصمعيِّ ، أرجازًا كثيرة . فما ظنكَ بتوليدِهم على ألسنَةِ القُدَماء !

ولقدْ ولَّدُوا على لسانِ جَحْشَوَيْهِ فى الخلاق أشعارًا ماقالها جَحْشَوَيه قط . فلو تَقَذَّرُوا من شىءٍ تقذَّرُوا من هذا الباب .

والشِّعر الذى فى الأفعى[٥] :

قَدْ كاد يقتُلنى أصمُّ مُرَقَّشٌ ... من حُبِّكُمْ ، والخطبُ غيرُ كبيرِ[٦]

خُلِقَتْ لَهَازِمُهُ عِزِينَ ورأسُهُ ... كالقُرْصِ فُلْطِحَ مِنْ دقيقِ شَعيرِ[٧]

---

(١) أعصل : أعوج . هـ : « أعضل » مصحف .

(٢) نشطت الحية تنشط وتناشط : عضت بنابها .

(٣) كذا بالأصل .

(٤) هذا المثبت فى س ، هـ أجزل من : « الصفات » المثبتة فى ط .

(٥) انظر نسبة الشعر فيما أسلفت فى (٢ : ٢١٤) .

(٦) رواية المؤتلف والأصمعيات : « من حب كلم والخطوب كثير » .

(٧) ط : « أفطح » س : « فصلح » تحريف ما أثبت من هـ . وانظر شرح البيت فى (٢ : ٢١٤) .

وَيُدِيرُ عَيْناً لِلْوِقاعِ كأنَّهَا ... سَمْرَاءُ طاحَتْ مِنْ نَفِيضِ بَرِيرِ (١)

وكَأَنَّ ملقاه بكلِّ تَنُوفَةٍ ... مَلْقَاكَ كِفَّةَ مُنْخُلٍ مأطورِ (٢)

وكأنَّ شِدْقَيْهِ إذا اسْتَعْرَضْتَهُ ... شِدْقَا عَجُوزٍ مَضْمَضَتْ لِطَهُورِ (٣)

فقد زعمتْ (٤) كما ترى أنها تدير عينا (٥)، وزعم الأوَّلُ (٦) أنها قائمة العين. إلاَّ أنْ تزعُمَ أنها لم تُرِدْ بالإدارة أنَّ مقلتَها تزولُ عن موضعها، ولكنَّها أرادتْ أنَّها جَوَّالةٌ فى إدراك الأشخاص، البعيدةِ والقَرِيبة، والمتيامِنَة والمتياسِرَة.

وقد يجوزُ أنْ يكونَ إنَّمَا جَعَلَهَا سميعةً (٧) لدقَّةِ الحِسِّ، وكثرةِ الاكتراث وجودةِ الشمِّ، لا لجَوْدَةِ السَّمْعِ؛ فإنَّ الذين زعموا أنَّ النَّعامة صمَّاء زَعمُوا أنَّها تُدْرِكُ من جهة الشمِّ والعَيْنِ، جميعَ الأمورِ التى كانت تعرفها [من (٨)] قِبَلِ السَّمْعِ لو كانَتْ سَمِيعَة. وقد قال الشاعر (٩) فى صفة الحيَّة:

---

(١) فى الأصل: «للوقاح» صوابه من (٢: ٢١٥) والمؤتلف والأصمعيات وعيون الأخبار (٢: ١٠٢). وسبق شرح البيت فى (٢: ٢١٥).

(٢) التنوفة: الأرض الفسيحة المتباعدة الأطراف. كفة المنخل: إطاره المستدير. والمأطور: ذو الإطار. وفى الأصل: «منجل» والأوفق ما أثبت من المؤتلف ومن الأصل المصور لعيون الأخبار؛ إذ أن إطار المنخل أصدق تصويراً للاستدارة والتحوى، وهما مما توصف به الحيات. انظر لذلك أول ص ٦٧ سادس. ورواية صدر البيت فى المؤتلف:

«وكأن مرصده بكل ثنية تلقاك ...»

(٣) انظر ماسبق فى (٢: ٢١٥).

(٤) أى الشاعرة. وفى ط: «زعم».

(٥) عنى الحية هنا. والحية تذكر وتؤنث.

(٦) هو الراعى. انظر ١٧٩ — ١٨٠.

(٧) هـ: «سميعاً» وهما وجهان جائزان. وفى القاموس: «وأذن سمعة ويحرك وكفرحة، وشريفة وشريف».

(٨) ليست بالأصل.

(٩) هو الزيادى كما سيأتى فى ص ٩٤.

تَهْوِى إلى الصَّوْتِ وَالظَلْمَاءِ عَاكِفَةٌ تَعَرُّدَ السَّيْلِ لاقَي الحَيْدَ فَاطَّلَعَا(١)

هذا بعد أن قال :

إنى وما تَبْتَغِى مــــنِّى كملتمس صيدًا وما نالَ مِنْهُ الرِّىَّ والشِّبَعا

أهْوَى إلى بابِ جُحر فى مقدِّمِه مِثْلُ العَسيبِ تَرَى فى رَأْسِه نَزَعَا(٢)

اللَّوْنُ أربَدُ والأنيابُ شابكةٌ

عُصْلٌ تَرَى السمَّ يجرى بينَها قِطَعَا(٣)

أصم ماشمَّ مِنْ خَضراء أيبَسها أو شمَّ من حَجَرٍ أوْهاهُ فَانْصَدَعَا(٤)

فقد جَعَلَ(٥) لها أنيابًا عُصْلا ، ووصَفها بغاية الخُبْثِ ، وزعَمَ أنها تسمَع .

فهؤلاء ثلاثةُ شعراء .

(الثقة بالعلمــاء)

فإن قلت : إنَّ المولَّدَ لايؤمن عليه الخطأ ؛ إذْ كان دخيلاً فى ذلك الأمر ، وليس كالأعرابىِّ الذى إنمَا يحكى الموجودَ الظاهرَ له ، الذى عليه ٦١

---

(١) التعرد ، هو من معنى قولهم : عرد فلان : ترك الطريق . وفى الأصل : « تعود » ولم أجد له وجها . والحيد ، بفتح الحاء : ماشخص من الجبل . وفى الأصــل : « الجيد » وصوابه مما سيأتى ص ٩٤ . واطلع : أشرف . جعل انسياب الحية فى سرعتها وتلويها كانسياب السيل إذا لاقاه حيد عرد عن طريقه وأشرف على طريق آخر .

(٢) فى مقدمه : فى مقدم الجحر . والعسيب : السعف لم ينبت عليه خوص .

(٣) ط ، س : « شائكة » . والأوجه ما أثبت من ه . وشابكة : مشتبكة . وعصل : « معوجات » . ه : « عضل » مصحف .

(٤) سبق الكلام على هذا البيت فى (٢ : ١٣٧ ــ ١٣٨) . ط : « ثم » موضع « شم » فى الموضعين : وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : « جعلوا » .

نَشأً ، وَبمَعْرِفَتِهِ غُذى . فالعلماء الذينَ اتَّسَعُوا فى علم العرب ، حتى صاروا إذا أخبروا عنهم بخبرٍ كانوا الثِّقاتِ فيما بيننا وبَينَهم ، هم الذين نَقَلُوا إلينا . وسواءٌ علينا جعلوهُ كلامًا وحديثاً منثورًا[١] ، أو جعلوه رجزًا أو قصيدًا موزونًا[٢] .

وَمَتى أخبرنى بعضُ هؤلاء بخبر لم أسْتَظْهِرْ عليه بمسألة[٣] الأعراب . ولـكنهُ إنْ تَـكَلَّمَ وتحدَّثَ، فأنكرتُ فى كلامِهِ بعضَ الإعراب ، لم أجْعَلْ ذلك قَدوَةً حتى أُوقِفَه عليه ، لأنّه مِمَّنْ لا يُؤْمَنُ عَلَيْهِ اللَّحْنُ الخفىُّ قَبلَ التفكر . فهذا وما أشبهُ حكمُهُ خلافُ الأوَّل .

(الرُّقْيَة)

والرُّقْيَةُ تكونُ على ضروب : فمنها الذى يدّعيه الحَوَّاءُ والرَّقَّاء ؛ وذلك يُشْبِه بالذى يدَّعى[٤] ناسٌ [من[٥]] العزائم على الشياطين والجن ؛ وذلك أنهم يزعمون أن فى تلك الرُّقْيَةِ عزيمةً لا يمتنع منها الشيطانُ ، فكيفَ العامر[٦] ؟! وأن العامِرَ إذا سُئِل بها أجَاب ، فيكونُ هو الذى يتولى إخراجَ الحياتِ من الصَّخْر . فإنْ كان الأمْرُ على ما قالوا فما ينبغى أن يكون بين خُروجِ الأفاعى الصمِّ وغيرِها فرقٌ ، إذا كانت العزائم والرُّقى

---

(١) ط : « أو حديثاً منثوراً » .

(٢) ط : « قصيداً موزوناً » .

(٣) كذا فى ط ، ه . والمسألة : مصدر ميمى من سأل . وفى س : « بمساءلة » .

(٤) ط فقط : « يدعيه » .

(٥) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٦) العامر : ما يسكن بيوت الناس من الجن ، فيما يزعمون .

والنَّفْثُ ليس شيئاً[١] يعمل فى نفس الحيَّة . وإنَّمَا هو شىءٌ يَعْمَلُ فى الذِى يُخْرِجُ الحَيَّة . وإذا كان ذلك [كذلك[٢]] فالسَّميعُ والأصمُّ فيه سواء

وكذلك يقولون فى التَّحبيب والتَّبغيض ، وفى النُّشرة[٣] وحلِّ العُقْده وفى التَّعقيد والتحليل .

(العزيمة)

ويزعمونَ أنَّ الجنَّ لاتجيبُ صاحبَ العزيمةِ حتى يَتَوَحَّشَ ويأتىَ الخَرَاباتِ والبَرَارىَّ ، ولا يأْنَسَ بالناس ، ويَتَشَبَّهَ[٤] بالجنِّ ، ويغسل بالمـاء القَرَاح[٥] ، ويتبخَّر باللُّبانِ الذَّكَر ، ويراعى المشترِى[٦] فإذا دقَّ ولطُفَ ، وتوحَّش وعزم ، أجابتْهُ الجِنُّ ، وذلك بَعْدَ أنْ يكونَ بدنُه يصلح هيكلاً لهـا ، [و[٧]] حتَّى يَلَذَّ دُخولَه وَادِيَ[٨] منازلَها ، وألَّا يكرَه ملابسَتَه والسكَوْنَ فيه . فإنْ هو أَلَحَّ عليها بالعزائم ، ولم يأْخُذْ لذلك أهْبَته خبَلَتْه ، وربَّمَا قتلتْه ؛ لأنها تَظنُّ أنَّهُ مَتَى توحَّش لها، واحتمى ،وتَنَظَّف[٩]

---

(١) هـ ، س : « شىءٌ » بالرفع ، صوابه فى ط .

(٢) زدتها مطاوعة لأسلوب الجاحظ .

(٣) النشرة ، بالضم : رقية يعالج بها المجنون والمريض .

(٤) فى الأصل « ويشبه » .

(٥) ماء قراح ، كسحاب : خالص لايخالطه شىء .

(٦) هو ذلك الكوكب : سماه المنجمون السعد الأكبر ؛ لأنه فوق الزهرة فى السعادة وأضافوا إليه الخيرات الكثيرة ، والسعادة العظيمة . عجائب المخلوقات .

(٧) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٨) كذا على الصواب فى س ، هـ . وفى ط : « وأرى » .

(٩) ط : « وتنطق » صوابه فى س ، هـ .

فقد فرغ : وهى لاتُجيب بذلك فَقَطْ[١] ، حتى يكونَ المعزِّمُ مشاكلاً لها فى الطِّباع .

فيزعمون أنّ الحيَّاتِ إنما تُخْرَجُ إخراجًا ، وأنَّ الذى يخرجُها هو الذى يخرِج سمومَها مِنْ أجسادِ النَّاس ، إذا عَزَمَ عليها[٢] .

(التعويذ)

والرُّقْيَةَ الأخرى بمَا يُعْرَفُ من التعويذ[٣] . قال أبُو عُبَيْدَةَ : سَمِعْتُ أعْرَابيًّا يقول[٤] : قد جاءكم أحَدُكُمْ يستَرْقِيكُمْ فارْقوه . قال : فَعَوَّذُوهُ ببعض العوائذ[٥] .

والوجه الآخر مشتقٌّ من هذا ومحمولٌ عَلَيْهِ ، كالرَّجُلِ يقول : مازال فلانٌ يرقى فُلاَنًا حتَّى لانَ وأجابَ .

(قول الشعراء والمتكلمين فى رقى الحيات)

وقد قالت الشعراء فى الجاهِلِيَّةِ والإسلامِ فى رُقَى الحيات ، وكانوا يؤمنون بذلك ويصدقون به ، وسنُخبر بأقاويلِ المتكلمين فى ذلك ، وبالله التوفيق . ٦٣

---

(١) أى أن الجن لاتجيب بالعزيمة فقط ، بل لابد لها مع ذلك من أن يشاركها المعزِّم فى طباعها . وفى الأصل : « وهو لايجيب » ، والوجه ما أثبت .

(٢) كذا على الصواب فى ط . وفى هـ ، س : « عليه » .

(٣) س ، « التعويذة » .

(٤) ط ، « وقال سمعت أبا عبيدة يقول » هـ : « وقال أبو عبيدة : سمعت يقول » وصوابهما ما أثبت من س .

(٥) كذا جاءت هذه الكلمة ، ولم أرها فى غير هذا الموضع ، والمعروف : « التعاويذ » جمع تعويذة ، و « العوذ » جمع عوذة بالضم ، و « المعاذات » بالفتح : جمع معاذة .

و [منهم[١]] مَنْ زعم أنَّ إخراجَ الحيّةِ من جُحْرها إلى الرَّاقى ، إنما كان للعزيمة والإقسام عليها ، ولأنَّها إذا فهمَتْ ذلك أجابَتْ ولم تمتنع

وكان أُمَيَّةُ بنُ أبى الصَّلت ، لايعرف قولهم فى أنَّ العُمَّارَ هم الذين يُجيبون العزائم بإخراج الحيّاتِ من بُيوتها ، وفى ذلك يقول :

والحيّة الذَّكر الرَّقشاء أخْرَجَهَا ... مِنْ جُحْرِها أَمَنَاتُ اللهِ والقَسَمُ[٢]

إذا دعا باسمها الإنسانُ أَوْ سَمِعَتْ ... ذات الإلٰهِ بدا فى مشيها رَزَمُ[٣]

مِنْ خَلْفها حُمَّةٌ لولا الّذِى سَمِعَتْ ... قد كانَ ثَبَتها فى جُحرها الحُمَمُ[٤]

نابٌ حديدٌ وكفٌّ غيرُ وادِعَةٍ ... والخلقُ مختلفٌ فى القَوْلِ والشِّيَمِ[٥]

إذا دُعِينَ بأسماء أَجَبْنَ لها ... لنافثٍ يعتديه اللهُ والكَلِمُ

لولا مخافـــةُ رَبٍّ كان عذَّبَها ... عرجاء تظْلَعُ ، فى أنْيابها عَسَمُ[٦]

---

(١) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام .

(٢) فى اللسان : « ووصف أمية الحية بالحتفة فقال :

والحية الحتفة الرقشاء أخرجها ... من بيتها أمنات الله والكلم

(٣) فى اللسان : « رزم البعير والرجل وغيرهما يرزم رزوما ورزاما : إذا كان لايقدر على النهوض رزاحا وهزالا » . ورواية الديوان ٥٧ : « يرى فى سعيها رزم » .

(٤) كذا فى ط ، هـ والديوان ، وقد استعمل المجاز فى « خلفها » كما يقول القائل : « من خلفه الشر والأذى » أى هو صاحب شر وأذى . والحمة ، بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحة : السم ، وتجمع على حمم ، انظر اللسان . وفى س : «من خلفها حية» ولاتوافق ماسيأتى من تعقيب الجاحظ فى الصفحة التالية س ٤ .

(٥) ناب حديد : حادّ . وليس للحية كفّ ، وإنما أراد كثرة مايصيب الناس من شرها .

(٦) تظلع : تعرج وتغمز فى سيرها . وفى الأصل : « تطلع » صوابه فى الديوان . والعسم ، بالتحريك : أصل معناه يبس فى المرفق تعوج منه اليد ، فهو أراد به هنا الاعوجاج والانعقاف ، وهومن صفة ناب الحية . وفى الأصل والديوان أيضاً : « غشم » وأراها تحريفاً .

وقد بَلَتْهُ فذاقَتْ بعْضَ مَصْدَقِهِ ... فليسَ فى سَمْعها ، من رَهْبَةٍ صَمَمُ[١]
فكيفَ يأمنها أَمْ كيف تألَفُهُ ... وليس بينهما قُرْبَى ولا رَحِمُ!

يقول : لو أنَّها أخرجت[٢] حين اسْتُحْلِفَتْ بالله لما خرجت ؛ إذْ ليس بينهما قُرْبَى ولا رَحِم . ثمَّ ذكر الحُمَةَ[٣] والنّاب .

وقال آخرون : إنما الحيَّة مثل الضّبّ والضّبع ، إذا سمع بالله والهدْم والصَّوت خرج ينظر . والحوّاء إذا دنا من الجُحْر رفع صوتَه وصفَّقَ بيديه ، وأ كثرَ من ذلك ، حتى يخرج الحيّة ، كما يُخرجُ الضبَّ والضّبع .

وقال كثيِّر :

وسَوداءَ مِطراق إليَّ منَ الصَّفَا[٤] ... أَنِيٍّ[٥] إذا الحاوى دنَا فَصَدَا لها[٦]

والتَّصدية . التَّصفيق ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِنْدَ الْبيْتِ إلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ الآية . فالمُكاء : صوتٌ بين النَّفخ والصَّفير والتَّصْدِيَةُ : تصفيق اليد باليد .

فكان الحَوَّاء يحتالُ بذلك للحيَّة ، ويُوهِم مَنْ حَضَرَ أنَّهُ بالرُّقية

---

(١) بلا الشئ يبلوه : اختبره . والمراد هنا عرفته بعد الاختبار . والضمير عائد إلى « نفث » فى البيت الذى قبل السابق . س ، هـ : « قد أبلته » وفى الديوان « وقد بكته » صوابهما ما أثبت من ط .

(٢) س . « خرجت » .

(٣) الحمة ، بضم الحاء وفتح الميم ، ويقال الحمّة ، بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحة أيضاً ، بمعنى السم .

(٤) الصفا : جمع صفاة ، وهى الصخرة الملساء الصلبة . ط ، س : « الصفا » صوابه فى هـ .

(٥) أنىّ ، من الأناة بمعنى البطء . ط ، هـ : « أنى » صوابه فى س .

(٦) ط : « إذا الحانوت » تصحيحه من س ، هـ . ورسمت « قصدا » بالألف وهى من الصدو ، بمعنى التصفيق . وفى ط : « فضدا » مصحفة .

أخرجها ، وهو فى ذلك يتكلّمُ ويعرِّض ، إلاَّ أنَّ ذلك صوتٌ رفيع . وهو لو رَفَعَ صوتَه ببيتِ شِعْرٍ أو بخُرافةٍ ، لَكان ذلك والذى يظهر من العزيمة عندَ الحَيَّة سَواءً . وإنَّما يُنْكِر الصَّوتَ ، كما يُنكره الضَّبُّ وغيرُ ذلك من الوحش .

ثمَّ قال :

كَفَفْتُ يَدًا عنها وأرضَيْتُ سَمْعَها ... من القَوْل حتَّى صدَّقَتْ ماوعى لها

وأشْعَرتُها نَفْثًا بليغًا ، فلو ترى ... وقد جعلت أن ترعَى النَّفْثَ بالها[1]

تسلُّتَها من حيث أدرَكَها الرَّقى ... إلى الكَفِّ لماسالمت ، وانسلالها ٦٣

فقال كما ترى :

* كففت يدًا عنها وأرضيتُ سمْعَها * (البيت)

ثم قال :

* وأشعرتها نَفْثًا بليغًا فلو تَرَى *

وقال الأعشى[2]

أبا مِسْمَعٍ إنى امرؤٌ مِن قَبيلةٍ ... بَنَى لِىَ عِـــزًّا مَوْتُها وحياتُها

فلا تُلْمِسِ الأفعَى يديك تريدها ... إذا ماسعت يوما إليها سَفَاتُها[3]

---

(١) ه : « بالها » .

(٢) النسبة فى المخصص (١٥ : ١٢٥) إلى أبى ذؤيب الهذلى . وفى معجم المرزبانى ٣٧١ إلى خالد بن زهير الهذلى ــ وهو ابن أخت أبى ذؤيب الهذلى ــ يخاطب معقل ابن خويلد الهذلى ، فى قصة دخل فيها أبو ذؤيب الهذلى . وهذا هو الصواب فى النسبة .

(٣) السفاة ، بالفتح ، سيفسرها الجاحظ بعد . وفى ط ، ه ، س : « سعى لها » وهو تحريف عجيب يفسد به الكلام ، وينكسر الوزن ، صوابه فى المرجعين المتقدمين وكذا المقصور والممدود ٥٣ والمخصص (١٠ : ٦٣) أيضاً . والرواية فى الجميع ماعدا معجم المرزبانى = :

وقال آخر :

يَدْعُو بِهِ الحيَّةَ فى أقطارِهِ[١] فإنْ أبَى شَمَّ سَفاً وِجَارِهِ[٢]

والسَّفا : التراب اليابس بين التربين . يقال سَفاً وسَفاة .

(تمويه الحواء والراقى)

والحوَّاء [وَ[٣]] الرَّاقى يُرِى[٤] النَّاس أنَّهُ إذا رأى جحرًا[٥] لم يخفَ عليه : أجحر حيَّةٍ هو أمْ جُحر شىء غيره ، فإن كان جُحر حيَّةٍ لم يخف عليه أهى فيه أم لا ثمَّ إذا رَقى وعزَّم فامتنعت من الخُرُوجِ ، وخاف أنْ تكون[٦] أفْعى صَمَّاء لاتسمعُ ، و إذا أرَاغَها[٧] ليأخُذَها فأخطأ لم يأمن من أن تنقره نَقْرَةً[٨] لايُفْلِحُ بعدها أبدا ، فهو عند ذلك يستبرى[٩] بأن يشمَّ من تراب الجُحر ، فلا يخفى عَلَيْهِ : أهى أفْعى أم حَيَّةٌ من سائر الحيات . فلذلك قال :

= فلاتلمس الأفعى يداك تريدها ودعها إذا ماغيبتها سفاتها

وانفرد المرزبانى بروايته :

ولا تبعث الأفعى تداور رأسها ودعها إذا ماغيبتها سفاتها

(١) ضمير أقطاره عائد إلى الحية ، والحية تذكر وتؤنث . وأقطار الحية : النواحى التى يسكن فيها . وضمير يدعو ، هو للراقى أو الحاوى .

(٢) أى إن أبى الحية أن يخرج ، شم الحاوى تراب جحره ، ليعلم : أهو فيه أم لا ؟

(٣) ليست بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(٤) كذا على الصواب فى ط . وفى س ، هـ : « يرق » محرفة .

(٥) ط ، س : « جحر حية » . والوجه حذف : « حية » للتعميم ، كما فى هـ .

(٦) ط ، س : « يكون » أى مافى داخل الجحر . فله وجه . وأثبت مافى هـ .

(٧) أراغها : طلبها . وفى الأصل : « راعها » والوجه ما أثبت .

(٨) انظر ماسبق فى تحقيق هذه الكلمة ص ١١٥ .

(٩) مخففة من يستبرئ بمعنى يختبر . ومعناها الدقيق : يطلب براءة الجحر مما قد يكون به من الأفاعى الصم والمؤذية .

* يدعو به الحَية فى أقطاره * (البيت)

والوجار : الجُحر .

(ريح الأفعى)

وزعم لى بَعْضُ الحوَّائين أنَّ للحيَّات نَتْنًا وسهَكاً ، وأن ريحَ الأفعَى معروفَةٌ . وليس شىءٌ أعلقَ ، ولا أَعْشَقَ(١) ، ولا أسرعَ أخذًا لرائحة من طينٍ أو تراب ، وَأَنَّه(٢) إذا شمّ من طينة الجُحْر لم يخفَ عليه . وقال اعتبِرْ ذلك بهذا الطين السدانى(٣) والرَّاهطى(٤) إذا أُلقى فى الزَّعفران والكافور ، أو غير ذلك من الطِّيب ، فإنّه متى وُضع إلى جنب رَوْثة أو عذِرَة ، قَبِلَ ذلك الجسم .

والرَّقاء يوهم النَّاسَ إذا دَخَل دُورهم لاستخراج الحيَّاتِ أَنَّهُ يعرف أماكنها برائحتها ، فلذلك يأخُذُ قصبةً ويَشْعَب رأسها ، ثم يطْعُن بها فى سقف البيت والزَّوايا ، ثمّ يشمها ويقول مرة : فيها حيَّات ؛ ويقول مَرَّةً : بلى فيها حيّات ، على قدْر الطمع فى القوم ، وفى عقولهم .

(تأثير الأصوات)

وَأَمْرُ الصَّوتِ عجيبٌ ، وتصرُّفُه فى الوجوه عجب . فمن ذلك أنَّ منه

---

(١) ط : « أعق » س ، هـ : « اعتق » ولعل صوابهما ما أثبت .

(٢) ط ، هـ : « فإنه » والصواب فى س .

(٣) كذا بالأصل . ولعله : « السيرافى » نسبة إلى سيراف . وقد ذكره صاحب المعتمد فى الكلام على (طين قيموليا) .

(٤) الراهطى : نسبة إلى راهط ، وهو موضع فى غوطة دمشق ، كانت عنده الوقعة المشهورة : « مرج راهط » .

مايقتل ، كصوت الصاعقة . ومنها مايسرُّ النفوس حتى يُفْرِط عليها[١] السُّرُورُ فتقلَقَ حتى ترقُص ، وحَتَّى رُبمَا رمى الرَّجُل بنفْسه مِن حالق[٢] . وذلك مثلُ هذه الأغانى المطرِبة . ومن ذلك مايُكْمِد . ومن ذلك مايزيل العقْل حتى يُغْشَى على صاحبه ، كنحو هذه الأصواتِ الشجيةِ ، والقراءات الملحَّنة[٣] . وليس يعتريهم ذلك مِنْ قِبَلِ المعانى ؛ لأنهم فى كثير من ذلك ٦٤ لايفهمون معانىَ كلامهم . وقد بَكَى ماسرجويه[٤] من قراءة أبى الخوخ ، فقيل له : كيفَ بكيتَ من كتاب الله ولا تصدِّقُ به ؟ قال : إنما أبكانى الشجا !

وبالأصوات ينوِّمون الصِّبيانَ والأطفالَ .

---

(١) ط : « عليه » صوابه فى س ، هـ .

(٢) الحالق : الجبل المرتفع . والمراد : من مكان مرتفع .

(٣) من التلحين . ولابن قتيبة فى المعارف ٢٣٢ بحث جيد فى تلحين القرآن ، منه : « وكان القراء كلهم : الهيثم ، وأبان ، وابن أعين، يدخلون فى القراءة من ألحان الغناء ، والحداء والرهبانية . فنهم من كان يدس الشىء من ذلك دساً رقيقاً ، ومنهم من كان يجهر بذلك حتى يسلخه . فمن ذلك قراءة الهيثم : أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر . سلخه من صوت الغناء كهيئة :

أما القطاة فإنى سوف أنعتها نعتا يوافق نعتى بعض مافيها

(٤) ماسرجويه : طبيب بصرى يهودى ، وكان أحد المترجمين من السريانية إلى العربية وهو الذى فسر كناش القس أهرن بن أعين ، وزاد عليه مقالتين .

وكلمة : « بكى » هى فى ط ، س : « بكاى » . وفى هـ : « بكا » وقد صححته .

(أثر الأصوات فى الحيوان)

والدَّوابُّ تَصُرُّ آذانها[١] إذا غنَّى المُكارِى . والإبل تصرُّ آذانَها إذا حدا فى آثارها الحادى ، وتزداد نشاطًا ، وتزيد فى مشيها[٢] . ويَجمع[٣] بها الصَّيَّادُونَ السَّمكَ فى حظائرهم التى يتَّخذونها له . وذلك أنَّهم يضربون بعصِىٍّ معهم ، وَيُطَعْطِونَ[٤] ، فتقبل أجناسُ السَّمكِ شاخصةَ الأبصار مصغيةً إلى تلك الأصوات ، حَتَّى تدخُلَ فى الحظيرة . ويُضْرَب بالطِّساس للطَّير ، وتُصاد بها . ويضرَبُ بالطِّساس للأُسْدِ وقد أقبلَتْ ، فتروعُها تلك الأصوات .

وقال صاحب المنطق : الأيائلُ تُصَادُ بالصَّفيرِ والغناء . وهى لاتنامُ مادامت تسمَعُ ذلك من حاذقِ الصوت . فيشغلونها بذلك ويأتُونِ من خَلفِها فإنْ رأوْها مسترخيةَ الآذانِ وثَبُوا عليها ، وإن كانت قائمة الأذنين فليس إليها سَبيل .

والصَّفير تُسْقَى به الدوابُّ الماءَ ، وتنفِرُ به الطير عن البذور .

وزعم صاحبُ المنطق أنَّ الرَّعدَ الشَّديدَ إذا وافق سِبَاحَةَ السَّمك

---

(١) صرت الدابة أذنها : نصبتها للاستماع .

(٢) س : « مشيتها » .

(٣) ط ، هـ : « وتجمع » وتأنيث الفعل مع جمع المذكر المكسر جائز ، ولكن جمع التصحيح المذكر كما هنا ، لايجوز فى فعله إلا التذكير ، خلافا للكوفيين الذين احتجوا بقوله تعالى : « إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل » ورد عليهم احتجاجهم بأن « بنو » ليس جمع تصحيح .

(٤) المطعطة : تتابع الأصوات واختلاطها .

فى أعلى المـاء رمَتْ بيضها[1] قبلَ انتهاء الأجَل . [وربّما تمّ الأجل[2]] فتَسمعُ[3] الرّعدَ الشّديدَ ، فيتعطّل عليها أيّاما بعدَ الوقت .

(قول لأبى الوجيه العكلى)

وقال أبو الوجيه العُكْلِيُّ : أحِبُّ السّحابةَ الخَرْساءَ وَلاَ أُحِبهَا ! فقيل له : وكيف ذلك ؟ قال : لأنها لاتخرَسُ حتى تمتلئَ ماءً وتصبّ صَبًّا كثيرًا ، ويكونَ غيثًا طَبَقًا[4] .وفى ذلك الحيَا[5] . إلاّ أنّ الـكماةَ لاتـكون على قدْرِ الغيث . ذهب إلى أنّ للرّعدِ فى الـكمأة عملا .

(دعابة لجعفر بن سعيد)

وقال جعفر بن سعيد[6] :سأل كسرى عن الـكَمْأة فقيل له : لاتـكونُ بالمطر دونَ الرّعد ، ولا بالرّعْد دونَ المطر .قال : فقال كسرى : رشّوا بالمـاء واضربوا بالطبول ! وكان من جعفر على التمليح[7] . وقد علم جعفرٌ أنّ كسرَى لايجهل هذا المقدار .

(أثر الصوت فى الحية)

فالحيّة واحدةٌ من جميع أجناس الحيوان الذى للصّوتِ فى طبعه عمل .

---

(١) ط . هـ : « يبعضها » صوابه فى س .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) فى الأصل : « فيسمع » .

(٤) طبقاً : أى مالئا للأرض مغشيا لهـا .

(٥) الحيا ، بالقصر ، ويمد أيضاً : الخصب .

(٦) تقدمت ترجمته فى (٣ : ٤٦٩) .

(٧) التمليح : أن يأتى بشئ مليح . وأصل ذلك فى الشاعر ، وقد جعله هنا للمتحدث ط : « التملح » وهو التزود بالملح ، أو التجارة به ، وليس يليق بهذا الموضع ، وصوابه فى س ، هـ .

فإذا دنا الحوّاء وصفق بيديه ، وتكلم رافعا صوتَه حتى يزَبِّد(١) ، خرج إليه كلُّ شيء كان في الجُحْر ، فلا يشكُّ من لاعلم له أنَّ الحيَّةَ خرجت من جهة الطاعةِ وخوْف المعصيَةِ ، وأنّ العامرَ أخرجها تعظيماً للعزيمة ، ولأنَّ المعتزم مُطاعٌ في العُمَّار. والعامّة أسرعُ شيء إلى التَّصديق .

(شعر في الروح وهيكلها)

وفي [الرُّوح ، وفي(٢)] أنَّ البدنَ هيكلٌ لهـا ، يقول سليمانُ الأعمى(٣) وكان أخا مسلم بن الوليد الأنصاريّ . وكانوا لايشكون بأنَّ سليمانَ هـذا الأعمى، كان من مُسْتَجيبِي(٤) بشارِ الأعمَى ، وأنَّه كان يختلف إليه وهو غلاَم فقبل عنه ذلك الدِّين . وهو الذى يقول :

إنَّ في ذَا الجِسمِ(٥) مُعْتَــبَرًا لِطَلُوبِ الْعِــلمِ مُقْتَبِسِهْ ٦٥

(١) يقال زبده ، بالتشديد ، فزاد وازداد .

(٢) زيادة تقتضيها صحة الـكلام وسياق الحديث . وليست بالأصل . انظر الشعر الآتى

(٣) سليمان الأعمى ، أو الضرير ، جعله الجاحظ أخا لمسلم بن الوليد ، كما هنا وكما في البيان (٣ : ١٢١) حيث يقول : « وقال سليمان بن الوليد » . أما ياقوت وكذا الصفدى في نكت الهميان ١٦٠ فقد جعلا مسلم بن الوليد أباه . قال ياقوت في ترجمته : « وهو ابن مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغوانى ، الشاعر المعروف كان كأبيه شاعراً مجيداً . وكان ملازما لبشار بن برد يأخذ عنه ، ولذا كان متهما بدينه . مات سنة تسع وسبعين ومائة » وأنشد له الشعر الآتى . انظر معجم الأدباء (١١ : ٢٥٥) . وفي عيون الأخبار (٣ : ٦١) : « سليمان الأعجمى » صوابه ما هنا .

(٤) من مستجيبي بشار : أى ممن قبلوا دعوته . ط ، هـ : « محبى » س : « مستحى » صوابهما ما أثبت .

(٥) كلة « في » ساقطة من ط ، هـ . وكلة : « الجسم » هي في الأصل : « العلم » ولا يتجه بها الشعر ، ولا المعنى الذى سيق من أجله الشعر . وأثبت الصواب من معجم الأدباء ونكت الهميان ص ١٦٠ . وكلة « معتبرا » هي في ط فقط « معتبر » محرفة .

هَيْكَلٌ للرُّوحِ ينطقه عِرْقُهُ والصَّوْتُ من نَفَسِهْ[(١)]
لا تَعِظْ إلاَّ اللَّبِيبَ فما يُعْدَلُ الضِّلعُ عَلَى قَوَسِهْ
رُبَّ مَغْرُوسٍ يُعَاشُ بِهِ فَقَدَتْهُ[(٢)] كَفُّ مُغْتَرِسِهْ
وكَذَاكَ الدَّهْرُ مأتَمُهُ أقربُ الأشياءِ مِنْ عُرُسِهْ

(قول فى شعر لأمية بن أبى الصلت)

وكانت العربُ تقول : كان ذلك إذ كان كلُّ شىء ينطق ، وكان ذلك والحجارةُ رَطبةٌ .

قال أُمَيَّةُ :

وإذ هم لا لَبُوسَ لهم تَقِيهم وإذْ صمُّ السِّلامِ لهم رِطابُ[(٣)]
بآيَةِ قامَ ينطِقُ كلُّ شىء وخانَ أَمَانَةَ الدِّيكِ الغُرابُ
وأُرْسِلَتِ الحمامَـةُ بَعْدَ سَبْعٍ تَدلُّ على المهالك لا تَهَابُ
تَلَمَّسُ هَلْ ترى فى الأَرضِ عيناً وعاينة بها المـاء العباب[(٤)]
فجاءتْ بَعْدَ مَارَ كَضَتْ بِقِطفٍ عليها الثَّأْطُ والطِّينُ الكُبابُ[(٥)]

---

(١) عرقه : يشير إلى أوتار الصوت . ط ، هـ ونكت الهميان : « عرفه » صوابه فى س والمعجم .

(٢) فى البيان والمعجم ونكت الهميان وعيون الأخبار : « عدمته » . ورواية الكامل ٧٧٣ موافقة لرواية الحيوان .

(٣) اللبوس ، بالفتح : الثياب والسلاح ، مذكر . فإن ذهبت به إلى الدرع أنثت . ويظهر من تأنيث الفعل بعده أن المراد بها هنا الدرع . والسلام ، بالكسر : جمع سلمة بكسر اللام ، وهى الحجارة .

(٤) كذا فى ط ، هـ . وفى س : « وعانية بها أبناء العباب » . وانظر ماسبق من التحقيق فى (٢ : ٣٢١) .

(٥) فى الأصل : « عليها الناط » . وانظر ما أسلفت من التحقيق والشرح فى (٢ : =

فلما فرَّسوا الآيات صاغُوا لهـا طَوْقاً كما عُقِدَ السِّخابُ[(١)]

إذا ماتتْ تُورِّثُهُ بنيها وإنْ تُقْتَلْ فليس له انسِلابُ

فذكر رُطوبة الحجارة ، وأنّ كلّ شيء قد كان ينطِق . ثمّ خبّرَ عن منادمةِ الدِّيك الغرابَ ، واشتراطِ الحمامة على نوح ، وغيرِ ذلك ممّا يدلُّ على ماقُلْنَا . ثمّ ذكر الحيَّةَ ، وشأنَ إبليسَ وشأنَها ، فقال :

كذى الأفعَى تربَّبَها لَدَيْهِ وذى الجِنِّيِّ أرسلَهَا تُسَابُ[(٢)]

فلا ربُّ البريّة يأمَنَنْهَا ولا الجِنِّيُّ أصبح يُسْتَتَابُ

فإن قُلْتَ : إنَّ أميّة كانَ أعرابيًّا ، وكان بَدَوِيًّا[(٣)] ، وهذا من خرافاتِ أعْرَاب الجاهليَّة ، وزعمت أنّ أُمَيَّةَ[(٤)] لم يأخذ ذلك عن أهْل الكتاب — فإنى سأنْشِدُكَ لعدىِّ بنِ زيدٍ ، وكان نصرانيًّا ديّانًا[(٥)] ، وترْجُمانًا ، وصاحبَ كُتب ، وكان من دُهاةِ أهل ذلك الدّهر .

قال عديُّ بن زيدٍ ، يذكرُ شأنَ آدم ومعصيته ، وكيف أغواه ، وكيف دخل فى الحية ، وأنَّ الحيـة كانت فى صورة جَمَلٍ فمسخها اللهُ عقوبة لها ، حين طاوعت عَدُوّه على وليِّه . فقال :

= ٣٢١) . وقد سبقت رواية « عليه التاط » أى على القطف . وأما ضمير « عليها » هنا فعائد إلى الحمامة .

(١) طوق الحمامة ، سبق القول فيه فى (٢ : ٣٢١) .

(٢) تربيها : رباها . والتربيب : التربية . وفى الأصل : « تربيها » محرف . وانظر لرواية الشطر الثانى ماسبق فى (٢ : ٣٢٢) .

(٣) فى الأصل : « مدريا » .

(٤) الكلام من مبدإ كلمة « كان » إلى هنا ساقط من س .

(٥) الديان هنا بمعنى الحاكم . وكان عدى بن زيد أول من كتب بالعربية فى ديوان كسرى ، فرغب أهل الحيرة إلى عدى ورهبوه ، وكان أنبل أهل الحيرة فى أنفسهم ، ولو أراد أن يملكوه لملكوه . الأغانى (٢ : ١٩ ، ٢٠) .

قضى لستةِ أيامٍ خليقتَه[(١)] وكان آخرَها أنْ صوّرَ الرَّجُلا

٦٦ دعاهُ آدمَ صوتًا فاستجاب له
بنفخةِ الرُّوحِ فى الجسم الذى جَبَلاَ[(٢)]

ثمّتَ أورثَهُ الفردوسَ يعمُرُها وزوجه صنعةً مِنْ ضِلْعِهِ جعَلاَ

لم ينْهَهُ ربُّهُ عن غيرِ واحدةٍ من شَجَرٍ طيِّبٍ: أنْ شَمَّ أوْ أكلاَ[(٣)]

فكانت الحيَّةُ الرَّقْشاء إذْ خُلقت كما ترى ناقةً فى الخَلْقِ أوْ جَمَلا

فعَمَدَا للتى عن أكلِهَا نُهِيَا بأمرِ حوَّاءَ لم تأخُذْ لهُ الدَّغَلاَ

كلاهما خاط إذ بُزَّا لَبُوسَهما مِنْ ورقِ التِّينِ ثوبًا لم يكنْ غُزِلا[(٤)]

فلاطَهَا الله إذْ أغْوَتْ خَلِيفتَهُ طُولَ اللَّيالى ولم يجعَل لها أَجلاَ[(٥)]

تمشى على بطنها فى الدَّهرِ ما عَمِرَتْ والتُّرب تأكُلُهُ حزنا وإن سهُلاَ[(٦)]

فأتعبا أبوانَا فى حياتِهما
وأوْجَدا الجُوعَ والأوصابَ والعِلَلاَ[(٧)]

---

(١) ط ، س : «خليقة» صوابه فى هـ .

(٢) ط : «فاسجاب له» تصحيحه من س ، هـ . وجبل : خلق .

(٣) أى عن شمها وأكلها .

(٤) بزا لبوسهما : أى سلبا ثيابهما . وفى الكتاب الكريم : «فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما» و : «لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما» . وفى ط ، هـ : «برا» وفى س : «بر» والوجه ما أثبت .

(٥) لاطها : ألصقها . وخليفة الله : آدم : «وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة» . وقول عدى : «ولم يجعل لها أجلا» إشارة إلى ما يزعمون من أن الحية لا تموت إلا بعرض يعرض لها من قتل ونحوه .

(٦) عمر ، كفرح ونصر وضرب : بقى زمانا .

(٧) جرى الشاعر نحو على مذهب «أكلونى البراغيث» فى «فأتعبا أبوانا» ط فقط : «فأبقيا» محرفة . وفى س ، هـ : «ووجد الجوع» .

وأوتيا المُلكَ والإنجيــلَ نقرؤه نَشْفى بحكمته أحْــلامَنا عِلَلاَ[١]
مِنْ غَــيرِ ماحاجةٍ إلاَّ ليَجْعَلَنَا فوقَ البرِيَّةِ أرْبَاباً كما فَعَلاَ[٢]

(عقاب حواء وآدم والحية)

فرَوَوْا أنَّ كعبَ الأحبارِ قال : مكتوبٌ فى التوارة أنَّ حَوَّاءَ عِنْدَ ذلك عُوقِبتْ بعشر خصالٍ ، وأنَّ آدم لمَّا أطاع حَوَّاء وعصى رَبَّه عُوقب بعشر خصال ، وأنَّ الحيَّة التى دخل فيها إبليس عُوقبت أيضًا بعشر خصال[٣] .

وأوَّلُ خِصال حَوَّاء التى عُوقبت بها وجَع الافتضاض ، ثم الطلق ، ثمَّ النَّزْع[٤] ثمَّ بقناع الرَّأس[٥] ، وما يصيبُ الوحَمى[٦] والنفساء من المكروه ، والقَصْرُ فى البيوت[٧] ، والحيض ، وأنَّ الرِّجال هم القوَّامون عليهنَّ ، وأن تكونَ عِنْدَ الجماع هى الأسفل .

---

(١) الأحلام : العقول . وعللا ، بدل من أحلامنا ، والضمير فيها مقدر ، أى : عللا فيها .

(٢) البرية : الخلق . وأربابا : جمع رب ، جاء فى اللسان : « الرب يطلق فى اللغة على المالك والسيد والمربى والقيم والمنعم . قال : ولا يطلق غير مضاف إلا على الله عزّ وجلّ . وإذا أطلق على غــيره أضيف فقيل رب كذا . قال : وقد جاء فى الشعر مطلقا على غير الله تعالى ، وليس بالــكثير ، ولم يذكر فى غير الشعر » .

(٣) هذا القول غير مطابق لما فى التوراة ، وبينه وبين مافيها تفاوت . انظر سفر التكوين ، الأصحاح الثالث الآيات ١٤ ــ ١٩ وانظر تنبيه الجاحظ على مرويات كعب فى ص ٢٠٢ .

(٤) أى نزع الولد .

(٥) أى لبس غطاء الرأس ، وحق هذه الخصلة أن تكون بعد تاليتها .

(٦) وحمت المرأة : حبلت واشتهت الطعام ، فهى وحمى من وحام ووحامى . ط ، س : « الوحم » هـ : « وما يصب الرحم » صوابه ما أثبت .

(٧) أى حبسهن فى البيوت . هذا . ومن عدّ هذه الخصال وجدها تسعا ، فلعله جعل الخامسة منهن اثنتين .

وأمّا خصال آدم صلى الله عليه وسلم : فالذى انتقص من طوله ، وبما جعله الله يخافُ من الهوامِّ والسِّباع ، ونكَد العَيش ، وبتوقع الموت ، وبسكنى الأرض ، وبالعُرْى من ثياب الجنَّة ، وبأوجاع أهل الدنيا ، وبمقاساة التحفظ من إبليس ، وبالمحاسبة بالطَّرف[1] ، وبما شاع عليه من اسم العصاة .

وأمَّا الحيَّة فإنها عوقبت بنقص جَناحها ، وقطْع أرجلها ، والمشى على بطنها، وبإعراء جلدها — حتى يقال: «أعْرَى مِنْ حَيَّة» وبشقِّ لسانها — ولذلك كلما خافَتْ من القتل أخرجَتْ لسانها لتريَهم العُقوبةَ — وبما ألقِى عليها من عَداوةِ النَّاس ، وبمخافة الناس ، وبجعله لها أوَّلَ ملعونٍ من اللَّحم والدَّم ، وبالذى يُنسب إليها من الكذب والظلم .

(ظلم الحية وكذبها)

فأمّا الظلم فقولهم: «أظلم من حَيَّةٍ» وأما الكذب فإنها تنطوى فى الرَّملِ على الطَّريق وتُدْخِلُ بَعض جسدِها فى الرَّمل ، فتظهر كأنها طَبقُ خيزُرانٍ. ٦٧ ومنها حَيَّاتٌ بيضٌ قِصَارٌ تجمعُ بين أطرافها على طُرُقِ الناس ، وتستديرُ كأنها طوْقٌ [أوْ[2]] خلخالٌ ، أو سوارُ ذهبٍ أو فضةٍ — ولما تلقى على نفسها من السُّبات[3] ، ولما تُظهر من الهرَب من الناس . وكلّ ذلك إنمّا تغرُّهُمْ وتصطادُهُمْ بتلك الحيلة ، فذلك هو كذِبُها .

---

(١) لعل المراد المحاسبة على ماتجنيه العين من جنايات النظر . وفى س : « وبالمحاسبة الطرف » .

(٢) ليست بالأصل .

(٣) السبات ، بالضم : النوم .

(عقاب الأرض)

قال : وعُوقبت الأرضُ حين شَرِبَتْ دم ابنآدم[١] بعشرِ خِصال: أنبتَ فيها الشّوك ، وصيَّر فيها الفيافىَ ، وخرق فيها البحار ، وملّح أكثرَ مائها ، وخَلقَ فيها الهوامَّ والسِّباع ، وجَعَلَها قَرَارًا لإبْليسَ والعاصِين ، وجعل جهنَّمَ فيها ، وجعلها لاتُرْبِى ثمرتها إلاَّ فى الحرِّ ، وهى تعذَّب بهم إلى يوم القيامة ، وجعلها تُوطَأ بالأخْفافِ ، والحوافِرِ ، والأظلافِ ، والأقدام[٢] ، وجَعَلها مالحةَ الطَّعم .

(شرب الأرض للدم)

ثم لم تشرب بعد دمِ ابنِ آدمَ دَمَ أحدٍ من ولده ، ولا من غير ولده .
قَالَ : وَلِذلِكَ قال عمر بنُ الخطاب رضى الله تعالى عنه لأبى مريم الحنفىّ[٣] :
« لأنَا أَشَدُّ لك بُغْضًا مِنَ الأرْضِ للدم ! »

وزعم صاحبُ المنطق أنَّ الأرض لاتشرب الدَّم ، إلاَّ يسيرًا من دماء الإبل خاصَّة .

(اختبار العسل)

وإذا أرادُوا أن يمتحنُوا جَوْدَةَ العسل من رداءته ، قَطَرُوا على الأرض

---

(١) هو الذى تسميه التوراة : « هابيل » الأصحاح الرابع ، وقصته فى سورة المائدة ٢٧ — ٣١ .
(٢) فى الأصل : « القوادم » .
(٣) سبقت ترجمته فى (٣ : ١٣٦) ، حيث تجد كلمة عمر الآتية . وتجدها كذلك فى عيون الأخبار (٣ : ١٣) والبيان (٢ : ٧٧) وبقية الحديث فيه : « قال : أفتمنعنى لذلك حقا ؟ قال : لا ! قال : لاضير ؛ إنما يأسف على الحب النساء ! ».

منه قَطْرَةً . فإذااستدارت(١) كأنها قطعةُ زِئبقٍ ، ولم تأْخُذْ مِنَ الأرْضِ ولم تُعْطِهَا(٢) فهو المـاذىُّ الخالصُ الذّهبىُّ. فإن كان فيه غُشُوشةٌ(٣) نفشت القَطْرة على [قدر] مافيها ، وأخَذَتْ من الأرض وأعطتها . وإن لم يقدِرُوا على اللَّحم الغَرِيض(٤) دَفَنُوهُ وغرّقوه فى العسل ، فإنهم متى رجعوا فغسلوه عنه وجَدُوهُ غضًّا طريًّا ؛ لأنّهُ ذهبىُّ الطِّباع ، ليس بينه و بين سائر الأجرام شىء . فهو لايعطيه شيئاً ولا ياخذ منه . وكذلك الذّهَبُ إذا كان مدفونا.

(زمن الفطحل)

وهذه الأحاديثُ ، وهذه الأشعارُ ، تدلُّ على أنّهُمْ قد كانوا يقولون : إنَّ الصُّخورَ كانت رَطْبَةً لينة ، وإنَّ كلَّ شىء قد كانَ يعرِفُ و ينطق ، و إنّ الأشجارَ والنَّخل لم يكن عليها شوكٌ . وقد قال العجّاج ، أو رُؤْبة(٥) :

أَوْ عُمْرَ نُوحٍ زَمَنَ الْفِطَحْلِ ... وَالصَّخْرُ مُبْتَلٌّ كَطِينِ الوَحْلِ

(مرويات كعب الأحبار)

وأنا أظنُّ أنَّ كثيرًا مِمَّا يُحكى عن كعبٍ أنَّهُ قال : مكتوبٌ فى التوراة أنّهُ إنّمَا قال نجدُ فى الكتب، وهو إنّما يعنى كتب الأنبياء،والذى يتوارثونه من كتب سليمان ؛ ومافى كتبهم من [مثل(٦)] كتب إشَعْياء(٧) [وغيره(٨)] .

---

(١) ط ، ه : « فإن استدارت » .

(٢) س ، ه : « يعطه » ط : « تعطه » وصوابه ما أثبت.

(٣) كذا فى الأصل . والمعروف : غشه غشا .

(٤) اللحم الغريض : الطرى .

(٥) انظر ماسبق من التحقيق فى ص ٨ .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) هو إشعياء ، بكسر أوله وفتح ثانيه وإسكان ثالثه كما ضبط فى العهد القديم . كان أحد أنبياء بنى إسرائيل . وقد تحدث عنه ابن الأثير فى الكامل (١ : ١٤٣ ـ ١٤٥) حديثاً طويلا ، وكتابه يشتمل على ستة وستين أصحاحا .

(٨) بمثل هذه الكلمة يصلح الكلام . وإلا فإن لإشعياء كتابا واحداً كما مر =

والذين يروون عنه فى صفة عُمَرَ بن الخطاب رضى الله عنه ، وأشباهِ ذلك ، فإن كانوا صَدَقوا عليه وكان الشيخ لايضعُ الأخبارَ[١] فما كان وجهُ كلامه عندنا إلاّ على ماقلتُ لك . ٦٨

(نطق الحية)

وفى أنّ الحيّةَ قد كانت تسمَعُ وتنطق ، يقول النّابغةُ[٢] فى المثَل الذى ضَرَبَه[٣] ، وهو قوله :

أليس لنا مولًى يحبُّ سَرَاحَنا فيعذِرَنا من مُرّةَ المتناصِرَه[٤]

لِيَهْنِكُمُ[٥] أنْ قَدْ نفيتُمْ[٦] بيوتَنا مَحَلَّ عُبَيْدَانَ المحلاَّءِ باقِرُه[٧]

= فى التنبيه السابق . فمن هذه الكتب كتب إرميا ، وحزقيال، ودانيال ، ويوشع وعاموس ، وغيرهم .

(١) س : « وكان الشيخ يصنع الأخبار » .

(٢) من قصيدة له يعاتب بها بنى مرة . انظر الخزانة (٣ : ٥٥٦ بولاق) وخمسة دواوين العرب ٤٧ . ووهم الدميرى فى نسبة الشعر إلى النابغة الجعدى .

(٣) انظر قصة الشعر فى المصدرين المتقدمين ، والشعراء ٢٢ والمحاسن والمساوى (٢ : ١٣٤) والدميرى (١ : ٤١٦) وأمثال الميدانى (١ : ٨٢) ومروج الذهب (٢ : ١٢٩) وهى مما وضعه العرب على ألسنة الحيوان .

(٤) س : «يجيب سراحنا» .

(٥) كذا فى ه . وفى س : « ليهنكو » وهما كتابتان جائزتان ، وفى ط : « ليهنأ كم » وفى خمسة دواوين العرب واللسان (مادة عبد) : « ليهنأ لكم » وهذه لغة غريبة .

(٦) فى الأصل : « لقيتم » . وتصحيحه من الديوان واللسان (عبد) .

(٧) فى البيت إقواء . وقال ابن برى : صواب إنشاده : « المحلئ باقره » بكسر اللام من المحلئ ، وفتح الراء من باقره . عن اللسان . وعبيدان : ماء منقطع بأرض اليمن لايقربه أنيس ولا وحش . أو هو بمعنى الفلاة . أو هو رجل له قصة ، ذكرها صاحب اللسان . والباقر : البقر . س ، ه : «المحلات» محرف .

وإنى للاقٍ من ذَوِى الضِّغْنِ نَكْبَةً ... بلا عثْرَةٍ والنفس لابدَّ عاثِرَه[1]

كما لَقِيَتْ ذاتُ الصَّفَا مِنْ حَلِيفِها

وما انفكَّتِ الأمْثَالُ فى الناسِ سَائِرَهْ[2]

فقالت له : أدْعُوكَ للعقْلِ وافرًا ... ولا تَغْشَيَنِّى منك للظّلم بادِرَهْ[3]

فواثقها باللهِ حتَّى تَرَاضيَا ... فكَانَتْ تَدِيهِ الجَزْعَ خَفيًا وظَاهِرَه[4]

فلما تَوَفَّى العَقْلَ إلاّ أقَلَّه ... وجارَتْ بِهِ نَفْسٌ عن الخيرِ جائِرَه[5]

تفكَّرَ أنّى يَجْمَعُ اللهُ شَمْلَهُ[6] ... فيصبِحَ ذا مالٍ ويقتُلَ واتِرَه

فَظَلَّ على فأسٍ يُحِدُّ غُرابها[7] ... ليقتُلَها ، والنَّفْسُ للقَتْلِ حَاذِرَهْ[8]

فلما وقاها اللهُ ضربَةَ فأسِهِ ... ولِلّهِ عَيْنٌ لاتُغَمِّضُ ساهِره[9]

فقَالَ : تعالَىْ نجعل اللهَ بيننا ... على العَقْلِ حَتّى تُنْجِزِى لِىَ آخِرَه[10]

---

(١) الخزانة : « فإنى لألقى من ذوى الضغن منهم » .

(٢) ذات الصفا : الحية التى كان لها هذا المثل . وسميت بذلك لأنها تسكن فى الصفا ، وهى الحجارة الملس الصلاب .

(٣) العقل هنا بمعنى الدية . زعموا أن الحية قتلت أخا ذلك الحليف .

(٤) تديه الجزع : أى تعطيه دية أخيه من الجزع ، بالفتح ، وهو ضرب من الخرز فيه بياض وسواد . هـ : « تديه الجرح » محرف . ورواية الخزانة والديوان : « وكانت تديه المال غبا » والغب بالكسر : أن تعطيه فى يوم ولا تعطيه فى الثانى

(٥) توفى العقل : أى أخذ الدية وافية كاملة .

(٦) رواية الديوان والخزانة : « تذكر أنى يجعل الله جنة » والجنة بالضم : الوقاية . ورواية الشعراء : « تذكر أنى يجعل الله فرصة » .

(٧) غراب الفأس : طرفها . ورواية الميدانى والخزانة والشعراء : « أكب على فأس يحد غرابها » .

(٨) والنفس : أى ونفسه . ورواية العجز فى الخزانة والميدانى والديوان : « مذكرة من المعاول باتره » .

(٩) ط : « ناظره » ورواية الميدانى : « وللشر عين لاتغمض ناظره » .

(١٠) قال للحية : تعالى نجعل الله شاهداً بيننا على دية أخى حتى تنجزيها . س ، هـ : =

فقالت : يمينُ اللهِ ، أفعَلُ ؛ إنّنى رأيتُك خَتَّارًا يَمِينُكَ فاجِره[1]
أبَى لكَ قــبرٌ لايزال مُواجِهاً وضربةُ فأسٍ فوقَ رأسِي فاقِرَه[2]

فذهَبَ النَّابغةُ فى الحيَّاتِ مذهَبَ أميّةَ بنِ أبى الصَّلتِ ، وعدىِّ ابنِ زيدٍ ، وغيرِهما من الشعراء .

(الصخور والأشجار فى ماضى الزمان)

وأنشدنى عبدُ الرحمن بن كَيسان :

فكانَ رَطِيبًا يومَ ذلك صخرُها وكان خَضِيدًا[3] طَلْحُها وَسَيَالُها

فزعمَ كما ترى أنّ الصُّخورَ كانت ليِّنَةً ، وأنّ الأشجارَ : الطلحَ والسَّيالَ كانت خَضِيدًا[4] لاشوكَ عليها .

وزعم بعضُ المفسِّرين وأصحابُ الأخبار ، أنّ الشّوكَ إنما اعتراها فى صبيحة اليوم الذى زعمتِ النّصَارَى فيه أنّ المسيح ابنُ الله .

= « فقالت لعلى يجعل » صوابه فى ط والديوان والخزانة والميدانى . ويروى : « على المـال » و « على مالنا » .

(١) يمين الله : قسم من الأيمـان . و « أفعل » أى : لا أفعل . وحذف « لا » بعد القسم كثير فى كلامهم . وفى الـكتاب : « تالله تفتؤ تذكر يوسف » أى لاتفتأ وانظر لهذا البحث أمالى المرتضى (٣ : ١٣٧) والمخصص (١٣ : ١١٥) والأضداد ١٤٨ . والختار : الغدار .

(٢) تقول : أبى لك أن تكون وفيا ما أسلف إلىّ أخوك الذى قبره مواجه لنا . وكان أخوه فيما زعموا ـ ضربها بفأس ، فانتقمت منه بأن قتلته . ورواية الديوان والخزانة والشعراء : « أبى لى » أى أبى لى أن أخدع ، أو أن أضمن وفاءك وصدق التعاهد والتواثق . والضربة الفاقرة : القاطعة ، كأنها تقطع الفقار

(٣) فى الأصل : « نضيدا » صوابه ما أثبت . وانظر تعقيب الجاحظ .

(٤) خضيد : فعيل بمعنى مفعول من خضد الشوك : أى قطعه . وفى الأصـل . « خضيدة » وفعيل إذا كان بمعنى مفعول استوى فيه المذكر والمؤنث .

(أثر قدم إبراهيم عليه السلام)

وكان مقاتلٌ يقولُ ـ حَدّثَنا بذلك [عنه[1]] أبو عقيل السّواق ، وكان أحدَ رواتِهِ والحاملين عنه ـ إنَّ الصُّخورَ كانَتْ لَيِّنَةً ، وإنّ قدمَ إبراهيم عليه السلام أثرت[2] فى تلك الصخرة ، كتأثير أقدامِ الناس فى ذلك الزّمان . إلاَّ أنَّ الله تعالى توفّى تلك الآثارَ ، وعفَّي عليها ، ومسَحَها ومحاها ، ٦٩ وتركَ أثرَ مقامِ إبراهيمَ صلى الله عليهِ وسلم . والحجَّةُ إنما هى فى إفراده بذلك ومَحْوِ ماسواهُ من آثار أقدام الناس . ليس أنّ إبراهيمَ صلى الله عليه وسلم كان وطئ على صخرةٍ خلقاء[3] يابسةٍ فأثَّرَ فيها .

(فضل المتكلمين والمعتزلة)

وأنا أقول على تثبيت ذلك بالحجة[4] . ونعوذُ بالله من الهَذْر والتكلف وانتحالِ مالاأقوم به . أقول : إنّهُ لولا مكانُ المتكلمين لهلكت العوامُّ من جميع الأمم ، ولولا مكانُ المعتزِلة لهلكت العَوَامُّ من جميع النِّحل . فإن لم أقل ، ولولا أصحابُ إبراهيمَ وإبراهيمُ لهلكت العوامُّ من المعتزلة ، فإنى أقول : إنهُ قد أنهج لَهُمْ سُبُلاً ، وفتَقَ لهم أمورًا ، واختصر لهم أبوابا ظهرتْ فيها المنفعة ، وشملتهم بها النعمة .

---

(١) الزيادة من س ، ه .

(٢) ط . « وإنّ قدما إبراهيم عليه السلام أثرتا » ويكون صـــواب مافى ط : « وإن قدمى » الخ .

(٣) صخرة خلقاء : ملساء .

(٤) س : « الحجة » .

(مايحتاج إليه الناس)

وأنا أزعُمُ أن الناس يحتاجون بَدِيًّا[1] إلى طبيعةٍ ثم إلى معرفة، ثم إلى إنصاف . وأوّل ماينبغى أنْ يبتدئَ به صاحبُ الإنصافِ أمرَه ألاّ يعطىَ نفسَه فوقَ حقها ، وألاّ يضعها دونَ مكانها ، وأن يتحفظَ من شيئين ؛ فإن نجاتَه لاتتمّ إلاّ بالتحفظ منهما : أحدهما تهمة الإلف، والآخر تُهمة السَّابِقِ إلى القلب — والله الموفق .

(حديث عن تأليف هذا الكتاب)

وما أكثرَ مايعرض فى وقت إكبابى[2] على هذا الكتاب ، وإطالتى الكلام ، وإطنابى فى القول ، بيتُ ابن هَرْمة ، حيث يقول :

إنَّ الحديثَ تغر القَوْمَ خَلوتُه ... حَتى يلجَّ بهم عِىٌّ وإكثارُ[3]

وقولهم فى المثل :« كل مُجْرٍ فى الخَلاَءِ يُسَرُّ »[4] .

---

(١) بديا : أى بدءا . وفى الأصل : « ندبا » .

(٢) أكب على الشىء : أقبل عليه ولزمه . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « الباب » و س « باب » و هـ : « اكبائى » .

(٣) خلوته : أى أن يختلى بعضهم ببعض لمداورته وتبادله . وفى الأصل : « حلوته » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف صوابه فى الجزء الأول ص ٨٨ حيث تجد موضع الاستشهاد بهذا البيت .

(٤) كذا الرواية الجيدة للمثل كما سبق فى الجزء الأول ص ٨٨ وأمثال الميدانى (٢ : ٧٣) وأمالى القالى (٢ : ٨٩). وأصله أن الرجل يجرى فرسه فى المكان الخالى لامسابق له فيه ، فهو مسرور بما يرى من فرسه . يضرب مثلا للرجل تكون فيه الخلة يحمدها من نفسه ، ولا يشعر بما فى الناس من الفضائل . وقد روى المثل أيضاً : « كل مجر فى الخلاء مسر » بجعل « مسر » اسم مفعول من « أسره » أى أفرحه . وهو فعل لم تنطق به العرب ، وإنما توهمه القائل ، كما أنشد الآخر فى عكسه : =

وأنا أعوذُ بالله أنْ أُغَرَّ من نفسى ، عند غَيبةِ خَصمى ، وتصفحِ العلماء لكلامى ، فإنى أعلم أن فِتنةَ اللسانِ والقلم ، أشدُّ من فِتنة النساء ، والحرص على المال .

وقد صادف هذا الكتابُ منى حالاتٍ تمنعُ من بلوغِ الإرادة فيه ، أوَّلُ ذلك العِلة الشديدة ، والثانية قلة الأعوان ، والثالثة طولُ الكتاب ، والرابعة أنى لو تكلفت كتابًا فى طوله ، وعدَدِ ألفاظِهِ ومعانيهِ ، ثمَّ كان من كُتب العَرَض والجوهر ، والطَّفْرة[1] ، والتولد[2] ، والمداخَلة[3] ، والغرائز[4]

= وبلدة يغضى على النعوت يغضى كإغضاء الروى المثبوت

أراد : المثبت ، فتوهم : ثبته . انظر اللسان (سرر) وما أسلفت من التحقيق فى (١ : ٨٨) .

(١) الطفرة : مسألة كلامية تنسب إلى إبراهيم النظام ، كما فى الفصل (٥ : ٦٤) ، وهى قوله : إن المار على سطح الجسم يسير من مكان إلى مكان بينهما أماكن لم يقطعها هذا المار ، ولا مر عليها ، ولا حاذاها ، ولا حل فيها . وانظر لذلك أيضاً الفرق بين الفرق ١٢٤ س ٦ — ٧ ، ١٥ وتأويل مختلف الحديث ١٦ س ٢ . وفى الأصل : « الصفرة » تحريف ظاهر .

(٢) التولد : مبحث كلامى ، وذلك أنهم اختلفوا فيمن رمى سهما فجرح به إنسانا ، أو غيره ، وفى حرق النار ، وتبريد الثلج ، وسائر الآثار الظاهرة من الجمادات ، فقالت طائفة : ماتولد من ذلك عن فعل إنسان أو حىّ ، فهو فعل الإنسان والحىّ . واختلفوا فيما تولد من غير حى ، فقالت طائفة : هو فعل الله . وقالت طائفة : هو فعل الطبيعة . وقال آخرون : كل ذلك فعل الله . وقد فصل ابن حزم الكلام فيه فى كتابه (٥ : ٥٩ — ٦٠) . وانظر مذهب الجبائى والنظام فى الفرق ١١٥ وبشر ، فى الفرق ١٤٣ . وفى الأصل : « التوليد » وصوابه مما سبق ومن تأويل مختلف الحديث ١٦ س ٣ .

(٣) المداخلة : مقالة كلامية لقوم زعموا أن الألوان ، والطعوم ، والروائح ، والأصوات والخواطر ، أجسام ، وأن تلك الأجسام بزعمهم تتداخل فى حيز واحد . الفصل (٥ : ٦٠ — ٦١) . وقد ذهب النظام إلى ذلك . الفرق ١٢٢ .

(٤) الغرائز ، أى الطبائع الموجودة فى الأشياء ، كالحر للنار ، والبرد للثلج ، والإسكار =

والتماس[1] — لكان أسهلَ وأقصرَ أيامًا ، وأسْرَعَ فراغاً ؛ لأنى كنت لا أفزَعُ فيه إلى تلقُّط الأشعار[2] ، وتتبُّعِ الأمثال ، واستخراج الآيِ من القرآنِ ، والحجَجِ من الرِّواية ، مع تفرُّقِ هذه الأمورِ فى الكتب ، وتباعُدِ مابين الأشكال . فإنْ وجَدْتَ فيه خللاً من اضطرابِ لفظٍ ، ومن سوءِ تأليف ، أو من تقطيعِ نظامٍ[3] ، ومن وقوع الشيء فى غير موضعه[4] — فلا تنكرْ ، بعدَ أنْ صوَّرتُ عندك حالى التى ابتدأتُ عليها كتابى .

٧٠

ولولا ما أرجو من عَوْنِ الله على إتمامه ؛ إذْ كنتُ لم ألتمسْ به إلاَّ إفهامَك مواقعَ الحُجَجِ لله ، وتصاريفَ تدبيره ، والذى أودَعَ أصنافَ خلْقه من أصناف حكمته — لَمَا تعرَّضْتُ لهذا المكروه .

فإنْ نَظَرْتَ فى هذا الكتاب فانظُرْ فيه نظَرَ مَنْ يلتمس صاحبه المخارجَ ، ولا يَذْهَبُ مذهبَ التعنُّتِ ، وَمَذْهَبَ مَنْ إذا رأى خيرًا كتَمَهُ ، وإذا رأى شرًّا أذاعه .

وليعْلم مَنْ فعَلَ ذلك أنَّه قد تعرَّض لباب إن أُخِذَ بمثله ، وتُعُرِّض له

= الخمر . أثبت ذلك قوم، ونفاه آخرون منهم الأشاعرة . الفصل (٥ : ١٤ — ١٥) وللجاحظ كلام طويل فيها فى هذا الجزء ١٠٣ — ١٠٥ ساسى .

(١) التماس ، ويقال أيضاً : المجاورة . باب من الكلام ، يبحث فى اتصال الأجسام بعضها ببعض ، كالماء باللبن ، والدقيق بالماء ، والزيت بالخل . وتجد أقسامه موضحة فى الفصل (٥ : ٦١) . ط ، هـ : « النحاس » س : « النخاس » وهما تحريف ما أثبت .

(٢) أفزع إليه : أى ألجأ . وفى الأصل : « أفرع » محرفة . والتلقط : التقاط الشيء من هنا وهناك . وفى الأصل : « التلفظ » وليس صوابا .

(٣) ط ، س : « ومن تقطيع نظام » وأثبت ما فى هـ .

(٤) هـ : « أو من وقوع » ... الخ ، وأثبت ما فى ط ، س .

فى قوله وكتبه ، أنْ ليس ذلك إلاّ من سبيل العُقوبةِ، والأخْذ منه بالظلامة.
فلينظرْ فيه على مثال ما أدَّب الله به ، وعرَّف كيف يكون النظر والتفكير والاعتبار والتعليم ؛ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَافِيهِ ﴾ .

(الحكم الجليلة فى دقيق الأشياء)

فينبغى أنْ تكون إذا مررْتَ بذكر الآية والأعجوبةِ ، فى الفراشة والجِرجسَة[1] ، ألاَّ تحقِرَ تلك الآية ، وتصغِّر تلك الأعجوبة ؛ لصغر قدرهما عندك ، ولقلَّة معرفتهما عِنْدَ معرفتك[2] ، ولصِغَر أجسامهما عند جسمك .
ولكن كنْ عند الذى يظهرُ لك من تلك الحكم ، [و[3]] من ذلك التَّدبير ، كما قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ثمّ قال : ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾ ثمّ قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَافِيهِ ﴾ .
وقد قال عامرُ بن عبد قيس[4] : « الكلمة إذا خرجتْ من القَلْبِ وقعتْ فى القَلب ، وإذا خَرَجَتْ من اللسانِ لم تجاوز الآذان » .

---

(١) الجرجس ، بالكسر : البعوض الصغار . ط : « الحرجسة » صوابه فى س ، ه .
(٢) فى الأصل : « عندك معرفتك » والوجه ما أثبت .
(٣) ليست بالأصل .
(٤) س ، وكذا البيان (١ : ٧٣) : « عبد القيس » بإثبات « أل » وهو جائز فى العربية ، كما أسلفت فى (٣ : ٣٨٢) . وهو عامر بن عبد قيس =

(حث على الاخلاص والتنبُّه عند النظر)

وأنا أعيذ نفسي بالله أنْ أقول إلاّ لهُ ، وأعيذك بالله أن تسمع إلاّ لهُ .
وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَيَهْتَدُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَيُبْصِرُونَ ﴾ فَاحْذَرْ من أنْ تكونَ منهم ، وممَّن يَنْظُرُ إلى حكمة الله وهو لايبصرها ، وَمِمَّنْ[1] يبصرهابفتْح العَيْنِ واستماعِ الآذان ؛ ولكن بالتوقف من القلْب ، والتثبت من العقْل ، و بتحفيظه وتمكينه من اليقين ، والحجَّة الظاهرة . ولا يراها من يُعرِضُ عنها . وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَيَسْمَعُونَ ﴾ وقال : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَيَعْقِلُونَ ﴾ ولو كانوا صمًّا بُكماً وكانوا هم لايعقلون ، لَمَا عيَّرهم بذلك ، كما لم يعيِّر مَنْ خَلَقَهُ معتوهاً كيف لم يعقل ، وَمَنْ خَلَقَهُ أعمى كيف لم يبصر ، وكما لم يَلُمِ[2] الدوابَّ ، ولم يعاقب السِّباع . ولكنَّهُ سمَّى البصير المتعامىَ أعمى، والسميعَ المتصامَّ[3] أصمَّ ، والعاقلَ المتجاهلَ جَاهلاً .

٧١

وقد قال الله عَزَّ وَجَلّ : ﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

= ابن ثابت التميمي العنبري . تابعي ثقة من كبار التابعين وعبادهم . وكان غاية في الزهد ، روى عنه في ذلك روايات تدخل في حدود المبالغة . انظر الإصابة ٦٢٨٠ . وكان من الأبيناء الفصحاء ، كما ترى ذلك في مواضع كثيرة ، من بيان الجاحظ . ومات عامر في خلافة معاوية .

(١) في الأصل : « وأن » ولا يستقيم بها الكلام .

(٢) ط ، هـ : « يكرم » صوابه في س .

(٣) كذا جاءت بالفك .

فَانْظُرْ كما أمرك الله ، وانظرْ من الجهة التى دلّك منها ، وخذْ ذلك بقوّة .
قال تعالى : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَافِيهِ[1] ﴾ .

(عود إلى الحيات)

ثمَّ رَجَعَ بنا القولُ إلى مافى الحيَّات من العِلم والعِبرة ، والفائدةِ والحِكمة ؛ ولذلك قال أبو ذَرّ الغِفاريُّ : «لقد تَرَكَنا رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم ، وما يمرُّ بنا طائرٌ إلا وعِنْدَنا من شأنه عِلْمٌ» . وهذا القولُ صحيح عن أبى ذر ، ولم يخصَّ أبو ذرّ خَشاش الطّير من بُغاثها وأحرارها ، ولا مايدخل فى بابةِ[2] الهمَج . وقد أريْناك من تحقيق قوله طَرَفا . ولعلك إن جمعْتَ نظرك إلى نظرنا ، أنْ[3] تستتمَّ هذا الباب ، فقد قال الشاعر :

خليلىَّ ليس الرأىُ فى رأىِ واحدٍ[4] أشيرا عَلَىَّ اليَوْمَ مَاتَرَيَانِ

وقال الأحنَف : «مامِنَ الناس أحدٌ إلاّ وقد تعلَّمْتُ منه شيئاً ، حتَّى من الأمَةِ الوَرْهاءِ والعبْدِ الأوْرَه[5] » .

(أنواع الحيات)

والحيَّات مختلفاتُ الجهاتِ جدّا ، وهى من الأمم التى يكثُرُ اختلافُ أجناسِها فى الضَّررِ والسمّ ، وفى الصِّغرِ والعِظَم ، وفى التعرُّضِ للنَّاسِ

(١) ماآتيناكم : أى الكتاب . وأصل الخطاب لبنى إسرائيل . بقوة : بجدّ وعزيمة . اذكروا مافيه : ادرسوه ولا تنسوه ، أو تفكروا فيه .
(٢) س ، هـ : « باب » ط : « بابه » وأثبت تصحيح ماقى ط .
(٣) فى الأصل : « لم » .
(٤) رواية الراغب فى المحاضرات (١ : ١٢) : « فى صدر واحد » .
(٥) الأوره : الأحمق ، والأنثى ورهاء .

وفى الهربِ منهم . فمنها مالا يؤذى إلاّ أنْ يكونَ الناس قد آذَوْهَا مَرّة .
وأمّا الأسوَدُ فإنّهُ يحقِدُ ويُطالب ، ويكمُن(١) فى المتاع حتى يُدْرِكَ بطائلته .
وله زمانٌ يقتلُ فيه كلَّ شىء نهشَه .

وأمّا الأفعى فليس ذلك عندَها ، ولـكنها تَظهر فى الصَّيفِ مع أوّل الليل ، إذا سكَنَ وهَجُ الرَّمْل وظاهِرُ الأرض ؛ فتأتى قارعَةَ الطَّريق حتى تستديرَ وتَطْحَنَ(٢) كأنَّها رَحًى ، ثمّ تُلصِقُ بَدَنَهَا(٣) بالأرض وتُشْخِصُ رأسها ؛ لئلاّ يدركَها السُّبات ، معترضة؛ لئلاّ يطأها إنسانٌ أو دابّةٌ فتنهشَه .
كأنّهَا تريد ألاّ تنهَشَ إلاّ بأن يُتَعرَّضَ(٤) لهـا ، وهى قدْ تعرَّضت نَهْشَه باعتراضها فى الطَّريقِ وتناوُمِها عليه ! وهى من الحيّات التى ترصد(٥) وتوصف بذلك . قال مَعْقِل بن خُوَيلد(٦) :

أبا مَعْـقِلٍ لاتُوطِئَنْـكُمْ بَغَاضَتِى
رُءوسَ الأفاعِى فى مَرَاصِدِهَا العُرْمِ(٧)

---

(١) كمَن يكمن ، من بابى نصر وسمع : استخفى . س : « ويكن » محرفة .

(٢) فى الأصل : « تنطحن » وصوابه ما أثبت . الجوهرى : طحنت الأفعى : ترحت واستدارت ، فهى مطحان . قال الشاعر :

بخرشاء مطحان كأن فحيحها   إذا فزعت ماء هريق على جمر

(٣) ط : « بذنبها » . والوجه ما أثبت من س ، هـ .

(٤) ط : « يعترض » . والأشبه ما كتبت من س ، هـ .

(٥) ترصد : أى تكمن . والمراصد : المكامن .

(٦) معقل بن خويلد بن واثلة بن عمرو بن عبد ياليل الهذلى ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان أبوه رفيق عبد المطلب إلى أبرهة . معجم المرزبانى ٣٧١ والإصابة ٨١٣٠ .

(٧) لعله يخاطب أباه . والبغاضة ، بالفتح : البغض . ورواية اللسان (رصد ، بغض ، عرم) والمخصص (٧ : ١٩٤) : « لاتوطئنك » .

يريد : الأفاعى فى مراصدها[١] . وكلُّ منقَّطَة[٢] فهى عَرْماء ، مِنْ شاةٍ أو غير ذلك .

وقال آخر :

وكم طوَتْ من حَنَشٍ وراصِدِ   للسَّفْرِ فى أعلى البيات قاصِدِ

والأفعى تقتُلُ فى كلِّ حالٍ وفى كلِّ زمان . والشُّجاع[٣] يواثِبُ ويقوم على ذَنَبه ، وربَّمـا بَلَغَ رأسُه رأسَ الفارس .   ٧٢

(مايقتل الحية والعقرب من الحيوان)

وليس يقتلها — إذا تطوَّقت على الطَّريق وفى المناهج، أو اعتَرضَتْها لتقطعها عابرةً إلى الجانب الآخر — شىءٌ كأقاطيع الشِّياه إذا مرَّت بها ، وكذلك الإبلُ الـكثيرةُ إذا مرَّت ، فإنَّ الحيَّةَ إذا وَقَعَتْ بين أرجلها كان همَّتُها نفسَها ، ولم يكن لهـا همةٌ إلاّ التَّخَلصَ بنفسها ؛ لئلاّ تعجلها بالوطء . فإن نجَتْ من وطء أيديها ، لم تنجُ من وطء أرجلها . و إنْ سلمَتْ مِن واحدةٍ لم تسلم من التى تليها ، إلى آخرها .

وقال عمر بن لَجَأ ، وهو يصف إبله :

* تَعَرَّضُ الحيَّاتُ فى غِشَاشِهاَ[٤] *

---

(١) ط : « بافالاعى » س ، هـ : « بالأفاعى » صوابه ما أثبت من الجزء الخامس من الحيوان ص ١٦٦ إذ لاداعى للباء . ويعنى الجاحظ أن العرم صفة للافاعى ، لا للمراصد . ومراصدها : مكامنها .

(٢) فى الأصل : « منقطعة » تحريف . وفى المخصص (٨ : ١١١) : « الحية العرماء التى فيها نقط سود وبيض . وأنشد :

* رؤوس الأفاعى فى مرابضها العرم *

(٣) الشجاع : حية عظيمة .

(٤) يقول : تتلوى هذه الحيات وتتعوج فى أثناء غشاش تلك الإبل . والغشاش ، بالكسر : الشرب القليل . وفى الأصل : « فى عساسها » . ولم أر له وجها .

وقال ذو الأهدام[١] :

* تُعْجِلها عن نهشها والنَّـكْز[٢] *

ومن ذلك أنَّ العقربَ تَقَعُ فى يد السِّنّور ، فيلعب بها ساعةً من اللَّيل وهى فى ذلك مسترخيةٌ مستخذِيةٌ لاتضربه . والسَّنانير من الخلْق الذى لاتسرع[٣] السُّموم فيه .

(مسالمة الأفعى للقانص والراعى)

وربَّمـا باتت الأفعى عندَ رأسِ الرَّجُل وعلى فراشه فلا تنهشُه . وأ كثَرُ مايُوجَدُ ذلك من القانِص[٤] والرَّاعى . قال الشاعر[٥] :

تبيتُ الحيَّةُ النَّضْنَاضُ مِنْهُ مكانَ الحِبِّ مستَمِـعَ السِّرارِ[٦]

قال : الحِبُّ : الحبيب[٧] . والنضناض من الحيَّات : الذى يحرِّك

---

(١) ذو الأهدام ، هو متوكل بن عياض بن حكم بن طفيل ، ويسمى المتوكل الـكلابى وهو كذلك لقب لنويفع ، أو نافع بن سوادة الضبابى ، وقد هجا كل منهما الفرزدق بشعر ، فرد عليهما الفرزدق بنقيضة طويلة ، فى النقائض ، انظر المؤتلف ١٧٩ ومعجم المرزبانى ٤١٠ والقاموس المحيط .

(٢) نكزته الحية : لسعته بأنفها . والنكاز : ضرب من الحيات ينكز بأنفه ولا يعض بفيه فى الأصل : « والنكر » .

(٣) س : « تسرح » وليست هناك .

(٤) القانص : الصائد . ط : « القاص » صوابه فى س ، ﻫ .

(٥) هو الراعى الشاعر ، كما فى اللسان (حبب ، نضض) وأمالى القالى (٢ : ٢٣) .

(٦) كذا . وصواب الرواية : « يستمع السرارا » . انظر المصدرين المتقدمين والمخصص (٤ : ٤٣ ، ٨ : ١١٠) .

(٧) وقيل الحب ، هنا : القرط . عن الأصمعى أنه سأل جندل بن عبيد الراعى ، عن معنى قول أبيه الراعى :

تبيت الحية النضناض منه مكان الحب يستمع السرارا

ما الحب ؟ فقال : القرط . فقال : خذوا عن الشيخ فإنه عالم . وقال صاحب العين : « الحب والحباب : القرط من حبة » .

لسانَهُ . وعن عيسى بن عمر قال : قلتُ لذى الرُّمَّة : ما النضناض ؟ فأخرَجَ لسانَه يحرِّكه[1] .

وإنّما يصف القانص وأنّه يبيت بالقفر . ومثلُه قولُ أبى النجم[2] :

تَحكى لَنَا الْقَرْنَاءَ فى عِرْزالِهـا جَرْىَ الرَّحَى تَجْرِى على ثِفالها[3]

العِرْزال[4] : المكان

وفى ذلك يقول أبو وَجْزَة[5] :

تبيت جارتَه الأفعَى وسامرَه رُبدٌ به عاذرٌ منهنّ كالجَرَب

وقوله : رُبْد ، يريد البعوض . وعاذر : أثر[6] .

(قصة فى مسالمة الأفعى)

قال : وبات يحيى بن منقاش مع دارم الدارىّ ، فلما أصبح يحيى

---

(١) فى المخصص : « أبو حاتم : قيل لذى الرمة : وما الحية النضناض ؟ فحرك لسانه فى فيه ، يديره إدارة خفيفة : يحركه » .

(٢) ويروى للأعشى كما فى اللسان .

(٣) الحية القرناء : التى لها لحمتان فى رأسها كأنهما قرنان ، وأكثر مايكون ذلك فى الأفاعى . هـ : « ألفرماء » س : « القرماء » ط : « الفروال » وهو تصحيف ما أثبت من اللسان (عرزل ، قرن) . و « لنا » هى فى ط : « بها » وفى اللسان : « له » . و « عرزالها » بكسر العين بعدها راء ساكنة وزاى . وفى الأصل : « غروالها » تصحيحه من اللسان . و « جرى » مفعول « تحكى » وثفال الرحى : الجلد يبسط تحتها ليقى الطحين من التراب .

(٤) فى الأصل : « الفروال » تحريف . وفى اللسان : « غروال الحية : جحرها » .

(٥) فى الأصل : « أبو وجرة » بالراء ، وإنما هو بالزاى المعجمة . وقد تقدمت ترجمته فى (١ : ٩٦) وانظر لها أيضاً المعارف لابن قتيبة ٢١٥ والأغانى (١١ : ٧٥ ـ ٨١) .

(٦) العاذر : أثر الجرح . كما فى اللسان .

رأى بينهما أفعًى مستويةً ، فوثب يحيى ليقتلها ، فقال له دارم : قد أعتقتُها وحرّرتها ! ولِمَ تقتلُها وهى ضجيعتى من أوّل الليل ؟ فقال يحيى :

أعوذُ بربِّى أن ترَى لى صُحْبَتى ... يُطِيفُ بنا ليلاً مُحَرَّرُ دارمِ

من الحُرْسِ لاينجو صحيحًا سَليمُها ... وإن كان معقودًا بحلْى التمائم[1]

(مسالمة العقارب للناس)

والعقاربُ فى ذلك دونَ الحيَّات ، إلاّ الجرّارات ، فإنها ربّما باتت فى لحافِ الرَّجُلِ اللَّيلةَ بأسرها ، وتكونُ فى قميصه عامَّةَ يومِها ، فلا تلسعه . فهى بالأفعى أشبَه .

٧٣ فأمَّا سائرُ العقارب فإنها تقصِدُ إلى الصَّوت ، فإذا ضربَتْ إنسانًا فرّتْ كما يصنع المسىء الخائف للعِقَابِ[2] .

والعقرب لاتضرب الميتَ ولا المغشىّ عليه ، ولا النائم إلاّ أن يحرك شيئًا من جَسَدِه ، فإنها عند ذلك تضربُه .

(مسالمة الخنافس للعقارب والحيات)

ويقال إنها تأوى مع الخنافس وتسالمُها ، ولا تصادق من الحيّات إلا كلَّ أسودَ سالِخٍ .

(عقارب نصر بن الحجاج)

وحدّثَ أبو إسحاق المكى قال : كان فى دار نَصْرِ بن الحجاج السُّلمى

---

(١) السليم : اللديغ . وأراد معقوداً به حلى التمائم ، فقلب .

(٢) ط : للعقارب ، صوابه فى س ، هـ .

عقاربُ إذا لسعَتْ قتلَتْ ، فدبّ ضيفٌ لهم على بعضِ أهْلِ الدّار فضربَتْه عقربٌ على مذاكيره ، فقال نصرٌ يعرِّض به :

وَدَارِى إذا نَام سكّانُها أقَامَ الحُدُودَ بِهَا العَقْرَبُ
إذا غَفَلَ الناسُ عن دينهم فإنّ عقاربها تضرب[1]

قال : فأدخَلَ النّاسُ بها حَوّاء ، وحَكَوْا لَهُ شأنَ تلك العقاربِ ، فقال : إن هذه العقاربَ تستقى مِنْ أسوَدَ سالِخٍ . ونظر إلى موضعٍ فى الدار فقال : احفرُوا هاهنا . فحفَرُوا عن أسودَيْن : ذكرٍ وأنثى ، وللذّكر خُصيتان ورَأَوْا حولَ الذّكر عقاربَ كثيرةً فقتلوها .

(حديث عقرب والفضل بن العباس)

قال : وقال الفضلُ بن عبّاس حين راهنه عقرب بالشّعر[2] ، وقيل لكلِّ واحدٍ منهما : لستَ فى شىء حَتّى تغلبَ صاحبك ، فقال الفضل :

قَدْ تَجَرَ العقربُ فى سوقِنا[3] لامَرْحَبًا بالعقْرَبِ التّاجِرَه

---

(١) فى المحاسن والأضداد ١٧١ : « فإن عقاربنا تغضب » . وانظر القصة هناك مخالفة لما هنا . ونقل الدميرى ما أثبت الجاحظ هنا . وزاد بعد هذا البيت :

فلا تأمنن سرى عقرب بليل إذا أذنب المذنب

(٢) عقرب هذا ، كان تاجراً من تجار المدينة ، ضرب به المثل فى المطل والتسويف ، فقالوا . « أمطل من عقرب » و : « أتجر من عقرب » . وكان الفضل بن عباس ابن عتبة بن أبى لهب ، من أشد الناس اقتضاء ، فاتفق أن عقربا عامل الفضل ، وماطله ، ولم يستطع الفضل مغالبته ، حتى اضطر إلى هجاء عرضه بالشعر الآتى . ه : «راهنه عقرب» وإنما هو رجل كما أسلفت . انظر اللسان (عقرب) وأمثال الميدانى (١ : ١٣٣) وعيون الأخبار (١ : ٢٥٦) والمحاسن والمساوى (١ : ٢٢٨) . و « عقرب » إذا سمى به رجل جاز صرفه ومنعه .

(٣) فى اللسان وأمثال الميدانى : «قد تجرت فى سوقنا عقرب» .

كل عَـدُوٍّ يتّقى مُقْبِلاً وَعَقْرَب تُخْشَى من الدّابِرَه[1]

كلُّ عدوٍّ كيدُه فى استه فَغَيْرُ ذى أيْدٍ ولا ضائرَه[2]

قَدْ ضاقت العقْرَبُ واستيقَنت بأنَّ لادُنْيا ولا آخِـرَه

إنْ عادت العقْرَبُ عُدْنا لهـا وكانتِ النَّعْلُ لهَـا حاضِرَه

(من سمى بعقرب)

وأسم أم حارثة بن بدر[3] ، عقرب . وآل أبى موسى يكتنُون بأبى العقارب . ومن هؤلاء الذين يكتنون بالعقرب : ابن أبى العقرب الليثىُّ الخطيب الفصيح ، الراوية .

(حديث وخبر فى العقرب)

وَرَوَوْا أنّ عقربًا لسعت النبىَّ صلى الله عليه وسلم فقال : « لَعَنَهَا اللهُ ، فإنّها لاتُبالى مَنْ ضربت ! »

وقال الضّبىّ : أنا عقربٌ ، أضرُّ ولا أنفع .

(الجرارات)

وكان الرَّجُلُ تلسعه الجَرَّارة[4] بعسكر مُـكْرَم[5] ، أو بجند يسابور ،

(١) وكذا الرواية فى عيون الأخبار . ورواية اللسان والأمثال : « وعقرب يخشى »

(٢) الأيد : القوة . و : « ضائرة » أى غير ذى ضائرة . والضائرة : ماتضير ، أى تضر . ورواية عيون الأخبار : « لغير ذى كيد ولا نائره ». والنائرة : الحقد والعداوة ، والكائنة تقع بين القوم .

(٣) سبقت ترجمته فى (٣ : ٧٧) .

(٤) الجرارة : ضرب من العقارب الصغار تجرر بأذنابها . ط : « الجرادة » صوابه فى س ، هـ .

(٥) بضم الميم وفتح الراء ، بلد من بلاد خوزستان . منها أبو هلال العسكرى .

فتقتله؛ وربّما تناثر لحمه ، وربّما تعفّنَ وأنتن ، حتى لايدنُوَ منه أحدٌ إلاّ وهو مُخَمِّرٌ أنفه[١] ، مخافةَ إعْدائه ، ولا سيما إن كان قد نال من اللحم وهو لايعلم أنَّ الوخْزَةَ التى وُخزها كانت من جَرَّارة .

٧٤ وكانوا إذا شعَرُوا بها دَعوا حجامًا ، يحجُم ذلك الموضعَ ويمصُّه ، قبلَ أن يتفشى فيه السّمُّ ويدخلَ تلك المداخل . فكان الحجّام لايجيبُهم حتى يقبضَ دنانيرَ كثيرةً . وإنمَا كانوا يجودون له بذلك ؛ لِمَا كانَ لصاحبهم فى ذلك من الفرَج ، وما على الحجام فى ذلك من الضَّرَر . وذلك أنَّ وجهَه ربّما اسمارَّ واربَدّ ، وربّما عطّلت مقاديم أسنانه وتوجّعت عليه ، فيلقى من ذلك الجهد ، وذلك لما كان يتّصل إلى فيه من بُخار الدَّم ، ومن ذلك السمّ المخالط لذلك الدّم . ثمّ إنّهم بعدَ ذلك حشَوْا أذناب[٢] المحاجِم بالقُطْن ، فصار القُطْنُ لايمنع قُوَّةَ المصِّ والجذب ، ولم يدَعْه يصلُ إلى فم الحجام . ثمّ إنّهم بَعْدَ مدّة سُنَيّات[٣] أصابوا نَبتةً فى بعض الشُّعب[٤] ، فإذا عالجوا الملسوعَ بها حَسُنت حالُه .

والجرّارات تألف الأخْواء[٥] التى تكون بحضرة الأتاتين[٦] ، وتألف الحشوش[٧] والمواضع الناريّة . وسمُّها نار .

---

(١) خمّر أنفه : غطاه .

(٢) ط : « أذباب » صوابه فى س ، هـ .

(٣) جمع سنية : تصغير سنة .

(٤) الشعب : جمع شعبة بالضم ، وهى المسيل فى الرمل ، أو التلعة الصغيرة .

(٥) الأخواء : جمع خوى ، بالتحريك والقصر ، وهو اللين من الأرض . وفى الأصل : « الأحواء » بالمهملة !

(٦) الأتاتين . جمع أتون ، بالفتح وتشديد التاء المضمومة ، وهو أخدود النار ، أو موقدها . وفى الأصل : « الأتانين » بنونين بينهما ياء ، محرف .

(٧) الحشوش : مواضع قضاء الحاجة ، جمع حش بالضم .

(قول ماسرجويه فى العقرب)

وقيل لماسرجويه : قد نجدُ العقربَ تلسَعُ رَجُلَيْنِ فتقتلُ أحدَهما ويقتلُها الآخرُ ، وربّما نجَتْ ولم تمُتْ ، كما أنَّهُ ربّما عُقِرت ولم تَفُتْ ، ونجدُها تضربُ رجُلَين فى ساعةٍ واحدة ، فيختلفان فى سوءِ الحال . ونجدُها تختلف مواضعُ ضَررِها على قدْر الأغذيةِ ، وعلى قدر الأزمان ، وعلى قدْرِ مواضعِ الجسَد . ونجدُ واحدًا يتعالج بالمَسُوس[1] فيحمَدُه ، ونجد آخرَ يُدخِلُ يده [فى[2]] مدخلٍ حارٍّ من غير أنْ يكونَ فيهِ ماءٌ فيحمده ، ونجدُ آخر يعالجه بالنّخالة الحارّة فيحمدها ، ونجد آخرَ يحجم ذلك الموضعَ فيحمَده ، ونجد كلّ واحدٍ من هؤلاءِ يشكوخلافَ مايوافقه ، ثم إنّا نجدُه يعاود ذلك العلاجَ عند لسعةٍ أخرى فلا يحمده !

قال ماسرجويه : لما اختلفت السُّمومُ فى أنفسها بالجِنْس والقدر ، وفى الزّمان ، وباختلاف مَا لاقاهُ[3] اختلفَ الذى وافقه على حسب اختلافه .

وكان يقول : إنَّ قولَ القائل فى العقرب : شرُّ ماتكون حين تخرج من جُحرها ، ليس يعنُون من ليلتها — إذْ[4] كان لابدَّ من أن يكون لها

---

(١) المسوس ، كصبور : الترياق الذى يعالج به الملسوع والملدوغ . ومنه قول كثير :

فقد أصبح الراضون إذ أنتم بها   مسوس البلاد يشتكون وبالها

ولفظ الترياق مأخوذ من اليونانية: Thériaké. وهذه مشتقة من: Thérion وهو اسم لما ينهش من الحيوان كالأفاعي ونحوها . انظر مفاتيح العلوم ١٠٣ وقاموس القرن العشرين ١٠٠٦ وفى الأصل : « بالأمسوس » تحريف .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) ط ، ه : « مالقاه » صوابه من س .

(٤) فى الأصل : « وإذا » .

نصيبٌ من الشدة ـ ولكنَّهُمْ إنما يَعْنُونَ : فى أوَّل ماتخرج من جُحرها عند استقبال الصَّيف ، بَعْدَ طولِ مُكْثِهاَ فى غير عالَمِناَ وغذائِنا وأنفاسنَا ومعايشنَا .

(زعم العامة فى العقرب)

والعامّة تزعم أنها شرُّ ماتكون إذا ضربت الإنسانَ وقد خرج من الحمام؛ لتفتح المسامّ[1] ، وسعَة المجارى، وسخُونة البدن . ولذلك صار سمها فى الصيف أشدّ . هذا قولُ أبى إسحاق . كأنَّهُ كان يرَى[2] أنَّ الهواءَ كلما كان أحرّ ، وكان البدنُ أسخنَ كان شَرًّا .

ونحن نجدهم يصرُخُون مِنْ لسعتها الليْلَ كلَّه ، و إذا طلعت الشمسُ سكن مابهم . فإذا بقيت فضْلةٌ من تلك الجارحة فى الشمس فما أكثر مايسكن . ٧٥ وسمومها باللَّيل أشدُّ ، إلاَّ أن يزعم أنَّ أجوافَ الناس فى برد الليل أسخن وفى حرِّ النهار أفتر .

(الدّساس)

وزعم لى بعضُ العلماء[3] ممّن قدْ روَى الكتُب ، وهو فى إرثٍ منها ، أنّ الحية التى يقال لها : الدسّاس[4] ، تلد ولا تبيض ؛ وأنَّ أنثى النمور لم تضَعْ نمراً قط إلاّ ومعه أفعَى .

---

(١) س : « فى تفتح المسام » وهى عبارة جيدة .

(٢) ط : « يروى » صوابه فى س ، ه .

(٣) ط : « وزعم لى فى بعض العلماء » والوجه حذف «فى» كما جاء فى س ، ه

(٤) الدساس : حية خبيثة. وفى الدميرى : «الدساسة بفتح الدال : حية صماء تندسّ =

(زعم استحالة الكمأة إلى أفاعٍ)

والأعرابُ تزعم أنّ الكمْأة تبقَى فى الأرض فتُمْطَر مَطْرةً صَيفيّة ، فيستحيل بعضُها أفاعى . فسمِعَ هذا الحديثَ منّى بعضُ الرُّؤساء الطّائيِّين[1] ، فزعم لى أنّه عايَنَ كمأةً ضخْمة فتأمّلها ، فإذا هى تتحرّك ، فنهض إليها فقلَعها ، فإذا هى أفعًى . هذا ما حدّثته عن الأعراب ، حتّى برئت إلى الله من عيب الحديث .

(معارف فى الحيات عن صاحب المنطق)

وزعم صاحبُ المنطق أنّ الوزَغة والحيَّات تأكُلُ اللّحمَ وَالعُشب . وزعَمَ أنَّ الحيَّاتِ أظهَرُ كلَباً من جميع الحيوان ، مع قلّة شربِ الماء . وأنَّ الأسدَ مع نَهمه قليلُ شربِ الماء. قال : ولا تضبِطُ الحيَّاتُ أنفسَها إذا شمَّت ريحَ السَّذاب ، وربّما اصطِيدَتْ به . وإذا أصابوها كذلك وجدُوها وقد سكِرَتْ .

قال : والحيات تبتلع البيض ، والفراخَ ، والعُشب .

وزعم أنَّ الحياتِ تسلَخُ جلودَها فى أوَّل الرَّبيع ، عند خروجها من أعشّتها[2] وفى أوّل الخريف .

= تحت التراب اندساساً ، أى تندفن » وفى اللسان : « أبو عمرو : الدساس من الحيات الذى لايدرى أى طرفيه رأسه ، وهو أخبث الحيات ، يندس فى التراب فلا يظهر للشمس . وهو على لون القلب من الذهب المحلى » . ط : « أن حية يقال لها الدساس » وأثبت مافى س ، ﻫ .

(١) جمع طائى ، نسبة إلى قبيلة طيء على الشذوذ . س : « الكمايين » ﻫ . « الكماين » . وكنت حسبتها : « الكميائيين » لكن وجدت تعقيب الجاحظ لايسعف بهذا .

(٢) المعروف فى جمع العش : عشاش وأعشاش وعششة ــ كعنبة ــ فهذا جمع رابع . =

وزعم أن السَّلْخ يبتدئ من ناحية عيونها أوّلاً . قال : ولذلك يظنُّ بعض من يُعانيها[١] أنها عمياء .

وهى تسلَخُ من جلودها فى يومٍ وليلةٍ من الرَّأس إلى الذَّنَب ، ويصيرُ داخل الجِلْد هو الخارج ، كما يُسلخ الجَنينُ من المَشيمَة ، وكذلك[٢] جميع الحيوان المحزَّز[٣] الجسَد ، وكلُّ طائرٍ لجناحه غِلافٌ مثل الجُعَل والدَّبْر[٤] وكذلك السَّرطان ، يسلخ أيضا ، فيضعف عند ذلك عن المشى .

وتسلخ جلودها مِرارًا .

(سلخ الحيوان)

والسَّلخ يصيب عامّة الحيوان : أمّا الطير فتَحْسيرها[٥] ، وأمّا ذوات الحوافر فسلخُها عقائقها[٦] ، [وسلخ الإبل طرحُ أوْبارها ، وسلخُ الجراد انسلاخ جلودها[٧]] ، وسلخ الأيائِل إلقاء قرونها ، وسلخ الأشجار إسقاط ورقها

= ولعل من غير المعهود استعمال العش لجحر الحية ؛ إذ العش خاص بالطائر . لكن الجاحظ جعله هنا للحية ، كما جعله أبو حيان التوحيدى للثعلب . قال فى الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٧١) : « الثعلب يهيئ عشه ووكره ، ذا سبعة أجحرة » . فقد زاد على الجاحظ باستعمال (الوكر) للثعلب أيضاً .

(١) بتقديم النون على الياء ، أى يقوم عليها ويهتم بشأنها . وفى القاموس : « مايعانون مالهم : مايقومون عليه » .

(٢) ط ، هـ : « ولذلك » صوابه فى س .

(٣) كذا فى ط ، هـ . وفى س : « المخرز » .

(٤) الدبر ، بفتح الدال ويكسر ، المراد به هنا أولاد الجراد .

(٥) التحسير : سقوط ريش الطائر . ط : « تحسيرها » س ، هـ : « تحسرها » والصواب ما أثبت . وانظر ماسبق فى (٣ : ٥١٩ س ١٠) .

(٦) العقائق : جمع عقيقة ، وهى شعر المولود .

(٧) هذه التكملة من س ، هـ .

(أصل الأسروع)

والأسروع : دويْبَّةٌ تنسلخُ فتصيرُ فَرَاشَةً . وقال الطِّرِمَّاح شعرًا :

وتجرَّدَ الأَسْرُوعُ واطَّرَدَ السَّفَا   وجرت بجالَيْها الحِدَابُ القَرْدَدُ[1]

وانسابَ حيَّاتُ الكَثِيبِ وأقْبَلَتْ   وُرْقُ الفَرَاشِ لما يَشُبُّ المُوقِدُ[2]

يصف الزَّمان .

والدُّعْمُوص ينسلخُ ، فيصير إمَّا بعوضةً وإما فراشةً .

(انسلاخ البرغوث)

وزعم ثمامةُ عن يحيى بن برمك[3] أنّ البرغوث ينسلخ فيصير بعوضة ، وأنَّ البعوضةَ التى من سَلْخ دعموص ربَّمَا انسلخت[4] برغوثا .

والنمل تحدث لها أجنحةٌ ويتغيَّر خَلْقهَا ، وذلك هو سلخُها . وهُلْكُها يحين عند طيرانها .

٧٦

(١) الجالان : الجانبان . ط ، هـ : « بحاليها » س : « بحالبها » وصوابه ماأثبت من الديوان ص ١٤١ . والحداب : جمع حدب ، وهو ما أشرف من الأرض وغلظ . والقردد : المرتفعة الغليظة . وفى الأصل : « الجراد القردد » صوابه من الديوان ومما سيأتى ص ٨٥ ساسى . وقبل هذا البيت :

حتى إذا صهب الجنادب ودعت   نور الربيع ولاحهن الجدجد

(٢) يقول : أقبل ذلك الفراش الذى فى لونه سواد وبياض ، إلى النار التى يشبها موقدها .

(٣) نسبه إلى جده ، وهو يحيى بن خالد بن برمك ، سيد البرامكة ، وكان مؤدب الرشيد ومعلمه ، وكان الرشيد يدعوه يا أبى ، فلما ولى هارون الخلافة دفع إليه الخاتم وقلده أمره وكان جواداً حسن السياسة . ولما نكب الرشيد البرامكة قبض عليه وسجنه بالرقة إلى أن مات ، سنة مائة وتسعين .

(٤) فى الأصل : « تصلحت » والوجه فيه ما أثبت .

(انسلاخ الجراد)

والجراد ينسلخ على غير هذا النوع . قال الرّاجز[(١)] :

* مَلْعُونَةٍ تسْلَخُ لَوْنًا لَوْنَيْنِ[(٢)] *

(أثر البلدان فى ضرر الأفاعى ونحوها)

قال : وعضُّ السِّباع ذواتِ الأربع ، ولدغُ الهوامّ ، يختلفُ بقدر اختلافِ البُلدان ؛ كالذى يبلغُنا عن أفاعى الرَّمْل[(٣)] ، وعن جَرّارات قرى الأهواز ، وعقارب نَصِيبين[(٤)] ، وثعابين مصر ، وهِنْدِيّات[(٥)] الخرابات .

وفى الشِّبْثان[(٦)] ، والزّنابير ، والرُّتَيْلات[(٧)] مايقتل . فأمّا الطَّبُّوع[(٨)] فإنّهُ شديدُ الأذى . وللضَّمْج[(٩)] أذًى لايبلغُ ذلك .

---

(١) هو عوف بن ذروة ، كما فى نوادر أبى زيد الأنصارى ص ٤٨ . وقد روى من الرجز تسعة أبيات .

(٢) رواية النوادر : « تسلخ لونا عن لون » . وقبل البيت :

* من كل سفعاء القفا والخدين *

(٣) الرمل : موضع بعينه ، كما فى ياقوت .

(٤) نصيبين : مدينة من بلاد الجزيرة ، كانت عندها وقعة مشهورة . وقد عرفت بكثرة عقاربها انظر ما كتبت فى (٣ : ٣٠٣) . وفى الأصل : « الصين » وهو تحريف .

(٥) الهنديات : ضرب من الأفاعى ، سبق ذكرها فى ١٢١ . ط ، س : « هذريات » وأثبت صوابه من هـ .

(٦) الشبثان : جمع شبث بالتحريك ، وهو ضرب من الرتيلات .

(٧) الرتيلات : نوع من العناكب قتال .

(٨) الطبوع ، كتنور : دويبة ذات سم ، أو من جنس القردان لعضته ألم شديد .

(٩) الضمج : دويبة منتنة تلسع ، تسمى فى مصر بالبق . وهى : Cimex . وفى الأصل : « للصمخ » محرفة .

(أقوال لصاحب المنطق)

وقال صاحب المنطق : ويكون بالبلدة التى تسمَّى باليونانية : «طبقون» حيَّةٌ صغيرة شديدة اللَّدْغ ، إلا أن تُعالج بحجرٍ ، يُخرَج من بعض قبور قدماء الملوك .

ولم أفهم هذا ، ولم كان ذلك .

وإذا أكل بعض ذوات السموم من جسَد بعضها ، كانت أردأ ماتكون سما ، مثل العقارب والأفاعى .

قال : والأيِّلُ إذا ألقى قُرونَه علم أنَّهُ قد ألقَى سلاحَه فهو لايظهر . وكذلك إن سمن علم أنَّهُ يُطْلَبُ ، فلا يظهر . وكذلك أوَّلَ ماينبت قَرْنُهُ يعرِّضُه للشمس ؛ ليصلُب ويجفّ . وإن لدغت الأيِّلَ حيَّةٌ أكلَ السَّراطينَ ؛ فلذلك نَظُنُّ أنَّ السَّراطِينَ صالحةٌ لِلَّديغ من الناس .

قال : وإذا وضعت أنثى الأيل ولدًا أكلت مشيمتها . فيُظَنُّ[1] أنّ المشيمَةَ شىءٌ يتداوَى به من عِلّة النفاس .

[قال] : وَالدُّبَّةُ إذا هربت[2] دفعت جِراءَها[3] بين يديها ، وإن خافت على أولادها غيَّبتها ، وإذا لُحِقت[4] صعِدَتْ فى الشجر وحملَتْ معَها جِرَاءَهَا .

---

(١) كذا على الصواب فى س . وفى ط ، ه : « فتظن » وانظر السطر السابق

(٢) ط ، س : « والدبة فإنها إذا هربت » . والأوفق حذف الكلمة الثانية كما فى ه .

(٣) كتبت هذه الكلمة ونظيرتها بدون همز فى الأصل . والجراء : جمع جرو ، وهو ولدها .

(٤) يقال لحقه وألحقه : أدركه . وقرئ فى القنوت : « إن عذابك الجد بالكفار =

قال : والفهدُ إذا عراه الدّاء الذى يقالُ له : « خانِق الفهود » أ كل العَذِرَة فبرئ منه[1] .

قال : والسِّباع تشتهى رائحةَ الفهودِ ، والفهدُ يتغيّب عنها ، وربَّما فرَّ بعضها منه فَيُطْمِعُ فى نفسه ، فإذا أراده السّبعُ وثَبَ عليه الفهد فأ كله

قال : والتمساح يفتح فاه إذا غمّهُ ماقد تعلق بأسنانه ، حتى يأتىَ طائرٌ[2] فيأ كلَ ذلك ، فيكونَ طعامًا له وراحةً للتمساح .

قال : وأمّا السُّلحفاة فإنّها إذا أ كلت الأفعى أ كلت صَعْتَرًا جبليًّا ، وقد فعَلت ذلك مرارًا ، فربما عادت فأ كلت منها ثمّ أ كلت من الصَّعتر مرارًا كثيرة ، فإذا أ كثرت من ذلك هلكت .

قال : وأمّا ابنُ عِرس ، فإنَّه إذا قاتَلَ الحيَّةَ بدأَ بأَ كْلِ السَّذَاب ، لأنّ رائحةَ السَّذَاب مخالفةٌ للحيَّةِ ، كما أن سامّ أبرصَ لايدخلُ بيتاً فيه زعفران .

قال : والكلاب إذا كان فى أجوافها دُودٌ أ كلت سُنبل القمح .

قال : ونَظُنُّ أنّ ابنَ عرس يحتالُ للطيرِ بحيلة الذئب للغنم؛ فإنهُ يذبحها[3] كما يفعل الذئب بالشاة .

قال : وتتقاتل الحيّات المشترِكة فى الطُّعم .

= ملحق » بكسر الحاء ، أى لاحق . قال صاحب القاموس : « والفتح أحسن، أو الصواب » . ط ، هـ : « ألحقت » وهى اللغة الضعيفة . وأثبت مافى س

(١) وجاء فى كتاب الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٦٧) : « الفهد إذا أ كل العشبة التى تسمى خانقة الفهود ، يطلب زبل الإنسان فيأ كله ويتعالج به » .

(٢) هذا الطائر هو المعروف بالقطقاط : وهو أرقط صغير فى رأسه شوكة ، إذا أطبق التمساح فمه عليه نخسه بها فيفتحه .

(٣) كذا .

وزعَمَ أنَّ القنافذَ لايخفى عليها شيءٌ من جهة الرِّيح وتحوُّلِهـا وهُبُوبِها، ٧٧
وأنهُ كان بِقُسْطَنْطِينِيَّةَ رجلٌ يُقَدِّمُ وَيُعَظَّمُ ؛ لأنه كان يَعْرِفُ هُبُوبَ
الرِّيح ويخبرهم[١] بذلك وإنمـا كان يَعرف الحالَ فيها بمـا يَرَى مِنْ
هيئةِ القنافذ .

(العيون الحمر)

والعيُونُ الحمرُ لِلعَرَض المفارق ، كعين الغضبان ، وعينِ السَّكران ،
وَعَيْنِ الْكَلْبِ ، وَعَيْنِ الرَّمِدِ .

(العيون الذهبية)

والعيُونُ الذهبيَّةُ ،عيونُ[٢] أصناف البزاة من بين العُقاب[٣] إلى الزُّرَّق.

(العيون التى تسرج بالليل)

والعيُون التى تُسْرِج بالليل ، عيون الأسْد ،وعيون النمور ، وعيون
السَّنانير ، وعيون الأفاعى[٤] .

(خبر وشعر فى العين)

قال أبو حيَّة :

غِضابٌ يُثِيرُونَ الدُّحُولَ ،عُيُونُهمْ   كَجَمْرِ الغَضا ذَكَّيتهُ فتوقّدَا[٥]

---

(١) ط ، هـ : « ويخبر » .
(٢) ط ، هـ : « وعيون » والصواب حذف الواو كما فى س .
(٣) ط ، هـ : « العقارب » صوابه فى س .
(٤) سبق مثل هذا الكلام فى ص ١١٦ وسيأتى مثله فى (٥ : ١٠٠) .
(٥) الدحول : جمع ذحل بالفتح وهو الثأر . س ، هـ : « الدخول » صوابه =

وقال آخر :

وَمدَجَّجٍ يَسْعَى بشِكَّتهِ محمرّةٍ عيناهُ كالكلب[١]

رجع بالكلب إلى صفة المدجَّج .

وقَالَ معاويةُ لصُحارٍ العبديّ : يا أحمر ! قال : والذهب أحمر ! قال يا أزرق ! قال : والبازى أزرق !

وأنشدوا :

ولا عيبَ فيها غيرُ شُكْلَة عينها
كذاكَ عِتاقُ الطيرِ شُكْلٌ عيُونُها[٢]

وقال آخر :

وشُكْلة عينٍ لَوْ حُبيت ببعضِهَا
لكنت مكانَ العَيْنِ مَرْأى وَمَسْمَعَا[٣]

= فى ط . وذكى النار : ألقى عليها ماتذكوبه وتزيد اشتعالا . ط ، هـ : « ذكينه » ووجهه ما أثبت من س .

(١) المدجج ، بكسر الجيم وفتحها ، كما فى المخصص (٨ : ٩٥) نقلا عن العين . وأراد به القنفذ ، لما عليه من الشوك . المخصص واللسان (دجج) . والشكة : السلاح . ورواية الكامل ٦٠٩ ليبسك :

ومدججا يسعى بشكته محمرة عيناه كالكلب

(٢) يروى : « غير شهلة عينها » كما فى اللسان (شكل) وانظر تحقيقاً دقيقاً فيه . وسيعاد البيت فى (٥ : ١٠١) .

(٣) هـ : « لو خبيت » صوابه فى ط ، س ورسائل الجاحظ ١٩٦ الرحمانية . والعين ، هنا : الشمس . ورواية الرسائل : « مكان النجم » .

(بعض ألوان العيون)

ومن العيون المغْرَب[1] ، والأزرق ، والأشكل[2] ، والأسجَر[3] ، والأشهل[4] ، والأخْيَف[5] . وذلك إذا اختلفا .

(عين الفأر)

وعين الفأرة كَحْلاء ، وهى أبصَرُ بالليل من الفَرَسِ والعقابِ .

(شعر فى حمرة العينين وضيائهما)

وفى حمرة العينين وضيائهما يقولُ محمَّدُ بنُ ذؤيبٍ العُمانىُّ ، فى صفة الأســـد :

أجرأُ مِنْ ذى لِبْدَةٍ هَمَّاسِ[6] غَضَنْفَرٍ مضـــبَّرٍ رهَّاس[7]

---

(١) المغرب ، بفتح الراء : الأبيض . ه : « الغرب » س : « المغب » صوابه فى ط .

(٢) الشكلة ، بالضم : حمرة فى بياض العين .

(٣) السجرة ، بالضم : مخالطة الحمرة لبياض العين ، فهى نحو الشكلة . ط ، ه : « الأسحر » بالحاء ، صوابه فى س .

(٤) الشهلة ، بالضم : الحمرة فى سواد العين .

(٥) الخيف ، بالتحريك : زرقة إحدى العينين وسواد الأخرى . ه : « والأحتف » ط : « والأخف » س : « والأخسف » بإهمال الياء . وصواب أولئك ما أثبت .

(٦) الهماس : الشديد الغمز بضرسه .

(٧) المضبر : الموثق الخلق . وفى الأصل : « مضير » محرف . والرهاس : الذى يطأ الأرض وطئاً شديداً .

مَنَّاعِ أخْيَاس إلى أخْيَاس[١] كأنَّمَا عيناهُ فى مِراس[٢]

* شعاعُ مِقْبَاسٍ إلى مِقباس[٣] *

وقال المرّار :

* كَأَنَّمَا وَقْدُ عَيْنَيْهِ النَّمِرِ[٤] *

أصوات خشاش الأرض

نحو الضبّ ، والورل ، والحيَّة ، والقنفذ ، وما أشبه ذلك

يقال للضبّ والحيَّة والورَل : فَحَّ يفِحُّ فحيحًا . وقال رؤبة :

٧٨ فِحِّى فلا أفْرَقُ أنْ تَفِحِّى[٥] وَأنْ تُرَحِّى كَرَحَى المرحِّى[٦]

أصْبَحَ مِنْ نحنحةٍ وأَحِّ[٧] يحكِى سُعالَ النَّشَزِ الأبَحِّ[٨]

---

(١) أخياس : جمع خيس ، بالكسر ، وهو الأجمة يكون فيها الأسد . وإلى هنا بمعنى مع . ط : « أجناس إلى أجناس » س : « أخياس إلى أجناس » صوابهما فى هـ .

(٢) أى فى أثناء ممارسته الصيد .

(٣) المقباس . شعلة النار تقتبس . وإلى ، بمعنى : مع .

(٤) يقول : كأنما توقد عينيه توقد عين النمر .

(٥) أفرق : أخاف . والفرق ، بالتحريك : الخوف . ورواية اللسان : « ياحى لاأفرق » أى ياحية .

(٦) يقال رحت الحية ترحو ، وترحت تترحى : إذا استدارت . وأما رحت ترحى بالتشديد فلم أره فى معجم ، وهذا لاينفى صوابه . والمرحى : الذى يسوى الرحى . وهذا البيت وما قبله سيعادان فى (٦ : ٤٢) ورواية اللسان : « أو ان » .

(٧) أح يؤح : إذا سعل . وكلة « أصبح » هى فى الأصل : « أصح » تحريف . ورواية اللسان : « يكاد من تنحنح وأح » . قال : « يصف رجلا بخيلا إذا سئل تنحنح وسعل » .

(٨) النشز ، محركة : المسن القوى . والأبح : الذى غلظ صوته من داء . ورواية اللسان :

* يحكى سعال النزق الأبح *

قال : الفحيح : صوتُ الحيَّة مِنْ فيها . والكشيش والنشيش : صوتُ جلدها إذا حكّت بعضَه ببعض . قال الرّاجز[1] فى صفة الشَّخْب والحلْب :

حَلَبْتُ لِلأَبْرَشِ وهو مُغْضِ   حمراءَ منها شَخْبَةٌ بالمحض[2]

ليستْ بذات وَبَرٍ مبيضٍّ   كأنَّ صوتَ شخْبها المرْفَضِّ[3]

* كشيشُ أفعَى أجْمعت لعَضِّ[4] *

ويقال للضّبّ والورل : كش يكِش كشيشا . وأنشد أبو الجرّاح :

تَرَى الضَّبَّ إنْ لم يرهب الضبُّ غيرَه   يكِشُّ له مستنكرًا ويُطاوِلُه

باب

من ضرب المثل للرَّجُلِ الداهية وللحيِّ الممتنع بالحيَّة

قال ذو الإصبع العَدْوانيُّ :

عَذيرَ الحيِّ مِنْ عَـــدْوا   نَ كانوا حَيّةَ الأرض[5]

---

(١) هو معتمر بن قطبة ، كما فى تاج العروس (كشش) .

(٢) حمراء : أى ناقة حمراء .

(٣) المرفض : الذى يتتابع سيلانه وترششه . وفى الأصل : « كأن شخب صوتها » صوابه فى المخصص ٨١ : ١١٥) والخزانة (٤ : ٥٧١ بولاق) وأدب الكاتب ١٢٥ والاقتضاب ٣٤٥ واللسان (كشش) .

(٤) أجمعت : من الإجماع ، وهو العزم على الشىء . وفى الكتاب : « فأجمعوا أمركم » س ، هـ : « جمعت » وأثبت ما فى ط والمصادر المتقدمة . وبعد هذا البيت :

* فهى تحك بعضها ببعض *

ومثل هذا المعنى قول الآخر :

كأن صوت شخبها إذا همى   صوت الأفاعى فى خشى أشخما

انظر الاقتضاب وأمالى الزجاجى ١٢٠ واللسان (خشا) .

(٥) فى ثمار القلوب ٤٠٩ : « العرب تقول للرجل المنيع الجانب : حية الأرض »

بَغَى بعضهُمُ ظلمًا فلم يَرْعَ على بَعْضٍ[١]
وفيهم كانَتِ السَّاداتُ والموفُون بالقَرْض[٢]

يقال : « فلانٌ حَيَّةُ الوادى »،و:« ما هو إلاَّ صِلُّ أصلال» . والصِّلُّ : الداهية والحيَّة . قال النَّابغة :

ماذَا رُزِئْنَا بِهِ من حَيَّةٍ ذَكَرٍ نَضْنَاضَةٍ بالرَّزايا ، صِلِّ أصلالِ[٣]

وقال آخر :

صِلٌّ صفًا تَنْطُف أنيابهُ سِمامَ ذيفانٍ مجيرات[٤]

وقال آخر[٥] :

مُطْرِقٌ يرشَحُ سمًّا ، كما أطْرَقَ أَفْعَى يَنْفُثُ السمَّ صِلُّ

ومن أمثالهم:«صَمِّى صَمَامِ[٦]»وَ:« صَمِّى ابْنَةَ الجبل[٧] » وهى الحيَّة .

---

(١) روايته فى حماسة البحترى ١٦٩ : « بغى بعضهم بعضا * فلم يرعوا» .

(٢) القرض : مايتجازى به الناس بينهم من إحسان ، أو إساءة . يقول : هم قادرون على مقابلة الإحسان بالإحسان ، والإساءة بمثلها . وفى ذلك المروءة ، والقدرة . س : « بالعرض » . وأثبت ما فى ط ، هـ . والشعراء ١٦٧ .

(٣) رزئنا به : أصبنا . وفى ط ، هـ : « رأينا » و س : « رأيت » وصوابه من اللسان (صلل) وثمار القلوب ٣٣٦ وأمثال الميدانى (١ : ٢٤) . من حية : يقول هوحية . والنضناضة : التى تحرك لسانها . أنثها ناظرا للفظ الموصوف .

(٤) تنطف أنيابه : يقطر منها السم . ط : « تنظف » صوابه فى س ، هـ . والسمام : جمع سم . والذيفان بالفتح والكسر : السم الناقع .

(٥) هو تأبط شرا ، كما سبق فى (٣ : ٦٨) والحماسة (١ : ٣٤١) ، وشرحها (٢ : ١٦٠ ـ ١٦١) .

(٦) صم يصم ، بفتح الصاد فيهما . وصمام كقطام : الداهية . والمثل يضرب للرجل يأتى بالداهية . اللسان وأمثال الميدانى (١ : ٣٦٢) .

(٧) ابنة الجبل : الحية . أى لاتجيبى الراقى ودومى على حالك . يضرب للفريقين إذا أبيا الصلح ولجا فى الخلاف . أمثال الميدانى . وتكون ابنة الجبل أيضاً الداهية العظيمة ، والصدى ، أو الصخرة . اللسان (صمم) .

قال الكميت :

إذَا لَقِيَ السَّفِيرَ لهـا وَنَادَى بِها : صَمِّى ابْنَةَ الجَبَلِ ، السَّفِيرُ[١]

(قولهم: جاء بأم الرُّبيق على أريق)

ومن أمثالهم : «جاءَ بأمِّ الرُّبَيق على أُرَيق[٢]» أمُّ الرُّبيق : إحدى الحيات . وأُرَيق : أمُّ الطّبق[٣] . ضربوا به مثلاً فى الدواهي . وأصلها من الحيَّات قال : ٧٩

إذَا وجدْتَ بوادٍ حَيَّةً ذَكَرًا

فاذْهَبْ وَدَعْنِي أُمارِسْ حَيةَ الوادى[٤]

---

(١) يقول : إذا لقى السفير السفير ، فأخر الفاعل . و « بها » و « لها » يرجعان إلى الحرب . اللسان وأمثال الميدانى . والمعنى : إذا فشل السفيران المتدبان — بكسر الدال — للصلح وفض النزاع ، وتركا الحرب فى شدتها لايستطيعان لها دفعا . فى الأصل : « إذا ألقى » وتصحيحه من اللسان وأمثال الميدانى .

(٢) رواه الفراء : « لقيت منه أم الربيق على وريق » .

(٣) فى الأصل : « وأريق الطبق » وهو كلام ناقص . وأم طبق من كنى الحيات . ومنه قول خلف الأحمر ، حين نمى إليه المنصور :

قد طرقت ببكرها أم طبق فذمروها وهمة ضخم العنق

انظر اللسان (طبق) وثمار القلوب ٢٠٧ . وسميت أم طبق لترحيها وتحويها كالطبق ، أو لاطباقها على من تلسعه . و « أريق » من الحيات ، كما فى قول العجاج :

وقد رأى دونى من تهجمى أم الربيق والأريق الأزنم

بدلالة قوله : « الأزنم » وهو الذى له زنمة من الحيات . اللسان « أرق » وفيه كلام صرفى خاص بهذه الكلمة .

(٤) حية الوادى : مثل للرجل المنيع الجانب ؛ فإن حية الوادى تحميه فلا يقربه شىء . ثمار القلوب ٣٣٥ وفيه البيت . وروى فى المخصص (١٦ : ١٠١) : « إذا رأيت » ... الخ .

(قولهم : أدرك القوَيِّعة لاتأكلها الهوَيِّعة)

وفى المثل: «أدرِك القُوَيِّعة لاتأكلها الهوَيِّعة» يعنى[١] الصبى الذى يدرُج ويتناول كلَّ شئٍ سنَح له ، ويَهوى به إلى فيه . كأَنه قال لأمِّه : أدركيه لاتأكله الهامَّة ! وهى الحيّةُ . وهو قوله[٢] فى التعويذ: « ومن كلِّ شيطانٍ وهَامَّة ، ونَفْسٍ وعينٍ لامَّة[٣] » .

(شعر للأخطل فى الحية)

وقال الاخطل ، فى جعلهم الرَّجلَ الشُّجاعَ وذا الرّأى[٤] الدَّاهية حية ـ وكذلك يجعلون إذا أرادوا تعظيمَ شأنها . وإذا أرادوا ذلك فما أكثر مايجعلون الحَيّةَ ذكرا . قال الأَخطل :

أنبئت كلباً تمنَّى أنْ يسافهنا وطالمَا سافهُونَا ثمَّ ماظفِرُوا[٥]

---

(١) أى بقوله : « القويعة » وهو تصغير « قامة » بتشديد الميم . وفى أمثال الميدانى (١ : ٢٤٢) : « ويعنى بها ــ أى القامة ــ الصبى ؛ لأنه يقتم كل ماأدرك ، يجعله فى فيه ، فربما أتى على بعض الهوام ، كالعقرب وغيرها ... يضرب فى حفظ الصبى وغيره . والمراد به إدراك الرجل الجاهل لايقع فى هلكة » .

(٢) أى فى الحديث النبوى . روى ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين فيقول : « أعيذ كما بكلمات الله التامة ، من شر كل شيطان وهامة ، ومن شر كل عين لامة » . ويقول : «هكذا كان إبراهيم يعوذ إسماعيل وإسحاق عليهم السلام » .

(٣) اللامة : التى تصيب بسوء .

(٤) ط : « وإذا لرأى » صوابه فى س ، ه .

(٥) كذا الرواية فى الاصل . وأراد بكلب :القبيل،فذكره . ورواية الديوان ٢٦٨ : « أن تسافهنا * وربما » .

كلفتمونا رجالا قاطعي قَرَنٍ مُسْتَلْحَقِينَ كما يُسْتَلْحَقُ اليَسَرُ[1]

ليست عليهم إذا عُدَّتْ خصالهم خَصْلٌ وليس لهم إيجابُ ماقمَرُوا[2]

قد أنْذَرُوا حَيّةً فى رأس هضبته وقد أتتهم به الأنباء والنذُرُ[3]

بَاتُوا رُقُودًا عَلَى الأمْهَادِ لَيْلَهُمُ وَلَيْلُهُمْ ساهرٌ فيها ، وماشعرُوا[4]

ثَمَّتَ قَالُوا أمَاتَ المـاء حَيَّتَهُ وما يكادُ ينامُ الحَيةُ الذَّكَرُ[5]

(حيّة المـاء)

وما أكثَرَ ما يذكرون حيّة المَـاء ؛ لأنّ حَيَّاتِ المَـاء[6] فيها تفاوت . إمّا أن تكونَ لا تضرُّ كبيرَ ضررٍ ، وإمّا أن تكونَ أقتلَ من الحيَّاتِ والأفاعى .

---

(١) اليسر ، بالتحريك : صاحب القدح من قداح الميسر . وكانوا ربما جاء الرجل بقدحه بعد مافاز منهم الواحد والاثنان ، فيسألهم أن يدخلوا قداحه فى قداحهم فيفعلون ذلك ، ويسمونه المستلحق . انظر الميسر والقداح ١٥٣ . وقوله : « قاطعى قرن » يعنى قيسا . وذلك أن كلبا لاموا تغلب فقالوا : أعنتم قيسا علينا ! فقال الأخطل : حملتمونا ذنب هؤلاء ، وألزمتموناه ، وليسوا منا ولا نحن منهم ، كما يستلحق الأيسار رجلا لم يكن معهم . ط ، س : « مستلحقين كما يستلحق السرر » ه : « مستلخفين كما يستلخف السرر » صوابهما ما أثبت من الديوان والميسر والقداح .

(٢) س ، ه : « انجاب ماقروا » صوابه فى ط والديوان . والرواية فيه :

ليست عليهم ديات يؤخذون بها ولا يكون لهم إيجاب ماقمروا

(٣) س : « بها الأنباء » والديوان : « به الأخبار » .

(٤) الأمهاد : جمع مهد بالضم ، وهو النشز من الأرض ، أو ما انخفض منها فى سهولة واستواء . ورواية الديوان : « باتوا نياما على الأنماط ليلهم * وليله » .

(٥) فى الديوان : « هناك قالوا أنام المـاء حيته » .

(٦) هذه الـكلمة ونظيرتها ، هى فى الأصل : « المـاء » محرفة وفى الأصل . « حية » .

(الهنديات)

ويقال إنّ الهنديّات[١] إنّما تصير فى البيوت والدُّور ، والإصطبلات ، والخرابات ؛ لأنّها تُحمَلُ فى القُضُب[٢] وفى أشباه ذلك .

(علة وجود الحيّات فى بعض البيوت)

والحيّاتُ تأكل الجرادَ أكلاً شديداً ، فربّما فتحَ رأس كُرْزِه[٣] وجرابه وجوالقه ؛ الذى يأتى الجراد[٤] ، وقد ضَرَبَه بَرْدُ السَّحَر ، وقد تراكم بعضُه على بعض ؛ لأنّها موصوفةٌ بالصَّرَدِ[٥] .

والحيّاتُ توصَفُ بالصَّرَد ، وكذلك الحمير ، والماعزُ من الغنم . ولذلك قال الشاعر[٦] :

---

(١) الهندية : ضرب من الأفاعى ، ذكر فى ص ١٢١ . وفى هـ : «الهندبات» مصحف

(٢) أى فى قضب الشجر . والقضيب : الفرع . وذلك أن الحاطب ربما علقت الحيات ببعض مايجمعه . وقالوا فى أمثالهم : « كحاطب ليل » فهو يجمع القضب والحيات وقد يصيبه منها الضرر الشديد .

(٣) الكرز ، بالضم وتقديم الراء : ضرب من الجوالق ، أو هو الخرج الكبير يحمل فيه الراعى زاده ومتاعه . ط ، هـ : « كزره » س : « كذده » وهما تحريف ما أثبت .

(٤) كلة « الذى » هى فاعل « فتح » المتقدمة . وما سيأتى إلى السطر الخامس من الصفحة الآتية ، استطراد معترض وتبدأ صلة الكلام بكلمة : «فربما» الآتية.

(٥) من صرد ، كفرح : وجد البرد سريعاً .

(٦) هو صخر بن الجعد الخضرى ، كما فى نقد الشعر ٤٣ والأغانى (١١ : ٦٧) ومعجم البلدان (رسم ذروة) . وهو شاعر من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية . وكان مغرما بكأس بنت جبير بن جندب ، وهى ابنة عمه . قالوا : وكانت كأس تشرب من غدير يقال له جناب ، وبحضرته أهْلها ، فوقف طويلا عليه يبكى ، وقال الشعر الآتى .

بليتَ كما يبلى الوِكاءُ ولا أرى جِنَاباً ولا أكنافَ ذروة تخلَقُ[١]

أُلوِّى حَيازِ يمسي بهنَّ صَبابةً كما تتلوَّى الحيَّة المتشرِّقُ[٢]

وإنما تَشَرَّقُ إذا أدركها بَرْدُ السَّحَر ولم تصر بعدُ إلى صلاحها ٨٠
و [إذا[٣]] خرجت بالليل تكتسب الطعم كما يفعل ذلك سائر السِّباع .
فربما اجترف صَاحبُ الكرز الجراد[٤]، فأدخله كُرْزَه ، وفيه الأفعى وأسودُ
سالخٌ ، حتّى يُنقلَ ذلك إلى الدُّور ، فربّما لقى النّاسُ منها جهداً .

وقال بشر بن المعتَمر ، فى شعره المزاوَج :

ياعجبًا والدَّهرُ ذو عجائب مِنْ شاهدٍ وَقَلْبُهُ كالغائبِ

وحاطب يَحْطِبُ فى بجادِهِ[٥] فى ظلمة الليلِ وفى سَوَادِهِ

يحْطب[٦] فى بجاده الأَيْمَ الذَّكرِ والأَسوَدَ السَّالخ مكروهَ النَّظَرْ

(شعر فى حية المـاء)

فممن ذكر حَيَّةَ المـاء ، عبد الله بن هَمّام السلوليُّ فقال :

كَحَيَّةِ المـاء لاتنحاش مِنْ أحَدٍ صُلْبُ المراس إذا ماحُلَّتُ النُّطق[٧]

---

(١) الوكاء ، بالكسر ، أراد به هنا السقاء ، وهو بالكسر جلد السخلة يتخذ للماء . والرواية فى المصادر المتقدمة : « كما يبلى الرداء » . وجناب ، بالكسر : موضع بالقرب من خيبر والمدينة . وذروة ، بفتح أوله ويكسر : مكان حجازى .

(٢) ط : « يتلوى » . وفى نقد النثر : « تتطوى » . واستشهد ابن رشيق فى العمدة (٢ : ٤٧) بهذا البيت على ماسماه « الإيغال » وهو المبالغة التى يكون يكون موضعها قافية البيت .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) فى الأصل : « للجراد » وفى س : « فربما احترف » محرفان .

(٥) البجاد ، بالكسر : الكساء .

(٦) ط ، هـ : « يخطب » صوابه فى س . حطب الحطب : جمعه .

(٧) تنحاش : تنفر . وحلت النطق : كناية عن اشتداد الأمر . والنطق : جمع نطاق .

وقال الشَّماخ بنُ ضِرار :

خُوصُ العيونِ تبَارَى فى أزِمَّتها إذا تفصَّدْنَ من حَرِّ الصَّياخيدِ [١]

وكلُّهن تُبَارِى ثِــــنْىَ مُطَّرِدٍ كحيةِ المـاءِ وَلَّى غَيْرَ مَطْرودِ [٢]

وقال الأخطل :

ضفادعُ فى ظَلْماء ليلٍ تجاوَبَت فدل عليها صوتُها حَيَّـةَ البَحْرِ [٣]

وقال أيضاً :

هَــلُمَّ ابنَ صَفّارٍ فإنَّ قتالَنا جِهاراً ومامِنّا مُلاوَذَةُ العُــذْرِ

فإنَّكَ فى قيسٍ لَتَالٍ مُــذَبْذَبٌ وغيرُك منهم ذُو الثَّنَاءِ وذو الفخرِ

ونحن منعْنَا ماءَ دِجــلةَ منْـكمُ ونمنعُ مَا بينَ العِرَاقِ إلى البِشْرِ [٤]

ألا يا ابنَ صَفّارٍ فلا تَرُمِ العُلَى [٥] ولا تذْكُرَنْ حَيَّاتِ قَوْمِكَ فى الشِّعْرِ

فمـا تركَتْ حَيَّاتُنا لكَ حيَّــةً تحرَّكُ فى أرضٍ بَرَاحٍ ولا بَحرِ [٦]

وقال نُفَيع [٧] [يعيِّره [٨]] بالــكُحَيل [٩] :

---

(١) يقول : تلك الإبل الغائرة العيون تتسابق ، وقد تصبب عرقها من حر الهواجر . ورواية الديوان ٢٢ : « إذا تقصدن » بالقاف ، والتقصد أصل معناه الهلاك ، وأراد به تغيرها بعد السمن .

(٢) أى كل منها يسابق طرف زمامه . س ، هـ : « فى مطردة » صــوابه فى ط والديوان .

(٣) سبق الـكلام على هذا البيت فى (٣ : ٢٦٨) .

(٤) البشر ، بالـكسر : جبل بالجزيرة . هـ : « البسر » صوابه فى ط ، س .

(٥) لاترم : لاتطلب . يقول له : ليس ذلك من شأنك .

(٦) البراح ، كسحاب : المتسع من الأرض ، لازرع به ولا شجر .

(٧) نفيع ، بالفاء وهيئة التصغير ، هو ابن سالم بن صفار المحاربى ، وقد هجاه الأخطل بالشعر المتقدم ، فقال هو الشعر الآتى . وفى الأصل : « نقيع » مصحف . انظر المؤتلف والمختلف ١٩٥ .

(٨) ليست بالأصل ، والـكلام يشعر بالحاجة إليها .

(٩) الـكحيل ، بهيئة التصغير : نهر أسفل الموصل ، كانت عنده وقعة هزمت فيها تغلب وألقوا بأنفسهم فى المـاء . الأغانى (١١ : ٥٥) .

فإن تك قتلاكم بدجلة غرقت ... فما أشبهت قتلى حنين ولا بدر

ثووا إذ لقونا بالكحيل كما ثوى ... شمام إلى يوم القيامة والحشر[1]

بدجلة حالت حربنا دون قومنا ... وأوطاننا ما بين دجلة فالحضر[2]

ولو كنتم حيات بحر لكنتم ... غداة الكحيل[3] إذ تقومون فى الغمر[4]

٨١

(مايشبه بالأيم)

فالأيم الحية الذكر يشبهون به الزمام ، وربما شبهوا الجارية المجدولة الخميصة الخواصر[5]، فى مشيها ، بالأيم؛ لأن الحية الذكر ليس له غبب ، وموضع بطنه مجدول غير متراخ . وقال ابن ميادة :

---

(١) شمام ، كقطام : جبل له رأسان يسميان ابنى شمام ، يضرب بهما المثل فى البقاء . قال لبيد :

فهل نبئت عن أخوين داما ... على الأحداث إلا ابنى شمام

وإلا الفرقدين وآل نعش ... خوالد ماتحدث بانهدام

(٢) الحضر ، بالفتح : مدينة بإزاء تكريت فى البرية ، بينها وبين الموصل والفرات . ياقوت . وفى الأصل : « فالحصر » وهو تحريف .

(٣) أى لكنتم حيات غداة الكحيل فاستطعتم السباحة . ط : « كدات الكحيل » س « كذات الكحيل » صوابه من المؤتلف ١٩٥ .

(٤) تقومون : تقفون وتثبتون غير متقدمين ولا متأخرين ، وذلك فى الماء معطية . هـ : « تعومون » ولا يصح به المعنى . ورواية الآمدى : « يلبون » من ألب بالمكان : أقام به ولزمه . والغمر : الماء الكثير . وفى الأصل : « العمر » وتصحيحه من المؤتلف .

(٥) الخاصرة : مافوق الخصر من الجلدة الرقيقة . وهما خاصرتان . فهو قد جمع وأراد الاثنتين . انظر المزهر (٢ : ١٢٥) .

قعدت على السِّلاة تنفض مسحَهَا ... وتجذب مِثْلَ الأَيْمِ فى بلدٍ قَفْرِ (١)

تيمَّمُ خَيْرَ النَّاسِ مِنْ آل حاضر ... وتحمِلُ حاجاتٍ تضمَّنَها صَدْرِى (٢)

(شعر فى حمرة عين الأفعى)

وقال الآخر فى حمرة عين الأفعى :

لولا الهراوةُ والـكِفَّاتُ أوْرَدَنِى ... حَوْضَ المنيَّة قَتَّالٌ لِمَنْ عَلِقَا (٣)

أصمُّ منهرتُ الشِّدْقين ملتبدٌ ... لم يُغْذَ إلاَّ المنايا مِنْ لَدُنْ خُلِقَا (٤)

كأنَّ عينيه مِسْمَارَانِ (٥) مِنْ ذَهبٍ ... جلاهُما مِدْوسُ التَّألاَقِ فائتَلَقَا (٦)

(شعر فى حمرة عيون الناس)

وقال فى حمرة عُيون النَّاس فى الحرْب وفى الغضب ، ابنُ ميَّادة :

---

(١) السعلاة : اسم ناقة ابن ميادة ، كما فى الأغانى (٢ : ١١٤) . ومثل الأيم ، عنى به الزمام . يقول : هى تجذب زمامها من شـــدة نشاطها . وفى الأغانى : « فى برة الصفر » .

(٢) رواية الأغانى : « تيمم خير الناس ماء وحاضراً » . وبعد البيت خمسة أخرى فى الأغانى .

(٣) الـكفات : جمع كفة ، بالـكسر ، وهى من آلات الصيد . ط ، ه : « السفاة » صوابه فى س .

(٤) منهرت الشدقين : واسعهما . ط ، ه : « منهرة » صوابه فى س . فى س . لم يغذ ، من الغذاء . ط ، س : « يغد » ه : « يغد » صوابهما ما أثبت .

(٥) فى الأصل : « مسماكان » . ولا تصح ؛ فإن المسماك : عود الخباء . وقد ذكر الدميرى فى كلامه على الحية : « وعينها لاتدور فى رأسها ، بل كأنها مسمار مضروب فى رأسها » . وانظر ما أسلف الجاحظ فى ص ١٧٩ س ١٢ .

(٦) المدوس ، بالـكسر : خشبة يشد عليها مسنٌّ ، يدوس بها الصيقل السيف حتى يجلوه . والتألاق : تفعال من ألق بمعنى لمع . وفى الأصل : « التلاق » ! وائتلقا : لمعا وبرقا . وفى الأصل : « فابتلقا » . والوجه ما أثبت .

وعند الفَزَارى العراقى عارض كأنَّ عيونَ القوْم فى نبضة الجمر[1]

وفى حمرة العين من جهة الخِلقةِ ، يقول أبو قُرْدُودة ، فى ابن عمارٍ[2] حينَ قتله النُّعمان :

إنّى نهيتُ ابنَ عمّارٍ وقلتُ له : لاتأمَنَنْ أحْمَرَ العَيْنَيْنِ وَالشعَرَهْ

إنَّ الملوكَ متى تنزِل بساحتِهِمْ تَطِرْ بنارك مِنْ نيرانهم شَررَهْ

ياجفنةً كإزاء الحَوْض قد هُدِمَتْ وَمَنْطِقًامِثْلَ وَشْيِ الْيَمْنَةِ الحَبِرَهْ[3]

(معرفة فى الحية)

وأكثرُ مايذكرون مِنَ[4] الحيات بأسمائها دون صفاتها : الأفعى ، والأسود ، والشجاع ، والأَرقم . قال عمر بن لجأ :

* يلزق بالصّخْرِ لُزُوقَ الأرقَمِ *

وقال آخر :

ورفْع أولى القوم وقعُ خرادِلٍ[5] ووقعُ نبال مثل وقْع الأساوِدِ

---

(١) ط ، س : « القرارى » صوابه فى هـ .

(٢) هو عمرو بن عمار الطائى ، كان شاعراً خطيباً ، فبلغ النعمان حسن حديثه فحمله على منادمته ، وكان النعمان أحمر العينين والجلد والشعر ، وكان شديد العربدة ، قتالا للندماء ، فنهاه أبو قردودة عن منادمته ، فلما قتله النعمان رثاه بالشعر الآتى . البيان (١ : ١٥٩ ، ٢٢٥) والحيوان (٥ : ١٠١) ومعجم المرزبانى ٢٣٦ ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢) .

(٣) كانت العرب تسمى السيد المطعام جفنة ؛ لأنه يضعها ويطعم الناس فيها . اللسان (جفن) . وإزاء الحوض : مصب الدلو فيه .

(٤) ط : « مر » صوابه فى س ، هـ .

(٥) لعلها : « خوازق » جمع خازق ، وهو السهم النافذ ، أو السنان . اللسان .

(ذكر الأفاعى فى بعض كتب الأنبياء)

وفى بعض كتب الأَنبياء ، أنّ الله تبارك وتعالى قال لبنى إسرائيل :
« يا أولادَ الأفاعى[(١)] » .

(مثال وشعر فى الحية)

ويقال : « رَماهُ الله بأفْعَى حَارِيَة[(٢)] » وهى التى تحرى[(٣)] ، وكلما كبرت فى السن صغُرت فى الجسم . وأنشد الأصمعيُّ فى شدَّة اسوداد أسود سالخ :

مُهَرَّتَ الأَشداق عَوْدٍ قد كمل[(٤)] ... كأنما قيظ من لِيط جَعَل[(٥)]

وقال جريرٌ فى صفة عُرُوقِ بَطْنِ الشَّبْمَانِ[(٦)] :

٨٣ وأعور من نَبْهَانَ أمَّا نهارُه ... فأعمَى ، وأمَّا ليـــله فبصيرُ[(٧)]

---

(١) هذه العبارة التى يشير إليها الجاحظ ، تجدها فى إنجيل متى (الأصحاح ٣ : ٧) والنص فيه : « فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته قال لهم : ياأولاد الأفاعى ! من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى ؟! » . ومثل هذا النص فى إنجيل لوقا أيضاً (الأصحاح ٣ : ٧) . وضمير (قال) عائد إلى يوحنا المعمدان — وهو يحيى بن زكريا عليهما السلام — يعظ اليهود مبشراً بعيسى عليه الصلاة والسلام .

(٢) ط ، هـ : « جارية » صوابه بالحاء المهملة كما فى س .

(٣) حرى يحرى ، كيرمى : نقص . وفى ط ، س : « تجرى » صوابه فى هـ .

(٤) فى الأصل « مهروته » والوجه ما أثبت من (٣ : ٥٠٢) .

(٥) كذا . وانظر رواية البيت وشرحه فى (٣ . ٥٠٢) .

(٦) س : « عروق بطن » . ط ، هـ : « عروق بطن السنان » . ولا وجه للعبارتين . والصواب ما أثبت .

(٧) الأعور ، هو النبهانى ، واسمه عدى بن أوس ، أوسحمة بن نعيم ، وكان بينه وبين جرير مناقضة . انظر المؤتلف ١٦١ والمرزبانى ٢٥٣ . وصـواب رواية هذا البيت :
=

رَفَعْتُ له مشبوبةً يلتوى بها ... يكادُ سناها فى السماءِ يَطيرُ[1]

فلما استوَى جنباه لاعَبَ ظلَّهُ ... عريضُ أفاعى الحالبَين ضريرُ[2]

قال : ويقال : « أبْصَرُ من حَيّةٍ » كما يقال : « أسمعُ مِنْ فرس » :

و : « أسمعُ مِنْ عُقاب » . وقال الراجز :

* أسمعُ مِنْ فَرْخِ العُقابِ الأشْجَعِ[3] *

وقال آخر[4] :

أسودُ شَرًى لاقَتْ أسودَ خفِيّةٍ ... تساقَوْا عَلَى حَرْدٍ دماءَ الأساوِدِ[5]

= وأعور من نبهان يعوى ودونه ... من الليل بابا ظلمة وستور

كما هو عند الآمدى والمرزبانى وفى الديوان ٢٦٥ . والذى أوهم الجاحظ ذلك أن فى القصيدة بيتا آخر ، يروى بهذه الرواية التى أثبتها ، ولكن موضعه فى نهاية القصيدة ، ويتضح لك ذلك من مطالعة الديوان ص ٢٦٦ س ٣ ، ٥ .

(١) مشبوبة : أى ناراً . وكانوا يرفعون النيران لترشد إليهم الضيفان . يلتوى : كذا جاءت الرواية هنا . وهى فى الديوان والمؤتلف : « يهتدى » .

(٢) استوى جنباه : أى برزا من امتلائهما . فى الأصل : « استوت » محرفة . لاعب ظله : أى جعل ذلك النبهانى يلاعب ظله مماطراً عليه من السرور . وضمير « ظله » راجع إلى « عريض » . « والحالبان : عرقان أخضران يكتنفان السرة إلى البطن » وفى الأصل : « عروض أفاعى الحالتين » تصحيحه من النقائض . وانظر الرواية فى الديوان .

(٣) كذا . والأشجع : الشجاع ؛ وليس له هنا وجه صالح . ومعظم الظن أنه : « الأسفع » وهو مافى لونه سواد مشرب بحمرة . وفى الدميرى : « فأما العقاب فنها السود والحوخية والسفع والأبيض والأشقر » .

(٤) هو الأشهب بن رميلة ، كما فى البيان (٢ : ٢٤٢) والكامل ٣٣ ، ٤٣٨ ليبسك والعقد (١ : ٥٣) واللسان (حرد) .

(٥) شرى : جبل بنجد ، أو تهامة ، مشهور بكثرة السباع . وخفية : أجمة فى سواد الكوفة . هـ : « حفية » بالحاء المهملة صوابه فى ط ، س والمراجع المتقدمة وكذا الأضداد ١٩٨ والمقصور ٥٨ والمخصص (١١ : ٤٨) . والحرد : الغضب . وروى فى المقصور : « لوح » . واللوح ، بالضم ، ويفتح : العطش . وقبل البيت : =

ضَرَبَ المَثَلَ بجنسين من الأَسْود ، إذْ كانا[1] عندَه الغايةَ في الشدَّة والهوْل ، فلم يقنع بذلك حتى ردَّ ذلك كُلَّهُ إلى سموم الحيَّات .

(مايشبَّه بالأَسوَد)

وفي هَوْل منظر الأَسْوَد يقول الشاعر[2] :

مِنْ دُونِ سَيْبِكَ لونُ ليلٍ مُظلِمٍ وَحَفيفُ ناجِةٍ وكَلْبٌ مُوسَدُ[3]

والضَّيفُ عِنْدَكَ مِثْلُ أَسوَد سالخٍ لابَلْ أَحَبُّهما إليكَ الأَسْوَدُ[4]

ويصِفُون ذوائبَ النساء ، فإذا بلغوا الغايةَ شبهوها بالأَساود . قال جِرانُ العَوْدِ :

أَلا لاتَغُرَّنَّ امرءًا نَوْفَلِيَّةٌ على الرَّأس منها،والترائبُ وُضَّحُ[5]

ولا فاحِمٌ يُسْقَى الدِّهانَ كأَنَّهُ أَساوِدُ يزهاها لعينك أَبْطَحُ[6]

= وإن الذى حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم ياأم خالد

هم ساعد الدهر الذى يتقى به وما خير كف لاتنوء بساعد

(١) فى الأصل : « كان » وصوابه ما أثبت .

(٢) هو حسيل بن عرفطة ، الذى تقدمت ترجمته فى (٣ : ١٠٢) . انظر نوادر أبى زيد ٧٥ وديوان المعانى (١ : ١٠٦) والحيوان (١ : ٣٨٣) .

(٣) الناجة ، بالجيم بعد الفاء : الريح تبدأ بقوة . وفى الأصل وكذا ديوان المعانى : « نافحة » ، وصواب الرواية من النوادر . و : « كلب » هى فى الأصل : « قلب » صوابه من المراجع المتقدمة .

(٤) مكان : « أحبهما » بياض فى س .

(٥) النوفلية : ضرب من الامتشاط ، وفسره صاحب التهذيب بأنه شىء يتخذه نساء الأعراب من صوف يكون فى غلظ أقل من الساعد . ثم يحشى ويعطف ، فتضعه المرأة على رأسها ، ثم تختمر عليه . ورواية الديوان واللسان : « على الرأس بعدى » والترائب . جمع تريبة ، وهى موضع القلادة . وضح : جمع واضحة بمعنى مشرقة .

(٦) الأبطح : بطن واد فيه رمل وحجارة . الديوان : « لعينيك » واللسان : « مع الليل أبطح » .

(استطراد لغوى)

قال : والخرشاء[1] : القشرة الغليظة بعد أن تنقب فيخرج مافيها ، وجماعةُ الخراشىّ[2] ، غير مهموز . قال : وخرشاء الحيّة : سلخها حين تَسْلخ[3] وقال . هذا أسود سالخ ، وهذان أسودان سالخان ، وأساود سالخة .

وقال مرقِّش :

إن يَغْضَبُوا يغضب لِذَا كُمْ كما ... يَنْسلُّ عَنْ خِرْشَائِهِ الأَرْقَمُ

(تعليق الحلى والخلاخيل على السليم)

وكانوا يَرَوْنَ أنَّ تعليقَ الحَلْىِ ، وخَشخَشَةَ الخلاخيل على السَّليم ، ممَّا لايفيق ولا يَبْرأ إلاَّ به . وقال زَيْدُ الخيل :

أيم يكون النعل منه ضَجِيعَه ... كما عُلِّقت فوقَ السليم الخَلاَخِلُ[4]

وخبّرنى خالد بن عقبة ، من بنى سلمة بن الأكوع ، وهو من بنى المسيع ، أنّ رجُلاً من حَزْن ، من بنى عذرة ، يسمَّى أشباط ، قال فى تعليقهم الحَلْىَ على السَّليم :

---

(١) جاءت هذه الكلمة مقصورة فى الأصل ، وصوابها المد .

(٢) جماعه : أى جمعه . وفى ط ، هـ : « جاعة » س : « جاعته » وصوابه ما أثبت . وكلة « الخراشىّ » هى فى ط ، س : « الخراش » وفى هـ : « الخراشاء » تحريف ، صوابه من اللسان والقاموس والمقصور ٣٨ .

(٣) س : « تنسلخ » . وخرشاء ، هى مقصورة فى الأصل والصواب مدها ، كما سيأتى فى ص ١١١ .

(٤) الخلاخل : جمع خلخل وهو الخلخال ، ذاك الحلى . وكان العرب يعلقون الجلاجل أيضاً على اللديغ ، جمع جلجل ، وهو الجرس الصغير . انظر لذلك بلوغ =

أرقتُ فلم تَطعَمْ لى العَيْنُ مَهْجَعَا ... وَبِتُّ كما بَاتَ السليمُ مُقَرَّعَا[١]
كأنى سليمٌ نَالَهُ كَلْمُ حَيَّةٍ ... تَرَى حَوْلَهُ حَلْىَ النِّساءِ مُرَصَّعَا[٢]

٨٣ وقال الذُّبيانىّ :

فبتُّ كأنِّى ساورتْنى ضَئيــلةٌ ... من الرُّقْشِ فى أنيابها السّمُّ ناقعُ
يُسَهَّدُ من ليل التَّمام سليمُها ... لحــلْى النِّسَاءِ فى يديه قَعاقِعُ

(استطراد فيه لغة وشعر)

قال : ويقال لسان طلْق ذَلِق[٣] . ويقال للسليم إذا لُدِغ قد طلِّق ، وذلك حين تَرْجع إليه نفسُه . وهو قول النابغة :

تناذَرها الرّاقُونَ من سُوءِ سمِّها ... تطلِّقُه طوراً وطوراً تُراجِــعُ[٤]

وقال العبدى[٥] ــ إن كان قاله ــ :

= الأرب (٢ : ٣٠٤) وما أورد من الشواهد . وجاء فى شرح الوزير أبى بكر لديوان النابغــة ٥٢ : « كان الحلى فى الزمان الأول له جلاجل يسمع صوته من المرأة إذا مشت » .

(١) مقرعا ، بالقاف بعدها راء : من التقريع ، وهو الإقلاق .

(٢) مرصعاً : معقوداً . وفى نهاية الأرب (٢ : ٣٠٥) : « موضعاً » وهى صحيحة ، من وضع البانى الحجر ، بالتشديد : نضد بعضه على بعض .

(٣) فى القاموس : « وطلق اللسان بالفتح والكسر ، وكأمير . ولسان طلق ذلق ــ ضبط كل منهما ككتف ، بالقلم ــ وطليق ذليق ، وطلق ذلق بضمتين ، وكصرد وكتف : ذو حدة » .

(٤) تناذرها الراقون : أنذر بعضهم بعضاً ألا يتعرضوا لها . فى الأصل : « تبادرها » وصوابه من الديوان ٥٢ والمخصص (٩ : ٦٥) واللسان (نذر) والكامل ٥٠٧ ليبسك . ويروى : « من سوء سمعها » بفتح السين ، وبكسرها بمعنى الشهرة . تطلقه : أى تطلق « السليم » المذكور فى البيت السابق . والمعنى تخف الأوجاع عنه تارة وتشتد أخرى . قال المبرد : « وذاك أن المنهوش إذا ألح الوجع به تارة وأمسك عنه تارة فقد قارب أن يوأس من برئه » .

(٥) يعنى بالعبدى هنا ، الممزق العبدى ، صاحب البيت السائر (انظر الشعراء ٨٩) :
فإن كنت مأكولا فكن أنت آكلى ... وإلا فأدركنى ولما أمزق =

تَبِيتُ الهُمُومُ الطَّارِقاتُ يَعُدْنَنِي ... كَمَا تَعْتَرِي الأَهْوَالُ رَأْسَ المُطَلَّقِ[1]

وأنشد :

تُلَاقِي مِنْ تَذَكُّرِ آلِ ليلى ... كما يَلْقَى السَّلِيمُ مِنَ العِدَادِ[2]

والعِداد : الوقت . يقال : إنّ تلك اللَّسعة لتعَادّه[3] : إذا عاده الوجَع فى الوقت الذى لُسِع فيه .

(حديث الحمل المصْلىّ)

وذكر النبىُّ صلى الله عليه وسلم السمَّ الذى كان فى الحَمَلِ المَصْلِيّ ،[4] الذى كانت اليهوديةُ قدّمته إليه فنَالَ منه ، فقال : « إنّ تِلك الأُكْلَة لتُعَادُّنى[5] » .

---

(١) ط : « تعدننى » س : « تفدنى » هـ : « تعدنى » ، وصوابه ما أثبت من الكامل ٥٠٧ ليبسك . وفيه أيضاً : « كما تعترى الأوصاب » .

(٢) الرواية فى المخصص (٥ : ٨٨) والأضداد ٩٠ واللسان (عدد) : « يلاقى من تذكر » . وقد أقحم الشاعر كلمة « آل » فهى زائدة فى الكلام ، وأراد : من تذكر ليلى نفسها . مثله ماجاء فى الحديث : « لقد أعطى مزماراً من مزامير آل داود » أراد : من مزامير داود نفسه .

(٣) ط : « لتعتاده » صوابه فى س ، هـ .

(٤) المصلىّ : المشوى . صلى اللحم وغيره صليا : شواه . والمعروف فى الرواية أنها شاة ، لاحمل . تأويل مختلف الحديث ٢٢٥ ، والسيرة ٧٦٤ جوتنجن ، والتنبيه والإشراف ٢٢٣ . والذى أهدى الشاة هو زينب ابنة الحارث اليهودية ، امرأة سلام بن مشكم اليهودى ، وقيل : هى أخت مرحب اليهودى . الروض الأنف (٢ : ٢٤٣) ، وكانت سألت : أى عضو من الشاة أحب إلى الرسول ؟ فقيل لها : الذراع ، فأكثرت فيها من السم . وانظر بقية الخبر فى السيرة (غزوة خيبر) .

(٥) ط : « لتعتادنى » وصوابه فى س ، هـ والروض الأنف ، وتأويل مختلف الحديث ، والمخصص (٥ : ٨٨) والأضداد ٩٠ واللسان (عدد) . والرواية فى هذه المصادر : « مازالت أكلة خيبر تعادنى فهذا أوان قطعت أبهرى » . =

(جلد الحية)

وفى الحيّة قِشْرُها ، وهو أحسنُ من كلّ ورقةٍ وثوبٍ ، وجَناحٍ ، وطائرٍ ؛ وأعجبُ من سِتْر العنكبوت ، وغِرْقِئ[1] البيض .

(ما يشبّه بلسان الحية)

ويقال فى مثلٍ ، إذا مدحوا[2] الخُفَّ اللَّطيف ، والقَدَمَ اللَّطِيفة ، قالوا : كأنّه لِسَانُ حَيَّة .

(نفع الحية)

و بالحيّة يُتداوَى من سمّ الحيّة . ولِلدغ الأفاعى يُؤْخَذ التِّرياقُ الذى لا يُوجَدُ إلاّ بمتون[3] الأفاعى . قال كُثَيِّر :

وما زالَتْ رُقَاكَ تَسُلُّ ضِغْنِى ... وتُخْرِجُ مِنْ مَكَامِنِهَا ضِبَابِى[4]

وَتَرْقِينِى لكَ الحاوُون حَتَّى ... أجَابَكَ حَيَّةٌ تحتَ الحِجَابِ[5]

= وقد قال هذا القول فى مرضه الذى توفى فيه . وهو دليل على أنه صلى الله عليه وسلم مات شهيداً .

(١) الغرقئ ، كزبرج : القشرة الملتزقة ببياض البيض .

(٢) فى الأصل : « مدح » .

(٣) ط : « لايؤخذ إلا بمنون » س ، هـ : « لايؤخذ إلا بمتون » وصوابهما ما أثبت . والمتن : الظهر .

(٤) الضباب ، بالكسر : جمع ضب ، بالفتح والكسر ، وهو الضغن والعداوة . وهو يخاطب بهذا الكلام عبد العزيز بن مروان كما فى الموشح ١٤٣ والصناعتين ٧٢ وزهر الآداب (٢ : ٦٣) وابن سلام ١٢٥ ليدن . وفيها جميعاً نقد جيد لهذين البيتين .

(٥) ترقينى ، كذا فى الأصل ، وهى صحيحة . وفى الكتاب : « إلا الذين آمنت به =

(قصة امرأة لدغتها حية)

جويبر بن إسماعيل، عن عمّه، قال : حججتْ فإنّا لفى وَقْعَةٍ مَعَ قوم[١] نزلوا منزلنا[٢]، ومعنا امرأة، فنامت[٣] فانتبهتْ وحيّةٌ منْطوية عليها، قد جمعتْ رأسَها مع ذنبها بين ثديها[٤]، فهالها ذلك وأزعجنا، فلم تزلْ مُنطوية عليها لا تضرُّها بشيء، حتّى دخلْنا أنصاب الحرم[٥]، فانسابت فدخلَتْ مكّة، فقضَينا نُسكَنا وانصرفْنا، حتّى إذ كنّا بالمكان الذى انطوتْ عليها فيه الحيّة، وهو المنزل الذى نزلناه، نزلَتْ فنامت واستيقظت، فإذا الحيّةُ منطويةٌ عليها، ثمّ صَفَرت الحيّةُ فإذا الوادى يسيلُ حيّاتٍ عليها، فنهشتْها حتّى نقتْ[٦] عظامَها، فقلت لجارية: كانت لها : ويْحكِ : أخبرينا عن هذه المرأة . قالت : بغَتْ ثلاث مرّاتٍ، كلّ مرّة تأتى بولدٍ، فإذا وضعتْه سجَرت التنّور[٧]، ثمّ ألقته فيه .

٨٤

= بنو إسرائيل» . انظر لذلك ما أسلفت فى ص ١٩٣ . والرواية فى المصادر : « ويرقبنى » . والحاوون : جمع حاو . وفى ط ، س : «الحادون». و هـ : « الحاؤن » محرفان ، صوابهما فى المراجع المتقدمة .

(١) الوقعة ، بالفتح : النومة فى آخر الليل . ط ، س : « من قوم » صوابه فى هـ .

(٢) ط ، س : « إذ نزلوا منزلنا » هـ : « إذ أنزلوا منزلنا » ، وكلمة « إذ » مقحمة .

(٣) س : « فقامت » .

(٤) ط ، هـ : « ثديها » س : « أيديها » وصوابه ما أثبت .

(٥) أنصاب الحرم : حدوده ، كما فى القاموس واللسان .

(٦) نقى العظم نقياً : استخرج نقيه . والنقى بالكسر : مخ العظام .

(٧) سجرت التنور : أحميته وأوقدته . والسجور، بالفتح : الوقود . وفى الأصل « شجرت » وهو تصحيف . والتنور : ما يخبز فيه .

(قول امرأة فى علىٍّ والزّبير وطلحة)

قال ونظرت امرأةٌ إلى علىٍّ ، والزُّبير ، وطلحة ، رضى الله تعالى عنهم ، وقد اختلفَتْ أعناقُ دوابِّهم حين التقَوا ، فقالت : من هذا الذى كأنه أرقَمُ يتلمَّظ ؟ قيل لها : الزُّبير . قالت : فمن هذا الذى كأنّه كُسِر ثمّ جُبِر[١] ؟ قيل لها : علىٌّ . قالت : فمن هذا الذى كأنّ وجهه دينارٌ هِرَقْلِىٌّ[٢] ؟ قيل لها : طلحة .

(استطراد لغوى)

وقال أبو زيد : نهشت أنْهَشُ نهشاً . والنَّهش : هو تناولك الشّىء بفيك ، فتمضَغُه فتؤثِّر فيه ولا تجْرحه . وكذلك نَهْش الحيَّة . وأمَّا نَهْش السَّبع فتناوله من الدَّابَّةِ بفيه ، ثمّ يقطع ما أخذَ منه فوه . ويقال نهشت اللحم أنْهَشُه نهشاً[٣] ، وهو انتزاع اللَّحم بالثَّنايا ؛ للأكل . ويقال نَشَطت العَقْد نَشْطاً : إذا عقدته بأنْشوطة[٤] . ونَشَطت الإبلُ تنشِط نَشْطاً : إذا ذهبتْ على هدًى أو غيرِ هدى ، نزعاً أو غير نزْع . ونشطَتْهُ الحَيَّةُ فهى

(١) وذلك أن علياً كان قصيراً حادراً ضخم البطن أفطس الأنف دقيق الذراعين . المعارف ٩١ .

(٢) الدينار الهرقلى نسبة إلى هرقل . قال الأب أنستاس فى حواشى النقود العربية ٢٥ : « وكان ذهبه من أحسن الذهب ، وشكله حسناً بديعاً » . وقد روى ابن قتيبة حديث هذه المرأة فى عيون الأخبار (٤ : ٢٥) برواية أخرى .

(٣) فرق بعض اللغويين بين (النهش) و (النهس) فقالوا : نهش اللحم : أخذه بأضراسه . ونهسه : أخذه بأطراف الأسنان . وسوّى بعضهم بينهما .

(٤) الأنشوطة ، بالضم : عقدة يسهل انحلالها . ط ، هـ : « بالنشوطة » صوابه فى س . وفى اللسان : « ونشطت العقد : إذا عقدته بأنشوطة » .

تنشُطه نَشْطاً ، وهو أن تَعَضّه عضًّا . ونكزَتْهُ الحَيَّةُ تنكُزُه نكزًا ، وهو طعنُها الإنسانَ بأنفها[1] . فالنَّكز من كلِّ دابّةٍ سوى الحيَّة العضّ . ويقال: نَشَطَتْهُ شَعُوبُ نَشْطاً[2] وهى المنيَّة :

قال : وتقول العرب . نشطته الشَّعوب ، فتدخل عليها التعريف .

(علة تَسمية النَّهيش بالسَّليم)

ويسمون النهيش سليماً على الطيرَة[3] . قال ابنُ ميَّادة :

كأنِّى بها لمـا عرَفْتُ رُسومَها ... قتيلٌ لدَى أيدِى الرُّقاةِ سَليمُ

(شعر فى الحية)

وممَّا يضربون به المثَلَ بالحيَّاتِ فى دواهى الأمر ، كقول الأُقَيْبِل القينىِّ[4] .

لَقَدْ علِمْتُ ، وخَيرُ القَوْلِ أنفَعُهُ[5] ... أنَّ انطلاقى إلى الحَجَّاجِ تَغرِيرُ

---

(١) فى الأصل : « بفيها » . وهو تحريف ، تصحيحه من اللسان والقاموس .

(٢) شعوب ، بالفتح ومنع الصرف : علم للمنية ، سميت بذلك لأنها تشعب أى تفرق . ودخول (أل) عليها ، مثل دخولها على العباس ، والحسن ، والحارث .

(٣) الطـيرة ، كعنبة : ما يتشاءم به من الفأل الردىء . فالمعنى على تشاؤمهم من تسميته بالنهش .

(٤) هو الأقيبل بن نبهان بن خنيف ، شاعر إسلامى كان فى زمن الحجاج . وكان الأقيبل مع الحجاج بن يوسف حين خرج إلى ابن الزبير ، فهرب من الحجاج لما رأى البيت يضرب بالمجانيق ، وقال شعراً أغضب الحجاج فطلبه فاحتمى بقبر مروان ، فأمنه عبدالملك وكتب إلى الحجاج ألا يعرض له فقال له قومه : إنك إن أتيت الحجاج قتلك، فطرح الكتاب وهرب ، وقال الشعر الآتى . وفى الأصل ، وكذا الجزء السابع ص ٣٢ : « العتبى » وصوابه من المؤتلف ٢٤ ومن نسخة كوبريلى الجزء السابع . وهو نسبة إلى بنى القين بن جسر .

(٥) رواية الآمدى :

* إنى لأعلم والأقدار غالبة *

لَئِنْ ذَهَبْتُ[1] إلى الحَجَّاجِ يَقْتُلُنِى ... إِنِّى لَأَحْمَقُ مَنْ تَحْدَى بِهِ العِيرُ
مستحقباً صُحفاً تَدْمَى طَوَابِعها[2] ... وفى الصَّحائِفِ حَيَّاتٌ مَنَاكِيرُ

(استطراد لغوى)

وقال الأصمعىّ : يقال للحيَّة الذَّكر أيِّم وأيم ، مثقَّل ومخفف ، نحو ليِّن ولين ، وهيِّن وهَين . قال الشَّاعر[3] :

هَيْنُونَ لَيْنُون أيسارٌ ذَوُو يسَرٍ ... سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاء أَيْسَارِ

وأنشد فى تخفيف الأيم وتشديده[4] :

ولقد وَرَدْتَ الماء لم تَشْرَبْ بِهِ ... زَمَنَ الرَّبِيع إلى شُهور الصَّيِّفِ[5]
إلاّ عَوَاسِرُ كالمِراط مُعِيدَةٌ ... بالَّليل مَوْرِدَ أيِّم متغضِّفِ[6]

---

(١) رواية الآمدى :

* لئن حدى بى . . . . . *

(٢) استحقب الشئ : حمله فى مؤخرة الرحل . ط : « مستحليا » س : « مستخفيا » هـ : « مستحفيا » وهو تحريف ما أثبت من المؤتلف والجزء السابع . والطوابع : جمع طابع ، بفتح الباء وكسرها ، وهو الخاتم الذى يختم به الرسائل ونحوها . ط ، هـ : « طوائعها » س : « طوالعها » صوابهما من الجزء السابع .

(٣) انظر تحقيق اسمه فى (٢ : ٨٩) ، وكذا شرح البيت ورواياته فى : (٢ : ٩٢) .

(٤) قائل البيتين هو أبو كبير الهذلى ، كما فى اللسان (صيف ، غضف) وأمالى القالى (٢ : ٨٩) .

(٥) وردت ، بفتح تاء المخاطب ، يخاطب رجلا رثاه من قومه . وقبل البيت ، كما فى تنبيه البكرى ٩٩ :

أزهير إن أخا لنا ذا مرة ... جلد القوى فى كل ساعة محرف
فارقته يوما بجانب نخلة ... سبق الحمام به زهير تلهفى

وفاعل « تشرب » هو « عواسر » فى البيت الآتى . وروى فى الأمالى ، واللسان : « يشرب » .

(٦) « بالليل » هى فى الأصل : « بالعسل » وتصحيحه من اللسان (عسر ، صيف ، غضف) والأمالى .

الصَّيِّف ، يعنى مَطَرَ الصَّيف[1] . والعواسر : يعنى ذئابا رافعة أذنابها. ٨٥
والمِراط : السهام التى قد تمرَّط ريشها . ومُعيدة . يعنى معاودة للوِرْد .
يقول هو مكانٌ لخلائه[2] يكون فيه الحيَّاتُ ، وتَرِدُه الذِّئاب . ومتغضِّف
يريد بعضُهُ على بعض ، يريد تثنى الحيَّة .

وأنشد لابن هند[3] :

أودَى بأمِّ سُليمَى لاطِئٌ لَبِدٌ ... كحيَّةٍ مُنْطَوٍ من بينِ أحجارِ[4]

وقال محمد بن سَعيد[5] :

قريحة لم تُدنِّيها السِّياط ولم ... تُورَدْ عِرَاكاً ولم تعصر على كَدَرِ[6]
كمنْطَوَى الحَيَّةِ النَّضناضِ مكمنها ... فى الصَّدر مالم يهيِّجْها على زَوَرِ
الليث للَّيثِ منسوبٌ أظافرُهُ[7] ... والحيَّةُ الصِّلُّ نجلُ الحَيَّةِ الذَّكَرِ

---

(١) فى الأصل : « مطرا الصيف » وتصحيحه من اللسان (صيف) والأمالى .

(٢) فى الأصل : « هو مكان الخلاية » تحريف ما أثبت . وعبارة القالى : « هذا المكان لخلائه ، من موارد الحيات » أى لكونه خاليا ترده الحيات .

(٣) لعله : عمرو بن هند النهدى ، أحد من مدح ابن الزبير . انظر معجم المرزبانى ٢٢٧

(٤) الحية تذكر وتؤنث .

(٥) ط ، هـ : « سعد » ، وأثبت ما فى س . وقد ذكر المرزبانى من اسمه محمد بن سعد الكاتب التميمى ، وهو عربى بغدادى وأنشد له الأبيات التى أولها :

سأشكر عمراً إن تراخت منيتى ... أيادى لم تمنن وإن هى جلت

وقد روى الجاحظ الأبيات بعينها ، فى الرسائل ٢٣ ساسى ، ونسبها إلى محمد بن سعيد قال : « وهو رجل من الجند » . فان صدق حدسى كان محمد هذا هو صاحب الأبيات المشار إليها بعينه .

(٦) القريع : الخالص . وعنى أن هذه الإبل أو الناقة التى ينعتها خالصة النسب . ويقال أورد إبله العراك وأوردها عراكا : أى أوردها الماء مزدحمة . وجاء فيه قول لبيد (وهو من شواهد النحويين) :

فأوردها العراك ولم يذدها ... ولم يشفق على نغص الدخال

وفى الأصل : « ولم تردد » وصوابه ما أثبت .

(٧) ط : « أظافره » صوابه فى س ، هـ .

وقال ذو الرُّمّة :

وأحْوَى كأيم الضَّالِ أطْرَقَ بَعْدَمَا ❊ حَبَا تحتَ فينانٍ من الظِّلِّ وارفِ[1]

قال : ويقال انبسَّت الحيَّات[2] : إذا تفرّقت وكثُرت . وذلك عند إقبال الصَّيف . قال أبو النَّجم :

❊ وأنبسَ حيَّاتُ الكثيبِ الأهْيَلِ[3] ❊

وقال الطِّرِمَّاح :

وَتَجرَّدَ الأسروعُ وَاطَّرَدَ السَّفَا ❊ وَجرَتْ بجاليْهَا الحِدَابُ القَرْدَدُ[4]

وأنسابَ حَيَّاتُ الكثيبِ وأقبلَتْ ❊ وُرْق الفَرَاشِ لما يَشُبُّ المُوقِدُ[5]

قال : ويقال جبأ عليه الأسودُ من حجره : إذا فاجأه . وهو يجبأ جبأً وجَبْوًا .

وقال رجلٌ من بني شيبان :

وَما أنَا مِنْ رَيْبِ المَنُونِ بِجُبَّإٍ ❊ وَمَا أنَا مِنْ سَيْبِ الإلهِ بِيائِسِ[6]

---

(١) الأحوى ، عنى به زمام الناقة ، كما فى المخصص (١٠ : ٩٥) والأحوى : الذى يضرب سواده إلى الحمرة . والضال : نبت . وحبا : دنا ، كما فى اللسان (حبا) حيث استشهد بالبيت .

(٢) أنبست ، بالسين ، كما فى س واللسان . وفى ط ، ه : « أنبشت » مصحف . وكلمة « الحيات » هى فى س ، ط : « الحية » وتصحيحها من ه .

(٣) ط ، ه : « وانبش » صوابه فى س . وفى س ، ط : « الكثيف » صوابه فى ه . والكثيب الأهيل : الرمل السائل الذى لا يثبت .

(٤) فى الأصل : « وجرت بحالتها » . وانظر ما سبق فى ص ٢٢٥ حيث تجد شرح البيت .

(٥) فى الأصل : « زرق الفراش » وتصحيح الرواية مما سبق ص ٢٢٥ .

(٦) الجبأ ، بضم الجيم وتشديد الباء المفتوحة : الهيوب الجبان . وقد وهم أبو عمرو الشيبانى فى تفسير هذه الكلمة من هذا البيت فجعلها الناجى من الأمر الذى انفلت منه . وقد اعترضه صاحب التنبيهات على أغلاط الرواة . وروى فى المخصص =

(مايَشرع فى اللبَن)

قال : ويقال : اللَّبن مُحْتَضَرٌ[١] فغطِّ إناءك . كأنَّهمْ يَرَوْنَ أنّ الجنَّ تَشْرَعُ فيه[٢] ، على تصديقِ الحديث فى قَول المفقود[٣] لعمر ، حينَ سأَله وقد استَهْوَتْهُ الجانّ : ما كان طعامهم ؟ قال الرِّمَّة . يريد العظم البالى . قال : فما شرابهم ؟ قال : الجَدَف . قال : وهو كلُّ شراب لايُخمَّر[٤] .

وتقول الأعراب : ليس ذلك إلاّ فى اللّبَن . وأمّا النّاس فيذهبون إلى أنَّ الحَيَّاتِ تشرع[٥] فى اللَّبَنِ ، وكذلك سامُّ أبرص ، وكذلك الحيّات تشرع فى كثير من المرق .

(حديث فى المعصفر)

وجاء فى الحديث : « لاتَبيتُوا فى المعَصْفر[٦] ؛ فإنها مُحْتَضَرَةٌ » أى يحضرها الجنُّ والعُمَّار .

= (٦ : ١٢) : « فما أنا من ريب الزمان » . والسيب ، بالفتح : العطاء . وروى فى المخصص (٣ : ٧٠) : « وما أنا من سيب الإلـه بآيس » على القلب

(١) محتضر : يحتضره الجن ، والدواب وغيرها من أهل الأرض . س : « فقد أتاك » محرف .

(٢) تشرع فيه : تدخل فيه لتشرب . وفى الأصل : « تسرع فيه » مصحف .

(٣) أى الذى كان قد استهوته الجن ، فيما يروون .

(٤) لايخمر : أى لايغطى .

(٥) فى الأصل : « تسرع » . وانظر ماسبق قريباً .

(٦) المعصفر : المصبوغ بالعصفر ، وهو زهر القرطم . ط : « العصفر » صوابه فى س ، هـ . وقد أعاد إليه ضمير المؤنث لما فيه من معنى الثياب .

وقال الشاعر فيما يمجُنُونَ[١] به ، من ذكر الأفعى :

رَمَاكَ اللهُ مِنْ أيرٍ بِأَفْعَى ولا عافَاكَ من جَهدِ البَلاَءِ[٢]

٨٦ أجُبْناً فى الكريهة حِينَ تَلْقَى وَنَعْظاً ماتفتُرُ فى الخَلاء ! !

فلولا اللهَ ما أمسى رَفيقى ولولا البولُ عُوجِلَ بالخِصاء

وقال أبو النّجم[٣] :

نظَرَتْ فأَعجبها الذى فى دِرْعِها من حُسْنها ونظرتُ فى سِرباليا[٤]

فرأتْ لهـا كفلا ينوء بخَصْرِها وعثا روادفُهُ وأخْثَمَ ناتيا[٥]

---

(١) يمجنون ، من المجون . وفى الأصل : « يحكون » وصوابه ما أثبت . والشعر الآتى وما بعده مجونى .

(٢) سبقت هذه الأبيات فى (١ : ١٧٦) .

(٣) كان أبو النجم قد دخل على هشام بن عبد الملك ، وقد أتت له سبعون سنة ، فقال له : ياأبا النجم ! كيف أنت والنساء ؟ قال : والله ياأمير المؤمنين ، ما أنظر إليهن إلا شزراً ، ولا ينظرن إلىّ إلا كرها ! وعلى رأس هشام وصيفة تذب عنه، فقال : ياأبا النجم خذ هذه الوصيفة فابل بها نفسك ، واغد علىّ بخبرك . فانصرف بها . فلما كان من الغد غداعليه ،فقال : ماالذى صنعت يا أبا النجم ؟ فقال : لا والذى أكرمك بالخلافة يا أمير المؤمنين ، ماصنعت شيئاً ولا قدرت عليه ! وقد قلت فى ذلك أبياتا . ثم أنشده الشعر الآتى . فضحك هشام وأمر له بخمسة آلاف درهم وقال له : خذ هذه فاجعلها عوضاً مما فاتك . الأغانى (٩ : ٧٧) وكتاب المختار من شعر بشار ص ٢٠٩ .

(٤) الدرع : القميص . رواية الأغانى : « من حسنه » والمختار ، « من خلقها » .

(٥) ينوء بخصرها : أى ينوء خصرها بحمل كفلها ويثقل عليه ذلك . وهذا الضرب من التعبير يسمى القلب . وعثا روادفه : أصل الوعث : المكان السهل الدهس تغيب فيه الأقدام . وهذه هى رواية ط والأغانى والمختار . وفى س ، هـ : « وعسا » بالسين ، وهى بمعنى الأول . والأخثم : المرتفع الغليظ . وناتيا . أى بارزاً ، وأصله ناتئا . ورواية الأغانى والمختار : « جاثيا » .

وَرأيتُ منتشِرَ العِجانِ مُقبَّضًا ... رِخْـوًا حمائلُهُ وَجِلْدًا باليا[1]

أُدْنِي له الرَّكَبَ الحَلِيقَ كأنَّمـا ... أُدنى إليــه عقاربًا وأفاعيا[2]

وقال آخر[3] :

مريضةُ أثناءِ التَّهادِى كأنَّمـا ... تخافُ على أحشائها أنْ تَقَطَّعا[4]

تسيب انسيابَ الأيْمِ أخصَرَه النَّدَى ... يرفِّع من أطرافه ما ترفَّعَا[5]

(شعر فى العقربان)

وقال إياسُ بن الأرَتّ[6] :

كأنَّ مَرْعَى أمِّكُمْ سوءَة ... عقْرَبةٌ يَكُومُهَا عُقْرُبانْ[7]

---

(١) فى المختار : « منتفخ العجان مقلصا » والأغانى . « رخوا مفاصله » . وبين هذا البيت والذى قبله بيت رواه صاحب المختار ، وهو :

ارفع جبينك فيم أنت منكس ... أفضحتنى وطردت أم عياليا

(٢) الركب ، بالتحريك : الهن . وفى المختار . « أدنى لك ... ... كما أدنى إليك » على الخطاب . وبعد هذه الأبيات خمسة أخرى فى الأغانى ، منها اثنان فى المختار .

(٣) بدله فى محاضرات الراغب (٢ : ١٣٩) : « ويستحسن للسعدى » أى رجل من بنى سعد .

(٤) التهادى : مشى فى تمايل وسكون . هـ : « التهاوى » صوابه فى س ، ط والمحاضرات والحماسة (٢ : ٩٣) . والرواية فى المحاضرات والحماسة : « مريضات أوبات التهادى » . ينعتها أو ينعتهن بلين المشية ودقة الخصر .

(٥) يقول : تتدافع فى السير تدافع تلك الحية التى أثر فيها برد الندى ، فهى فى مشيتها البطيئة وتدافعها ذلك ، ترفع من أجزائها بعضاً . ورواية المحاضرات والحماسة : «فرفع من أعطافه» .

(٦) لم أجد له ترجمة إلا ماقال صاحب القاموس فى (رتت) : « وإياس بن الأرت ، كريم ، شاعر » .

(٧) مرعى : اسم أمهم . يكومها : يخالطها . والعقربان ، بالضم : ذكر العقارب ، أو دويبة صفراء طويلة كثيرة القوائم ، تسمى فى مصر (أم أربعة وأربعين) =

إكليلُها زَوْلٌ وفى شَوْلِها وَخْزٌ حَدِيدٌ مِثْلُ وخزِ السنانْ(١)

كلُّ امرئٍ قَدْ يُتَّقَى مُقْبِلاً وأُمُّكُمْ قد تُتَّقَى بالعِجَانْ(٢)

وقال آخَرُ(٣) لِمُضِيفِهِ :

تَبِيتُ تُدَهْدِهُ القِذَّانَ حَوْلِى كأَنَّكَ عِنْدَ رأسِى عُقْرُبانُ(٤)

فلو أطعمتنى حَمَلاً سَمِينًا شَكَرْتُكَ ؛ وَالطَّعامُ له مكانُ(٥)

= ويسميها العرب أيضاً دخال الأذن، ويسميها علماء الافرنج : Centipede.
وعلى الوجه الثانى من التفسير استشهد صاحب اللسان بالبيت . ولست أستجيده .
وقد أسلفت كلاما على هذا الشعر فى (٢ : ٢٨٦) .

(١) كنى عن قرنى العقرب بالإكليل . التبريزى (٤ : ٢٤) . والزول : الخفيف الحركة ، أو العجب . والشول : رفع الذنب . والوخز ، بالزاى : طعن لاينفذ . حديد : قوى . س ، ه . « وخذ حديد » وصوابه فى ط والحماسة . وفى س « مثل وخذ » و ه . « مثل خز » وهما تصحيفان .

(٢) أى إذا أدبرت . ولعله يعنى أنها إذا غابت نمت بين الناس .

(٣) قائل الشعر الآتى هو الهيردان بن اللعين المنقرى . والهيردان ، بفتح الهاء بعدها مثناة تحتية وراء مضمومة . وقد ذكره المرزبانى فى معجمه ٤٨٨ . وأما أبوه اللعين المنقرى فقد أسلفت ترجمته فى (١ : ٢٥٦) . وكان من قصة الهيردان أنه نزل فى البصرة على رجل من الصلحاء يقال له ثبيت ، فأطعمه تمراً وأسقاه لبنا وقام يصلى ، فقال الهيردان الشعر الآتى . وقبل البيت الأول :

لخبز يا ثبيت عليه لحم أحب إلى من صوت الأذان

انظر معجم المرزبانى . وقد روى القالى فى أماليه (٣ : ١٧) هذه القصة ، ولم يذكر فيها اسم الهيردان ، وقال إن ثبيتا هذا نزل به قوم ليلة فلم يعشهم وقام يصلى ، فقال رجل منهم الشعر الآتى .

(٤) يدهده : يدحرج أو يقلب بعضه على بعض . والقذان : البراغيث ، واحدها قذة ، كقوة . والرواية الجيدة : « تدهور القرآن » ودهور كلامه : قحم بعضه فى إثر بعض . والعقربان سبق شرحه فى التنبيه السابع من الصفحة السابقة . وقال القالى فى شرح هذا البيت : « واختلفوا فى العقربان ، فقال قوم : هو ذكر العقارب ، وقال قوم : هو دخال الأذن . وهو الوجه » . وانظر التنبيه المشار إليه .

(٥) كذا الرواية أيضاً فى عيون الأخبار (٣ : ٣٢٠) ولم يروه المرزبانى . ورواية القالى :

فلو أطعمتنى خبزاً ولحماً حمدتك والطعام له مكان

(شعر فى الحيات والأفاعى)

وقال النّابغة :

فلو يستطيعون دبَّتْ لنا مَذَا كِى الأفاعى وأطفالُها[١]

وقال رجلٌ من قريش :

مازالَ أَمْرُ وُلاةِ السُّوءِ مُنْتشِرًا حتَّى أظلّ[٢] عليهم حَيّةٌ ذَكَرُ
ذو مِرّةٍ تَفْرَقُ الحيَّاتُ صَوْلَتَهُ عَفُّ الشَّمائِلِ قَدْ شُدَّت له المِرَرُ[٣]
لم يأتِهم خَبَرٌ عَنْهُ يلينُ له حتّى أتاهُمْ به عن نَفْسِهِ الخبرُ

وقال بشار :

تَزِلُّ القَوَافى عَنْ لِسَانِى كأَنها حُمَاتُ الأفاعى ريقهُنّ قَضَاءُ[٤]

[وقال[٥]] :

فكم من أخٍ قد كان يأمُلُ نفعَكمْ شجاعٍ له نابٌ حديدٌ ومِخْلَبُ[٦]
أخ لو شَكَرْتمْ فِعْلَهُ لو عَضَضْتمُ رُءوسَ الأفاعى عَضّ لا يتهيَّبُ[٧] ٨٧

---

(١) المذاكى : جمع المذكى ، بتشديد الكاف المكسورة ، وهو المسن من كل شىء .

(٢) كذا فى الأصل بالظاء المعجمة .

(٣) المرر : جمع مرة ، بالكسر ، وهى القوة . أراد أنه قوى الشكيمة .

(٤) الحمات : جمع حمة بضم ففتح ، وهى ماتلدغ به الأفعى . وفى الأصل : « حماة » محرف . ريقهن قضاء : أى فيه القضاء على من سرى فيه . ط ، هـ : « قضاب » صوابه ما أثبت من س والمختار من شعر بشار ص ٩٠ . وقبل هذا البيت :

وقد علمت عليا معد بأننى إذا السيف أكدى كان فىّ مضاء

(٥) هذه الكلمة ليست بالأصل . وقد يكون القائل بشاراً ، وقد يكون غيره .

(٦) حديد : قوى .

(٧) فى الأصل : « لعضضتم » وبها يضطرب نسج البيت . والوجه ما أثبت . وقد حذف =

وقال الحارث دعيُّ الوليد[1]، فى ذكر الأسْوَدِ بالسمّ من بين الحيّات :

فإنْ أنتَ أقرَرْتَ الغَدَاةَ بِنِسْبَتِى عُرِفْتُ وإلاّ كنتُ قَقعاً بقَرْدَدِ[2]

ويَشْمَتُ أعداءٌ ويجذَلُ كاشحٌ عَمَرْتُ لهم سُمًّا على رأس أسْوَدِ[3]

قال آخر :

ومَعْشَرٍ مُنْقَعٍ لى فى صُدُورِهِمُ سمُّ الأساودِ يغلى فى المواعيدِ

وَسَمْتُهم بالقوافى فَوْقَ أعينهم وَسْمَ المعيدىِّ أعناقَ القاحيد[4]

وقال أبو الأسود[5] :

ليتَكَ آذنتنى بواحــدةٍ جَعلْتَها مِنْكَ آخِرَ الأبَدِ[6]

= جواب الشرط الأول ، اكتفاء بمايدل عليه جواب الشرط الثانى. أى لوشكرتم فعله لشاركـكم فى جميع ما أنتم فيه حتى لو تقحمّ الصعبة لتقحمها معكم .

(١) لم أعثر له على ترجمة فيما لدى من المراجع .

(٢) الققع : كمأة رخوة بيضاء . ويقال للذليل : « أذل من ققع بقرقرة » وذلك أن الققع لايمتنع على من جناه ، أو أنه يوطأ بالأرجل . أمثال الميدانى (٢ : ٥٩) والقاموس واللسان . والقردد : الأرض المستوية . وأما القرقرة فى المثل فهى الأرض المطمئنة اللينة .

(٣) عمرت لهم : أى أبقيت للأعداء .

(٤) أى جعل هجوه إياهم بالشعر السائر كالسمة الظاهرة فى جباههم . والقاحيد : جمع مقحاد ، بالـكسر ، وهو ماعظم سنامه من الإبل . و « المعيدى » كذا بالأصل . ولعلها « المعبد» بتشديد الباء الموحدة المـكسورة ، وهو الذى يعبد الإبل أى يطليها بالقطران ليعالج جربها ؛ فان المعيدى تصغير المعدى نسبة إلى معد ابن عدنان ، وليس له وجه مناسب .

(٥) مثل هذه النسبة فى عيون الأخبار (٣ : ١٨٩) . ونسبه ياقوت فى معجم الأدباء (١ : ١٩٣) إلى إبراهيم الصولى فى محمد بن عبد الملك الزيات . وصاحب العقد (٣ : ٣٩٧) إلى أبى زبيد . وأبو الأسود ، قال الجاحظ : اسمه ظالم بن عمرو ابن سفيان . وقال عمر بن شبة : اسمه عمرو بن سفيان بن ظالم . المزهر (٢ : ٢٦٣) . وأبو الأسود الدؤلى البصرى ، أول من أسس النحو ، وأول من نقط المصحف . وكان من سادات التابعين ، وكان شيعيا . انظر بقية نعته فى بغية الوعاة ٢٧٤ . توفى سنة ٦٧ بطاعون الجارف .

(٦) آذنه بالأمر : أعلمه . ورواية ابن قتيبة : « تجعلها منك » .

تخافُ ألاّ تبرّنى أبدًا فإنّ فيها بَرْدًا على كَبِدِى[1]
إن كان رزقى إليك فارْم به فى ناظِرَى حَيّةٍ على رَصَدِ[2]

وقال أبو السّفّاح[3] يرثى أخاه يحيى بن عميرة[4] ويسمّيه بالشجاع[5]:

يَغْدُو فلا تكذبُ شَدّاتُهُ كما عــدا اللّيثُ بوادى السِّباعْ
يجمَعُ عَــزْمًا وَأَناةً معًا ثُمّتَ ينْبَاعُ انبِيَاعَ الشجاعْ[6]

وقال المتلمّس:

فأطْرِقَ إطراقَ الشجاعِ، ولو يرَى مَسَاغا لنَابَيْهِ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا[7]

وقال معمر بن لقيط[8] أو ابن ذى القروح[9]:

شموسٌ يظلُّ القوم معتصما به وإن كان ذا حَزْمٍ من القَوْم عاديَا

---

(١) يقول: ليتك تخاف ألا تبرنى؛ فقد سئمت برك وما تحملنى من المنّ.

(٢) فى معجم الأدباء: «فى ماصفاحيه». وصواب مافى المعجم: «فى ماضغى حية»

(٣) كذا فى الأصل ومقطعات مراث ص ١١٦. وكذا فى الموفقيات للزبير بن بكار طبعة ووستنفلد. واسمه بكير بن معدان بن عميرة بن طارق اليربوعى. والشعر منسوب فى المفضليات ١٥٤ إلى السفاح بن بكير الثعلبي. نسبة إلى ثعلبة بن يربوع

(٤) وقال أبو عبيدة: هى لرجل من بنى قريع يرثى بها يحيى بن ميسرة، صاحب مصعب بن الزبير، وكان وفى له حتى قتل معه. انظر شرح المفضليات ٦٣٠. وكذا خزانة الأدب (٢: ٥٣٧ بولاق).

(٥) الشجاع: ضرب من الحيات.

(٦) ينباع: يثب ويسطو.

(٧) روى: «وأطرق» فى حماسة البحترى ١٥ ولباب الآداب ٣٩٣ والميدانى (١: ٣٩٥). وروى فى سر الصناعة: «لناباه». وبه يستشهد النحويون على إلزام المثنى الألف فى أحوال الإعراب الثلاث عند بعض القبائل. انظر الخزانة (٣: ٣٣٧ بولاق)، وقد أخذ هذا البيت عمرو بن شأس فقال (انظر معجم المرزبانى ٢١٣):

فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى مساغا لنابيه الشجاع لقد أزم

(٨) كذا. ولعله: «لقيط بن يعمر».

(٩) المعروف فى الشعراء: «ذو القروح» وهو امرؤ القيس.

أبيت كما بات الشجاع إلى الذُّرَى وأغدُو على همٍّ وإن بتُّ طَاوِيَا
وإنِّى أَهُضُّ الضَّيم مِنِّى بصارمٍ رهيفٍ وشيخٍ ماجدٍ قَدْ بَنَى لِيا[1]

وهكذا صفة الأفعى ؛ لأنها أبدًا نابتةٌ مستوية ، فإنْ أنكرَتْ شيئًا فَنَشْطتها كالبَرْقِ الخاطِف .

ووصف آخرُ أفعًى ، فقال :

وَقَدْ أُرانى بطوىِّ الحسِّ وذاتِ قرْنَيْنِ طَحُونِ الضِّرْس[2]
نضناضةٍ مثلِ انثناء المَرْسِ[3] تدير عَيْنًا كشهاب القَبْسِ
٨٨ لمّا التقَيْنَا بمَضِيقٍ شَكْسِ[4] حتى قَنَصْتُ قَرْنَهَا بِخَمْسِ[5]

وهم يتهاجَوْنَ بأكل الأفاعي والحيّات . قال الشاعر :

فإياكُمُ والرِّيفَ لاتقرُبنَّهُ فإن لديه الموتَ والحتمَ قاضيَا
همُ طردوكم عن بلادِ أبيكمُ وأنتمْ حُلولٌ تشتوون الأفاعيَا

وقال عمر بن أبى ربيعة :

ولمّا فقَدْتُ الصَّوتَ منهم وأُطْفِئَتْ مصابيح شُبَّت بالعِشاء وأنؤُر[6]

---

(١) أهض الضيم : أدفعه. وأصل الهض :الكسر والدق .
(٢) فى الأصل : « بجون الترس » . وأثبت ماعند الدميرى.
(٣) المرس ، وأصله المرس بالتحريك : الحبل . وقد سكن الراء للشعر . وفى الأصل : « الرس » ولا وجه لها .
(٤) شكس : ضيق . وانظر نهاية مادة (شكس) فى اللسان .
(٥) أى بخمس أصابع . س : « حتى قضت » وفى س ، ط : « قبوتها » وصوابها فى ه .
(٦) أنؤر ، بالهمز : جمع نار . قال المبرد فى الكامل ٣٨٣ ليبسك : « وقوله : وأنؤر ، إن شئت همزت ، وإن شئت لم تهمز » . ورويت : « أنور » عند العينى (١ : ٣١٨) .

وغاب قُمَيرٌ كنت أرجُو مَغيبَه ... وروَّح رُعيانٌ وهَوَّمَ سُمَّرُ

ونفَّضتُ عنِّي اللَّيلَ[1] أقبلتُ مِشْيَةَ الـ ... حُبَابِ، ورُكني خِيفةَ القومِ أزْوَرُ[2]

(ضرب المثل بسمِّ الأساود)

[و][3] ضَرَبَ كلثومُ بن عمرٍو، المثلَ بسمِّ الأساود، فقال[4] :

تلوم على تَرْكِ الغنى[5] بَاهليَّةٌ[6] ... طوى الدَّهرُ عنها كلَّ طِرْفٍ وتالِدِ

رأتْ حولها النِّسوانَ يرفُلْنَ في الكُسَا[7] ... مقلَّدةً أجيادُها بالقلائد

يسرُّكِ أنِّي نلتُ مانالَ جعفرٌ ... من الملك، أو مانال يحيى بنُ خالد[8]

---

(١) يروى : « ونفضت عنى العين » أى احترست منها وأمنتها . وقد أفرد العين وأراد بها العيون . والرواية هنا جيدة أيضا ، بل هى أطيب وألطف . ورواية العينى : « وخفض عنى الصوت » .

(٢) الحباب ، بالضم : الحية . أزور : مائل ، فهو يتخفى .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) فى الأغانى (١٢ : ٨) : « وكانت تحته امرأة من باهلة ، فلامته وقالت : هذا منصور النمرى قد أخذ الأموال ، خلى نساءه ، وبنى داره ، واشترى ضياعا ، وأنت ههنا كما ترى ! فأنشأ يقول . . » . وهو بهذا الشعر « يعرض بالبرامكة ، ويذكر عاقبة صحبة السلطان ، وأنه ما للمتعلق بها من غدر الزمان أمان » غرر الخصائص الواضحة للوطواط ٤٠٨ . والشعر متداول فى مراجع كثيرة ، منها عيون الأخبار (١ : ٢٣١) والعقد (٢ : ١٣٦) والبيان (٣ : ١٩٩) ومروج الذهب (٢ : ٤٩٥) وزهر الآداب : (٣ : ٣٩) وحماسة ابن الشجرى ١٤٠ ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢ ، ٢١٣) .

(٥) ط ، هـ : « الفناء » صوابه فى س والمراجع المتقدمة .

(٦) ط : « لأهله » هـ : « بأهلية » صوابه فى س والمراجع المتقدمة . والباهلية : امرأته .

(٧) الكسا : جمع كسوة . يرفلن : يتبخترن .

(٨) يعنى جعفرا البرمكى، ويحيى بن خالد البرمكى . أما جعفر وهو ابن يحيى بن خالد =

وأَنّ أميرَ المؤمنين أعَضَّنى مَعَضَّهمَا بالمُرْهَفَاتِ البَوَاردِ![1]

ذرينى تجئنى مِيتتى مُطْمئِنّةً ولم أتَقَحَّمْ هَوْلَ[2] تلكَ الموارِدِ

فإن كريمَاتِ المعالى مَشُوبَةٌ بمستَوْدَعاتٍ فى بطونِ الأساودِ[3]

(حيات الجبل)

وفى التشنيع لحيّات الجبل ، يقول اللَّعِينُ المِنقَرِىُّ[4] ، لرؤبة ابن العجّاج :

= البرمكي فقد قتله الرشيد فى قصة مؤسفة ، يرويها المسعودى فى مروج الذهب. وأما والده يحيي فقد حبسه الرشيد هو والفضل بن يحيي ، حتى ماتا فى حبسهما .

(١) أعضه الشيء : جعله يعضه . ومن عض السيف فقد أهلكه . وروى فى البيان والغرر وعيون الأخبار وحماسة ابن الشجرى والأغانى : « أغصنى مغصهما » والمرهفات : السيوف المرققات . والبوارد : التى تثبت فى الضريبة ، لا تنثنى . وهم يمدحون السيف بذلك ، قال طرفة :

أخى ثقة لا ينثنى عن ضريبة إذا قيل مهلا قال حاجزه قدى

وفى الأصل : « الفوارد » بالفاء ، وصوابه فى البيان وعيون الأخبار وحماسة ابن الشجرى والمروج والزهر . وفى العقد : « الحدائد » .

(٢) كذا فى ط وسائر المراجع . وانفردت س ، هـ برواية : « حول » ووجهها ضعيف .

(٣) كذا الرواية أيضاً فى البيان وعيون الأخبار . وفى الزهر : « فان رفيعات المعالى » والمروج : « فان نفيسات الأمور » والحماسة : « فان رفيعات الأمور » والعقد : « وجدت لذاذات الحياة » والأغانى : « رأيت رفيعات الأمور » وديوان المعانى (١ : ١٣) : « وإن جسيمات الأمور منوطة » . وهو مثل من أمثلة تصرف الرواة ، وروايتهم لبعض الشعر بالمعنى دون اللفظ .

(٤) روى البحترى فى حماسته ص ٨ البيتين منسوبين إلى المكعبر الضبى . واللعين المنقرى سبقت ترجمته فى (١ : ٢٥٦)

إنى أنا ابن جلا إن كنت تعرفنى يارُؤبَ ، والحيَّةُ الصَّماء فى الجَبَلِ [١]
أباالأراجِيزِ [٢] ياابنَ اللؤم تُوعدنى [٣] وفى الأراجيز جَلْبُ اللؤم والكَسَلِ [٤]

(خبران فى الحيات)

الأصمعىُّ ، قال : حدَّثنى ابن أبى طرفة . قال: مرَّ قومٌ حُجَّاجٌ من أهل اليمن مع المساء ، برجلٍ من هُذيل ، يقال له أبو خِراش ، فسألوه القِرَى ، فقال لهم : هذه قدرٌ ، وهذه مِسْقَاةٌ ، وبذلك الشِّعب ماء ! فقالوا : ماوفَّيتنا حقَّ قِرانا ! فأخذ القِرْبَة فتقلَّدَها يسقيهم ، فنهشته حَيَّة .

قال أبو إسحاق : بلغنى وأنا حدث ، أن النبى صلى الله عليه وسلم « نَهَى عن اخْتِناَث فم القِرْبة ، والشربِ [٥] منه » . قال : فكنت أقولُ إنَّ لهذا الحدث لشأناً ، وما فى الشرب من فم قِرْبَةٍ حتَّى يجىء فيها هذا النهى ؟! حتَّى قيل : إنَّ رجلاً شرِبَ من فم قِرْبةٍ ، فوكعته [٦] حيَّةٌ فمات ، وإنَّ الحيَّاتِ تدخُل فى أفواه القِرَب ، فَعلِمْتُ [٧] أنَّ كُلَّ شىء لاأعرفُ تأويلَه من الحديث ، أنَّ له مذهباً وإن جَهِلْتُه [٨] .

٨٩

(١) يقولون للرجل الظاهر لا يخفى مكانه : ابن جلا . وروى البحترى : « إن كنت تنكرنى » . قوله : « والحية الصماء » أى وأنا الحية الصماء .
(٢) كذا . والمراد : يا أبا الأراجيز . ورواية البحترى : « أبالأراجيز » .
(٣) فى س ، ط : « يوعدنى » صوابه فى هـ وحماسة البحترى .
(٤) روى : « خلت اللؤم والفشل » برفع اللؤم والفشل ، على الإقواء . وعند البحترى : « إن الأراجيز رأس النوك والفشل » .
(٥) اختنث فم القربة والسقاء : ثناه إلى خارج فشرب منه . وفى الأصل : « اجتثاث » بدل : « اختناث » وهو تحريف ، صوابه فى نهاية ابن الأثير واللسان (مادة خنث) من كل منهما . وانظر الجامع الصغير ٩٤١١
(٦) وكعته الحية : لدغته .
(٧) فى الأصل : « علمت » ووجهه ما أثبت .
(٨) وعلله أصحاب الحديث أيضاً ، بأن دوام الشرب هكذا مما يغير ريحه ، وبأنه يجعل الماء يترشش على الشارب لسعة فم السقاء . انظر النهاية واللسان (خنث) .

(شعر فى سلخ الحية)

وقال الشاعرُ فى سَلْخِ الحَيَّة :

حَتَّى إِذَا تَابَعَ بَيْنَ سَلْخَيْنْ وعادَ كالميسَمِ أحماهُ القَيْنْ[1]

أقبلَ وهو واثقٌ بِثِنْتَيْنْ : بِسَمِّهِ الرَّأسَ وَنَهْشِ الرِّجْلَيْنْ[2]

قال : كأنَّهُ ذهب إلى أنَّ سمَّه لا يكونُ قاتلاً مُجْهِزًا حتَّى تأتىَ عليه سنتان .

(قول فى سلخ الحية)

وزعم بعضهم أنَّ السَّلخَ للحيَّةِ مثلُ البزُولِ والقروح للخف والحافر .

قال : وليس ينسلخ إلاَّ بعد سِنينَ كثيرةٍ ، ولم يقفُوا من السِّنين على حَدٍّ .

وزعم بعضهم أنَّ الحَيةَ تَسْلخُ فى كُلِّ عامٍ مرَّتين ـ والسلخ فى الحيات كالتَّحسير من الطير ـ وأنَّ الطير لاتجتمع قوتَّهُ إلاَّ بعد التحسيرِ وتمامِ نباتِ الرِّيش . وكذلك الحيَّة ، تضعُف فى أيامِ السَّلخ ثمَّ تشتدُّ بعد .

(تأويل رؤيا الحيات)

قال الأصمعىّ : أخبرنى أبو رفاعة[3] ، شيخٌ من أهل البادية ، قال : رأيتُ فى المنام كأنى أتخطَّى حيَّات . فمطرت السماء ، فجعلت أتخطى سُيولاً .

---

(١) الميسم : أداة الوسم . والقين : الحداد .

(٢) فى الأصل : « بسمة الرأس » والسمة بمعنى العلامة ، وهى لا تلائم نظام الكلام

(٣) س ، ه : « أبو رقاعة » بالقاف .

وحكى الأصمعيُّ أنَّ رجلاً رأى فى المنام فى بيوته حَيَّاتٍ ، فسأل عن ذلك ابن سِيرِينَ أو غيره ، فقال: هذا رجلٌ يدخل منزلَه أعداء المسلمين . وكانت الخوارجُ تجتمعُ فى بيته .

(شعر للعرجى والشماخ فى الحيات)

قال العرْجِىُّ ، فى دبيب السمِّ فى المنهوش :

وأُشْرِبَ جِلْدِى حُبَّهَا وَمَشى بِهِ ... كمشى حُمَيَّا الكأسِ فى جِلدِ شاربِ

يَدِبُّ هَوَاهاَ فى عظامى وحبها ، ... كما دَبَّ فى الملسوع سمُّ العَقاربِ

وقال العرجيُّ فى العرماء[1] من الأفاعى ، وكونها فى صُدوعِ الصَّخْر ، فقال :

تَأْتى بليلٍ ذُو سعاة[2] فسَلَّها ... بها حافظ هاد ولم أرق سلما[3]

كمثل شِهابِ النَّارِ فى كفِّ قابسٍ ... إذا الرِّيحُ هبت من مكانٍ تَضَرَّمَا

أبرَّ على الحُوَّاءِ[4] حتى تَنَاذَرُوا ... حِمَاهُ[5] محاماة من الناس ، فاحتمي[6]

---

(١) العرماء ، بالفتح : الحية الرقشاء . وفى الأصل : « العرما » . وكلمة « فى » قبلها ساقطة من س ، هـ .

(٢) السعاة ، بالفتح : التصرف . ط : « سعاده » س : « سعاه » بدون إعجام . وصوابهما فى هـ .

(٣) كذا جاء هذا الشطر ، وفيه تحريف .

(٤) أبر عليهم : غلبهم واستعصى عليهم . والحواء ، بضم الحاء : جمع حاو . وهذا الجمع ليس قياسياً ولا مما ذكرته المعاجم . ومع نظيره : غاز وغزاء ، وسار وسراء . أنظر همع الهوامع (٢ : ١٧٧) والعرجى ممن يحتج بكلامه ، فإنه توفى نحو سنة ١٢٠ . وهو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وكان شاعراً غزلا ينحو نحو ابن أبى ربيعة ، وكان من الفرسان الظرفاء . ولقب بالعرجى لسكناه قرية العرج فى الطائف . وفى س ، هـ : « الجواد » ط : « الأجواد » . وهما تحريف ما أثبت .

(٥) تناذروا حماه : أنذر بعضهم بعضاً ألا يتعرضوا له . وقد سبق مثل هذا فى بيت للنابغة ص ٢٤٨ س ٩ . وفى الأصل : « تبادروا » وهو تحريف .

(٦) فى الأصل : « فاحتما » .

يظلّ مُشيحًا سامعًا ، ثمّ إنها إذا بُعِثت لَمْ تَأْلُ إلاّ تَقَدُّما[1]

قال : ويقال : تطوّت[2] الحيّة . وأنشد العرجِيُّ :

ذكَرَتْنى إذْ حَيَّةٌ قد تطوّتْ برقاً عند عرسه فى الثياب[3]

وقال الشّماخ ، أو البَعيث[4] :

وأطرَقَ إطراقَ الشجاعِ وقَدْجَرَى على حَدِّ نَابَيْهِ الذُّعافُ المسمَّمُ[5]

(ماينبح من الحيوان)

٩٠ والأجناس التى تُذْكَرُ بالنُّبَاحِ :الكلب ، والحيَّةُ ، والظَّبْيُ إذا أسنَّ ، والهُدهُد . وقد كتبنا ذلك مرة ثَمّ[6] .

قال أبو النَّجم :

والأسد قد تَسْمَعُ مِنْ زئيرِها وباتت[7] الأفعى على مَحْفُورِها

تأسِـيرُها يحتَكُّ فى تأسيرها[8] مرّ الرَّحَى تجرى على شَعيرها

(١) المشيح : الحذر . وقد ذكرها مرة وأنثها أخرى . والحية مما يذكر ويؤنث .

(٢) س: « انطوت » . والأوفق ما أثبت من ط ، هـ .

(٣) كذا جاء هذا الشطر فى ط ، هـ . وفى س : « عند عريسه » وكلا النصين محرف .

(٤) ليس البيت فى ديوان الشماخ .

(٥) فى الأصل : « ولو جرى » . وانظر نظير هذا البيت فى ص ٢٦٣ .

(٦) انظر لنباح الظبي ماسبق فى (١ : ٣٤٩)ولنباح الهدهد ماسبق فى (١ : ٣٥٠) وأما نباح الحية فلم يسبق له ذكر .

(٧) هـ : « وبانت » بالنون .

(٨) التأسير : واحد التآسير ، وهى فى أصل معناها السيور يؤسر بها السرج ، وجعله هنا لجلدها . و « يحتك » هى فى الأصل « يحنك » بالنون . وصوابه ما أثبت .

كرَعْدَة الجِرَاء أو هديرِها[1] تضرُّمَ القَضْباء فى تَنُّورها[2]
توقُّر النَّفس على توقــيرها تعـــلّم الأشياء فى تنقيرها
* فى عاجل النفْسِ وفى تأخيرها *

(قول فى آية)

وسنذكر مسئلة وجوابها . وذلك أنَّ ناسا زعموا أنّ جميع الحيوان على أربعة أقسام . شىء يطير ، وشىء يمشى ، وشىء يعوم ، وشىء ينساح .

وقد قال الله عزَّ وجلّ : ﴿ وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاء ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِى عَلَى بَطْنِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِى عَلَى رِجْلَيْنِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِى عَلَى أَرْبَعٍ ، يَخْلُقُ اللهُ مَايَشَاء ﴾ .

وقد وَضَعَ الكلامَ على قسمة أجناس الحيوان ، وعلى تصنيف ضروبِ الخلْق ، ثمَّ قَصَّرَ عن الشىء الذى وضَعَ عليه كلامَهُ[3] ، فلم يذكر مايطير وما يعومُ ، ثمَّ جعل ماينساحُ ، مثلُ الحيَّاتِ والدِّيدان ، ممَّا يمشى ؛ والمشى لا يكون إلاَّ برجل ، كما أنَّ العضّ لا يكون إلاَّ بفمٍ ، والرَّمْح لا يكون إلاَّ بحافر ؛ وذكر مايمشى على أربعٍ ، وهاهنا دوابُّ كثيرةٌ تمشى

---

(١) الجراء : جمع جرو ، أراد به ولد الكلب . ورعدتها : صوتها ، وكذلك هديرها . وفى الأصل : « الجزاء » ولا وجه له .

(٢) القضباء : جماعة القصب ، ويسمى أيضاً الأباء بالفتح . وبه يضرب المثل فى شدة الصوت عند التضرم . ومنه قول ابن أبى الحقيق :

من سره ضرب يرعبل بعضه بعضاً كمعمعة الأباء المحرق

وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « القضاء » و ه : « الفضا » و س : « القضباء » . وفى س : أيضاً « تنور » مكان « تضرم » .

(٣) هذا حكاية من الجاحظ لقول المعترضين على الآية الكريمة ، وسيرد عليهم فى السطر الثالث من الصفحة الآتية .

على ثمانٍ قوائمَ ، وعلى ستٍّ ، وعلى أكثرَ من ثمانٍ . ومَن تفقَّدَ قوائمَ السَّرطانِ و بناتِ وَرْدَانَ ، وأصنافَ العناكب - عرَفَ ذلك .

قلنا : قد أخطأتم فى جميع هذا التَّأويل وحَدِّه . فما الدَّليلُ على أنَّهُ وضع كلامَهُ فى استقصاءِ أصناف القوائم ؟ و بأىِّ حُجةٍ جزَمْتم على ذلك ؟ وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ وتَرَكَ ذِكْرَ الشَّيَاطِينِ وَالنَّارُ لَهُمْ آكَلُ ، وعذابُهم بها أشدُّ . فتَرَكَ ذِكرَهم من غير نسيانٍ ، وعلى أنَّ ذلك معلومٌ عند المخاطب . وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا[١] ﴾ أخرج من هذا العموم عيسى ابنَ مريم ، وقد قَصَدَ فى مخرَجِ هذا الكلام [إلى[٢]] جميع ولدِ آدمَ . وقال: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾ أدخَلَ فيها آدمَ وحوَّاء . ثمَّ قال على صلة الكلام : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ ﴾ أخرج منها آدمَ وحوَّاء وعيسى ابنَ مريمَ . وحَسُن ذلك إذ كان الكلامُ لم يُوضَع على جميع ماتعرفه النُّفوسُ من جهةِ استقصاءِ اللَّفظ . فقوله : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ[٣] ﴾ كان على هذا المثال الذى ذكرنا . وعلى أنَّ كلَّ شىءٍ يمشى على أربع فهو مما يمشى على رجلين ، والذى يمشى على ثمانٍ هو مما يمشى على أربعٍ ، وعلى رجلين .

٩١

(١) من الآية الحادية عشرة فى سورة فاطر .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) بين هذه الآية والكلام بعدها ، جملة : « فهو مما يمشى على أربع » فى ط ، س . وهى عبارة مقحمة ليس لها وجود فى ه .

وإذا قلت : لى على فلان عشرة آلاف درهم ، فقد خبَّرت أنّ لك عليه مابين درهمٍ [1] إلى عشرة آلاف .

وأمَّا قولكم : إنَّ المشى لا يكون إلاَّ بالأرجل ، فينبغى أيضاً أنْ تقولوا ﴿ فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ : إنّ ذلك خطأ ؛ لأنّ السَّعى لا يكون إلاّ بالأرجل .

وفى هذا الذى جهلتموه ضروبٌ من الجواب : أمّا وجهٌ منه فهو قولُ القائل وقول الشَّاعر : « ما هُوَ إلاَّ كأنَّهُ حيّة » و : « كأنّ مِشيته مِشْيةُ حيّة » يَصِفُونَ ذلك ، ويذكرون عِنْدَهُ مِشيةَ الأيم والحُبَابِ ، وذكورِ الحيَّات . وَمَنْ جَعَلَ للحَيّاتِ مَشياً من الشعراء ، أكثرُ من أن نقف [2] عليهم . ولو كانوا لا يسمُّون انسيابَها وانسياحَها مشياً وَسَعْياً ، لكان ذلك مما يجوزُ على التشبيه والبدل ، وَأَنْ قَامَ الشيء مقامَ الشيء أو مقام صاحبه ؛ فمن عادة العرب أن تشبِّه به فى حالاتٍ كثيرة . وقال الله تعالى : ﴿ هٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ والعذاب لا يكون نُزُلاً ، ولكنَّهُ أجراه مُجْرَى كلامهم ، كقول حاتمٍ حينَ أمرُوهُ بِفَصْدِ بعيرٍ ، وَطَعَنه فى سَنامه ، وقال : « هذا فَصْدُهُ [3] ! »

---

(١) كلمة « عليه » ساقطة من ﻫ . وفى ﻫ أيضا : « مائتين » بدل « مابين » وهو تحريف .

(٢) ﻫ : « تقف » بالخطاب .

(٣) أى هذا فصد البعير ، والفصد : شق العرق لاستخراج دمه . وكان أهل الجاهلية فى شدة الأرمان يفصدون الإبل ويسخنون دم الفصد حتى يجمد ويقوى فيطعمونه ويطعمونه الضيفان ، أو يجعلون ذلك الدم فى معى من الأمعاء ويشوونه ويأكلونه . ويروى المثل عند الميدانى (٢ : ٣١٧) : « هكذا فصدى » وقال : « قيل إن أول من تكلم به كعب بن مامة . وذلك أنه كان أسيراً فى عنزة فأمرته أم منزله أن يفصد لها ناقة ، فنحرها ، فلامته على نحره إياها فقال : هكذا فصدى ! يريد أنه لا يصنع إلا ماتصنع الكرام » . عنزة : قبيلة . وأم المنزل : ربته .

وقال الآخر :

فقلتُ ياعمرُو أطْعِمَنِّى تَمْرَا[1] فكان تَمْرِى كَهْرَةً وَزَبْرَا[2]

وذمَّ بعضهم[3] الفأرَ ، وذكرَ سوءَ أثرِها فى بيته ، فقال:

ياعَجِّلَ الرَّحمنُ بالعقابِ لِعامرات البيتِ بالخرابِ

يقول : هذا هو عمارتُها . كما يقول الرَّجُل ، « ما نَرَى مِنْ خيرك وَرِفْدِكَ إلاّ مايبلغُنا مِنْ حَطبك[4] علينا ، وفتَّكَ فى أعضادِنا[5] ! »

وقال النَّابغة فى شبيهٍ بهذا ، وليس به :

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفَهم بهنَّ فلولٌ من قِراعِ الكتائبِ

ووجهٌ آخر : أنَّ الأعرابَ تزعُمُ — وكذلك قال ناسٌ من الحوَّائين والرَّقائين — إنّ للحيَّة حزوزا[6] فى بطنه ، فإذا مَشَى قامت حُزُوزُه[7] .

---

(١) روى فى البيان (١ : ١١٦) : « فقلت أطعمنى عمير » والحيوان (٥ : ١٢) : « قالت ألا فاطعم عميرا » . وروى فى المخصص (٢ : ١٣٤) : « فقلت أطعمنى عميم تمراً » وهى رواية الأضداد ١٥٢ وفيها : « قال أبو بكر : عميم : تصغير عم » . أى ياعمى .

(٢) الكهرة : الانتهار . والزبر : الزجر والمنع .

(٣) هو أعرابى دخل البصرة فاشترى خبزاً فأكله الفأر . انظر الحيوان (٥ : ٨٠) وديوان المعانى (٢ : ١٥١) حيث تجد أيضاً بقية هذه الأرجوزة .

(٤) فى القاموس : « حطب فى حبلهم يحطب : نصرهم » . وفى اللسان : « وحطب فلان بفلان : سعى به » فالمراد هنا : من حطبك علينا بالشر ، وتأليب الناس علينا . وفى الأصل وكذا فى البيان (١ : ١١٦) : « خطبك » بالخاء . ولا تتجه إلا بتكلف . وما يبلغنا : أى مايصل إلينا .

(٥) فتّ فى عضده : رام إضراره بتخوّنه أهل بيته . وعضد الرجل : أهل بيته . ط : « وفتكك » صوابه فى س ، هـ والبيان . وفى ط ، هـ : « أعضاءنا » صوابه فى س والبيان .

(٦) ط ، س : « خزوزا » صوابه فى هـ .

(٧) ط ، س : « خروزه » صوابه فى هـ .

وإذا تَرَكَ الشئَ تراجعَتْ إلى مكانها، وعادتْ تلك المواضعُ مُلْسًا. ولم تُوجَدْ بِعَيْنٍ ولا لَمْس، ولا يبلغها إلاَّ كلُّ حَوَّاء دقيقِ الحِسِّ.

وليس ذلك بأعجَبَ من شِقْشِقَةِ الجمل العربيِّ؛ فإنه يظهرُها كالدَّلْو، فإذا هو أعادها إلى لَهَاتِهِ تراجَعَ ذلك الجلدُ إلى موضعه، فلا يقدرُ أحدٌ عليه بلمْسٍ ولا عَين. وكذلك عروق الكُلَى[1] إلى المثانة التى يَجْرِى فيها الحَصَى المتولِّد فى الكُلية إذَا قَذَفَتْهُ[2] تلك العروقُ[3] إلى المثانة، فإذا بال الإنسانُ انضمّت العروقُ واتَّصلت بأماكنها، والتحمتْ حتى كان موضعُها كسائر ماجاوز تلك الأماكن. 92

ووجهٌ آخر: وهو أنَّ هذا الكلام عربىٌّ فصيح؛ إذ كانَ الذى جاء به عربيًّا فصيحًا، ولو لم يكنْ قرآنًا من عند الله تبارك وتعالى، ثمَّ كان كلامَ الذى جاء به، وكان ممّن يجهل اللَّحنَ ولا يعرفُ مواضعَ الأسماء فى لغته، لكان هذا — خاصّةً — ممَّا لايجهلُه.

ولو أنّنا لم نجعل لمحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، فضيلةً فى نُبُوّةٍ، ولا مزيَّةً فى البيان والفصاحة، لكُنّا لانجد بُدًّا من أن نعلم أنَّهُ كواحدٍ من الفصحاء. فهل يجوزُ عندكم أن يخطئَ أحدٌ منهم فى مثلِ هذا فى حديثٍ، أو وصفٍ، أو خُطبةٍ، أو رسالة، فيزعُمَ[4] أن كذا وكذا يمشى أو يسعى أو يطير، وذلك الذى قال[5] ليس من لغته ولا من لغة أهله؟! فمعلومٌ عندَ هذا الجواب، وعند ماقبله، أنّ تأويلَكُمْ هذا خطأ.

---

(١) ط: «الكلا». س، ه: «الكلا» صوابه ما أثبت. وهو جمع كلية، بالضم.

(٢) ط، ه: «تجرى». والحصى، كتبت فى ط، س بالألف. وفى ه: «الحصا» صوابهما ما أثبت. وفى الأصل: «قذفتها» بدل: «قذفته».

(٣) فى الأصل: «فى تلك العروق». والوجه حذف «فى» كما أثبت.

(٤) فى الأصل: «فزعم».

(٥) أى الذى قاله من الكلام المتقدم.

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴾ وأصحابُ الجنّة لايوصفون بالشُّغُل ، وإنمَا ذلك جوابٌ لقول القائل : خبِّرنى عن أهل الجنَّة ، بأىِّ شىء يتشاغلون ؟ أم لهم فراغٌ أبدا ؟ فيقول المجيب : لا ، ماشُغُلهم إلاَّ فى افتضاضِ الأبكار ، وأكْلِ فواكه الجنَّة ، وزيارةِ الإخوانِ على نجائب الياقوت !

وهذا على مثالِ جَوابِ عامر بنِ عبد قيس ، حين قيل له وقد أقبل مِنْ جهة الحلبة[1] ، وهو بالشام : مَنْ سَبَقَ ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ! قيل : فَمَنْ صَلَّى ؟ قال : أبو بكر ! قال : إنَّمَا أسألُك عن الخيل ! قال : وأنا أجيبك عن الخير !

وهو كقول المفسِّر حين سُئل عن قوله : ﴿ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ فقال : ليس فيها بُكرةٌ وعشىٌّ . وقد صدَقَ القرآنُ ، وصَدَق المفسِّر ، ولم يتَنا كرا ، ولم يتنافيا ؛ لأنَّ القرآنَ ذهبَ إلى المقادير ، والمفسِّرَ ذهبَ إلى الموجودِ ، مِن دوَران ذلك مع غروب الشَّمس وطلوعِها .

وعلى ذلك المعنى رُوِى عن عمر أنَّهُ قال : « مُتْعتان كانتا على عهدِ رسول الله صلى عليه وسلم ، أنا أنْهَى عنهما وأضربُ عليهما[2] » .

---

(١) الحلبة ، بالفتح : الدفعة من الخيل فى الرهان . وقد روى الجاحظ هذا الحديث فى البيان (٢ : ٢٠١) منسوبا إلى بلال برواية أخرى .

(٢) المتعتان : هما متعة النساء ومتعة الحج ، كما جاء هذا الخبر مفصلا فى كتاب العباسية من رسائل الجاحظ ٣٠٢ الرحمانية .

أما متعة النساء ، فهى مايسميه رجال الفقه : نكاح المتعة ، وهو الزواج بأجل مسمى فى العقد ، كيوم ، أو شهر ، أو سنة ، أو سنوات . وكان ذلك مباحا فى أول الإسلام ، وفيه نزل قوله تعالى : « فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة » ثم نسخ ذلك بنهى الرسول =

قد كان المسلمون يتكلمون فى الصَّلاة و يطبِّقون(١) إذا ركعوا ، فنَهَى عن ذلك إمامٌ من الأئمَّةِ ، وَضَرَبَ عليه ، بعد أن أظهرَ النَّسخ ، وعرَّفهم أن ذلك من المنسوخ ، فكأَنَّ قائلاً قال : أتنهانا عن شىء ، وقد كان على عهد النبىِّ صلى الله عليه وسلم ؟ فيقول : نعم . وقد قدَّم الاحتجاجَ فى النَّاسخ والمنسوخ(٢) .

٩٣

ومن العجَب أنَّ ناسًا جعلَوا هذا القولَ على المِنبرِ من عيوبه . فإن لم يكن المعنى فيه على ماوصفنا ، فما فى الأرضِ أجهلُ من عُمَرَ حِين يُظهِرُ الكُفْرَ فى الإسلام على مِنبر الجماعة ، وهو إنمَا علاه بالإسلام. ثمَّ فى شىء ليس له حُجَّةٌ فيه ولا عِلة. وأعجَبُ منه تلك الأمَّة ، وتلك الجماعة[التى(٣)] لم تُنْكِرْ تلك الكلمةَ فى حياته ، ولا بَعْدَ موته ؛ ثمَّ تَرَكَ ذلك جميعُ التَّابعين وأتباعِ التَّابعين ، حتَّى أفضَى الأمرُ إلى أهْلِ دهرنَا هذا .

وتلك الجماعة هم الذين قتلوا عُثمان على أن سيَّرَ رجلاً(٤)

= وأما متعة الحج فهو مايعرف بالتمتع ، وعنى عمر تحريمها على سكان مكة ؛ إذ قال فى حديث آخر : « ليس لأهل مكة تمتع ولا قران » . وأراد الجاحظ أن قول عمر : « كانتا على عهد رسول الله » ليس على ظاهره ، بل المراد أنهما كانتا على عهد رسول الله وحرمتا أيضاً فى عهد رسول الله . وكذلك قوله « أنا أنهى عنهما » فالمراد « أنا أنهى عنهما كما نهى الرسول » .

(١) فى الأصل : « يضبعون » وهو تحريف صوابه فى البيان (٢ : ٢٠١) . والتطبيق : أن يجمع بين أصابع يديه ويجعلهما بين ركبتيه فى الركوع والتشهد . وقد كان ذلك من فعل المسلمين فى أول ما أمروا بالصلاة ، ثم أمروا بإلقام الكفين رأس الركبتين . وانظر لسان العرب (طبق).

(٢) انظر لتوضيح هذه الفقرة ماجاء فى البيان (٢ : ٢٠١) .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) هذا الرجل الصحابى الجليل ، أبو ذر الغفارى . وكانت له ثورة مشهورة على الأغنياء ، غضب عليه من أجلها عثمان ، وسيره إلى الربذة ، وهى من قرى =

وهذا لايقوله إلاّ جاهلٌ أو معاند .

وعلى تأويل قوله : ﴿ هٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ قال : ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا ، قَالُوا بَلَى وَلٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ فجعل للنّار خزائن ، وجعل لها خزنة ، كما جعل فى الجنَّةِ خزائن وجعل لها خَزَنة .

ولو أنَّ جهنّمَ فُتِحَتْ أبوابُهَا ، ونُحِّيَ [1] عنها الخَزَنَة ، ثمّ قيل لكلّ لصٍّ فى الأرض ، ولكلِّ خائن فى الأرض : دونَكَ ؛ فقد أُبِيحَتْ لك ! لَمَا دنا منها ، وقد جُعِل لها خزائنُ وخَزَنة . وإنَّمَا هذا على مثالِ ماذكرنا . وهذا كثيرٌ فى كلَامِ العَرَب .

والآىُ التى ذكرنا فى صِدْقِ هذا الجواب ، كلها حُجَجٌ على الخوارج فى إنكارهم المنْزِلة بين المنزلتين [2] .

= المدينة على ثلاثة أميال ، قريبة من ذات عرق ، فأقام بها إلى أنمات سنة ٣٢ . واسم أبى ذر جندب بن جنادة . وانظر تفصيل الخلاف بينه وبين عثمان فى مروج الذهب (ذكر خلافة عثمان) ، حيث تجد أسبابا أخر لمصرعه ، رضى الله عنهما .

(١) ط ، س : « نحي » صوابه فى هـ . ونحى : أبعد .

(٢) القول بالمنزلة بين المنزلتين ، أصل من أصول المعتزلة . إذ يقولون إن الفاسق ليس بمؤمن ولا بكافر ، بل هو فى منزلة بين الإيمان والكفر . ويقولون : ليس فى الآخرة إلا الفريقان : فريق فى الجنة وفريق فى السعير ، فمرتكب الكبيرة إذا لم يتب فهو خالد فى النار ، لكنه يخفف عنه العذاب ، وتكون دركته فوق دركة الكفار . ومن أجل ذلك سماهم المسلمون المعتزلة ؛ لاعتزالهم قول الأمة بأسرها . وجمهور الخوارج على أن الفاسق كافر ، لا كما يقول المعتزلة بأنه فى منزلة بين المنزلتين .

(شعر خلف الأحمر فى الحيات)

وقال خَلَفٌ الأحمرُ فى ذكر الحيّات :

يَرَوْنَ المَوْتَ دونى أن رأَوْنى ... وَصِلٌ صَفاً لِنابَيْهِ ذُبَابُ[1]

مِنَ المُتَحَرِّماتِ[2] بِكَهْفِ طَوْدٍ ... حَرَامٍ ما يُرَامُ له جَنَابُ[3]

أبى الحاوُونَ أن يطئوا حِمَاهُ ... ولا تَسْرى بعَقوته الذِّئابُ[4]

كأنَّ دَمًا أُمِيرَ على قَرَاهُ ... وَقَطْرَانًا أُمِيرَ به كُبابُ[5]

إذا ما استجرس[6] الأصواتَ أبدى ... لسانًا دونه الموتُ الضباب[7]

---

(١) ذباب الناب : طرفه الحاد .

(٢) المتحرمات ، من قولهم : تحرم فلان بفلان : إذا دخل فى ذمته وحمايته . يقول : هو من تلك الحيات التى تحرمت بذاك الكهف المنيع ، فلا يستطيع أن يحاولها أحد . فى الأصل : « المتجربات » . ولا وجه له .

(٣) طود حرام : جبل لا يستطاع القرب منه ، كأنه محرم . وفى الأصل : « عرام » . يرام : يطلب .

(٤) ط : « الحاورن » صوابه فى س ، ه . والعقوة ، بالفتح : الساحة ، وما حول الدار .

(٥) أمار الدم : أجراه وأساله . وفى الأصل « أمر » فى الموضعين ، بمعنى جعل يمر وما كتبت أشبه . وجاء فى الحديث : « أمر الدم بما شئت » . والمائرات : الدماء . قال رشيد بن رميض :

حلفت بمائرات حول عوض ... وأنصاب تركن لدى السعير

والقراء ، بالفتح : الظهر . والكباب ، بالضم : التراب .

(٦) استجرس ، بمعنى طلب الجرس ، وهو بالفتح بمعنى الصوت . وفى الأصل : « استجرش » ولم أجد له وجها ، ومما يعزز هذا التصحيح ما جاء فى ص ١٠٢ من قول عنترة :

رقود ضحيان كأن لسانه ... إذا سمع الأجراس مكحال أرمدا

(٧) كذا ولعله : « الصهاب » بالصاد المضمومة . وفى اللسان : « والموت الصهابى : الشديد ، كالموت الأحمر » . قال الجعدى :

فجئنا إلى الموت الصهابى بعدما ... تجرد عريان من الشر أحدب

إذا ما الليلُ ألبَسَهُ دُجَاهُ   سَرَى أصمى تَصِيحُ له الشِّعاب[1]

فقلت لحيّان[2] بن عتبي[3] : [لِمَ[4]] قال موسى بنُ جابر الحنفيُّ[5] :

طَرَدَ الأرْوَى فما تقرَبُهُ   وَنَفَى الحَيّاتِ عَنْ بَيْض الحجل[6]

قال : لأنَّ الذِّئاب تأكُلُ الحيّات. [قلت[7]]: فلم قال خلفٌ الأحمر:

* ولا تسرى بعقوته الذئاب * ؟

قال : لأنَّ الذِّئاب تأكُلُ الحيّات. فَظَننت أنَّه حَدَسَ[8] ولم يقُل بعلم .

---

(١) الأصمى : الشديد الوثاب. ط «أصمي» صوابه فى س ، هـ . و « تصيح » هى فى س « تضج » . ولو كانت « تصيخ » لزادت حسنا

(٢) ط « لحيات » صوابه فى س ، هـ

(٣) كذا جاء هذا الاسم . ولم أعثر له على تحقيق . وجاء فى عيون الأخبار (٢ : ٤٣) من اسمه : (حيان بن غضبان) وهو الذى ورث نصف دار أبيه ، فقال : أريد أن أبيع حصتى من الدار وأشترى النصف الباقى فتصير كلها لى ! فلعله هذا .

(٤) زيادة يقتضيها السياق . وليست بالأصل .

(٥) هو أحد شعراء بنى حنيفة ، يقال له ابن الفريعة ، وهى أمه ، كما أن حسان ابن ثابت يقال له ابن الفريعة . المؤتلف ١٦٥ . وقال المرزبانى فى معجمه ٣٧٦ إنه نصرانى جاهلى ، يلقب أزيرق اليمامة . والحق أنه إسلامى ، وأنه قال شعراً فى الإسلام . انظر الأغانى (١٠ : ١٠٧) ، كما أن شعره فى الحماسة (١ : ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠) يشعر بما تقدم . وفى شرح الحماسة للتبريزى (١٨٩:١) : « قال أبو العلاء : موسى منقول من العبرية . ولم أعلم أن فى العرب من سمى موسى زمان الجاهلية . وإنما حدث هذا فى الإسلام ، لما نزل القرآن وسمى المسلمون أبناءهم بأسماء الأنبياء ، على سبيل التبرك » .

(٦) ط : « ونفا » صوابه فى س ، هـ .

(٧) ليست بالأصل ، والكلام فى حاجة إليها .

(٨) الحدس : الحزر والتخمين .

(مناقضة شعرية للزيادى و يحيى بن أبى حفصة)

وقال الزِّيادىُّ فى يحيى بن أبى حفصة[1] :

إنى ويحيى وما يبغى كملتمسٍ صَيْدًا وما نال منه الرِّىَّ والشِّبَعَا ٩٤
أَهْوَى إلى باب جُحْرٍ فى مقدَّمِهِ مِثْلُ الْعَسِيبِ تَرَى فى رأسه قَزَعَا[2]
اللَّوْنُ أَرْبَدُ والأنيابُ شابِكَةٌ عُصْلٌ تَرَى السُّمَّ يجرى بينها قِطَعَا[3]
يَهْوِى إلى الصَّوتِ والظلماءُ عاكفةٌ تَعَرُّدَ السَّيْلِ لاقى الحَيْدَ فاطَّلَعَا[4]
لو نَالَ كفَّكَ آبَتْ منه مخضبة بَيْضَاءَ قـــد جالت أنيابها قزعا[5]
بِيعَتْ بوَكْسٍ قليلٍ فاستقلَّ بها من الهُزَالِ أبوها بعد ماركعا

فردَّ عليه يحيى فقال :

كم حيَّةٍ ترهَبُ الحيَّاتُ صَوْلَتَهُ يَحْمَى لِرَيْدَيْهِ[6] قد غادرتُه قِطَعَا

---

(١) هو جد مروان بن أبى حفصة الشاعر المشهور ، وقال أبو الفرج فيه (٩ : ٣٧) : « وليحيى أشعار كثيرة » .

(٢) العسيب : أصل الذنب ، أو الجريدة المستقيمة الدقيقة من النخل يكشط خوصها . والقزع ، بالتحريك : خفة شعر الرأس .

(٣) شابكة : مشتبكة . ط ، س : « شائلة » ه : « سايلة » . وصوابه ما أثبت . وانظر ما سيأتى فى (٥ : ١٠٢) . والعصل : الملتويات . وفى الأصل : « عصلا » صوابه مما سبق ص ١٨٣ .

(٤) الحيد ، بالفتح : ماشخص من الجبل ومن كل شيء . والتعرد ، بالراء بعد العين : التعوج . وفى الأصل: « تعود » وهو تحريف. يقول : هذا الحية يتلوى فى مشيه كما يتلوى ماء السيل إذا لاقى حيدا فأشرف منه على أرض منخفضة ، فهو أسرع لجريه وتلويه .

(٥) كذا ورد هذا البيت . وفى ط : « قذعا » بالذال المعجمة .

(٦) أى تدركه الحية والأنفة إذا اعتدى على ريديه . والريد ، بالفتح : الحرف الناتىء من الجبل . س : « لذيذيه » .

يلقَيْنَ حَيَّةَ قفٍّ ذا مُساوَرَةٍ ... يُسْقَى به القِرْنُ من كأس الرَّدى جُرَعا[1]

تكاد تسقطُ منهنَّ الجلودُ ؛ لِمَا ... يَعلَمْنَ منه إذا عاينَّهُ ، قزَعا[2]

أصمَّ ماشمَّ من خَضْرَاءَ أيبسها ... أو مسَّ من حجر أوْهاه فانْصَدَعا[3]

(شعر فى الحيات)

وقال آخر :

وكم طَوْتَ من خَنَشٍ راصدٍ ... للسَّفْرِ فى أعلى الثَّنِيَّاتِ[4]

أصمَّ أعمَى لايُجيبُ الرُّقى ... يفترُّ عن عُصْلٍ حديداتِ[5]

منهرتِ الشدقِ رَقُودِ الضحى ... سارٍ طَمُورٍ فى الدُّجُنَّاتِ[6]

ذى هامَةٍ رَقْطَاءَ مَفْطوحة ... من الدَّواهى الجبليَّاتِ[7]

صِلٍّ صَفاً ، تنطِفُ أنيابُهُ ... سِمامَ ذَيْفانٍ مجيراتِ[8]

---

(١) القف ، بالضم : مرتفع حجرى . و « يسقى » هى فى الأصل : « تسق » . والوجه ما أثبت .

(٢) قزعا : أى قطعاً متفرقة . وأصل القزع : القطع من السحاب . ط ، س : « قذعا » بالذال المعجمة ، صوابه فى ه .

(٣) سبق الكلام على هذا البيت فى (٢ : ١٣٧) وفى هذا الجزء ص ١٨٣ .

(٤) الثنية : الطريق العالى فى الجبل .

(٥) الأنياب العصل : الملتوية . ه : « عضل » صوابه فى س ، ط .

(٦) منهرت الشدق : واسعه . والطمور ، كصبور : الوثاب . ط : « طمورا » صوابه فى س ، ه .

(٧) مفطوحة ، بالفاء : عريضة . ط : « منطوحة » بالنون تصحيحه من س ، ه

(٨) تنطف أنيابه ، بكسر الطاء وضمها : تقطر . والسمام ، بالكسر : جمع سم . والذيفان بالفتح والكسر : السم القاتل . و « مجيرات » كذا جاءت بالجيم ، ولعلها « مبيرات » بمعنى مهلكات . وقد سبق البيت فى ٢٣٤ .

مُطلِنَ فى اللَّحْيَين مَطْلاً إلى رأسٍ وأشـداقٍ رَحيباتِ[1]

قَدَّمْنَ عن ضِرْسَيْن واستأخَرَا إلى سِمَاخَينِ ولَهْواتِ[2]

يُسْبِتُهُ الصُّبْحُ وطورًا له نَفخٌ ونفثٌ فى المغاراتِ[3]

وتارةً تحسبُـه ميِّتـاً من طول إطراقٍ وإخباتِ[4]

وقال آخر ، وهو جاهلىٌّ :

لاهُمَّ إنْ كان أبو عمرٍو ظَـلَمْ وخانني فى عِلمه وقد عَـلِمْ

فابعث له فى بعض أعراض اللَّمَمْ لُميمةً مِنْ حَنَشٍ أعمَى أصمْ[5]

أسْمرَ زَحَّافاً من الرُّقْط العُرُمْ[6] قد عاش حتى هو لا يَمشِي بدَمْ ٩٥

فكُلَّمَا أقصد منه الجوعُ شمْ[7] حتى إذا أمسى أبو عمرٍو ولم

يمسّ منه مَضَضٌ ولا سَقَمْ قامَ ووَدَّ بعدَها أنْ لم يَقُمْ

---

(١) سبق هذا البيت فى ص ٥٣ .

(٢) ط : « واستأخرت » صوابه فى س ، هـ . والضمير عائد إلى الضرسين . والسماخ بكسر السين : لغة فى الصماخ بكسر الصاد ، وهو ثقب الأذن . واللهوات جمع اللهاة ، وهى اللحمة المشرفة على الحلق . وقد سكنت الهاء للشعر ، كما أنه جمعها والمراد بها الواحد ؛ إذ أن له لهـاة واحدة .

(٣) س : « المفارات » صوابه فى ط ، هـ . يسبته الصبح : ينيمه .

(٤) الإطراق : السكوت والنظر إلى الأرض مع إرخاء العينين . وفى الأصـل : « إشراق » بالشين . ولا وجه له . قال :

مطرق ينفث سما كما أطرق أفعى ينفث السم صلّ

والإخبات : من أخبت بمعنى خشع . وأصـله من الخبت ، وهو المطمئن من الأرض .

(٥) سبق فى ص ١١٩ .

(٦) العرم : جمع أعرم ، وهو ما كان منقطا بسواد وبياض ، ومثله الأرقط . وقد ضمت الراء فى (العرم) لضرورة الوزن . وفى الأصـل : « القـدم » ، ووجهه ما أثبت .

(٧) فى الأصل . « فـكل ما » تحريف . أقصده الجوع : أصابه . وفى الأصل : « أفضـل » ووجهه ما أثبت ، كما سـبق فى ١١٩ . وشم . أى تنسم الهواء ليغتذى به . انظر ماسبق فى ص ١١٩ .

وَلَمْ يَقُمْ لإبْـلٍ ولا غَنَمْ ولا لخوفٍ راعَهُ ولا لِهَمْ
حتَّى دَنَا من رأسِ نضناضٍ أصمْ[١] فخاضه بين الشِّراكِ والقَدَمْ[٢]
بِمِذْرَبٍ أخرَجَهُ من جَوْفِ كِمْ[٣] كأنَّ وخْزَ نَابِهِ إذا انتظَمْ
* وَخْزَةُ إشْفَى فى عطوف من أَدَمْ[٤] *

ومخالب الأسد وأشباهِ الأسد من السِّباع، تكون فى غُلُفٍ[٥]، إذا وطئت على بُطونِ أكفها ترفّعت المخالبُ، ودخلَتْ فى أكمام لها. وهو قولُ أبى زُبَيْدٍ:

بِحُجْنٍ كالمحاجِنِ فى فتوخ يَقِيهَا قِضَّةَ الأَرْض الدَّخيسُ[٦]

وكذلك أنياب الأفاعى، هى مالم تعضّ مَصُونَةٌ فى أكمام. ألا تراه يقول:

فَخَاضَهُ بينَ الشِّرَاكِ والقَدَمْ بِمِذْرَبٍ أخرَجَهُ من جَوْفِ كِمْ[٧]

---

(١) النضناض. الحية يتضنض لسانه، أى يحركه. ط: «من أس» صوابه فى س، هـ.

(٢) هو من خاضه بالسيف خوضاً. وضعه فى أسفل بطنه، ثم رفعه إلى فوق.

(٣) عنى بالمذرب ناب الحية. هـ. «لمذوب» صوابه فى س، هـ. والكم، بالكسر، أصله وعاء الطلع. وغطاء النور، أراد به هنا الغلاف.

(٤) الإشفى. المخرز، يذكر ويؤنث. والعطوف، بالفتح: المعطوف. وذا أظهر لأثر الخرز. والأدم، بالتحريك: الجلد، أو أحمره، أو مدبوغه.

(٥) غلف: جمع غلاف. ط: «غلق» صوابه من س، هـ.

(٦) الحجن: عنى بها مخالب الأسد. وقد اشتهر أبو زبيد بنعته. والمحاجن: جمع محجن، وهو العصا المعوجة. والفتوخ بضم الفاء، وبالخاء المعجمة فى آخره: هى من الأسد مفاصل مخالبه، كما فى القاموس. وفى الأصل: «فتوح» بالحاء المهملة مصحف. والقضة، بكسر القاف وتفتح، بعدها ضاد معجمة مشددة: الحصى الصغار. وفى الأصل: «قصة» بالصاد، محرف. والدخيس: لحم باطن الكف.

(٧) سبق شرح البيت فى التنبيه الثالث من هذه الصفحة. ط: «مخاضه» صوابه فى س، هـ. هـ: «بعذوب» محرف.

(رجز وشعر فى لعاب الحية)

وقال آخر :

أنعتُ نضناضاً كَثِيرَ الصَّقْرِ[1] مولده كمولدِ ابن الدَّهْرِ[2]

كانَا جميعًا وُلِدَا فى شَهْرِ يظلُّ فى مَرْأًى بَعِيدِ القَعْرِ

* بَيْنَ حَوَافِى سَدِرٍ وصَخْرِ[3] *

وقال :

وكيفَ وقد أسهرْتَ عَيْنَكَ تبتغى عِنَادًا لِنَابَىْ حَيَّةٍ قد تَرَبَّدَا[4]

من الصُّمِّ يكفى مرَّةٌ من لُعَابِهِ وما عَادَ إلَّا كانَ فى الْعَوْدِ أَحْمَدَا[5]

(شعر لخلف فى الأفعى)

وقال خلفٌ الأحمر — وهى مخلوطةٌ فيها شىءٌ ، وله شىء ، من الغبرة[6]

---

(١) الصقر ، أراد به سمه ولعابه . وفى الأصل : « كبير الظفر » وليس للحية ظفر . وصواب الرواية ما أثبت من المخصص (١٣ : ٢٠٨) .

(٢) ابن الدهر ، فسره ابن سيده بأنه الموت . المخصص (١٣ : ٢٠٨) . وقد فسره الثعالبي فى ثمار القلوب ٢١٤ بأنه النهار ، واستشهد ببيت ابن الرومى .

وما الدهر إلا كابنه ، فيه بكرة وهاجرة مسمومة الجـوّ قاتله

فى الأصل : « ومولد ابن الطهر » وتصحيحه من المخصص . وقد عنى الراجز أن ذلك الحية متقادم الميلاد ، وذاك مما يزيد فى شدة سمه .

(٣) الحوافى : جمع حافة ، بفتح الفاء المخففة ، وهو من نادر الجمع . والحافة : الجانب . والسدر ، كـكتف : البحر . وحيات الماء معروفة بالجرأة والنكر . وفى الأصل : « صدر » . ولعل الوجه فيه ما أثبت .

(٤) تربد : صار أربد . والربدة : لون إلى الغبرة . وضمير « تربد » عائد إلى الحية والحية تذكر وتؤنث .

(٥) ط ، س : « مرة » . هـ : « مرءة » صوابهما ما أثبت . والشطر الثانى فيه تهكم .

(٦) كذا جاءت هاتان الـكلمتان . وحقهما أن تكونا فى صدر الفقرة مسبوقتين بنحو كلمة : « تربد » فتكونا شرحا لها ، كما أسلفت فى التنبيه الرابع من هذه الصفحة .

وما علمتُ أنّ أحدًا وصف عَيْنَ الأفعى على معرفةٍ واختبار غيرَه — وهو قولُه :

أفعَى رَخُوف العين مِطْرَاق البُكَرْ[1]

داهية قد صغرت من الكِبَرْ

صِلٌّ صَفًا ما ينطوى من القِصَرْ[2] طويلة الإطراقِ[3] من غير حسرْ

كأنما قَدْ ذهبَتْ بِهِ الفِكَرْ شُقَّتْ له العَيْنانِ طُولاً فى شَتَرْ

مهروتة الشدقَينِ حولاء النظرْ جاء بها الطُّوفان أيامَ زَخَرْ[4]

كأنّ صوتَ جلدِها إذا استدرْ[5] نشِيشُ جمر عندَ طاهٍ مقتَدِرْ

(أحاديث فى الوزغ)

٩٦ هشام بن عروة قال : أخبرنى أبى أنّ عائشة أمّ المؤمنين رضى الله عنها كانَتْ تَقْتُلُ الأوْزَاغ .

يحى بن أبى أُنَيسة[6] ، عن الزُّهرى ، عن عروة[7] ، عن عائشة

---

(١) الرخوف : من رخف بمعنى استرخى . ط ، ﻫ : « زحوف » صوابه فى س . ومطراق البكر : أى يطرق إطراقا فى الغدوات . وذلك من صفة الأفعى . أما انتباهها فيكون على أشده فى الليل .

(٢) صلال الصفا من أخبث الحيات . وقد بالغ الراجز فى جعله الصل لاينطوى من شدة قصره . فى الأصل : « صل صفاء ينطوى » وصوابه مما سبق فى ص ١١٩

(٣) فى الأصل : « الأطراف » بالفاء . والوجه فيه ما أثبت . والإطراق : السكون مع النظر فى الأرض .

(٤) زخر : ارتفع . وقد عنى أن تلك الأفعى معمرة ، أدركت أيام نوح عليه السلام !

(٥) استدرّ : كثرت حركته .

(٦) يحي بن أبى أنيسة ، بهيئة التصغير ، الجزرى ، ضعيف من السادسة ، مات سنة ست وأربعين ومائة.

(٧) هوعروة بن الزبير بن العوام، أحد فقهاء المدينة السبعة . أمه أسماء بنت أبى بكر =

قالت : « سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للوزغ : فويسق » .
قالت : « ولم أسمعْ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمَرَ بقتله » .

قال[١] قالت عائشة رضى الله عنها : « سمعت سعدًا يقول : أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله » .

عبد الرحمن بن زياد قال : أخبرنى[٢] هشامٌ عن عروة عن عائشة « أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للوَزَغ : الفُويسق » .

أبو بكر الهذلىُّ ، عن مُعاذ عن عائشة قالت : « دخلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم علىَّ وفى يدى عُكَّازٌ فيه زُجٌّ، فقال: ياعائشة ماتَصنعين بهذا ؟ قلت : أقتلُ به الوزَغ فى بيتى . قال: إن تفعلى فإنَّ الدَّوابَّ كلها، حين أُلقى إبراهيمُ صلى الله عليه وسلم فى النَّار ، كانت تُطفِئ عنه ، وإنّ هذا كانَ ينفخُ عليه ، فصَمّ وبَرِص » .

وهذه الأحاديثُ كلها يحتجُّ بها أصحابُ الجهالات ، وَمَنْ زَعَمَ أنّ الأشياءَ كلها كانتْ ناطقةً ، وأنها أممٌ مجراها مجرى الناس .

(تأوُّل آيات من الكتاب)

وتأوّلوا قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَافَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ، وقالوا :

= وسمع من عائشة خالته ، وروى عنه الزهرى . ولد سنة ٢٢ أو ٢٦ الهجرية . وتوفى سنة ٩٣ أو ٩٤ . وكان عبد الملك يقول فيه : « من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة . فلينظر إلى عروة بن الزبير ! » .

(١) ليست فى س ، ه .

(٢) ط : « وأخبرنى » .

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ وقال[1] تعالى: ﴿ يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ[2] ﴾ وقال: ﴿ وَإِنَّ مِنَ الحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ المَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ﴾.

فذهبت الجهْمية وَمَنْ أنـكَرَ إيجاد الطّبائع مذهبًا، وذهب ابنُ حائطٍ[3] ومن لَفَّ لَفَّهُ من أصحابِ الجهالاتِ مذهبًا، وذهب ناسٌ من غير المتكلمين، واتّبعوا ظاهرَ الحديثِ وظاهرَ الأشعار، وزعموا[4] أنّ الحجارة كانت تعْقِلُ وتَنْطِقُ، وإنّما سُلبت المَنْطِقَ فقط. فأمّا الطير والسِّباع فعلى ما كانَتْ عليه.

قالوا: والوَطواط، والصُّرد، والضفدعُ، مطيعاتٌ ومُثابات[5]. والعقرب، والحيَّةُ والحِدَأة، والغراب، والوَزَغ، والكلب، وأشباهُ ذلك، عاصياتٌ معاقَبات.

---

(١) فى الأصل: «وقوله».

(٢) لا خلاف بينهم فى نصبه. وما روى عن البصرى وعاصم وروح من رفعه وإن كانت له أوجه صحيحة فى العربية، لايقرأ به؛ لضعفه فى الرواية. السفاقسى.

(٣) هو أحمد بن حائط، صاحب مذهب الحائطية، وكان من أصحاب النظام وأخذ عنه وأتى فى مذهبه بمنكرات عجيبة. ومما قاله: إن كل نوع من أنواع الحيوان أمة على حيالها؛ لقوله تعالى: «ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم» وقال: إن فى كل أمة منها رسولا من نوعها؛ لقوله تعالى: «وإن من أمة إلا خلا فيها نذير». انظر الملل والنحل (١ : ٨٠ – ٨١) والفرق ٢٥٥ – ٢٥٩ حيث تجد قولا فكها ضارباً فى الخيال. وفى الأصل: «ابن حافظ» وصوابه ما أثبت

(٤) هـ: «فزعموا».

(٥) ط: «مثانات» بالنون، صوابه فى س، هـ.

ولم أقف[1] على واحدٍ منهم فأقولَ له : إنَّ الوزَغةَ الّتى تقتلها على أنّها كانت تُضْرِم النّار على إبراهيم ، أهى هذه أم هى مِن أولادِها فمأخوذةٌ هىَ بذنب غيرها ؟ أم تزعم أنّهُ فى المعلوم أنْ تكون تلك الوزَغُ لاتلد ولا تَبيضُ ولا تُفْرِخُ إلاَّ من يدين بدينها ، ويذهبُ مذهبها ؟!

وليس هؤلاء مِمَّنْ يَفهَمُ تأويلَ الأحاديث ، وأىَّ ضرب منها ، يكون مردودًا ، وأىَّ ضربٍ منها يكون متأوَّلاً ، وأىَّ ضربٍ منها يقال ٩٧ إنَّ ذلك إنَّما هو حكايةٌ عن بَعْضِ القبائل .

ولذلك أقولُ : لولاَ مكانُ المتكلمين لهلكت العوامُّ ، واختُطِفَتْ واستُرِقتْ ، ولولا المعتزلة لهلك المتكلمون .

(أحاديث فى قتل الوزغ)

شريكٌ عن النَّخَعِىِّ ، عن ليثٍ ، عن نافع ، أنَّ ابن عمرَ كان يقتلُ الوزَغ فى بيته ويقول : هو شيطان !

هشام بنُ حسَّان ، عن خالد الرَّبعىِّ ، قال : لم يكن شىءٌ من خَشاشِ الأرض إلاَّ كان يُطفِئُ النّار عن إبراهيم ، إلاَّ الوزَغ ؛ فإنّهُ كان ينفخ عليه.

حنظلة بن أبى سفيان ، قال : سمعت القاسمَ بنَ محمَّدٍ يقول : إنَّ الأوزاغَ كانت يومَ حُرِق بيت المَقدِس تنفُخُه والوطاوِطَ[2] بأجنحتها .

شريكٌ عن النَّخَعىِّ ، عن جابرٍ ، عن ابن عباسٍ ، قال : الوَزَغ شَرِيكُ الشّيطان .

---

(١) ط : « أتق » تصحيحه من س ، هـ .

(٢) يجمع الوطواط على وطاويط ووطاوط ، كما هنا وكما فى القاموس .

أبو داود الواسطيّ قال : أخبرنا أبو هاشم ، قال : مَنْ قَتَلَ وزغةً حطَّ الله عنه سبعين خَطيئةً ، ومن قتل سبعًا[1] كان كَعِتْقِ رقَبة .

هشامُ بن حسّان ، عن واصلٍ مولى أبى عيينة[2] ، عن عقيل ، عن يحيى بن يعمر ، قال : لَأَنْ أقتُلَ مائةً من الوَزغ أحبُّ إلىَّ من أنْ أعتقَ مائةَ رقبة .

وهذا الحديثُ ليس من شكل الأوّل ؛ لأنّ يحيى بنَ يعمر لم يزعمْ أنّهُ يقتله لـكفره أو لـكفر أبيه ، ولـكنها دابّةٌ تُطاعمُ الحيَّاتِ وتُزاقُّها وتقاربُها ، وربَّما قتلَتْ بعَضّتها ، وتكرَع فى المرَقِ واللَّبن ثُمَّ تمجُّه فى الإناء فينالُ النَّاسَ بذلك مكروهٌ كبيرٌ ، من حيث لا يعلمون . وقتْلُه فى سبيل قَتْلِ الحيَّاتِ والعقاربِ .

(صنع السم من الأوزاغ)

وأهلُ السِّجْنِ[3] يعملون منها سمومًا أنفذَ من سمِّ البيشِ[4] ،ومن ريق

---

(١) تحتمل الرواية أن تكون سبعاً باسكان الباء ، أى هذا العدد من الوزغ . وتحتمل أيضاً أن تكون سبعاً بضم الباء ، بمعنى المفترس من الحيوان . والصدر الأول رواه الطبرانى فى الأوسط ، عن عائشة . ورمز له السيوطى فى الجامع الصغير ٨٩١٥ بحرف (ح) أى حسن .

(٢) واصل مولى أبى عيينة ، بتحتانية مصغر ، قال ابن حجر : صدوق من السادسة تقريب التهذيب .

(٣) أى القوامون بأمر السجن . ولعلهم كانوا يصنعون هذا السم ليتخلصوا ممن يلون أمرهم من المساجين ، أو لتخف عنهم مؤنة المراقبة ، أو تنفيذا لما يوحى به إليهم أولو الأمر . وفى الأصل : « أهل السحر » والأوفق ما أثبت كما فى عيون الأخبار (٢ : ٩٩) وسيأتى من الكلام أن « المسجون » هو الذى يطعم هذا السم .

(٤) البيش ، بالكسر : نبت صينى وهندىّ ، يطول إلى ذراع ، سبط الأوراق . وهو سمّ قتال ، أسرع فتكا بالإنسان من سم الأفاعى .

الأفاعى ؛ وذلك أنّهم يُدخِلون الوزَغَ قارورةً ، ثمّ يصبُّون فيها من الزَّيت مايغمرُها ، ويضعونها فى الشَّمسِ أربعين يومًا ، حتَّى تختلط بالزَّيت وتصيرَ شيئاً واحداً . فإنْ مسَحَ السَّجين منه على رغيفٍ مَسْحةً يسيرةً فأكلَ منه عشرةُ أنفسٍ ماتُوا[1] . ولا أدرى لِمَ توَخَّوْا من مواضع الدَّفْنِ عَتَبَ الأبواب[2] .

(حديث فيه نصائح)

يحى بن أبى أُنَيسة ، عن أبى الزُّبير ، عن جابر بن عبد الله ، قال : «أمَرَنَا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بأرْبَعٍ ونهانَا عن أربع ، أمَرَنَا أن أنْ نُجيفَ أبوابنا، وأنْ نخمِّرَ آنيتَنَا، وأنْ نوكىَ أسقِيَتَنا، وأنْ نُطفِئَ سُرُجَنا[3] . فإنَّ الشَّيطانَ إذا وجد باباً مُجافاً لم يفتحْه ، وإناء مخمَّرًا لم يكشِفْه ، وسقاءً مُوكًى[4] لم يحلّه . وإنَّ الفُوَيسِقَةَ[5] تأتى المصباحَ فتُضْرِمُه على أهل البيت. ونهانا عن أربع : نهانَا عن اشتمال الصَّمَّاء[6] ، وأنْ يمشىَ أحدُنَا فى النَّعْلِ

---

(١) ط : « ماترا » صوابه فى س ، ه .

(٢) أى دفنهم مايقتلون من الأوزاغ تحت عتب الأبواب .

(٣) أجاف الباب : رده عليه . وتخمير الآنية : تغطيتها . ويقال أوكى السقاء يوكيه : أى شده بالوكاء ، بالكسر ، وهو سير ، أو خيط . والسرج : جمع سراج ، وهو المصباح .

(٤) ط ، ه : « موكا » ووجه كتابته بالياء . وفى س : « موكأ » بالهمز . ولعلها لغة .

(٥) المراد بالفويسقة : الفأرة ، تصغير فاسقة .

(٦) اشتمل الصماء : رد الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر ، ثم رده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فيغطيهما جميعا ، فمن ذلك ماقيل الصماء . وللفقهاء تفسير آخر ، وهو أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره ، ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبيه ، فيبدو منه ما لايليق أن يبدو . س « الصماد » محرف .

الواحدةِ أو الخُفِّ الواحد، وأنْ يَحْتَبِيَ الرَّجُلُ مِنَّا فى الثَّوبِ الواحِدِ[١] ليس عليه غيره ، وأنْ يستلقِيَ أحدُنا على ظهره ويرفَعَ إِحدى رجليه على الأخرى[٢] »

٩٨ وهذا الحديثُ ليس هذا موضعَه ، وهو يقع فى باب جملة القول فى النّار ، وهو يقع [بعد[٣]] هذا الذى يلى القول فى النعام .

(ماجاء فى الحيّات من الحديث)

شعبة أبو بسطام ، قال أخبرنى أبو قيس ، قال : جلست إلى علقمة ابن قَيْس[٤] ، وربيع بن خثيم[٥] فقال ربيع : قولوا وافعَلُوا خيْرًا[٦] تُجْزَوْا خيرًا . وقال علقمة : مَن اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ ألاَّ يَرَى الحَيَّةَ ، إلاَّ قَتَلَهَا إلاَّ التى مثل الميل[٧] ؛ فإنَّها جانٌّ[٨] . وإنَّهُ لايضرُّه قتل حَيَّةٍ أو كافر .

---

(١) أى أن يضم رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليهما ، فربما تحرك ، أو زال الثوب فيقع صاحبه فى الحرج . ط : « أن يجتبي الرجل منا فى الثوب الواحد » وهو على الصواب فى س ، هـ .

(٢) روى هذا الحديث بروايات مختلفة فى (٥ : ٤١) .

(٣) الزيادة من س ، هـ :

(٤) هو علقمة بن قيس بن عبدالله النخعى الكوفى . ثقة ثبت فقيه عابد . وكان من كبار التابعين . توفى بعد الستين أو بعد السبعين . تقريب التهذيب .

(٥) هو الربيع بن خثيم ، بضم المعجمة الفوقية وفتح المثلثة ، ابن عائذ بن عبد الله الثورى الكوفى . ثقة عابد من كبار التابعين ، قال له ابن مسعود . « لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك » . مات سنة إحدى وقيل ثلاث وستين . عن تقريب التهذيب . وفى الأصل : « خيثم » وهو تحريف يتعرض له هذا الاسم كثيراً . وقد نبهت عليه فى تذييل الجزء الأول ص ٤٢٣ .

(٦) ط : « فقلت افعلوا خيرا » وتصحيحه وإكماله من س ، هـ .

(٧) الميل ، بالكسر : ذاك الذى يكتحل به . والنص مضطرب فى الأصل . ففى ط ، س : « إلى مثل الميل » وفى هـ : « إلى مثل » بدون ذكر « الميل » . ولعل الصواب فيه ما أثبت . ويؤيده ماورد فى نهاية ابن الأثير من الحديث : « أنه نهى عن قتل الجنان » قال : « هى الحيات التى تكون فى البيوت واحدها جان ، وهو الدقيق الخفيف » .

(٨) هـ : « فانه جانى » .

إسماعيل المكى[1] ، عن أبى إسحاق ، عن علقمة قال : قال عبد الله ابن مسعود : من قتل حَيَّةً فقتل كافرًا .

ثم سمعت عبد الرحمن بن زَيد[2] يقول : من قتل حَيَّةً أو عقربًا قَتَلَ كافرًا .

وهذا مما يتعلق به أصحابُ ابن حائطٍ[3] ،وتأويله فى الحديث الآخَر[4]

عبد الرحمن بن عبد الله المَسْعُودِىُّ[5] قال : سمعت القاسم بن عبد الرحمن ، يقول : قال عبد الله[6] : من قَتَلَ حَيَّةً أو عقربًا فكأنما قَتَلَ كافرًا . فعلى هذا المعنى يكونُ تأليف الحديث .

سعيد بن أبى عَرُوبة[7] ، عن قتادة أن رسول الله صلى الله عَلَيْهِ وسلم قال : «مَا سَالَمْنَاهُنَّ مُنْذُ حَارَبْنَاهُنَّ[8]» .

---

(١) فى الأصل : « المكنى » .

(٢) عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوى ، ولد فى حياة الرسول ، وولى إمرة مكة ليزيد بن معاوية . ومات سنة بضع وستين . ط ، هـ : «عبد الرحمن بن يزيد» ممن ولد فى عهد الرسول أيضاً . وترجم له ابن حجر فى الإصابة ٦٢٣٠ .

(٣) فى الأصل : « ابن حافظ » . وصوابه ما أثبت . وانظر ماسبق فى ص ٩٦ ساسى

(٤) إشارة إلى ماذهب إليه ابن حائط وأتباعه ، من أن الحيوان مكلف ، كما أن الإنسان مكلف ، وأن الله يرسل إليه رسلا منه كما يرسل إلى الناس ؛ فلذلك يكون من الحيوان المؤمن ، والكافر ، والصالح ، والطالح .

(٥) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الكوفى المسعودى ، مات سنة ستين أو خمس وستين بعد المائة . فى الأصل : «السعودى» وصوابه ما أثبت .

(٦) يعنى عبد الله بن مسعود .

(٧) سعيد بن أبى عروبة اليشكرى — مولاهم — البصرى . وكان من أثبت الناس فى قتادة . مات سنة ست أو سبع وخمسين ومائة . وأبوه أبو عروبة ، بفتح العين المهملة وضم الراء . واسم أبى عروبة مهران . عن تقريب التهذيب .

(٨) س : « حاوبناهن » وهو تحريف . وسيعاد هذا الحديث قريبا .

سعيد بن أبي عروبة[1] عن قتادة ، قالت عائشة : « مَنْ [تَرَكَ[2]] قَتْلَ حَيَّةٍ مخافةَ أثْـآرِهَا[3] فعليه لَعْنَةُ الله والملائكة » .

الرَّبيعُ بن صَبَيحٍ[4] عن عَطاء الخُراسانى[5] قال : كان فيما أُخِذ على الحيَّاتِ ألاَّ يَظْهرْن . فَمَنْ ظَهرَ منهنَّ حلَّ قتلُه . وقتالُهنَّ كقتال الكفّار ، ولا يَترُكُ قتلَهنَّ إلا شَاكٌّ .

وهذا ممَّا يتعلَّق به أصحابُ ابنِ حائطٍ .

محمَّد بن عَجْلانَ قال : سمعت أبي يحدِّث عن أبي هُرَيرة قال : قال رسُول الله صلَّى الله عليه وسلم : ماسَالَمْنَاهُنَّ مُذْ حَارَبْنَاهُنَّ .

ابن جُرَيج قال : أخبرنى عبد الله بن عُبيد بنِ عميْر[6] قال :

---

(١) ط : « سعيد بن عروبة » صوابه ما أثبت من س ، هـ . وانظر التنبيه الذى قبل السابق .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . ولا تصح المعنى ولا الرواية بدونها . أما عدم صحة المعنى فلقوله : « مخافة أثآرها » فالخوف من الثأر يقتضى عدم قتلها . وكان أهل الجاهلية يقولون : « إن الجن تطلب بثأر الجان إذا قتل ، فربما قتلت قاتله ، وربما أصابته بخبل ، وربما قتلت ولده » . انظر تأويل مختلف الحديث ١٤٦ . وأما الرواية فقد رواه ابن قتيبة على هذا الوجه : « من ترك قتل الحيات مخافة الثأر فقد كفر » وفى محاضرات الراغب : « من قتل حية تخاف أثآرها فعليه لعنة الله » .

(٣) ط : « إثارها » س ، هـ « اثارها » صوابهما ما أثبت من محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) . وهى جمع ثأر . وانظر التنبيه السابق .

(٤) الربيع بن صبيح ، بفتح المهملة ، السعدى البصرى ، صدوق سيء الحفظ . قالوا : أول من صنف الكتب بالبصرة ، كان من كبار أتباع التابعين . توفى سنة ستين ومائة .

(٥) هو عطاء بن أبي مسلم ، أبو عثمان ، الخراسانى . واسم أبيه ميسرة أو عبد الله . مات سنة خمس وثلاثين ومائة .

(٦) عبد الله بن عبيد بن عمير ، بتصغير الأخيرين ، من الطبقة الوسطى من التابعين ، استشهد غازيا سنة ١١٣ . وفى الأصل : « عبد الله بن عمر » . وليست تصح رواية ابن جريج عن عبد الله بن عمر فإن الأول ولد سنة ٨٠ على حين توفى عبد الله بن عمر سنة ٧٣ . والتصويب مما سبق فى (٢ : ٢٩٣) .

أخبرَني أبو الطفيل أنَّهُ سمع علىَّ بنَ أبى طالب رضى الله عنه يقول : «اقتلوا من الحيَّات ذا الطفيتين[١] ، والكلب الأسودَ البهيم[٢] ذا الغُرَّتَين[٣]» .
قال : والغُرّة[٤] : حُوّة تكون بعينيه .

(طعام بعض الحيوان)

قال صاحب المنطق : الطير عَلَى ضربين : أوابدُ وقواطعُ . ومنه مايأكل اللحم لايأكل غيرَه وإن لم يكن ذَا سِلاح . فأمَّا ذُو السِّلاح فَوَاجِبٌ أن يكون طعامُهُ اللَّحم . ومن الطَّيرِ مايأكُلُ الحُبُوبَ لايعْدُوها ، ومنه المشترك الطِّباع ؛ كالعصفُور والدَّجاج والغُراب ، فإنها تأكُلُ النوعين جميعًا ، وكطير المـاء ، يأكُلُ السمَكَ ويلقط الحبّ . ومنه مايأكل شيئًا خاصًّا ، مثل جنس النَّحل المَعَسِّل[٥] الذى غذاؤه شيء واحد ، وجنس العنكبوت ؛ فإن طعْمَ النَّحل المعسِّل العسل[٦] ، والعنكبوت يعيشُ من صيد الذباب[٧] .

---

(١) الطفيتان ، بالضم : خطان أسودان على ظهر الحية .

(٢) البهيم : الذى لا شية فيه .

(٣) فى الأصل : « القرنين » وهو تحريف صوابه ما أثبت . وانظر ما أسلفت فى (٢ : ٢٩٣) .

(٤) ط ، هـ : « والفرة » س : « والقرة » صوابهما ما أثبت . وانظر ما كتبت فى (٢ : ٢٩٣) .

(٥) المعسل : الذى يصنع العسل . وإنما قال ذلك لأن النحل قبل أن يصنع العسل ، يتخذ غذاءه من مختلف أنواع الأزهار . ط : « العسل » صوابه فى س ، هـ .

(٦) ط ، هـ : « فإن طعم النحل العسل » س : « فإن طعم النحل المعسل » وقد جمعت بينهما .

(٧) هـ : « الذبان » .

(ماله مسكن من الحيوان)

ومن الحيوان ماله مسكنٌ ومأوًى ؛ كالخُلْد[1] والفأر ، والنَّملِ ، والنَّحل ، والضَّبّ . ومنه مالا يتَّخذُ شيئاً يرجع إليه [كالحيَّاتِ[2]] ؛ لأنَّ ذُكورةَ الحيَّاتِ سَيَّارةٌ ، وإناثَها[3] إنَّما تقيم فى المكانِ إلى تمامِ خُروجِ الفِرَاخِ من البَيضِ، واستغناء الفِرَاخِ بأنفُسِها . ومنها مايكونُ يأوى إلى شُقوقِ الصُّخورِ والحِيطانِ ، والمداخِلِ الضَّيِّقه ، مثل سامّ أبْرَص .

٩٩

قال : والحيَّات تألفها كما تألفُ العقاربُ الخنافس . والعَظايا تألف المزابلَ والخراباتِ . والوزَغُ قريبةٌ من النَّاس .

(زعم زرادشت فى العظايا وسوامّ أبرص)

[وزعم[4]] زَرَادشْت[5] أنَّ العظايا ليستْ من ذواتِ السُّموم ،وأنَّ سامَّ أبرصَ من ذواتِ السُّموم ، وأنّ أهرمن[6] لما قعد ليقسِمَ السُّمومَ .

---

(١) الخلد ، بالضم ويفتح : ضرب من الفأر أعمى.

(٢) ليست بالأصل . والسياق يقتضيها .

(٣) فى الأصل : « وإنها » . والوجه ما أثبت . وعند الدميرى : « والذكر لا يقيم بموضع واحد . وإنما تقيم الأنثى على بيضها حتى تخرج فراخها وتقوى على الكسب » .

(٤) ليست بالأصل.

(٥) زرادشت: رجل ظهر فى عهد كيبشتاسب من ملوك الفرس الكيانيين، ودعا إلى دين المجوسية ، وهو صاحب الأبستا، وشرحه: الزندبستا، وقد ظهر قبل الاسكندر بنحو ثلثمائة سنة ، على مافى التنبيه والاشراف ٨٥ . وقد ظهر من بعده مزدك الموبذ ، فتأول الأبستا ، وجعل لظاهرها باطناً ، واستخلص من ذلك الديانة المزدكية . فى ط ، س : «درادشت» و هـ : «درادست» ، صوابه ما أثبت .

(٦) أهرمن ، هو فى مذهب زرادشت : رمز لقوة الشر، كما أن (أرموزد) رمز لقوة الخير . وكان يرى أن الاثنين يظلان فى نزاع دائم ، حتى يتغلب أرموزد على أهرمن فى نهاية الأمر . وبدل هذه الكلمة والتى قبلها فى كل من ط ، هـ: « لأنه » صوابه فى س .

كانَ الحظ الأوْفرُ لكلّ شيء سبقَ إلى طلبه ؛ كالأفاعى ، والثّعابين والجرّارات . وأنّ نصيبَ الوزَغ نصيبٌ وسَطٌ قصْد ، لا يكمل أن يقتُل ، ولكنه يزاقُّ الحيَّةَ[1] ، فتَميرُه[2] ممّا عندها . ومتى دَبَرَ[3] الوزَغُ جاء منه السمُّ القاتل ، أسرَعَ من سمّ البيش ، ومن لُعاب الأفاعى . فأمَّا العَظاية[4] فإنّها احتبسَتْ عن الطَّلبِ حتى نَفَدَ السمُّ ، وأخذَ كلُّ شىء قِسْطَهُ ، على قَدْرِ السَّبق والبكور ، فلما جاءت العظاية وقد فَنِيَ[5] السمُّ ، دخلها من الحسْرةِ ، وممَّا علاها من الكرْب ، حتى جعلت وجهَها إلى الخراباتِ والمزابِل . فإذا رأيْتَ العظايةَ تمشى مشْياً سريعاً ثمّ تقِفُ ، فإنَّ تلك الوقْفة إنَّمَا هى لما يعرضُ لها من التذكُّرِ والحسْرة على مافاتها مِنْ نصيبها من السمّ .

(ردّ عليه)

ولا أعلم العَظايةَ فى هذا القياس إلاَّ أكثر شُروراً من الوزَغ ؛ لأنها لولا إفراط طباعها فى الشَّرارة[6] ، لم يدخلها من قوّة الهمّ مثلُ الذى دخلَها

---

(١) يزاق الحية : مفاعلة ، من زق الطائر فرخه : أطعمه . س ، ه : « بزاق » صوابه فى ط .

(٢) ماره يميره ، وأماره يميره : جلب الطعام إليه . س : « فيميزه » صوابه فى ه ، ط .

(٣) دبر ، من باب نصر : أدركه الهرم والشيخوخة . ومنه فى الكتاب : « والليل إذا دبر » فى بعض القراءات .

(٤) العظاية ، بالفتح : دويبة كسامّ أبرص . ط : « الفظاية » صوابه فى س ، ه .

(٥) ط ، ه : « قنى » بالقاف ، ولا وجه له . وتصحيحه من س .

(٦) يقال شر يشر ويشر شراً وشرارة ، فهو شرير — بفتح الشين وكسر الراء — وشرير . كسكيت .

ولم يستَبِن لِلنَّاس[1] من اغتباط الوزَغ بنصيبه من السمِّ ، بقدْرِ ما استبان من شُــكل العظاية ، وتسلُّها و إحضارها[2] و بكائها وحُزْنِها ، وأسَفِها على ما فاتها من السُّمِّ .

(زعم زرادشت فى خَلْق الفأرة والسِّنَّور)

ويزعم زَرَادشْت[3] ، وهو مذهبُ المجوسِ[4] ، أنَّ الفأرةَ مِنْ خلق الله ، وأنَّ السِّنَّورَ من خَلْق الشَّيطان ، وهو إبليس ، وهو أَهْرِمَن[5] .

فإذا قيل له : كيف تقول ذلك والفأرةُ مُفسِدةٌ ، تجذب فَتيلةَ المِصباحِ فتحرق بذلك البيتَ والقبائلَ الـكثيرةَ ، والمُدنَ العِظام ، والأرباضَ الواسعة ، بمـا فيها من النَّاسِ والحيوانِ والأموال ، وتقرضُ دفاترَ العلمْ ، وكتبَ الله ، ودقائق الحساب ، والصِّـكاكَ[6] ، والشُّروطَ ؛ وتقرِضُ الثِّيابَ ، وربَّما طلبت القُطنَ لتأ كُلَ بِزْرَه فتدَعُ اللِّحاف غِرْبالاً ، وتقرِض الجُرُب[7] ، وأوْكِية الأسقِيَةِ والأزْقاقِ والقِربِ فتخرجُ جميعَ مافيها ؛ وتقع فى الآنية

---

(١) فى الأصل : « الناس » . وسياق القول يقتضى ما أثبت . واستبان بمعنى ظهر .

(٢) الإحضار : سرعة الجرى .

(٣) فى الأصل : « زرادست » وهو تحريف . وانظر ما سبق فى ص ٢٩٦ التنبيه الخامس .

(٤) ذاك الزعم مذهب المجوس ؛ لأن زرادشت صاحب مذهبهم .

(٥) ط : « وهرمن » وتصحيحه وإكماله من س ، ه . وانظر التنبيه السادس من صفحة ٢٩٦

(٦) الصك بمعنى الوثيقة ، معرب چك ، وهو بالفارسية : كتاب القاضى . وقيل : الصك عربى . شفاء الغليل .

(٧) الجرب ، بضمتين وبضمة أيضاً : جمع جراب ، بالكسر ، وهو الوعاء ، أو وعاء زاد المسافر .

وفى البئر ، فتموت فيه ، وتُحْوِج النّاسَ إلى مُؤَنٍ عِظام ؛ وربّما عضّت رِجْلَ النّائم ، وربّما قتلت الإنسان بعضّتها . والفأْر[1] بخُراسانَ ربّما قطعَتْ أذن الرَّجُل . وجِرذانُ أنطاكيةَ تَعْجِزُ[2] عنها السَّنانير ، وقد جلا عنها قومٌ وكرِهَها آخرون لمكانِ جِرْذانها . وهى التى فجرت المسنّاة[3] ، حتى كان ذلك سببَ الحَسْر[4] بأرض سبأ ؛ وهى المضروب بها المثَلَ . وسَيْل العَرِم ممّا تؤرِّخُ بزمانه العَرَب . والعَرِم : المسنّاة . وإنما كان جُرَذا .

100

وتقتل النَّخْل والفَسِيل[5] ، وتخرِّب الضَّيعة ، وتأتى على أزِمَّةِ الرِّكاب والخُطُم[6] ، وغير ذلك من الأموال .

والنّاسُ ربما اجتلبوا السَّنانيرَ ليدفعوا بها بوائق الفأر[7] — فكيفَ صار خَلقُ الضّارِّ المفسِدِ من الله ، وخَلقُ النّافِع من الضَّرَرِ مِنْ خَلق الشيطان ؟!

---

(١) أراد بالفأر هنا الجماعة . ط : « الفار » صوابه فى س ، ه .

(٢) ط : « تفجر » تصحيحه من س ، ه .

(٣) المسناة : السد الذى يعترض به الوادى تنظيم تدفق المياه . وفجر ، تقال بالتخفيف والتشديد ، بمعنى جعله ينفجر ويسيل .

(٤) الحسر : مصدر حسر الماء عن الأرض : نضب حتى بدا ماتحته . وجاء فى معجم البلدان (برسم مأرب) : « وجاء السيل بالرمل فطمها » . وطمها : من قولهم : جاء السيل فطم الركية : أى دفنها وسواها . ط : « الخسر » بالخاء المعجمة . وأثبت مافى س ، ه .

(٥) الفسيل : جمع فسيلة ، وهى النخلة الصغيرة . س : « النحل والعسيل » صوابه فى ط ، ه .

(٦) الركاب ، بالكسر : الإبل . والأزمة : جمع زمام . وهو مقود البعير . والخطم : جمع خطام ، وهو مايوضع على مخطم البعير ليقاد به . وفى الأصل : « على أقرحة الركاب والخضر » . وهى عبارة لاتتجه . والصواب ما أثبت .

(٧) بوائق : جمع بائقة ، وهى الداهية ، أو الشر .

والسِّنَّور يُعدَى به على كلِّ شيء خَلَقَهُ الشَّيطانُ[١] من الحيَّاتِ ، والعقارب ، والجِعلان ، وبناتِ وردان . والفأرةُ لا نَفْعَ[٢] لها . ومُؤْنها عظيمة .

قال : لأنَّ السِّنَّورَ لو بالَ فى البحر لَقَتَلَ عَشْرَةَ آلافِ سمكة !

فهَلْ سمعت بحُجَّةٍ قطُّ ، أو بحيلةٍ ، أو بأضحوكةٍ ، أو بكلامٍ ظهر على تلقيح هرة[٣] ، يبلغ مُؤَن هذا الاعتلال ؟! فالحمد لله الذى كان هذا مقدارَ عقولهم واختيارهم[٤] .

وأنشد أبو زَيْد :

والله لو كُنْتُ لهــذا خالِصًا   لــكنْتُ عبدًا آكل الأبارصا[٥]

يعنى جماعَ[٦] سامِّ أبْرص : أبارص .

---

(١) هذا مجاراة من الجاحظ للمجوسى الذى يعارضه .

(٢) فى الأصل : « لاتقع » .

(٣) كذا . والعبارة غير واضحة .

(٤) ظن بعض الناس أن مثل هذا التركيب فاسد ؛ لانعدام الرابط فى الصلة ، ومنهم الحريرى فى درة الغواص ١٠٠ . وقد رد عليه الخفاجى فى الشرح ٢٠٩ بأن حذف الرابط فى مثل هذا جائز ، كما هو معروف فى كتب النحو . فالتقدير هنا : الذى كان هذا منه ... الخ .

(٥) يصح أن تقرأ : « آكل » قراءة الفعل ، فتكون فعلا مرفوعا . ويجوز أيضاً أن تقرأ « آكل » قراءة اسم الفاعل المنصوب ، مع حذف التنوين كما جاء حذفه فى قوله :

فألفيته غــير مستعتب   ولا ذاكر الله إلا قليلا

بنصب لفظ الجلالة ، وحذف التنوين مما قبله . انظر ابن السيد فى الاقتضاب ٣٥٥ .

(٦) الجماع ، بالكسر ، بمعنى الجمع .

(أثر أكل سامّ أبرص ونحوه)

وسامُّ أبرص ربّما قتلَ آكله[1]، وليس يؤكل إلاَّ من الجُوع الشَّديد. وربما قتلَ السَّنانيرَ وبناتِ عِرْس، والشَّاهُمْرَكَ، وجميعَ اللَّقاطَات[2].

وقال آخر[3]:

كَأَنَّ القَوْمَ عُشُّوا لَحْمَ ضَأنٍ ... فَهُمْ نَعِجُونَ قد مالَتْ طُلاَهم[4]

وهو شيء يعرِض عن أكْلِ دَسَمِ الضَّأن، وهو أيضا يلقى على دسمه[5] النُّعاس. وقد يفعل ذلك الحَبَق[6]، والخشخاش.

[والخشخاشُ] يسمَّى بالفارسيَّة « أنارْ كِبُو[7] » وتأويله رمَّان الحسّ. وإنَّما اشتقَّ له ذلك إذ كان يورثُ النُّعاس، كما يورثه الحسّ.

---

(١) يصح قراءتها على المصدرية، أو على أنها اسم فاعل: (أكله) و: (آكله).

(٢) أي الحيوان الذي يلتقط غذاءه. ط: « اللقاهات » صوابه ما أثبت من س، هـ.

(٣) هو ذو الرمة، كما في لسان العرب (مادة نعج).

(٤) في المخصص (٥: ٨٠): « فإن أكل لحم ضأن فثقل على قلبه فهو نعج ». ومثل هذا النص في فقه اللغة ١٣٩ طبعة الحلبي، ولسان العرب: (نعج) مع رواية البيت في كل منها، وفي الأصل: « بعجون » بالباء وهذه الرواية مع احتمال صحتها لاتصلح مع تعقيب الجاحظ للبيت بما سيأتي من الكلام. والبعج: اتسع البطن والطلى، بالضم: الأعناق، جمع طلية بالضم. وإنما مالت طلاهم لما غلب عليهم من النوم. س: « كلاهم » وهو تحريف.

(٥) كذا. في ط، هـ. وفي س: « رسمه » ولعل صوابهما: « يلقى عن دسمه ».

(٦) الحبق، بالتحريك: ضرب من الرياحين.

(٧) هذه الكلمة الفارسية، مركبة من مقطعين، أحدهما (أنار) ومعناه الرمان. ويقال فيه أيضاً (نار). ومنه (جلنار) بمعنى زهر الرمان. و(جل) بمعنى زهر=

(أكل السمانى)

وأكلُ الطّعام الذى فيه سمَانَى يُورِثُ الدُّوَار . وزعموا أنَّ صبيًّا من الأعراب فيما مضى من الدَّهر ، صادَ هامةً[1] عَلَى قبر ، فظنها سُمَانَى ، فأكلها فغثَتْ نفسه ، فقال :

* نفسى تَمَقَّسُ مِنْ سُمَانَى الأقبرِ[2] *

(استطراد لغوى)

ويقال : غثَت نفسه غَثَيَاناً وغَثْياً[3] ، وَلَقِسَتْ تَلْقَسُ لَقَساً ، وَتَمَقَّست[4] تَتَمَقَّسُ تمقسا : إذا غَثِيت[5] .

(أكل الأعراب للحيات)

وأخبرنى صباح بن خَاقان ، قال : كنتُ بالبادية ، فرأيت ناسًا حَولَ نَارٍ فسألتُ عنهم ، فقالوا : قد صادوا حياتٍ فهم يشوُونها ويأكلونها ؛ إذْ نَظَرْتُ إلى رجلٍ منهم ينهش حَيةً قد أخرَجَها من الجمر ، فَرأيته إذا

=والثانى (كبو) ومعناه الحس . وفيه لغات : (كيو ، كيو ، كبو ، جبو). وهذه الكلمة محرفة فى الأصل . فهى فى ط ، هـ : « أباركوا » وفى س : « أباركو » . واعتمدت فى تصحيحها على معجمى بالمرو ريتشاردسن .

(١) الهامة : ضرب من البوم .

(٢) الأقبر : جمع قبر . والخبر فى اللسان (مقس) بصورة أخرى .

(٣) س : « عثت نفسه عثيانا وغثيا » بالعين المهملة فى الكلمة الأولى والثانية ، والمعجمة فى الثالثة . صوابه فى ط ، هـ .

(٤) فى الأصل : « وتعقس » . والوجه ما أثبت .

(٥) س : « عثيت » محرف .

امتنعَتْ عليه بِمدُّها كما يُمَدُّ عصَبٌ لم ينضَجْ . فما صرفتُ بصرى عنه حتّى لُبِطَ به[1] ، فما لبِثَ أن مات ، فسألتُ عنْ شأنه ، فقيلَ لى : عجَّلَ عليها قبلَ أن تنضَج وتَعْمَلَ النّار فى مَتْنها . ١٠١

(أكل الحوائين للحيات)

وقد كان فى بَغدادَ وفى البَصْرةِ جماعةٌ من الحوّائين ، يأكلُ أحدُهم أىَّ حيّةٍ أشرتَ إليها فى جَوْنَتِه ، غيرَ مشويّةٍ . وربَّما أخَذَ المَرارةَ[2] وسْطَ راحتِه ، فلَطَعها بلسانه ، ويأكلُ عشرين عقربانة[3] نِيَّةً[4] بدرهم . وأما المشوىُّ فإنَّ ذلك عنده عُرْسٌ[5] .

(شعر فى الحيات)

وقال كُثَيِّر :

وما زَالَتْ رُقَاكَ تَسُلُّ ضِغْنِى   فتُخْرِجُ من مكامِنِها ضِبابى[6]
وتَرْقِينِى لكَ الحاوُونَ حتّى   أجابَتْ حَيَّةٌ خَلْفَ الحِجَابِ[7]

---

(١) لبط به : صرع . وفى الأصل : « ليط به » بالياء ، وهو تحريف .

(٢) أى مرارة الحية . ه : « النواة » محرفة .

(٣) كذا فى الأصل . ولعلها : « عقربا » .

(٤) النيء بالكسر والهمز : اللحم الذى لم ينضج . وفى اللسان : « وقد يترك الهمز ويقلب ياء ، فيقال : نى ، مشددا » . فما هو هنا صواب .

(٥) العرس ، بالضم وبضمتين : طعام الوليمة .

(٦) س : « وتخرج » . وفى الأصل : « من مكانها » محرف . وانظر ماسبق فى س ٨٣ سادس .

(٧) انظر ماأسلفت من الكلام على هذين البيتين فى س ٨٣ سادس .

وقال أبو عَدنان[1] ، وذكر ابنَ ثَرْوانَ[2] الخارجيَّ ، حين [كان] صار إلى ظَهْر البصرة ، وخرج إليه مَنْ خرج مِنْ بنى نُمير :

حَسِبْتَ نُميرًا ياابن ثَرْوان كالأُلَى لَقِيتَهُمُ بالأمس : ذُهلاً ويَشْكُرَا[3]

كما ظَنَّ صَيَّادُ العصافيرِ أنَّ فى جَميعِ الكُوَى ، جَهْلاً ، فِرَاخا وأطيُرَا[4]

فأدْخَلَ يومًا كفَّهُ جُحْرَ أسوَدٍ فشَرْشَرَهُ بالنَّهش حتى تشَرْشَرَا[5]

أراد قول رؤبة :

كنتُمْ كمن أدْخَلَ فى جُحْرٍ يَدَا فأخطأ الأفْعَى وَلاَقَى الأسْوَدَا

لو مسّ حَرْفَىْ حجَرٍ تَقَصَّدَا[6] بالسَّمِّ لابالسمِّ منه قصدا[7]

فَقَدَّمَ الأسوَدَ على الأفعَى . وهذا لا يقوله مَن يَعرف مقدار[8] سُمِّ الحيات .

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ١٨٤) هـ : « أبو عجنان » محرف.

(٢) فى الأصل : « أبا ثروان » . وأثبت ما يقتضيه الشعر الآتى .

(٣) ط ، هـ : « حسبت غيرا » صوابه فى س . وذهل ويشكر : قبيلتان .

(٤) الكوى ، بالضم: جمع كوة بالضم ، وهى الخرق فى الحائط .

(٥) شرشره : قطعه تقطيعاً .

(٦) يقال قصده فتقصد : أى كسره فتكسر . وفى الأصل : « تفصد » وتفصد بمعنى سال لاوجه له هنا .

(٧) كذا فى ط ، هـ فيكون المراد بهذه قصد الحجر — بالقاف — بمعنى كسره . وفى س : « أقصدا » من أقصدته الحية : بمعنى قتلته مكانه .

(٨) س : « أقدار » . وانظر نقد هذا المعنى فى الصناعتين ٨٨ والوساطة ١٧ والشعراء ١٤١ .

وقال عنترة :

حلَفْنا لهُمْ والخيلُ تَرْدِى بنا معاً ... نزايلُكُمْ حتَّى تَهِرُّوا العَواليا(١)

عَوَالِىَ سُمْرٍ مِنْ رماحِ رُدَينةٍ ... هَرِيرَ الكلابِ يَتَّقِينَ الأفاعيا(٢)

(حديث فى الحية)

وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « اتَّقُوا ذَا الطُّفْيَتَيْنِ والأبتَرَ » . شبّه الخيطين على ظهره بخُوص المُقْل(٣) . وأنْشِدْت لأبى ذُؤيب :

عَفَتْ غيْرَ نُؤْيِ الدَّارِ لَأْياً أُبِينُهُ ... وأقْطاعِ طُفْيٍ قدعَفَتْ فى المعاقل(٤)

(١) ردت الخيل تردى : رجمت الأرض بحوافرها . نزايلكم : أى لا نزايلكم . فحذف النافى . وهو جائز مع القسم . وفى الكتاب : « تالله تفتؤ تذكر يوسف » أى لا تفتأ . وقال امرؤ القيس :

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ... ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

وانظر لهذه المسألة المخصص (١٣ : ١١٥) وأمالى المرتضى (٣ : ١٣٧) والأضداد ١٤٨ والصناعتين ١٧٦ ويقال : هرت إليه الكلاب وهرته : أى نبحته انظر أساس البلاغة . والعوالى ، رءوس الرماح . وليس المعنى أنهم ينبحونها ، ولكنه يريد إظهارهم بغضها والخوف منها . والكلب إذا خاف شيئا نبحه ، حتى إنه لينبح السحاب مما يلقى منه من أذى المطر . انظر (٢ : ٧٣ — ٧٤) .

(٢) سمر : أى رماح سمر . وروى فى الديوان والكامل ١٧٥ ليبسك : «عوالى زرقا» فتكون زرقا صفة للعوالى ، أى أسنة زرقا . والسنان الأزرق هو الشديد الصفاء ، فكأنه مرآة ينطبع فيها لون السماء . والبيتان من قصيدة لعنترة يقولها فى يوم (الفروق)وهو يوم كان لبنى عبس على بنى سعد بن زيد مناة ، ومطلع القصيدة :

ألا قاتل الله الطلول البواليا ... وقاتل ذكراك السنين الخواليا

(٣) انظر ما أسلفت فى ص ٩٨ ساسى .

(٤) النؤى : حفير حول الخباء أو الخيمة يمنع السيل ، والأقطاع : جمع قطع ، بالكسر بمعنى المقطوع . والمعاقل : جمع معقل ، كمجلس ، وهو المكان تعقل فيه الإبل =

وَالطُّفْىُ[1] : خُوص المقْل .

وهم يَصِفُونَ بَطْنَ المرأةِ الهيفاءِ الخَمِيصَةِ البطْن ، ببطن الحَيَّةِ . وهى[2] الأَيْم . وقال العجَّاج :

* و بَطْنَ أَيمٍ وقَوَامًا عُسْلُجَا[3] *

(مناقضة شعرية)

وقال أَدْهَمُ بنُ أَبِى الزَّعْراء[4] ، وشبَّه نفسَه بحيَّةٍ :

١٠٢ وما أسودٌ بالبأس ترتاحُ نفسُهُ إذا حَلْبَةٌ جاءتْ ويُطْرِقُ للحِسِّ

به نُقَطٌ حمـــرٌ وسودٌ كأنمـا تنضَّحَ نَضْحًا بالـكُحَيل وبالوَرْسِ[5]

= أى تشد ، وفى الأصل : « المعالف » وهو خطأ ؛ إذ أن البيت من قصيدة لامية ، مطلعها :

لمن طلل بالمنتضى غـــير حائل عفا بعد عهد من قطار ووابل

انظر اللسان (طفى) ومعجم البلدان (المنتضى) . ويروى أيضاً : « فى المناقل » و : « فى المنازل » كما فى اللسان .

(١) جمع طُفية بالضم ، وتجمع أيضاً على طفى بضم ففتح . قال (انظر اللسان) :

وهم يذلونها من بعـد عزتها كما تذل الطفى من رقية الراقى

أى ذوات الطفى ، بمعنى الحيات .

(٢) س : « وهو » والحية تذكر وتؤنث .

(٣) قوام عسلج ، بضم العين واللام ، أى ناعم يتثنى ويميل .

(٤) أدهم بن أبى الزعراء الطائى ، شاعر محسن ، له أشعار جياد فى أوصاف الحيات ، كما ذكر ذلك الآمدى فى المؤتلف والمختلف ٣١ . وهو من شعراء الحماسة . وهو كذلك شاعر إسلامى له شعر فى وقعة المنتهب ، التى كانت فى أيام مروان ابن محمد آخر خلفاء بنى أمية . انظر شرح التبريزى (٢ : ٨٢) . وفى ط : « أدهم بن أبى الزبعرى » و س : « أدهم بن أبى الزبعرى » . و هـ : « ابن أبى الزبعرى » والصواب فى ذلك ما أثبت .

(٥) الـكحيل ، بهيئة التصغير : القطران يطلى به الإبل ، وهو أسود اللون . والورس ، بالفتح : نبت يصبغ به ، فيعطى صفرة إلى حمرة .

أصمُّ قُطَارِىٌّ يكون خروجُه قُبيلَ غُروبِ الشَّمسِ مُخْتَلَطَ الدَّمْس [(١)]

له منزلٌ ، أنفُ ابنِ قِتْرَةَ يغتذى به السمَّ ، لم يظهر نهارا إلى الشَّمس [(٢)]

يَقيلُ إذا ماقَالَ بينَ شواهقٍ تزِلُّ العُقَابُ عن نفَانفِها الملس [(٣)]

بِأَجْرَأَ مِنِّى ياابْنَةَ القَوْمِ مُقْدَمًا [(٤)] إذا الحربُ دبَّتْ أو لَبِسْتُ لهـا لِبْسى [(٥)]

فأجابه عَنْتَرَةُ الطائى [(٦)] ، فقال :

عَسَاكَ تمنى مِنْ أراقمِ أرْضِنَا بأرْقَمَ يُسْقى السمَّ مِنْ كلِّ مَنْطِفِ [(٧)]

---

(١) قطارى ، بالضم : ضخم . مختلط الدمس : أى عند اختلاط الظلام .

(٢) ابن قترة ، بكسر القاف وإسكان التاء : حية خبيثة إلى الصغر ، تنطوى ثم تنقز ذراعاً أو نحوها ، لا تجرى . ط ، هـ : « ابن قترة » س : « ابن قترة » صوابهما ما أثبت . يقول : إن تلك الحية الصغيرة الخبيثة تقصد إلى منزل ذلك الأسود فتغتذى بأنفها السم . و : « به » بمعنى منه ، وفى الكتاب : « عيناً يشرب بها عباد الله » أى يشرب منها .

(٣) قال : أمضى وقت القائلة ، أى الظهر . والشواهق : الجبال العالية . والنفانف : جمع نفنف ، بفتح النونين ، وهو صقع الجبل الذى كأنه جدار مبنى مستو .

(٤) مقدما ، بضم الميم وفتح الدال ، أى إقداماً . ويصح أن يقرأ « مقدما » بضم الميم وكسر الدال ، نصب على الحال .

(٥) اللبس ، بالكسر : ما يلبس ، والمراد لباس الحرب : من الدرع والبيضة ونحوهما . ط ، هـ : « لبس » صوابه فى س .

(٦) هو عنترة بن عكبرة الطائى ، وعكبرة أم أمه ، وهو عنترة بن الأخرس بن ثعلبة . وساق نسبه الآمدى فى المؤتلف ١٥٢ قال : « شاعر محسن وفارس » . والبيت الآتى من أبيات خمسة فى الحماسة (٢ : ٣٨١) . وفى الأصل : « عنترة الصابى » وتصحيحه من المؤتلف وشرح التبريزى للحماسة (١ : ١١٨) .

(٧) تمنى ، أراد يقدر لك ، منى الله له الشىء : قدره . ولم أر تضعيف هذه النون إلا فى هذه الرواية . ورواية الحماسة ، وكذا محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) : « لعلك تمنى » . والمنطف : الموضع ينطف منه السم ، أى يقطر . وروى : « أنطف » على وزن أفعل ، قال التبريزى (٤ : ١٥١) . « وأفعل يوضع موضع فعل وفاعل » ونطف يقال من بابى نصر وضرب .

(شعر فى الأسود)

وقال عنترة :

أترجُو حياةً يابن بشْرِ بن مُسهِرٍ ... وقد علِقَتْ رجلاك فى ناب أسودَا

أصمَّ جِبالىٍّ[(١)] إذا عضَّ عضّةً ... تزايَلَ عنــــه جلدُهُ فتبدَّدا[(٢)]

بِسَلْعٍ صَفاً لم يبدُ للشَّمس قبلَها ... إذا ماراَه صاحب اليَمِّ أُرْعِدَا[(٣)]

له رِبْقَةٌ فى عنقه مِنْ قميصه ... وسائرُه عن مَتْنِهِ قـــــد تقَدَّدا[(٤)]

رَقُودِ ضُحيّاتٍ ، كأَن لِسانَهُ ... إذا سمِع الأجراس مِكْحالُ أرْمَدَا[(٥)]

يُفيتُ النفوسَ قبل أن يقع الرُّقى ... وإن أبرق الحاوى عليه وأرْعَدَا[(٦)]

---

(١) كذا . ويقال للحية : « ابنة الجبل » ورواية اللسان (مادة قطر) : « قطارى » بمعنى ضخم .

(٢) رواية اللسان : « تزيل أعلى جلده فتربدا » .

(٣) السلع ، بالفتح والكسر :الشق . واليم : الحية ، كما فى اللسان نقلا عن ابن برى ، وأرعد ، بالبناء للمجهول : أصابته الرعدة .

(٤) الربقة ، بالكسر . الحبل . وقيصه : جلده المنسلخ . والمتن : الظهر .

(٥) يقول : هو ينام فى الضحى ، وذاك من شأن الحيات ، وإنما تستيقظ فى الظلام . والأجراس : جمع جرس ، بالفتح ، وهو الصوت . وتقرأ أيضاً : « الإجراس » بالكسر ، وهو التصويت . ومكحال الأرمد : مايكتحل به . وجعل لسانه كالمكحال فى دقته ، وفى سواده أيضاً . ومكحال الأرمد أشد سوادا من غيره ، لكثرة مايستعمل .

ومن طريف ماجاء فى وصف لسان الحية بالسواد ، قول الآخر :

كأنما لسانه على فيه ... دخان مصباح ذكت ذواكيه

قال أبو العباس ثعلب : « يقال إنه لم يسمع فى صفة الحية أحسن من هذا البيت » انظر ديوان المعانى (٢ : ١٤٦) وقد سبق الكلام على لسان الحية فى ٥٤ سامى .

(٦) يفيت النفوس : يميتها موت الفجاءة . و« يقع الرقى » كذا فى الأصل . ولعلها : =

(شعر فى الحية)

وقال آخر :

لا يَنْبُتُ العُشْبُ فى وادٍ تكون به[(١)] ولا يجاورها وَحْشٌ ولا شجرُ

رَبْداء شابكةَ الأنياب ذابلة ينبو، من اليُبْسِ، عن يافوخها الحجَرُ[(٢)]

لو سرّحت بالنَّدَى ما مسَّها بلَلٌ ولو تكنَّفها الحاوون ماقدَرُوا[(٣)]

قد حاوَرُوها فما قام الرُّقاةُ لها وخاتلوها فما نالوا ولا ظفِرُوا[(٤)]

تقصر الورَلَ العادِى بضَرْبَتها نكزاً، ويهرُب عنها الحَيَّةُ الذَّكرُ[(٥)]

= « يسمع الرقى » . وأبرق وأرعد : تهدد وأوعد ، بما يتلو من العزائم .

(١) تكون به : أى تكون تلك الحية به . وليس يعنى أنها تمنع العشب من أن ينبت ، ولكنه يريد أنها تختار موضعها فى القفر .

(٢) ربداء : من الربدة ، وهى الغبرة . شابكة : مشتبكة . س ، هـ : «شائكة» وانظر ماسبق فى ص٢٨١ س ٥. وذابلة : دقيقة . ويعرض للحية الدقة عند الكبر فيكون ذلك أشد لسمها . ينبو : يرتد . س : « يافوخه » صوابه فى ط ، هـ . واليافوخ : ملتقى عظم مقدم الرأس ومؤخره .

(٣) يقول : ينزلق عنها الندى للاستها ، ولو أحاط بها الحاوون ليستخرجوها من جحرها ماأمكنهم ذلك . والحيات الخبيثة لاتستجيب لدعوة الراقى .

(٤) خاتلوها : خادعوها . س ، هـ : «فانابوا» صوابه فى ط .

(٥) الورل : حيوان من الزحافات طويل الأنف والذنب دقيق الخصر لاعقد فى ذنبه كعقد ذنب الضب ، وهو أطول من الضب وأقصر من التمساح : Varanus والعادى : الذى يعدو أى يجرى . و « تقصر » هكذا جاءت فى ط ، هـ . وفى س : « تفكر » . ولعلها : « تقصد » بالدال ؛ فإنه يقال أقصدته الحية : قتلته قتلا وشيكا . فلعل تلك من معنى هذه لامن لفظها . والنكز : طعن الحية الحيوان بأنفها .

جملة القول فى الظليم

فممّا فيه من الأعاجيب أنّه يغتذى الصَّخرَ، ويبتلع الحِجارةَ، ويعمِد إلى
١٠٣ المرْوِ، [والمرْوُ] من الحجارة التى توصف بالملاسة، ويبتلع الحصى، والحصى أصلبُ من الصَّخْر، ثمّ يُميعه ويذيبه فى قانصته[١]، حتّى يجعلَه كالماء الجارى. ويقصِدُ إليه وهو واثقٌ باستمرائه وهضْمه، وأنّه له غذاءٌ وقِوامٌ.

وفى ذلك أعجوبتان: إحداهما التَّغذّى بما لايُتَغذَّى[٢] به. والأخرى استمراؤه وهضمُه للشىء الذى لو أُلقِىَ فى شىءٍ ثمّ طبخ أبداً ما انحلّ ولا لان. والحجارة هو المثل المضروبُ فى الشدَّة. قال الشاعر:

* حتى يلين لِضِرْسِ المَاضغِ الحَجرُ *

وقال آخر[٣]:

مَاأطْيَبَ الْعَيْشَ لو أنَّ الْفتَى حَجَرٌ   تنبُو الحوادثُ عنهُ وهو ملمومُ[٤]

ووصف اللهُ قلوبَ قومٍ[٥] بالشدَّة والقسوة، فقال: ﴿فَهِيَ كَالحِجَارةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾، وقال فى التشديد: ﴿نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ[٦]﴾

---

(١) فى الأصل: «من قانصته».

(٢) بدله فى س: «بما لايغذو».

(٣) هو تميم بن أبى مقبل، كما فى شرح شواهد المغنى ٢٢٧.

(٤) الحجر الملموم: هو المجتمع الشديد.

(٥) هم بنو إسرائيل. انظر الآية الرابعة والسبعين من سورة البقرة.

(٦) وقع تحريف فى هذه الآية فى النسخ الثلاث. ففى ط: «النار» وفى س، هـ: «نار». وهذه الآية هى السادسة من سورة التحريم: «ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون». وفى سورة البقرة أيضاً: «فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين». الآية ٢٤.

لأنه حين حذر النَّاسَ أعلمهم أنَّه يُلقِي العُصاة فى نارٍ تأكلُ الحجارةَ .

ومن الحجارةِ مايتّخذه الصفّارونَ[(١)] عَلاةً[(٢)] دونَ الحديد ؛ لأنّه أصبرُ على دقِّ عِظام المطارق والفطِّيسات[(٣)] .

فجوفُ النَّعامة يُذيب هذا الجوهرَ الذى هذه صفته .

(شواهد لأكل النعام الحصى والحجارة)

وقال ذو الرُّمّة :

أذَاكَ أمْ خاضبٌ بِالسِّيِّ مرتعُهُ ... أبو ثَلاثِينَ أمْسى وهو منْقَلِبُ[(٤)]

شخت الجزارة مثلُ البيتِ سائرُه ... من المُسوحِ خِدَبٌ شوقَبٌ خَشِبُ[(٥)]

---

(١) الصفارون : جمع صفار ، وهو من يعمل الصفر ، وهو بالضم : النحاس الجيد أو الأصفر . ط ، هـ : « الصائغون » والوجه ما أثبت من س ؛ إذ أن السياق يأبى مافى ط ، هـ

(٢) العلاة ، بالفتح : السندان ، وهو بالفتح مايطرق عليه الحديد ونحوه .

(٣) جمع فطيس ، كسكيت ، وهى المطرقة العظيمة . ط : « النطيسات » س : « العطيسات » صوابهما ما أثبت من هـ .

(٤) أذاك : يقول أذاك الثور يشبه ناقتى أم خاضب صفته كذا وكذا . والخاضب : الظليم ، أى ذكر النعام ، الذى احمرت ساقاه . والسىّ بكسر السين بعدها ياء مشددة : ما استوى من الأرض . وجاء فى الأصل بالهمز ، صوابه فى اللسان (سى) والمخصص (٨ : ٥٢) وأمالى القالى (٣ : ١٦٤) وديوان ذى الرمة ص ٢٨ كمبردج . أبو ثلاثين : أى أبو ثلاثين فرخا . والنعام يبيض نحو العشر فما فوقها ، فأراد بالثلاثين أنه قد حضن أبطنا فعرف مايصلح البيض وما يفسده ، فهو حينما ينتهى من الرعى يهرع إلى أدحيته . وقال : أمسى ، ليعبر عن جده فى اللحاق قبل الليل ، ولأنه يكون فى ذلك الوقت قد رعى فاشتدت قوته . منقلب : منصرف . ط ، هـ : « وذاك » صوابهما فى س والمخصص والأمالى والديوان . ط : « مرتعة » صوابه فى جميع المصادر . ط ، هـ : « فهو منقلب » وهى رواية المخصص أيضاً .

(٥) شخت الجزارة : أى دقيق القوائم . والجزارة ، بالضم : أجر الجزارة ، كالعمالة أجر العامل . وكانوا يأخذون القوائم فى أجرة الجزار فسميت القوائم جزارة . مثل =

كأنَّ رجليه مِسْماً كانِ من عُشَرٍ صَقْبَانِ لمْ يَتَقَشَّرْ عنهما النَّجَبُ[1]

أَلْهَاهُ آءٌ وتَنُّوم ، وعُقْبَتُهُ مِنْ لائحِ المَرْوِ ، والمَرْعَى له عُقَبُ[2]

وقال أبو النَّجْم :

والمَرْوُ يُلْقِيهِ إلى أمعائه[3] فى سَرْطَمٍ مَادَ على التوائه[4]

= البيت ، هو البيت من بيوت العرب من المسوح . قال المبرد: « يعنى إذا مد جناحيه . وإنما أخذه من قول علقمة بن عبدة:

صعل كأن جناحيه وجوجؤه بيت أطافت به خرقاء مهجوم »

والمسوح : جمع مسح ، بالكسر ، وهو الكساء من الشعر . والخدب : الضخم . والشوقب : الطويل . خشب : غليظ خشن . ط : « حدب » صوابه فى س ، هـ والديوان والكامل ٤٤٩ ليبسك .

(١) المسماك : عود يكون فى الخباء . والعشر : ضرب من كبار الشجر ، له صمغ حلو . صقبان : طويلان . والنجب : لحاء الشجر ، أى قشره . جعل رجليه كالمساكين الطويلين الخشنين . وفى الأصل : «كأن عينيه» وهو من عجيب التحريف . وصوابه ما كتبت من الديوان . ط : « لم يتشر » صوابه فى س ، هـ والديوان .

(٢) الآء : شجر له ثمر يأكله النعام . والتنوم : شجر له حمل صغار مثل حب الخروع ، وينفلق عن حب يأكله أهل البادية ، وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورق . عقبت الماشية فى المرعى : رعت الخلة عقبة ثم تحولت إلى الحمض عقبة أخرى ، أو العكس . أى هو بعد أن يأكل هذين يجعل عقبته من لائح المرو . والمرو : الحجارة البيض . واللائح : اللامع .

(٣) المرو فسر قريباً . فى الأصل : «والمرء» تصحيحه من عيون الأخبار (٢ : ٨٦) والأمعاء : جمع معى بالتحريك ، وبكسر الأول وفتح الثانى . فى الأصل : « معائه » تحريف ما أثبت من عيون الأخبار ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) .

(٤) السرطم ، كجعفر : البلعوم . فى الأصل : «سرطه» وصوابه من عيون الأخبار . ماد البلعوم : مال واضطرب . فى الأصل : « مار » ويصح بها المعنى ، لكن يسترك بها الرجز لما سيأتى فى البيت بعده . وفى عيون الأخبار : « هاد » والوجه ما أثبت . على التوائه : أى بسبب التواء بلعوم هذا الظليم .

يَمُورُ فى الحلْقِ على عِلْبَائِه[١] تَمَعُّجَ الحيَّةِ فى غِشَائِهِ[٢]

* هادٍ ولو حَارَ بَحوصَلائِه[٣] *

(إذابة جوف الظليم للحجارة)

ومَنْ زَعَمَ أنَّ جَوفَ الظَّلِيمِ إنما يُذِيب[٤] الحِجارة بقَيظ الحرارة فقد أخطأ . ولكنْ لابدَّ من مقدارٍ للحرارة [و[٥]] نحو غرائزَ أخر، وخاصّيّات أخر . ألا تَرَى أنَّ القُدورَ التى يُوقَد تحتها الأيَّامَ واللَّيالىَ ، لاتذوب .

(القول فى الخاصيات والمقابلات والغرائز)

وسأدلُّك على أنَّ القولَ فى الخاصّيّاتِ والمقابلات والغرائز حقٌّ . ألا ترى أنَّ جوفَ الكلْبِ والذِّيبِ يذيبان العِظام ولا يذيبان نَوَى التمر ، ونَوَى التمر أرخَى وألين وأضعَفُ من العظام المصْمَتة . وما أكثر مايَهضِم

(١) يمور : أى يضطرب ويتردد ، والضمير للمرو . ط ، س : « تمر » ﻫ : « يمر » صوابهما من المخصص (١٦ : ٦٣) وهو ما يقتضيه ارتباط هذا البيت عما بعده . والعلباء ، بالكسر : عصب العنق . فى الأصل : « علیائه » بالياء ، والوجه ما أثبت موافقاً لما فى المخصص .

(٢) التمعج : التلوى . ورواية المخصص (١٦ : ٢٨ ، ٦٣) : « تعمج » بتقديم العين ، وهما بمعنى واحد . وغشاء الحية : غلافه. والمراد جلده الذى يسلخه. والحية يذكر ويؤنث ، جعل حركة المرو يتردد فى حلق الظليم كحركة الحية حين تضطرب فى جلدها قبل تمام انسلاخه . فى الأصل : « عشائه » صوابه من المخصص .

(٣) يقول : ذلك المرو ، ولو حار قليلا فى وصوله إلى حوصلة الظليم ، فهو هاد بها فى آخر الأمر ، أى مهتد . ط ، ﻫ : « جاد » محرفة . س : « حاد » . والأوفق ما أثبت من المخصص (٨ : ١٢٢) . و « بحوصلائه » : أى هو مهتد بحوصلائه ، كأنها علم له . ورواية المخصص : « لحوصلائه » .

(٤) ط ، ﻫ : تذيب ، صوابهما فى س .

(٥) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إليها .

١٠٤ العظم . وقد يهضم العظمَ جوفُ الأسد وجوفُ الحيَّةِ ، إذا ازدردت بضع اللحمِ[١] بالشَّرَهِ والنَّهَم ، وفيها بعضُ العِظام .

والبراذين التى يُحيلُ[٢] أجوافُها القَتَّ والتِّبن[٣] رَوْثاً ، لاتستمرِى الشعير .

والإبلُ تقبضُ بأسنانِها على أغْصانِ أمِّ غَيْلَان ، وله شوكٌ كصَياصِى البقر[٤] ، والقُضبانُ علِكةٌ[٥] يابسةٌ جرد ، وصلاب متينة ، فتستمرئُها[٦] وتجعَلُها ثَلْطاً[٧] ولا تقْوَى على هضْم الشَّعِير المنْقَع . وليس ذلك إلاَّ بالخصائص والمقَابلات .

وقد قُدِّرَ كلُّ شىء لشىء . ولولا ذلك لما نفذ خرطومُ البعوضةِ والجِرجسة فى جلد الفيلِ والجاموس ، ولَمَا رأيت الجاموسَ يهرُب إلى الانغماس فى الماء مرّةً ، ومرّةً يتلطَّخ بالطِّين ، ومرّةً يجعله أهله على ر بيث الد كان[٨] . ولو دفعوا إليك مِسَلّةً شديدةَ المَتْن ، لَمَا أدخلْتَها فى جلد الجاموسِ إلاّ بَعدَ التكلُّفِ ، وإلاّ ببَعْضِ الاعتماد .

والذى سخَّر جلدَ الجاموسِ حَتَّى انفرَى وانصدع لطَعْنةِ البعوضة ،

---

(١) البضعة ، بالفتح وقد تكسر : القطعة من اللحم جمعها بضع بالفتح ، وكعنب ، وصحاف ، وتمرات .

(٢) فى الأصل : « يحل » .

(٣) القت : يابس الفصفصة ، والفصفصة ما يعرف فى مصر بالبرسيم . فى الأصل : « ألقت » صوابه ما أثبت .

(٤) صياصى البقر : قرونها ، مفردها صيصية .

(٥) علكة : شديدة .

(٦) فى الأصل : « تستمرئها » .

(٧) الثلط ، بالفتح : الروث . س ، ه : « ثلكا » صوابه فى ط .

(٨) كذا .

وسخَّرَ[١] جلد الحمار لطعْنة الذُّباب ، وسخَّر الحجارةَ لجوف الظليمِ ، والعَظْمَ لجوف الـكلبِ ـ هو الذى سخَّر الصَّخْر الصُّلبَ لأذناب الجراد ، إذا أرادتْ أن تُلقى بيضها ؛ فإنَّها فى تلك الحال مَتَى عقدَتْ ذنبها فى ضاحى صخْرةٍ[٢] انصدعَتْ لها . ولو كان انصداعُها من جهة الأَسْر[٣] ، ومن قوَّة الآلة[٤] ، ومن الصَّدم[٥] وقوَّةِ الغمْز ، لانصدعت لما هُو فى الحسِّ أشدُّ وأقوى . ولـكنَّه على جهة التَّسخير ، والمقابلات ، والخصائص .

وكذلك[٦] عُود الحَلْفاء ، مع دِقّته ورَخاوته ولِين انعطافه ، إذا نبَتَ فى عُمق الأرضِ ، وتلقَّاه الآجُرُّ والخزَفُ الغليظ ، ثقَبَ ذلك ، عند نباته وشبابه ؛ وهو فى ذلك عبقَرٌ نَضير .

وزعم لى ناسٌ من أهل الأُرْدُنِّ ، أنّهم وجَدوا الحلْفاء قد خَرَق جوف القار[٧] .

وزعم لى أبو عتّاب الجرّار[٨] ، أنّه سمع الأكَرَة يُخبِرونَ أنَّهم وجدوه قد خَرَقَ فَلْسًا[٩] بَصْريًّا .

---

(١) ط . « وسخر » صوابه فى س ، هـ .

(٢) ضاحى الصخرة : ظاهرها . س ، هـ : « صاحى » صوابه فى ط .

(٣) الأسر ، بالفتح : القوة .

(٤) س : « الأيد » .

(٥) ط ، هـ : « الصدع » صوابه فى س .

(٦) س : « ولذلك » .

(٧) القار : الزفت . ط : « الفار » س « نار » كذا . صوابهما فى هـ .

(٨) ط : « الجزار » وأثبت مافى س ، هـ . وانظر ماسبق فى (٣ : ٣٤) .

(٩) الفلس : جزء من أجزاء الدرهم . وقد تحدث عنه حضرة المحقق الـكبير الأب أنستاس مارى فى حواشى النقود العربية ٦٧ ــ ٦٨ . ط : « وقد قلع فلسا بصريا » .

وليس ذلك لشدَّةِ الغمزِ وحِدَّة الرأس ، ولكنه يكون على قدْر ملاقاة الطباع .

ويزعمون أنَّ الصَّاعقة تسقُطُ فى حانوت الصَّيقل[1] فتذيب السُّيوفَ بطبعها[2] ، وتدع الأغمادَ عَلَى شبيهٍ بحالها . وتسقُطُ عَلَى الرَّجُلِ ومعه الدراهمُ فتُسبك الدَّراهم ، ولا يصيبُ الرجُلَ أكثرُ من الموت .

والبحريُّون عندنا بالبصرة والأُبلَّة التى تكون عنها الصَّواعق ، لايدعون فى صحُون[3] دُورهم وأعالى سُطوحهم ، شيئاً من الصُّفر إلاَّ رفعوه ؛ لأنَّها عندهم تنقضُّ من أصل مخارجها ، على مقدارٍ من محاذاة الأرض ، ومقابلةِ المكان . فإذا كانَ[4] الصُّفر لها ضاحياً ، عدَلَتْ إليه عن سَنَنها[5] .

وما أنكر ماقالوا . وقد رأيتُهم يستعمِلون ذلك .

وقد يَسْقط النَّوى[6] فى تُرَابِ المتوضَّإ ، فإذا صهرِجَ نَبَتَ[7] فإذا انتهى إلى الصَّاروج أمسك . وإن كان الصَّاروج رقيقاً فإنْ قُيِّرَ[8] ، وجُعِلَ غِلظُهُ بقدر طول الإبهام ، نبت ذلك النَّوى حتَّى يخرِق ذلك القار . ١٠٥

---

(١) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها .

(٢) س : « وطبعها » .

(٣) صحن الدار : وسطه .

(٤) فى الأصل ، « كانت » .

(٥) السنن : الطريق . ط : « سنتها » . والوجه ما أثبت من س ، ه .

(٦) فى الأصل : « وقد تسقط النواة » والسياق يقتضى ما كتبت .

(٧) صهرج المتوضأ : عمل بالصاروج ، وهو النورة أو أخلاطها .

(٨) أى جعل فوقه القار . ط : « وإن كان الصارج » صوابه فى س ، ه .

ولورام رَجُلٌ خرْقَه بمسمارٍ أوسِكّة[1]، لما بلغ إرادتَه حتى يشقَّ على نفْسه.

والذى سخّرَ هذه الأمورَ القويّةَ فى مذْهب الرّأى و إحساسِ النّاس، هو الذى سخَّر القُمقُم، والطَّيجن، والمِرْجَل، والطَّستَ، لإبرة العقرب.

فما أُحصِى عدَدَ مَنْ أخبرنى من[2] الحوّائين، من أهل التّجارب، أنّها ربّما خرجتْ من جُحرها فى الّليلِ لطلَب الطُّعم[3]، ولها نشاط وعُرَام[4]، فتضرِب كلَّ ما لقِيَتْ ولقِيها: من حيوانٍ، أو نباتٍ، أو جماد.

وزعم لى خاقانُ بن صبيح - واستشهد المثنَّى بنَ بِشْر، وما كان يحتاجُ خبَرُه إلى شاهدٍ؛ لصدقه - أنّه سمعَ فى داره نَقْرَةً وقعتْ على قُمقُم - وقد كان سمع بهذا الحديث - فنهض[5] نحوَ الصّوت، فإذا هو بعقربٍ فتعاورها هو والمثنى بنعالهما[6] حتى قتلاها، ثمَّ دعوَا بماءٍ فصبّاه فى القُمقُم فى عشِيَّتِهما، وهو صحيحٌ لا يسيلُ منه شىء.

فمن تعجّبَ من ذلك فليصرِفْ بَدِيًّا[7] تعجُّبَه إلى الشىء الذى

(١) السكة: الحديدة. وأصلها حديدة الحراث. ط: «سلة» وأثبت ما فى س، هـ.

(٢) فى الأصل: «عن».

(٣) ط، هـ: «الطعام» وما أثبت من س أشبه بلغة الجاحظ. والطعم، بالضم: الطعام.

(٤) العرام، بضم العين المهملة: الحدة والشدة. وهذه الكلمة محرفة فى الأصل، فهى فى ط، س: «غرام» و هـ: «عزام».

(٥) هـ: «فناهض» صوابه فى ط، س.

(٦) التعاور: التداول والتناوب. س، هـ: «بنعلهما» وهو وجه جائز، وأثبت ما فى ط. انظر تذييل الجزء الثانى ص ٤٠٣.

(٧) بديا: أى بدءا وأولا. وجاء فى س: «بدءا».

تقذفه بذنبها[1] العقربُ فى بدَن الإنسان والحميرِ والبغال ، فليفكِّر[2] فى مقدار ذلك من القلة والكثرة . فقد زعم لى ناسٌ من أهل العَسْكر[3] أنّهم وزنوا جَرَّارةً[4] بعد أنْ ألْسَعُوها[5] فوجدوا وزنَها على تحقيق الوزن على مقدارٍ واحد . فإن كان الشيء المقذوفُ من شكل [الشيء] الحارّ ، فلِمَ قصَّرت النّارُ عن مبلغ عمله ؟! وإن كان من شِكل الشيء البارد فلِمَ قصَّر الثلج عن مَبْلغ عمله ؟! فقد وَجَبَ الآنَ أنَّ السمَّ ليس يقتل بالحرارة ، ولا بالبرودة إذا كان باردًا . ولو وجَدْنا فيما أردنا شيئاً بلغ مبلغَ الثّلجِ والنار لذكرْناه .

فقد دلّ ماذكرنا على أنّ جوفَ النَّعامةِ ليس يُذيبُ الصَّخرَ الأملسَ بالحرارة ، ولكنَّه لابدَّ على كلِّ حالٍ من مقدارٍ من الحرارة ، مع خاصِّيَّات أُخَرَ ، ليستْ[6] بذاتِ أسماء ، ولا تعرفُ إلاَّ بالوهم فى الجملة .

---

(١) ط ، ه : « بديها » س : « بدبها » ولعل الوجه ما أثبت .

(٢) كذا فى س . وفى ط ، ه : « فيفكر » .

(٣) هو عسكر مكرم ، بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء : بلد من نواحى خوزستان . قال الجاحظ عند ذكر الجرارات : « وهى تكون بعسكر مكرم وجنديسابور » . وقال الدميرى عند ذكر الجرارات : « وهى عقارب صغار صفر على مقدار ورق الأنجذان . وتكون بعسكر مكرم » .

(٤) الجرارة : واحدة الجرارات . وهى ضرب من العقارب صغار تجرر أذنابها وفى الأصل : « جرادة » تحريف . انظر التنبيه السابق .

(٥) ألسعوها : أى مكنوها من لسع حيوان . ط ، ه : « التقوها » صوابه ما أثبت من س .

(٦) ط ، س : « ليسب » تصحيحه من ه .

(علة قتل السم)

والسمّ يقتل بالكمّ والكيف والجنس . والكَمُّ: المقدار . والكيف: الحدّ . والجنس : عَيْنُ[1] الجوهرِ وذاتُه .

وتزعمُ الهندُ أنّ السّمّ إنما يقتُل بالغَرابة ، وأنّ كلَّ شيء غريب خالَطَ جَوْفَ حيَوَانٍ قتَلَهُ . وقد أبى ذلك ناسٌ فقالوا : وما بالُه يكون غريبًا إذا لاقى العصَبَ واللَّحم ، وربّما كان عاملاً فيهما جميعا . بل ليس يقتل إلاّ بالجنس ، وليس تُحسُّ النَّفسُ إلاّ بالجنس . ولو كان الذى يميت حِسَّهُمَا إنَّمَا يميته لأنهُ غريبٌ ، جَازَ أيضًاأنْ يكون الحَسَّاس إنما حَسَّ[2] لأنه غريب . ولو كان هذا جائزاً لقيل فى كلِّ شىء .

وقال ابن الجهم : لولا أنّ الذهب المائعَ ، والفضّة المائعة ، يجمدان إذا صارا فى جوف الإنسان ، وإذا جَمُدَا لم يجاوِزَا مكانَهما ـ لكانَا[3] ١٠٦ من القواتل بالغرابة :

وهذا القول دَعْوَى فى النفس ، والنَّفْسُ تضيق جدًّا . وما[4] قرأت للقدماءِ فى النفْس الأجلادَ الكثيرة . [و[5]] إنما يستدلُّ ببقاءِ تلك الكتبِ على وَجْهِ الدَّهر إلى يومنا هذا ، ونَسْخِ الرِّجَال لها أمَّةً بعدَ أمَّة ، وعمرًا بعد عمر ، على جهل أكثَرِ النّاسِ بالكلام . والمتكلمون

(١) فى الأصل : « غير » وصوابهما كتبت .

(٢) هى صحيحة . وفى القاموس : « وحسست الشىء : أحسسته » .

(٣) فى الأصل : « لكان » . والوجه إلحاق ألف الاثنين .

(٤) لعلها : « وقد » .

(٥) ليست بالأصل .

يريدون أن يَعلَمُوا كلَّ شيء ، و يأبى الله ذلك . فهذا بابٌ من أعاجيب الظليم .

باب آخر

وهو عندى أعجب من الأول

وهو ابتلاعُهُ الجمرَ حتى ينفذَ إلي جوفه ، فيكونَ جوفُه هو العامل فى إطفائه ، ولا يكونَ الجمرُ هو العامل فى إحراقه .

وأخبرنى أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن سَيّارٍ النّظّام ـ وكنّا لا نرتاب بحديثه إذا حَكَى عن سماعٍ أو عِيان ـ أنّهُ شَهِدَ محمد بنَ عبد الله ، يلقى الحجَرَ فى النّار ، وإذا عاد كالجمر قَذَف به قُدّامَهُ ، فإذا هو يبتلعه كما يبتلع الجَمْرَ . وكنتُ قلت له : إنَّ الجَمْرَ سخيفٌ سريعُ الانطفاء إذا لقى الرُّطوباتِ ، ومتى أطبقَ عليه شيء يحُولُ بَيْنَهُ و بين النّسيم خَمَدَ ، والحَجَرَ أشدُّ إمساكاً لما يتداخَله من الحرارة ، وأثقَلُ ثِقَلاً ، وألزقُ لزُوقاً وأبطأ انْطِفاءً ، فلو أحميْتَ الحجارة ! فأحماها ثم قذف بها إليه ، فابتلع الأولى فارتَبَت به ، فلما ثنى وثلّثَ اشتدّ تعجبي له ، فقلت له : لو أحميت أواقىّ الحديدِ ، ما كان منها رُبْعَ رِطلٍ ونصف رطل ! ففعل ، فابتلعه ، فقلت: هذا أعجبُ من الأوّلِ والثّانى ، وقد بقيَتْ علينا واحدةٌ ، وهو أن ننظر : أيَسْتَمْرِى[1] الحديدَ كما يستمْرِى الحجارة ؟ ولم يتركنا بعضُ السفهاء

(١) يستمرى : يستسيغ . وأصلها الهمز .

وأصحاب الخُرْقِ[١] أن نتعرّفَ ذلك على الأيّام . وكنتُ عَزَمْتُ على ذبْحه وتفتيش جَوْفِه وقانصته ، فلعلّ الحديد يكون قد بقى هناك لاذائباً ولا خارجًا فعمَد بعضُ نُدمائه إلى سِكّين فأُحْمِىَ ، ثم ألقاه إليه فابتلعه ، فلم يجاوزْ أعلى حلقِه حتى طلع طرفُ السِّكين من موضع مَذْبَحِه ، ثمّ خرّ ميّتاً . فَمنعَنَا بخُرقِه من استقصاء ما أردْنا .

(شبه النعامة بالبعير وبالطائر)

وفى النّعامة أنّها لاطائرٌ ولا بعير . وفيها من جهة المَنْسِم [والوظيف[٢]] والخَرَمَةِ[٣] ،والشقّ الذى فى أنفه ، ما للبعير . وفيها من الرِّيش والجَناحَين والذّنبِ والمِنْقارِ، ما للطائر . وما كان فيها من شكل الطّائر أخرجَهَا ونقَلها إلى البيض[٤] ، وما كان فيها من شكل البعير لم يخرجها ولم ينقلها إلى الوُلْدِ[٥] . وسماها أهل فارس :«أُشْتُرْمُرْغ[٦]» كأنّهم قالوا:هو طائرٌ وبعير. ١٠٧

(١) الخرق ، بالضم : الحمق وسوء التصرف .

(٢) الوظيف : مستدق الذراع والرجل من الخيل والإبل . وهذه الزيادة من س

(٣) الخرمة ، بالتحريك : موضع الخرم من الأنف . وفى كل أنف خرمات ثلاث ، ثنتان خارجتان عن اليمين واليسار ، والثالثة الوترة التى بين المنخرين . ط : « الخزامة » وهى بالكسر : مايوضع فى خرمة الأنف ، وليست مرادة . س ، هـ : « الحزامة » صوابه ما أثبت .

(٤) البيض ، ككتب ، وبالكسر أيضاً : جمع بائض وبيوض . والعبارة محرفة فى الأصل . ففى جميع النسخ : « وفيها إلى مافيها من شكل الطائر » وبعد كلمة « الطائر » فى كل من ط ، هـ : « حذقها » وفى س : « حذفها » . وهو تحريف جد مضلل ، وقد هدانى إلى تصحيح العبارة ، ماتقتضيه المقابلة بين هذه الجملة و لجملة التى تتلوها .

(٥) الولد ، بالضم وكسكر : جمع والد بمعنى والد . وفى اللسان : « وشاة والدة وولود : بينة الولاد . ووالد ، والجمع ولد » وانظر تاج العروس . ط ، هـ : « الواعر » وصوابه ما أثبت من س .

(٦) « أشتر » بضم الهمزة والتاء ، ويقال أيضاً : « شتر » بحذف الهمزة وتقل =

(شعر فى شبه النعامة بالبعير والطائر)

وقال يحيى بن نوفل :

فأنتَ كساقطٍ بين الحَشَايا تَصير إلى الخَبيثِ من المَصير[1]

ومثلُ نَعامةٍ تُدْعَى بعــــيراً تعاظُمها إذا ماقيل طِــــيرِى[2]

فإن قيل احْمِلى قالت فإنِّى منَ الطَّيرِ المُرِبَّةِ بالوُكورِ[3]

ثمَّ هجا خالداً[4] فقال :

وكنتَ لَدَى المُغيرة عَيْرَ سَوْء تَصُول ، من المَخافةِ ، للزَّئيرِ[5]

= الضمة إلى الشين : معناه البعير.ومرغ ، بالضم : معناه الطائر .

(١) جعله ممن يلازم الفراش ، ويقعد عما تقتضيه الشجاعة والرجولة . وجاء فى حديث على « من يعذرنى من هؤلاء الضياطرة ، يتخلف أحدهم يتقلب على حشاياه ! » . وقال عمرو بن العاص : « ليس أخو الحرب من يضع خور الحشايا عن يمينه وشماله » . الخور : اللينات . « تصير » هى فى الحيوان (٧ : ٩) والبيان (٢ : ١٩٣) : « يصير » .

(٢) تعاظمها : أى ادعاؤها العظمة والفوق على الطيور . وجاءت الرواية كذلك فى الجزء السابع ، والبيان ، وأصل عيون الأخبار (٢ : ٨٦) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) . وروى : « تعاصينا » كما هى عند الدميرى . وروى فى اللسان (مادة نعم) : « تعاظمه » أى تعاظم البعير .

(٣) أرب الطائر بوكره : لزمه ولم يفارقه .

(٤) هو خالد بن عبد الله القسرى . وروى الجاحظ فى البيان (١ : ٩٥) بيتين ليحيى بن نوفل فى هجاء خالد بن عبد الله القسرى :

بل السراويل من خوف ومن وهل واستطعم الماء لما جدّ فى الهرب

وألحن الناس كل الناس قاطبة وكان يولع بالتشديق فى الخطب

(٥) المغيرة هذا هو المغيرة بن سعيد ، صـــاحب فرقة المغيرية ، وهو متنبئ خرج فى إمارة خالد بن عبد الله القسرى ، وكان يقول بإلاهية على ، وتكفير أبى بكر ، وعمر وسائر الصحابة إلا من ثبت مع علىّ . وظفر به خالد بن عبد الله ، آخر الأمر ، فأحرقه وأحرق أصحابه فى سنة ١١٩ من الهجرة . والعير : الحمار الوحشى =

لأعلاجٍ ثمانيةٍ وعِلْجٍ كَبيرِ السِّنِّ ذى بصَرٍ ضَرِيرٍ[1]
هتَفْتَ بكلِّ صَوتِكَ : أطْعِمُونِى شراباً ؛ ثمَّ بُلْتَ عَلَى السَّرِيرِ[2]

وإنما قيل ذلك فى النَّعامةِ ؛ لأنَّ النَّاسَ يضربون بها المثلَ للرَّجل إذا كان مِمَّنْ يعتلُّ فى [كُلِّ[3]] شىءٍ يكلفونه بِعِلة ، وإن اخْتَلَفَ ذلك التكليف ، وهو قولهم : «إنما أنتَ نعامةٌ ، إذا قيل لها احملى قالت: أنا طائر ، وإذا قيل لها طيرى قالتْ : أنا بعير » .

(قصة أذنى النعامة)

وتزعمُ الأعرابُ أنَّ النَّعامةَ ذهبَتْ تطلُبُ قرنَين ، فرجَعت مقطوعةَ الأذنين ؛ فلذلك يسمُّونه الظَّليم[4] ، ويصفونه بذلك .

وقد ذكر أبو العِيالِ[5] الهُذَلىّ ذلك ، فقال :

= جعله عند ملاقاته للمغيرة كالعير، إذا سمع زئير الأسد دفعته شدة الجبن والذعر إلى أن يهاجم هو الأسد ، مما ضاع من صوابه وطار من رشده ، وهذا معروف من طباع العير . والبيت محرف فى الأصل وفى البيان أيضاً . فهو فى الأصل : « عبد سوء تصول من المخافة للزمير » وفى البيان : « تبول من المخافة للزئير » . وصوابهما ما أثبت .

(١) يشير إلى المغيرة وكبار أتباعه . وللمرزبانى حديث عن هذا البيت فى الموشح ٢٣٥

(٢) انظر لتوضيح هذا البيت ماسبق فى (٢ : ٢٦٧ س ١٠) والحواشى .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) الظليم ، أى المظلوم ، كقتيل وجريح . وانظر ماسيأتى فى ١٢٧ — ١٢٨ وجاء فى هذا قول بشار ، كما فى محاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) .

وكنت كالهيق غدا يبتغى قرناً فلم يرجع بأذنين

(٥) أبو العيال ، شاعر من شعراء هذيل ، مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وأسلم فيمن أسلم من هذيل ، وعمر إلى خلافة معاوية . الأغانى (٢٠ : ١٦٧). الجمحى : « كان رجلان من هذيل يسكنان مصر — أحدهما يقال له بدر بن عامر والآخر يقال له أبو العيال بن أبى غثير . فبينا ابن أخ لأبى العيال قائم عند قوم =

وإِخال[1] أن أخاكم وعِتابَه[2] إذ جاءكم بتعطُّفٍ وسكونِ[3]

يُمسِي إذا يُمسِي ببطن جائعٍ صِفْرٍ ووجـهٍ ساهمٍ مَدْهُونِ[4]

فغدَا يُمَثُّ[5] ولا يُرَى فى بَطْنِهِ مثقالُ حَبَّةِ خَرْدلٍ موزُونِ[6]

أو كالنَّعامةِ إذْ غدت من بيتها ليُصَاغ قَرْناها بِغَـيْرِ أذِينِ[7]

فاجتُثَّت الأُذْنان منها فانْثَنَتْ صَلْمـاءَ ليسَتْ مِنْ ذَواتِ قُرُونِ[8]

= يتنضلون إذ أصـابه سهم فقتله . فخاصم فى دمه أبو العيال ، وأنه اتهم به بدر ابن عامر ، أن يكون ضلعه مع القوم الذين يخاصمهم ، وخاف أن يعينهم عليه » وقد قال بدر بن عامر يبرئ نفسه مما قيل لأبى العيال وقرف به ، شعراً روى فى (بقية أشعار الهذليين) المطبوع فى لندن ١٨٥٤ ، فأجابه أبو العيال مرة فرد عليه بدر أخرى ، وهكذا حتى تجاوبا عدة مرات . انظر بقية أشعار الهذليين ص١٣٦. وهذا الشعر الآتى هو المجاوبة الخامسة من أبى العيال الهذلى . وروى قصة الشعر أبو الفرج فى الأغانى (٢٠ : ١٦٧) معزوة إلى الأصمعى وأبى عمرو . وفيها زيادة : أن ذينك الرجلين الهذليين خرجا إلى مصر فى خلافة عمر بن الخطاب . وهذا الاسم هو فى الأصل : « أبو العاس » وصوابه ماذكرت .

(١) س : « وأخاك » صوابه فى ط ، هـ وبقية أشعار الهذليين .

(٢) فى الأصل : « رعنانة » تصحيحه من بقية أشعار الهدليين

(٣) قال ابن حبيب : يقول : جاءكم متعطفا ساكنا يريكم أن باطنه صـالح ، وهو باطن سيئ .

(٤) ط : « يمشى إذا يمشى » صوابه فى س ، هـ والمصدر المتقدم . والصفر بالكسر : الخالى الذى لاطعام فيه . ساهم : ضامر مهزول . وقد دهن وجهه ليرى الناس أنه مخصب وليخدعهم عن سهومه وتغيره .

(٥) يمث : يرى على سحنته وجلده مثل الدهن . فى الأصل : « يموت » وهو تحريف صوابه فى بقية أشعار الهذليين . والرواية فيه : « فيرى يمث » .

(٦) مثقال : مقدار . وحب الخردل من أصغر الحبوب . يريد مثقال حبة خردل من طعام . وجعله موزونا مبالغة منه وإظهارا للمعنى.

(٧) بغير أذين:أى من غير أن يؤذن لها . فى الأصل : « لتصاغ » ووجهه ما أثبت من بقية أشعار الهذليين .

(٨) اجتثت : قطعت من أصلها . والصلماء : المقطوعة الأذنين .

(تقليد الغراب للعصفور)

ويقولون : ذَهَبَ الغُراب يَتَعَلَّمُ مِشْيَةَ العُصفور[١] ، فلم يتعلّمْها ، ونسِيَ مِشيتَهُ . فلذلك صارَ يَحجِلُ ولا يَقْفِزُ قَفَزَانَ العُصْفُور[٢] .

(مشى طوائف من الحيوان)

والبُرغوث والجرادةُ ذاتُ قفْزٍ ، ولا تمشى مِشْيَةَ الدِّيكِ والصَّقرِ والبازى ، ولكن تمشى مِشية المقيَّد أوالمُحَجَّل[٣] [خِلْقَةً[٤]] .

قال أبو عِمران الأعمى[٥] ، فى تحوُّل قُضاعةَ إلى قحطانَ[٦]

---

(١) الشعر الذى أرويه يشير إلى أنهم زعموا أيضاً أنه رام تقليد القطاة . وهو :

إن الغراب وكان يمشى مشية ... فيما مضى من سالف الأجيال
حسد القطاةورام يمشىمشيها ... فأصابه ضرب من العقال
فأضل مشيته وأخطأ مشيها ... فلذاك سموه أبا المرقال

(٢) هى صحيحة . يقال قفز يقفز قفزاً وقفزانا وقفازاً — بضم ففتحة خفيفة — وقفوزاً . والأسير والأعرف : نقز العصفور ينقز نقزاً ونقزانا .

(٣) المحجل : الذى قيدت قوائمه . وفى الأصل : « الحجل » محرف .

(٤) هذه الزيادة من س ، هـ . وهى فى أصلها : « خلقته » .

(٥) كذا فى ط ، هـ وفى س : « أبو عمروان الأعمى » . ولعل صوابه : « أبو السرى معدان الأعمى » أحد الشميطية الذين سبق ذكرهم فى حواشى (٢ : ٢٦٨) .

(٦) قضاعة ، هو قضاعة بن معد بن عدنان . وقد تحولت إلى حمير فعدت فى اليمن . انظر المعارف ص ٢٩ . وقد وضح ابن الكلبي سبب هذا التحول بأن قضاعة ليس ولداً شرعياً لمعد بن عدنان ، بل والده هو مالك بن حمير من اليمن ، فلما توفى والد قضاعة تزوجت أمه — وكان اسمها عكبرة — بمعد بن عدنان ، فتبناه حينئذ وتكنى به ، فنسب إليه ، أى إلى معد ، فى أول الأمر . ثم عاد النسب إلى حقيقته فصار يعرف بقضاعة بن مالك بن حمير . انظر النص فى الروض الأنف (١ : ١٦) . وقد قال عمرو بن مرة يذكر هذا النسب .

نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر ... قضاعة بن مالك بن حمير =

عَنْ نزار[١] :

كما استَوحَشَ الحىُّ المقيمُ فَفارقُوا الْ ... خَليطَ فلا عزَّ الَّذين تَحَمَّلوا

كتاركٍ يومًا مِشْيَةٍ مِنْ سَجِيَّةٍ ... لأخرى ففاتَتْهُ فأصبحَ يَحْجِلُ[٢]

(عظام النعامة)

١٠٨ ومن أعاجيبها أنَّها مع عِظَمِ عظامها ، وشدَّة عدْوها ، لا مخَّ فيها .

وفى ذلك يقول الأعلم الهذلىُّ :

عَلَى حتِّ البُرَايَةِ[٣] زَمْخَرِيِّ السَّ ... واعِدِ[٤] ظَلَّ فى شَرْىٍ طُوالِ[٥]

يعنى ظليماً شبَّه [بِهِ[٦]] عدْوَ فرسِه . والحَتُّ[٧] : السريع . والشَّرى :

= النسب المعروف غير المنكر ... فى الحجر المنقوش تحت المنبر

وقال الكميت يعاتب قضاعة فى انتسابهم إلى اليمن .

علام نزلتم من غير فقر ... ولا ضراء منزلة الحبيل

والحبيل : السبى يحمل من بلد إلى بلد .

(١) أى عن إخوتهم نزار بن معد بن عدنان . وفى الأصل : « بن نزار » وليس شيئاً ؛ فإن قحطان هو ابن عابر ؛ كما اتفقت على ذلك كتب الأنساب .

(٢) المشية ، بالكسر : الهيئة من المشى . وقد فصل بين المتضايفين بالظرف ، وهو جائز . وفى الأصل : « مشيه » والصواب ما أثبت ؛ لقوله : « أخرى » أى لمشية أخرى .

(٣) حت ، بحاء مفتوحة بعدها تاء مثناة . وفى الأصل : « حث » بالمثلثة . وهو وهم وتحريف . صوابه من اللسان (حتت ، زمخر ، برى) وحماسة البحترى ٦٦ حيث يتوسط البيت خمسة أبيات مروية هناك . س : « البرية » تحريف .

(٤) الزمخرى : سيفسره الجاحظ . س : « ذمخرى » صوابه بالزاى كما أثبت .

(٥) تقرأ بالكسر ، جمعا لطويل . وبالضم ، مفرد بمعنى الطويل . قال ابن جنى « يريد أنهن إذا كن طوالا سترنه فزاد استيحاشه . ولو كن قصاراً لسرَّح بصره ، وطابت نفسه ، فخفض عدوه » .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) ط ، هـ : « الحث » س : « الحب » . صوابهما بالمثناة . انظر التنبيه الثالث .

الحنظَل . و بُرايته : قوّته على ما يَبْرِيه من السَّير[1] . والسَّواعد : مجارى مخِّه فى العظم وكذلك مجارى عروق الضَّرْع ، يقال لهـا السَّواعد .

قال : ونظنّ أنَّما قيل لها ذلك لأنّ بعضها يُسْعِدُ[2] بعضاً ؛ كأنّه من التَّعاون أو من المواساة[3] .

قال : والزَّمْخَرِىّ : الأجوف . ويقال : إنّ قصَبَ عظْم الظَّليم لامخّ له . وقال أبو النجم :

* هاوٍ يظلُّ المخُّ فى هَوائه *

وواحد السَّواعد : ساعد .

وقال صاحب المنطق : ليس المخُّ إلاَّ فى المجوَّفة[4] ، مثل عظم الأسد .

وفى بعض عظامه مخٌّ يسير . وكذلك المخُّ قليلٌ فى عِظام الخنازير ، وليس فى بعضها منه شىءٌ البتَّة .

(بيض النعام وما قيل فيه من الشعر)

ومِنْ أعاجيبها أنّها مع عِظم بيضها تكثِّرُ عدَد البيضِ ، ثمَّ تضَع بيضَها طولاً ، حتّى لو مددْت عليها خيطا لمـا وجدت لها منْهُ[5] خُروجًا عن الأخرى ، تُعطى كلَّ بيضةٍ من ذلك قسْطَه . ثمَّ هى مع ذلك ربَّمـا تركت

---

(١) ذهب ابن سيده فى تفسير هذا البيت إلى أن « حت البراية » بمعنى منحت الريش لمـا ينفض عنه عفاءه من الربيع . والبراية :النحاتة . وأنا أستحسن ما ذهب إليه.

(٢) أسعده بمعنى أعانه وفى ط ، هـ : « يساعده » وأثبت ما فى س

(٣) ط ، هـ . « المساواة » والوجه ما أثبت من س .

(٤) أى العظام المجوفة .

(٥) أى من الخيط . وفى الأصل : « منها » .

بيضها وذهبَتْ تلتمسُ الطَّعام ، فتجدُ بيضَ أُخرَى فتحضنُه . وربَّما حضَنت هذه بيضَ تلك ، وربّما ضاع البيضُ بينهما .

وأمّا عدَدُ بيضِها ورِئالها فقد قال ذُو الرُّمَّةِ :

أذاكَ أم خاضِبٌ بالسِّيِّ مرتَعُه أبو ثلاثينَ أمسَى وهو مُنْقَلِبُ[(١)]

وفى وضْعها له طُولاً وعرضا على خطٍّ وسَطْرٍ ، يقول[(٢)] :

وَمَا بَيْضَاتُ ذِى لِبَدٍ هِجَفٍّ سُقِينَ بِزَاجِلٍ حَتَّى رَوِينَا[(٣)]

وُضِعْنَ فكلُّهُنَّ على غِرارٍ هِجانُ اللَّونِ لم تقرع جَنِينا[(٤)]

يَبِيتُ يَحُفُّهُنَّ بِمِرْفَقَيْهِ وَيَلْحَفُهُنَّ هَفهافًا ثَخِينا[(٥)]

---

(١) سبق الكلام على هذا البيت فى ص ٣١١ . س : « أخاك » هـ : « بالشى » ط « بالسىء » وكل ذلك محرف . س ، هـ : « فهو منقلب » .

(٢) القائل هو عمرو بن أحمر الباهلى ، كما سيأتى فى ١١٢ ساسى والكامل ٢٥ ليبسك وعيون الأخبار (٢ : ٨٧) واللسان (هجف) .

(٣) عنى باللبد هنا الريش . والهجف ، بكسر ففتح : الطويل الضخم ، أو المسنّ . ط ، هـ : « نجف » س : « بنجف » صوابه من اللسان والمخصص (٨ : ٥٥) . والزاجل ، بفتح الجيم ، ويقال بالهمز أيضاً : مايسيل من مؤخر الظليم على البيض إذا حضنه . س : « بداجل » صوابه فى ط ، هـ والمخصص واللسان (هجف ، زجل) .

(٤) غرار ، بالكسر : أى حد واحد وقالب واحد . وأصل الغرار المثال الذى يضرب عليه النصل فتخرج النصال متساوية متشابهة . والهجان : البيض اللون . ولفظه بكسر الهاء يقال للواحد والجمع . و « لم تقرع » هكذا جاءت فى الأصل ورواية المبرد : « قد وسقت » بمعنى حملت . ولعل سبب تحريف الأصل اشتباه هذا البيت ببيت عمرو بن كلثوم :

ذراعى حرة أدماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا

فحدث فيه لذلك الوهم ثم التحريف . ثم إن العلامة المرصفى وهم أيضاً فى شرح هذا البيت من الكامل (رغبة الآمل ١ : ١٤٧) فجعله فى صفة نوق ، وإنما هو فى صفة بيض النعام .

(٥) لحفه ، من باب منع : غطاه باللحاف . هفهافا ، يعنى به الجناح . وثخينا : أى =

وقال الآخر [(١)] :

تهوِى بها مُسْكرَبَاتٌ فى مَرافقها ... فُتْلٌ صِلابٌ مَياسيرٌ مَعَاجيلُ [(٢)]

يَدَا مَهَاةٍ ، ورِجْلا خَاضبٍ سَنِقٍ ... كأَنَّهُ مِنْ جَنَاهُ الشَّرْىَ مَحلولُ [(٣)]

هَيْقٍ هِجَفٍّ وَزِفَّانِيَّةٍ مَرَطَى ... زَعْراءَ ، رِيشُ جناحيها هَرَاميلُ [(٤)]

= تراكب ريشه بعضه فوق بعض . والبيت فى الأصل :

تبيت تحفهن بمرققيها ... وتلحفهن هففا ثخينا

والوجه ما أثبت ، إذ أن الضمائر راجعة إلى الظليم . ورواية اللسان فى مادة (هفف) : « يبيت يحفهن بقفقفيه » . وفى مادة (قفف) : « فظل يحفهن بقفقفيه » . وقفقفا الظليم : جناحاه .

(١) هو الشماخ ، من قصيدة له فى ديوانه ٧٧ — ٨٢ مطلعها :

بانت سعاد فدمع العين مملول ... وكان من قصر من عهدها طول

(٢) تهوى بها : أى تسرع . والضمير عائد إلى الناقة فى بيت سابق . والمكربات : المشدودات ، يعنى أن أذرعها مشدودة بمرافقها . وفتل : جمع أفتل وفتلاء ، بمعنى مندمجة شديدة . ط ، هـ : « ملزمات » س : « مكرمات » وهما تحريف ما أثبت .

(٣) المهاة : البقرة الوحشية . والخاضب : الظليم احمرت ساقه . والسنق : الذى أصابه السنق والبشم من الشبع . من جناه الشرى : أى من تناوله الحنظل ، وهو أطيب طعام عند النعام . يقال جنى الثمر يجنيه جنى ، بالتحريك . والمحلول . هو الفصيل يجعل فى لسانه عود ليمنعه من الرضاع . جعل الظليم ، فى امتناعه عن الطعام ، مما شبع ، كالفصيل المحلول الذى لا يستطيع الرضاع . والبيت محرف فى الأصل تحريفا كبيراً ، فنى الأصل : « أشق » موضع « سنق » والأولى لا وجود لها فى اللغة وتصحيحه من الديوان . س . « من حناه » هـ : « من حناة » صوابه فى ط والديوان . س . « محلول » صوابه فى ط ، هـ والديوان .

(٤) الهيق : الطويل . والهجف : الطويل الضخم . وفى الديوان واللسان (هرمل) والمخصص (٨ : ٥١) : « هزف » والهزف : السريع . والزفانية ، بالكسر كما فى القاموس(زفف) — السريعة . ط ، هـ : « زفافية » س : « زنافية » محرفتان . وضبطت فى المخصص ضبط قلم وكذا فى الديوان بالفتح . والمرطى ، بفتحات : السريعة . وفى الأصل والديوان : « مرطا » صوابه فى المخصص واللسان (هرمل) . والزعراء : القليلة الريش . والريش الهراميل : المتفرقات . وفى الأصل : « هذاميل » صوابه فى الديوان والمخصص واللسان .

كأنما مُنْتِقى أقماعِ ماهَصَرَتْ ... مِنَ العِفَاءِ بِلِيتَيْهَا ثآليلُ[١]

تَرَوَّحا مِنْ سنام العِرقِ فالتَبَطَا ... إلى القِنَانِ التى فيها المداخيلُ[٢]

١٠٩ إذا استهلاَّ بشُؤْبوب فقد فُعِلَتْ ... بمـا أصابَا مِنَ الأَرْضِ الأفاعيلُ[٣]

فصادَفَا البيْضَ قد أبدَتْ مناكبهَا ... منها الرِّئالُ ، لهـا منها سَرَابيلُ[٤]

فنَكَّبَا ينقفَانِ البَيْضَ عن بَشَرٍ ... كأنها ورقُ البَسْباسِ مَغْسُولُ[٥]

---

(١) يقول : كأن رءوس مغارز الريش الذى هصرته تلك النعامة ونزعته ، بثور ظاهرة . والليت ، بالكسر : صفحة العنق . فى الأصل : « من النقار » وتصحيحه من الديوان . والعفاء ، بالكسر : الريش . س : بليديها » هـ : « بلبيها » بهذا الإهمال . وصوابهما فى ط والديوان .

(٢) تروحا : أى سارا فى الرواح . وسنام العرق : أعلاه . والعرق ، بالكسر : الأرض المرتفعة ، أو الحبل الرقيق المستطيل من الرمل . س : « العرف » بالفاء ، وهو بالضم : الأرض المرتفعة . وأثبت ما فى ط ، هـ والديوان. والتبطا : توجها. والقنان : جمع قنة بالضم ، وهى الجبل السهل المستوى المنبسط على الأرض . وفى الأصل : « النقار » وأثبت ما فى الديوان . والمداخيل : المداخل .

(٣) أى إذا اشتدا فى الجرى بدفعة منه فإنهما يخددان الأرض بمناسمهما . وأصل الاستهلال شدة انصباب المطر . والشؤبوب : الدفعة منه . فى الأصل : « إذا استهل . . . . بما أصاب . . . » وصوابه ما أثبت موافقا لما فى الديوان .

(٤) أى وجدا البيض وقد أخرجت منه الفراخ الصغار مناكبها ، وقد علاهن بعض قشر البيض ومائه ، فكان ذلك لهن كالسرابيل . فى الأصل : « فصادف » وصوابه ما أثبت من الديوان . وفى الديوان أيضا : « منه الرئال لها منه » وهما وجهان جائزان ؛ إذ أن كل جمع يكون بينه وبين واحده الهاء نحو بقر وبقرة ، فإنه يذكر ويؤنث . المصباح ص ٩٦٨ . وهذا قول الزجاج . ولابن سيده تفصيل طيب فى هذا المعنى . المخصص (١٦ : ١٠٠) .

(٥) يقول : مالا إلى ذلك البيض ينزعان قشره عن بشر تلك الفراخ ، وكأن بشرها ورق ذاك النبت حين يغسل . مكان « عن بشر » فى ط : « أعينها » وفى س « عن » فقط ، وفى هـ : « عنها » وتصحيحه وإكماله من الديوان . والبشر : جمع بشرة ، يذكر ويؤنث ، كما فى التنبيه السابق . والبسباس . نبت له أوراق متراكبة شقر . تذكرة داود . وفى الديوان « كأنه ورق البسباس » .

(تشبيه القدر الضخمة بالنعامة)

والشّعراء يشبّهون القِدْرَ الضَّخْمةَ التى تـكون بمنزِلِ العَظيم وأشباهِهِ من الأجواد ، بالنَّعامة . قال الرَّمَّاحُ ، ابنُ مَيّادة[١] :

وقلت لهـا لا تعجـلى كـذلك تقرى الشوك مالم تردد[٢]
إلى جامعٍ[٣] مثل النَّعامة يلتقى عوازبه[٤] فوق

جامع : يعنى القدر . وجعلها مثلَ النَّعامة .

وقال ابن ميادة يمدح الوليدَ بنَ يزيد :

نتاج العِشَار المُنْقِيَات إذا شَتَتْ[٥] روابدُها مثلُ النَّعامِ العَواطِفِ[٦]

---

(١) هو الرماح بن أبرد . وهو المعروف بابن ميادة . وميادة . أمه . وهو مخضرم من شعراء الدولتين . س ، هـ : « الرياحى ابن ميادة » صوابه فى ط .

(٢) س : « يقرى » . ط : « مالم تزدد » . وفى هذا البيت والذى بعده نقص وتحريف .

(٣) ط : « جامل » وأثبت صوابه من س ، هـ . وفى القاموس : « وقدر جامع وجامعة وجماع كـكتاب : عظيمة » . وفى اللسان : «وقدر جماع وجامعة : عظيمة . وقيل هى التى تجمع الجزور » .

(٤) س : « غواديه » هـ : « عواربه » .

(٥) س ، هـ : « انتاج » صوابه فى ط . والمنقيات : ذوات الشحم . والنقى ، بالـكسر : الشحم . وشتت : دخلت فى الشتاء . ط : « إذ المنقيات شتت » هـ : « العشار إذا شنت » س : « العشار إذا تثنت » وقد وجهته بمـا ترى

(٦) الروابد : من ربد ربودا : أقام . وقد عنى بهن القدور المقيمة على النار . والعواطف : الحانيات على أولادها .

وقال[1] الفرزدق[2] :

وقدرٍ كحيزُوم النَّعامة أُحمِشَتْ[3] بأجْذالِ خُشْبٍ زالَ عَنْهَا هشيمها[4]

(الذئب والنعام)

وضحك أبو كَلْدَةَ[5] حين أنشِد شعرَ ابن النَّطَّاح[6] ، وهو قوله :

* والذِّئب يلعب بالنّعام الشّارد *

قال : وكيف يلعب بالنّعام ، والذِّئبُ لايَعرِضُ لبيض النَّعام وفراخِه حين لا يكونان حاضرَين ، أو يكونُ أحدهما ؛ لأنَّهُمَا متى ناهضاه ركَضَهُ الذَّكرُ فرماه إلى الأنثى، وأعجلَتْهُ الأنثى فرَكَضَتْهُ ركضةً تُلقيهِ إلى الذَّكَر فلا يزالان كذلك حتى يقتُلاه أو يُعْجِزَهُمَا هَرَبًا . وإذا حاوَلَ ذلك منه أَحَدُهُمَا لم يقْوَ عليه . قال : فكيف يقول :

---

(١) قبل هذا فى هـ : « فضحك أبو عبيدة » وهى زيادة لاموضع لها .

(٢) البيت فى محاضرات الراغب منسوب إلى مضرس . وهو كذلك ليس فى ديوان الفرزدق،مع وجود أخواته فى ص ٨٠٣ .

(٣) حيزوم النعامة : مااستدار ببطنها وظهرها . ويقال أحمش القدر وأحمش بها : أشبع وقودها . ط ، هـ : « أحشمت » صوابه فى س والبخلاء ١٩٠ وأمالى المرتضى (٤ : ٢٩) والحماسة (٢ : ٣٢٨) وأول البيت فيهما : « غضوبا » . جعل غليانها بمنزلة الغضب .

(٤) الأجذال : جمع جذل ، بالكسر ، وهو أصل الشجرة . وفى الأصل : «أجفال» تحريف ما أثبت من البخلاء ومحاضرات الراغب . ورواية أبى تمام والمرتضى : « بأجواز » أى أوساط . وهى أصلب الخشب وأبقاه ناراً . والهشيم :المتهشم . ط : « هيشما» صوابه فى س ، هـ وسائر المراجع . ط ، هـ : « منها » وأثبت مافى سائر المراجع .

(٥) هذه العبارة ساقطة من هـ . وأبو كلدة سبق ذكره فى (١ : ٢٣٤) .

(٦) هو بكر بن النطاح ، سبقت ترجمته فى (٣ : ١٩٦) .

* والذِّئب يلعبُ بالنَّعام الشَّارد *

وهذه حالُه مع النَّعام ؟!

وزعم أنَّ نعامتين اعتوَرَتا ذِئباً فهزَمتاه[1] ، وصعِد شجرةً ، فجالدها ، فنقره أحدُهما ، فتناوَلَ الذِّئبُ رأسَــه فقطَعه ، ثمَّ نزل إلى الآخَر فساوَرَه فهزَمَه .

(جُبن الظليم ونِفاره)

والظَّليم يُوصَف بالجُبْن ، ويوصف بالنِّفار والتَّوحُّش .

وقال سَهم بن حنظلة[2] ، فى هجائه بنى عامر :

إذا ما رَأيتَ بنى عامرٍ ... رأيتَ جَفاءً وَنُوكاً كثيرا[3]

نعامٌ تَجُرُّ بأعْناقِهـا ... ويمنَعها نُوكُها أن تَطيرا[4]

(ضرر النعامة)

والنَّعامة تتخذها النّاسُ فى الدُّور[5] ، وضررُها شديدٌ ؛ لأنَّها ربَّما رأتْ فى أذن الجارية أو الصبيَّة قُرطاً فيه حجرٌ ، أو حبّةُ لؤلوٍ ، فتَختطفُهُ

(١) اعتورتاه : تداولتاه . ھ : « فهربتاه » .

(٢) فى الإصابة ٣٧٠٣ : « سهم بن حنظلة بن خاقان ــ صوابه حلوان ــ بن خويلد ابن حرمان ــ كذا ــ الغنوى . قال المرزبانى : شاعر شامى مخضرم » . وذكره صاحب المؤتلف والمختلف ١٣٦ .

(٣) النوك ، بالضم والفتح : الحمق . وفى عيون الأخبار : « ونوكا كبيراً » .

(٤) الرواية فى عيون الأخبار (٢ : ٨٧) : « تمد بأعناقها » . وهذه أجود .

(٥) الدور : جمع دار . س : « تتخذ فى الدور » .

١١٠ لتأكله . فكم أذنٍ قد خرقتها ! وربّما رأتْ ذلك في لبَّةِ[١] الصبيِّ أو الصبيَّةِ ، فتضربه بمنقارها ، فربّما خرقت ذلك المكان .

(شعر في تشبيه الفرس بالظليم)

وممّا يشبَّه به الفرسُ ممّا في الظليم ، قولُ امرئ القيس بن حُجْر :

وخدٌّ أسيلٌ كالمِسَنِّ وبِرْكةٌ كجؤجؤِ هيْقٍ دفُّه قد تموّرا[٢]

وقال عُقْبَةُ بن سابق[٣] :

وله بِركة كجُؤجُؤِ هيْقٍ ولَبانٌ مضرَّجٌ بالخِضابِ[٤]

وقال أبو دُوَاد[٥] الإياديُّ :

---

(١) اللبة ، بالفتح وتشديد الباء : موضع القلادة من الصدر .

(٢) البركة ، بالكسر : الصدر . والجؤجؤ : الصدر أيضاً . والهيق : الذكر من النعام . والدف ، بالفتح : صفحة الجنب . وتمور : سقط منه النسيل أي الريش . وإنما يكون ذلك في أيام الربيع وجودة المرعى . ويحدث مثله أيضاً للحمار حيث يسقط عنه الشعر . انظر اللسان (مور) . والنعام في ذلك الوقت ينمو نمواً كبيراً . وقد سبق هذا البيت في (١ : ٢٧٢) وليس في ديوان امرئ القيس .

(٣) هو عقبه بن سابق الهزاني ، شاعر من شعراء الأصمعيات (٦ — ٧) . وفي الأصل : « عبدة بن شأس » وصوابه ما أثبت كما جاء باتفاق النسخ في الجزء الأول ص ٢٧٣ .

(٤) انظر لتفسير صدر هذا البيت ماسبق في تفسير البيت السابق . والرواية في الجزء الأول : « ولها » . واللبان ، بالفتح : وسط الصدر . مضرج بالخضاب : ملطخ بالدم . وكان العرب إذا ساقوا الخيل على الصيد ، فالسابق منها إليه يخضبون نحره بدم مايمسكونه من الصيد ؛ علامة على أنه سباق غايات . بلوغ الأرب (٣ : ١٨) . وقد يكون المراد أن راكب هذا الجواد أو الفرس يعرض نفسه للمخاطر ، فيصيب فرسه نصيب من ذلك .

(٥) في الأصل : « أبو داود » وهو تحريف يتكرر كثيراً . والصواب ما أثبت . وترجمة أبي دواد تقدمت في (٣ : ٤٢٥) وهو أحد نعات الخيل المجيدين .

يَمْشِي كمشى نعامتَيْن يتابعانِ أشقَّ شاخِصْ[1]

وقال آخر[2] :

كأنَّ حماتَه كُرْدُوسُ فَحْلٍ مقلَّصة على ساقَيْ ظَلِيمِ[3]

وقال أبو دُوادٍ الإياديُّ :

كالسِّيدِ ما استقبلته وإذا وَلَّى تقولُ مُلَمْلَمٌ ضَرِبُ[4]

لأمٌ إذا استقبلته وَمَشَى متتابعًا ماخانَهُ عَقِبُ[5]

يَمْشِي كَمَشْيِ نَعامةٍ تَبِعَتْ أُخْرَى إذا مَارَاعَهَا خَطْبُ

القولُ فيما اشتُقَّ له من البَيْض اسْم

قال العَدَبَّس[6] الكِنانيّ : باضت البُهْمَى[7] : أى سقطت نِصالُها[8]

---

(١) أشق : يعنى ظليما واسع مابين الرجلين . والشاخص : المرتفع . وقد سبق البيت فى (١ : ٢٧٤) .

(٢) فى (١ : ٢٧٤) أنه خالد بن عبد الرحمن .

(٣) الحماة : عضلة الساق . والكردوس : بالضم : واحد الكراديس ، وهى رءوس العظام . وفى الأصل : « نحل » ، صوابه ما أثبت من الجزء الأول ، ط ، ه : « على شق » س : « على سق » ، صوابه ما أثبت من الأول .

(٤) السيد ، بالكسر : الذئب . والململم : المجتمع المدور . والضرب : الخفيف اللحم

(٥) اللأم : الشديد .

(٦) العديس الكنانى : أعرابى فصيح ، ذكره ابن النديم فى الفهرست ٤٧ ليدن ، ٧٠ مصر . وفى القاموس (مادة عدبس) . أن العدبس رجل كنانى . وفى اللسان (مادة عدبس أيضاً) : « ومنه سمى العدبس الأعرابى الكنانى » . وفى الأصل : « العديس » بالياء صوابه ما أثبت من المراجع المتقدمة .

(٨) البهمى ، كحبلى : نبت هيئته كالشعير ، ولكنه قصير . ويعرف أيضاً بالشوفان فى سوريا . وهو بالانجليزية : Wild - oat . عن معجم النبات وتذكرة داود والقاموس .

(٨) النصال : جمع نصل ، وهو سنبلة البهمى .

وباض الصَّيف ، و باض القَيظ : اشتدَّ الحر وخرج كلُّ مافيه - من ذلك .

وقال الأسَدِىّ :

فجئنا وقد باضَ الكَرَى فى عيوننا[1] فتًى مِنْ عُيُوب المقْرِفِينَ مُسَلَّمَا[2]

وقال أميَّةُ بنُ أبى الصَّلْتِ :

رَكِبَتْ بيضةُ البيَاتِ عليهم لم يُحِسُّوا منها سِواهَا نذيرا[3]

وقال الرَّاعى ، يهجو ابنَ الرِّقاع[4] :

لو كُنْتَ مِنْ أحدٍ يُهجَى هجَوْتُكُمْ

يا ابنَ الرِّقاع ، ولكنْ لسْتَ مِنْ أحَدِ

تأبَى قُضاعةُ لمْ تقبَلْ لكمْ نسباً وابنَا نِزارٍ فأنتم بَيضةُ البَلَدِ

وفى المديح قولُ علىِّ بن أبى طالب رضى الله عنه : « أنا بَيْضَةُ البَلَد » ومنه بيضة الإسلام . و بيضة القبّة : أعلاها ، وكذلك الصَّوْمَعَة[5] .

والبَيْض : قلانس الحديد .

---

(١) الكرى : النوم والنعاس . فى الأصل : « من عيونتا » . محرف .

(٢) فى الأصل : « عيون المقرفين » والصواب ما أثبت . والمقرفين ، إن كسرت الراء كانت من أقرف الرجل : إذا كان هجينا ، بأن تكون أمه عربية وأبوه غير عربى . وإن فتحت الراء كانت من أُقرف الرجل غيره : وقع فيه وذكره بسوء .

(٣) البيات ، بالفتح : من بيت العدو القوم : قصدهم فى الليل من غير أن يعلموا ، ويأخذهم بغتة . ط والديوان ٣٤ : « سرها » صوابه فى س ، هـ .

(٤) هو عدى بن الرقاع . وكلمتا : « ابن الرقاع » ساقطة من س . وانظر الكلام على البيتين فى الحيوان (٢ : ٣٣٦) واللسان (بيض) وثمار القلوب ٣٩٢ والعمدة (٢ : ١٥٣) .

(٥) الصومعة ، كجوهرة : بيت للنصارى ، سمى بذلك لدقة فى رأسه .

وقال أبو حيَّة النُّميرىّ[1] :

وصدَّ الغانياتُ البِيضُ عَنِّى ... وما إنْ كانَ ذلك عن تقَالى[2] ١١١
رأيْنَ الشَّيبَ بَاضَ على لِداتِى[3] ... وأفْسَدَ ماعَلَىَّ من الجمَالِ ![3]

وبَيضُ الجُرْحِ والخُرَاجِ والحِبْنِ[4] : الوعاء الذى يجمع فيه الصَّديد ، إذا خَرَجَ برِئَ وصلُح .

وقد يُسمُّون مافى بطونِ إناث السَّمك بَيْضًا ، وما فى بطونِ الجَرادِ بيضًا ، وإن كانُوا لايَرَوْنَ قِشْرًا يشتمِلُ عليه ، ولا قَيْضًا يكونُ لما فيه حِضْنًا[5] .

والخِرشاء : قشرة البيض إذا خَرَجَ ما فيه . وسَلْخ الحيَّةِ يقال له الخِرشاء .

---

(١) اسمه الهيثم بن الربيع ، ونسبته إلى نمير بن عامر بن صعصعة ، وهو شاعر من مخضرمى الدولتين ، وقد مدح الخلفاء فيهما جميعاً ، وكان مقصداً راجزاً من من ساكنى البصرة ، وكانت به لوثة ، وكان من أجبن الخلق، وله سيف يسميه : لعاب المنية ، ليس بينه وبين الخشبة فرق . توفى نحو سنة ١٦٠ . الأغانى (١٥ : ٦١) . وفى الأصل : « النمرى » محرف .

(٢) التقالى : المباغضة . هـ : « تقالى » مصحفة .

(٣) لداتى : جمع لدة ، بالكسر . واللدة : من يولد معك .

(٤) الحبن ، بالكسر : الدمل . ط : « الجبن » تصحيف سبق مثله فى (٢ : ٢٣٦) صوابه فى س ، هـ .

(٥) القيض ، بالفتح : القشرة العليا اليابسة على البيضة . والحضن ، بالكسر : يعنى مايحيط بالشىء . وأصله من حضن الجبل ، وهو مايطيف به .

(شعر فى التشبيه بالبيض)

وقال الأعشى فى تشبيه اللّفاء[1] الحسناء بالبيضة :

أو بيضةٍ فى الدِّعصِ مكنونةٍ أو دُرَّةٍ سِيقَتْ إلى تاجرِ[2]

وقال فى بيض الحديد :

كأنَّ نَعامَ الدَّوِّ بَاضَ عليهمُ إذا شامَ يومًا للصَّرِيخِ المندَّدِ[3]

وقال الأعشى :

أَتَتْنَا مِنَ البطحاءِ يَبْرُقُ بَيضُهَا وقد رُفِعَتْ نِيرانُها فاستقلَّتِ[4]

---

(١) فى الأصل: « الدلفاء » وهى القصيرة الأنف الصغيرته . ولا وجه لهاهنا . وماأثبت هو أقرب تصحيح للكلمة . واللفاء : الضخمة الفخذين فى اكتناز واجتماع .

(٢) مكنونة فى الدعص : مخبأة فى الرمل المستدير . ورواية الديوان ١٠٤ : « أو درة شيفت لدى تاجر » . وشيفت : جليت . وضبط « بيضة » و « درة » بالكسر ؛ لأن قبل البيت :

كدمية صور محرابها بمذهب فى مرمر مائر

(٣) الدو : الفلاة . ورواية الديوان ١٣٢ : « إذا رِيع شتى للصريخ المندد » . والبيت فى صفة كتيبة . جعل البيض الذى يحمى رءوس الرجال شبيها ببيض النعام ؛ لكثرته . فإن كل نعامة تبيض نحو الثلاثين . ولذا يقال لها : أم ثلاثين . وللظليم : أبو ثلاثين . وقبل البيت :

بملمومة لا ينفض الطرف عرضها وخيل وأرماح وجند مؤيد

فضمير « شام » عائد إلى الجند . وشام : نظر ، أوسل سيفه ، والصريخ : صوت المستصرخ المستغيث . والمندد ، بضم الميم وفتح الدال المشددة : الصوت المبالغ فى رفعه وتشديده . ومنه قول طرفة : « لهجس خفى أو لصوت مندد » وفى الأصل « المدد » وصواب الرواية ما أثبت من الديوان .

(٤) فى الأصل « أتينا » صوابه من أمالى ابن الشجرى (٢ : ١٦٥ حيدر أباد) . ورواية الديوان : « أتتهم » س ، ه وحماسة ابن الشجرى ٤١ : « تبرق » ط ، س : « بيضنا » صوابها فى ه وأمالى وحماسة ابن الشجرى وديوان =

وقال زيد الخيل :

كأنَّ نَعَامَ الدَّوِّ باضَ عليهمُ   فَأَحْدَاقُهُمْ تحْتَ الحَدِيدِ خوازِرُ(١)

(استطراد لغوى)

قال : ويقال تقيَّضَت البيضةُ ، والإناء ، والقارورة ، تقيُّضاً(٢) : إذا انكسرت فِلَقًا . فإذا هى لم تَتَفَلَّق(٣) [فِلَقًا] وهى(٤) متلازقةٌ ، فهى منْقَاضَةٌ انقِياضاً . وقَيض البيضة : قشرتها اليابسة . وغِرْقئها : القشرة الرَّقيقة التى بين اللَّحم و بين الصَّمِيم . قال : والصَّميم : الجلدة .

= الأعشى ١٧٩ . ورواية العجز فى الديوان : « وقد رفعت راياتها فاستقلت » . ورواية ابن الشجرى : « وقد بذخت فرسانها وأدلت » . والبيت من قصيدة للأعشى يذكر فيها وقعة ذى قار ، التى كانت بين العرب والفرس . والبيت فى صفة جيش الفرس وعظمته . وبعده (فى رواية ابن الشجرى) :

ثاروا وثرنا والمنية بيننا   وهاجت علينا هبوة فتجلت
تحاسيهم كأسأمن الموت مرة   وقد رفعت راياتهم فاستقلت

ومثله للاعشى فى تعظيم شأن جيش الأعاجم حينئذ . الأغانى (٢٠ : ١٤٠) :

لما أتونا كأنّ الليل يقدمهم   مطبق الأرض تغشاها لهم سدف
بطارق وبنو ملك مرازبة   من الأعاجم فى آذانها النطف
من كل مرجانة فى البحر أحرزها   تيارها ووقاها طينها الصدف
وظعننا خلفنا تجرى مدامعها   أكبادها وجلا مما ترى تجف

وانظر بقية الشعر فيها . ولوقعة ذى قار العقد (٣ : ٣٧٤) والعمدة (٢ : ١٦٩) والميدانى (٢ : ٣٥٢) ومعجم البلدان .

(١) جمع خازر : وهو من ينظر بلحاظ عينيه ، ويكون ذلك عند مايراد تحديد النظر . ورواية الشعراء ٤٦ : « وأعينهم تحت الحديد » . و رواية قدامة فى نقد الشعر ٣٩ : « وأعينهم تحت الحبيك » .

(٢) ط ، ه : « تقيضاً » صوابه فى س .

(٣) ط ، ه : « تنفلق » .

(٤) ط ، ه . « فهى » صوابه فى س .

قال : ويقال غرقَأَت البيضةُ : إذا خرجَتْ وليس لها قشرٌ ظاهر غير الغِرقِئة[1] .

قال الرَّدّاد : غرقأَت الدَّجاجةُ بيضها ، فالبيضة مُغَرْقأة[2] .

والخِرشاء : القشرة الغليظة[3] من البيضة ، بعد أن تُثقَب فيخرجَ مافيها من البلل ؛ وجماعُها الخَرَاشىّ ، غير مهموز .

قال : وقال ردّاد : خِرْشاء الحيّة : سَلْخها حين تنسَلخ[4] .

قال : وتغدّى أعرابىٌّ عندَ بعضِ الملوك ، فدبَّت على حلْقه قملةٌ ، فتناولها فقصَعَها بإبهامه وسَبّابتهِ ، ثمَّ قتلها ، فقالوا له : ويلك ! ماصنعت ؟! فقال : بأبى أنتُمْ وأمى ، مابقى إلا خِرشاؤها !

وقَالَ المرقش :

إن تَغْضَبُوا نَغْضَبْ لذاكم كما يَنْسَلُّ من خِرْشائه الأرقمْ[5]

وقال دُريد بن الصِّمَّة فى بَيض الحديد[6] :

١١٢ قال : ويقال فى الحافر نزَا[7] ينزو . وأمَّا الظليم [فيقال[8]]

---

(١) كذا جاءت . والمعروف فى المعاجم : « الغرقئ » بالتذكير .

(٢) ط ، هـ : « غرقات » صوابه فى س .

(٣) ط : « والخرشاء مغرقات الجلدة الغليظة » هـ : « والخرشا الجلدة الغليظة » صوابهما فى س .

(٤) ط ، هـ : « يسلخ جلدها » . وما أثبت من س أشبه .

(٥) الأرقم من الحيات : الذى فيه سواد وبياض . فى الأصل : « خرشائها » صوابه من المقصور والممدود ٣٨ . ط ، هـ : «تنسل» تصحيحه من س والمقصور

(٦) بعد هذا بياض فى الأصل . ولم أهتد بعد إلى شعر لدريد فى بيض الحديد .

(٧) فى الأصل : « نزى » بالياء .

(٨) ليست بالأصل .

قعاَ يقعُو ، مثل البعير . يقال قاع يقوعُ قَوْعا[١] وقِياَعًا ، وقعاَ يقعُو قَعْوًا .
فهذا مايسوُّون فيه بينه و بين البعير . و يقال : خفّ البعير ؛ والجمع أخفاف .
ومنسِمُ البعير ، والجمع مناسم ؛ وكذلك يقال للنّعامةِ .

وقال الرّاعى :

وِرِجْلٍ كرِجْلِ الأخْدَرِىِّ يُشِيلُها وَظِيفٌ على خُفِّ النّعامةِ أرْوحُ[٢]

وقال جران العود :

لَهاَ مثل أظفَارِ العُقَاب ومَنْسِمٌ أزجُّ كظُنْبوب النّعَامَةِ أروحُ[٣]

قال : والزَّاجَل[٤] : ماء الظليم ؛ وهو كالكِرَاضِ من ماءِ الفحْل .
وأُنْشد لابْنِ أحمر[٥] :

وما بيضاتُ ذى لِبَدٍ هِجَفٍّ سُقِينَ بزَاجَلٍ حَتّى رَوِينَا[٦]

وقال الطِّرمّاح :

سَوْفَ تُدْنيك مِنْ لَميسَ سَبَنْدَا ةٌ أَمَارَتْ بالبَوْلِ مَاءَ الكِرَاضِ[٧]

---

(١) كذا على الصواب فى ه . وفى ط : « قعيا » و س : « قيعا » .
(٢) الأخدرى : الحمار الوحشى . يشيلها : يرفعها ويحملها . والوظيف : مستدق الذراع والساق . ووظيف أروح : اتسع مابينه وبين الوظيف الآخر .
(٣) السكرى : « يقول : أظفارها كمخالب العقاب . والمنسم : طرف خف النعامة . والأزج : المقوس . والظنبوب : أنف عظم الساق » . فى الأصل : « أظفار الكناء » تصحيحه من ديوان جران العود ص ٦ . والبيت وجملة : « وقال جران العود » ساقطان من س .
(٤) يقال بالهمز وبغير الهمز .
(٥) ط ، ه : « ابن أحمر » . صوابه فى س . وانظر ماسبق فى ص ٣٢٨ .
(٦) سبق شرحه فى ص ٣٢٨ .
(٧) السبنداة : الناقة الجريئة لاتقر للفحل . ورواية الديوان ٨١ : « سبنتاة » وهما لغتان . يقال بالتاء وبالدال . أمارت : أسالت . وماء الكراض : مافى جوفها =

وربَّما استعاروا المناسم . قال الشاعر :

توعدنى بالسِّجن والآدات[1] إذا عَدَت تأظبت أدات[2]

* تربطُ بالحبل أُكَيْرِعَاتِ *

قال : ويقال لولد النَّعام : الرَّأل ، والجمع رِئال ورئلان ؛ وحَفَّانٌ . وحَفَّانة للواحدة ، والجمع حَفَّان ؛ وحِسْكل . ويقال : هذا خَيطُ نعامٍ وخِيطان[3] . وقال الأسودُ بن يَعْفُرْ[4] .

وكأنّ مرجعهم مَنَاقفُ حَنْظَلٍ لعِبَ الرِّئالُ بها وخَيطُ نَعامٍ[5]

ويقال : قَطيعٌ من نَعام ، وَرَعْلةٌ من نعام .

= من ماء الفحل . س ، ه : « سوف يدنيك » وأثبت ما فى ط والديوان . ط ، س . « أمارات » صــوابه فى ه والديوان . والبيت من قصيدة للطرماح ، مطلعها .

قل فى شط نهروان اغتماضى ودعانى هوى العيون المراض

(١) كذا بالأصل .

(٢) كذا . وفى ط . « غدت » .

(٣) الخيط ، بالفتح ويكسر . الجماعة من النعام .

(٤) الأسود بن يعفر ، شاعر مقدم فصيح من شعراء الجاهلية ليس بالمكثر . وكان ينادم النعمان بن المنذر . ولما أسن كف بصره ، فكان يقاد . واسمه فى أعاشى العرب : أعشى بنى نهشل . الأغانى (١١ : ١٢٨) والخزانة (١ : ٣٦٦ سلفية) والمؤتلف والمختلف ١٦ . و (يعفر) بفتح الياء وضم الفاء . وقال يونس سمعت رؤبة يقول . أسود بن يعفر بضم الياء — أى وبضم الفاء أيضاً — انظر الصحاح (عفر) والخزانة والأغانى وابن سلام ٥٤ . وهو على الوجه الأول ممنوع من الصرف ، وعلى الآخر مصروف لزوال شبه الفعل عنه . ط . « يعقر » صوابه فى س ، ه .

(٥) « مرجعهم » لعلها «مربعهم» . ومناقف الحنظل : حيث ينقف أى يشق ليستخرج حبه المسمى بالهبيد . يقول : قد صار موضع دارهم من وحشته مأوى للنعام .

وقال الأصمعىُّ : الرَّعلة : القِطعة من النَّعَام . والسِّرب من الظِّبَاء والقَطَا . والإِجْل[1] من الظِّلْف .

وقال طُفَيلٌ الغَنَوِىُّ فى بيضة الحَىّ[2] وما أشبه ذلك :

ضَوَابِعُ تَنْوِى بَيْضَةَ الحَيِّ بعدما أذاعَتْ بِرَيْعَانِ السَّوَام المعزَّبِ[3]

قال : ويقال : للظليم إذا رعَى فى هذا النَّبات ساعةً وفى هذا ساعةً قد عَقَّبَ يُعَقِّبُ تعقيباً[4] . وأنشدنى لذى الرُّمَّة :

ألهاه آءٌ وتَنُّومٌ وَعُقْبَتُهُ مِنْ لائحِ المَرْوِ والمَرْعَى لَهُ عُقَبُ[5]

قال : ويقال للرجل ، إذا كان صغير الأذنين لاصقتَين بالرَّأس : أصمع ؛ وامرأةٌ صَمْعاء . ويقال: خَرَجَ السهمُ متَصَمِّعاً[6] : إذا ابتلَّتْ قُذَذُه[7] ١١٣

---

(١) الإجل ، بكسر الهمزة . س : « الأرجل » صوابه فى ط ، ه .

(٢) فى الأصل : « الحلى » صوابه ما أثبت . انظر البيت الآتى وشرحه .

(٣) ضوابع : تمد أضباعها فى سيرها ، أى أعضادها . ط ، س : « صوائع » ه : « صوانع » صوابهما من الديوان ١١٢ . تنوى : تقصد . ط ، ه : « تنبى » س « تبنى » صوابهما من الديوان . وفى الأصل : « الحلى » موضع « الحى » تحريف أيضاً . وفى شرح ديوان طفيل : « وبيضة الحى : معظمهم » أذاعت : فرقت . وريعان كل شىء : أوله . والسوام ، كسحاب : مايسرح من إبل وبقر وغنم ، ولا واحد له . والمعزب ، بتشديد الزاى المفتوحة : الذى عزّب عن أهله لايروَّح عليهم . ط ، س : « الشباب المغرب » ه : « السقام المغرب » تصحيحه من الديوان .

(٤) ط : « عضب يعضب تعضيباً » صوابه فى س ، ه .

(٥) سبق شرح هذا البيت فى ٣١٢ . ط ، ه « آء آء » بالتكرار . صوابه فى س .

(٦) ط : « أصمع » ه : « صمعاء » س : « صمعاً » صوابه ما أثبت من القاموس واللسان . ويدل له الاستشهاد الآتى .

(٧) قذذ السهم : جمع قذة بالضم ، وهى ريشة السهم .

مِنَ الدَّم وانضمّت . وقال أبو ذُؤَيب :

* سهماً تَخِرّ وَرِيشُهُ متصمِّعُ[1] *

ويقال : أتانا بثريدةٍ مُصَمَّعَةٍ[2] : إذا دَقَّقَهَا[3] وَحَدَّدَ رأسَها . وصومعة الرَّاهبِ منه ؛ لأنها دقيقة الرأس . وفلانٌ أصمع القلبِ : إذا كان ذكيًّا حديدا [ماضيًا] . وقال طرفة :

لعمرى لقد مَرَّتْ عواطِسُ جَمَّةٌ وَمَرَّ قُبَيْلَ الصُّبح ظَبيٌ مصمَّعُ[4]

أراد : ماضيًا .

(شعر فى البيض)

وقال الشاعر فى بيضة البلدِ[5] :

---

(١) عجز بيت فى صفة صائد رمى أتانا بسهم فنفذ فيها بريشه ثم سقط . وصدره.

* فرمى فأنفذ من نحوص عائط *

فى الأصل : « ريشة » وصوابه من اللسان (صمع) والمفضليات ٢٠٣ حيث تجد القصيدة .

(٢) فى الأصل : « متصمعة » صوابه من اللسان والقاموس . ويقال أيضاً : « مصومعة » كما فى القاموس .

(٣) فى الأصل : « رققها » بالراء . وليست مرادة ، والمراد دقة الرأس . وانظر اللسان والقاموس (صمع) .

(٤) البيت من أبيات ثلاثة قالها طرفة ، فى أثناء رحلته المشهورة إلى عامل عمرو بن هند بالبحرين ، وكان قد سنحت له فى الطريق ظباء وعقاب . انظر ديوانه ٩ـ١٠ والعواطس : جمع عاطس ، وهو ما استقبلك من الظباء . ورواية اللسان (مادة عطس) : « عواطيس » : جمع عاطوس ، وهى دابة يتشاءم بها . وفى مادة (صمع) : « عواطس » كما هنا. والمصمع ، بكسر الميم المشددة : الذاهب السريع كما فسره الجاحظ . ويروى : « مصمع » بفتح الميم المشددة ، وهو الصغير الأذنين . وفى الأصل بدل : « ومر » : « ومنى » تحريف، صوابه ما أثبت من اللسان فى موضعيه والديوان .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من س . وانظر لبيضة البلد ما سبق فى (٢ : ٣٣٦) .

أقبلتَ تُوضِعُ بِكْرًا لاخِطامَ لها   حَسِبْتَ رَهْطَك عندى بَيْضَةَ البَلَدِ[1]

ويشبِّه عظام جماجم الرءوس ببَيض النَّعام . وقال الأعرج القَيْنِىّ[2] :

بكَينا بالرِّماح غداةَ طَرْق   على قَتْلَى بناصفةٍ كِرامِ[3]

جَماجمَ غُودِرَتْ بحمام عرق   كأَنَّ فَرَاشها بَيضُ النَّعامِ[4]

وقال مقاتل بن طَلَبَةَ[5] :

رأيتُ سحيماً فاقَدَ اللهُ بَيْنَهَا   تَنِيكُ بأيديها وتَأْبَى أُيُورُهَا[6]

وقال السُّحيمى يردّ عليه :

مُقَاتِلُ ، بشِّرْها ببَيض نَعامةٍ   وإن لم تبشِّرْها فأنتَ أميرُها

وقال أبو الشِّيص الخُزاعى[7] فى بيضة الخِدْر :

---

(١) البكر ، بالكسر : الناقة لم تحمل ، أو التى ولدت بطنا واحداً . والبكر أيضاً ولدها ذكراً كان أو أنثى . وأوضع الناقة يوضعها : جعلها تضع فى سيرها أى تعد وعدوا خفيفا . وفى الأصل : « ترضع بكراً » وهو تحريف فكه .

(٢) كذا . والمعروف فى الشعراء : الأعرج المعنى نسبة إلى معن طيئ . واسمه عدى بن عمرو بن سويد . وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . وهو القائل :

ترکت الشعر واستبدلت منه   إذا داعى صلاة الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك   وودّعت المدامة والندامى

معجم المرزبانى ٢٥١ والإصابة ٦٤٠٩ ، ٣٧١٣ . وللأعرج المعنى شعر فى البيان (١ : ١٧٣) .

(٣) ناصفة : موضع . س ، هـ : « بناصية » صوابه فى ط .

(٤) الفراش ، بالفتح : كل عظم رقيق .

(٥) هو مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم ، كما فى عيون الأخبار (٤ : ٩٦) . وطلبة ، بالتحريك . انظر القاموس واللسان . هـ : « كلبة » محرفة .

(٦) سحيم : بطن من بنى حنيفة . وفاقد الله بينها : جعل بعضهم يفقدون بعضا . ورواية عيون الأخبار : « وتيبا » موضع : « وتأبى » .

(٧) اسمه محمد بن عبد الله بن رزين ، وهو عم دعبل بن على الخزاعى وكان معاصرا =

وأبرزَ الخِدْرُ من ثِنْيَيْهِ بَيْضَتَهُ وأعجَلَ الرَّوْعُ نصلَ السَّيفِ يُخْتَرَطُ[١]

فثَمَّ تَفديكَ مِنَّا كلُّ غانيةٍ والشَّيخُ يفديك والوِلدانُ والشُّمُطُ[٢]

وقال جحش بن نصيب :

كأنَّ فُلاقَ الهــامِ تحتَ سُيوفِنا خَذَارِيفُ بيضٍ عَجَّلَ النقفَ طائرُه[٣]

وقال مهلهلٌ فى بيضة الخِدر :

وتجولُ بيضاتُ الخُدورِ حواسرًا يمسَحْنَ فَضْلَ ذَوائبِ الأيتامِ[٤]

وهو وما قبله يدلان[٥] على أنهم لا يشبهون ببيض النَّعام إلاَّ الأبكار .

قال الشاعر[٦] :

= لأبى نواس ومسلم بن الوليد . وذكره الصفدى فى نكت الهميان ٢٥٧ وذكر أنه توفى سنة مائتين أو قبلها .

(١) الثنى ، بالكسر : واحد الأثناء ، وهى المحانى والمعاطف . وقد ثنى وأراد الجمع ، وهو معروف فى كلامهم . س : « من ثنيته بيضة » صوابه فى ط ، هـ . يخترط : أى يستل من غمــده . يقول : استعجل الخوف نصل السيف فى حال اختراطه . فى الأصل : « مخترط » . ولا يستقيم بها إعراب البيت . فلعل الوجه ما أثبت .

(٢) الشمط ، بالضم : جمع أشمط وشمطاء . وهو من اختلط بياض رأسه بسواده . وقد ضم الميم للشعر ، وأصلها السكون .

(٣) الفلاق ، بالضم ، : جمع فلاقة بالضم أيضا ، وهى القطعة . والهام : الرءوس . والخذاريف : جمع خذروف بالضم ، وهى كل شىء مبعثر من شىء . س : « حذاريف » صوابه فى ط ، هـ . ونقف الطائر البيضة : ثقبها ليساعد الفرخ فى الظهور .

(٤) حواسرا : كاشفات رءوسهن .

(٥) س ، هـ : « يدل » .

(٦) هو ذو الرمة ، كما فى الخزانة (٤ : ٤٥١ بولاق) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٩) وكتاب سيبويه (١ : ٥٦) .

وَبِيض أقفنا[1] بالضُّحَى من مُتونها سَماوةَ بيضٍ[2] كالخباء المقوَّضِ[3]

هجومٌ عليها نَفْسَهُ ، غَــيْرَ أنَّهُ مَتى يُرْمَ فى عَيْنَيْه بِالشَّخْص ينهضِ[4]

يعنى بالبِيض بَيْض النَّعام . وسَماوة الشىء : شخصه . لأنّ الظَّلِيم لما رآهم فَزِع ونهَضَ . وهذا البيت أيضًا يدلّ على أنّهُ فَرُوقةٌ[5] . ١١٤

وقال ذو الرُّمّة فى بيض النَّعام :

تَراه إذا هبّ الصَّبا دَرَجَتْ به غرابيبُ من بِيضٍ هَجَائنَ دَرْدَقُ[6]

قال : والصَّبَا والجنوبُ تهبَّان فى أيام يُبْس البقْل ، وهو الوقتُ الذى

---

(١) كذا فى س ، ه . وفى ط : « فلقنا » . وفى محاضرات الراغب : « كشفنا » ورواية القالى (٢ : ٢٩٤) : « رفعنا » .

(٢) كذا . ولعلها : « هيق » وهو الظليم . ورواية القالى : « جون » بمعنى ظليم أسود .

(٣) الخباء ، بالكسر : البيت من وبر أو صوف أو شعر . س ، ه : « كالحياء » صوابها فى ط والمحاضرات والأمالى . والقوض : المهدوم . وجعله كذلك حين حضنه للبيض ورقوده عليه .

(٤) هجوم عليها نفسه : أى يهجم على البيض نفسه ويلقيها حاضنا لها . وقد أنث البيض هنا . واستشهد به سيبويه على إعمال صيغة فعول عمل اسم الفاعل . وفى الأصل : « هجوم علينا » وصوابه فى المصادر السابقة . وروى القالى وسيبويه : « بالشبح » مكان : « بالشخص » وهما بمعنى . والشبح والشبح ، بالفتح وبالتحريك ، لغتان .

(٥) الفروقة ، بالفتح : الكثير الفزع ، يقال للمذكر والمؤنث . وله نظائر فى المزهر (٢ : ١٣٤) وانظر شواهد ذلك فى اللسان (فرق) . وفيه أيضاً أنه يقال للمؤنث «فروق» بنزع الهاء . وفى أصل الكتاب : « روحه » وهو تحريف لايستقيم .

(٦) فى الأصل : « ذرفت به » وتصحيحه من ديوان ذى الرمة ٣٩٨ ومن الشرح الآتى للجاحظ . و « دردق » صفة لكلمة « غرابيب » فهى مرفوعة . والبيت من قصيدة لذى الرمة ، أولها :

أدارا بحزوى هجت للعين عبرة فماء الهوى يرفض أو يترقرق

وقبل البيت :

بعشتبه الأرجاء يرمى بركبه يبيس الثرى نائى المناهل أخوق

يثقبُ النَّعام فيه البيض . يقول : درجت به رِئلانٌ سودٌ غرابيب ، وهى من بيضٍ هجائن : أى بِيْض . والدَّردَق : الصِّغار ، وهو من صُغرَ[1] الرِّئلان .

(الحصول على بيض النعام)

قال طُفيل بن عوفٍ الغنوىّ[2] ، وذكر كيف يأخذون بيضَ النَّعام :

عَوازبُ لم تسمَعْ نُبُوحَ مَقَامَةٍ ولم ترَ نارًا تِمَّ حَوْلٍ مجرَّمِ[3]

سِوى نارِ بَيض أو غَزَالٍ مُعَفَّرٍ أغَنَّ من الخُنْسِ المناخرِ تَوْأَمِ[4]

---

(١) جمع صغرى . وفى اللسان : « والصغرى تأنيث الأصغر والجمع الصغر . قال سيبويه يقال نسوة صغر ولا يقال قوم أصاغر ، إلا بالألف واللام » .

(٢) طفيل بن عوف الغنوى : شاعر جاهلى فحل ، قالوا : وهو أوصف العرب للخيل . ويقال له . طفيل الخيل . ويسمى أيضا : المحبر الغنوى . المؤتلف ١٨٤ .

(٣) عوازب : عنى إبلا عوازب لا تروح على أهلها ، تبيت بالقفر . وقبل هذا البيت بأربعة أبيات :

أرى إبلى عافت جدود فلم تذق بها قطرة إلا تحلة مقسم

والنبوح ، بالضم : أصوات الكلاب . والمقامة ، بالفتح : الحى المقيمون . يريد : أصوات كلاب الحى المقيمين . تم حول مجرم : أى حول تام . س ، هـ : « بنوح » صوابه من الديوان ٤٥ ومما سبق فى (١ : ٣٤٨) . هـ : « حامة » موضع « مقامة » صوابه فى س ، ط والديوان . ورواية القالى : « نُبُوحَ مُقَامَةٍ » قال : « النبوح : أصوات الناس . والمقامة : حيث يقيم الناس » ثم قال : « يقول : هذه الإبل عوازب ؛ لعز أربابها ، ترعى حيث شاءت لا تمنع ولا تخاف ، فلم تسمع أصوات أهل مقامة ولم تر ناراً سنة كاملة سوى نار بيض نعام يصيبه راعيها فيشويه ، أو غزال يصيده » .

(٤) معفر : مقتول ممرغ فى العفر . س : « معقر » بالقاف . والأغنّ : الذى فيه غنة ، وهو من صفة الظباء . وفى الأصل : « أغر » وصوابه من الديوان ، والأمالى . والأخنس . القصير الأنف . والتوأم : الذى ولد مع غيره . وذلك أشد لضؤولته وصغر جسمه .

هذه إبلُ راعٍ معزِبٍ[1] صاحب بوادٍ[2] وبدوةٍ ، لايأتى المحاضرَ والمياهَ حيثُ تكون النِّيران[3] . وهو صاحبُ لبنٍ وليس صاحبَ بقْل ، فإبله لاترى نارًا سوى نارِ بَيض أو غزالٍ .

(نار الصَّيد)

وهذه النَّارُ هي النّارُ التى يُصطاد بها الظِّباء والرِّئلان وبَيْضُ النَّعام[4] لأنَّ هذه كلَّها تعشى إذا رأتْ ناراً ، ويحدُثُ لها فكرةٌ فيها ونظر . والصبىُّ الصغير كذلك . وأوّلُ مايعابِثُ[5] الرَّضيعُ ، أوّلَ ماينَاغى ، المصباحُ[6] .

وقد يعترى مثلُ ذلك الأسدَ ، و يعترى الضِّفدعَ ؛ لأنَّ الضِّفدعَ ينقّ ، فإذا رأى ناراً سكَت . وهـــذه الأجناس قد تُغترُّ[7] بالنَّار ، ويُحتالُ لهـا بها .

---

(١) هـ : « معرب » صوابه فى ط ، س .

(٢) كتبت فى الأصــل بإثبات الياء . وهو جائز فى العربية فى حالة الوقف فقط . وفى كتاب سيبويه (٢ : ٢٨٨) : « وحدثنا أبو الخطاب ويونس أن بعض من يوثق بعربيته من العرب يقول : هذا غازى ورامى وعمى . أظهروا فى الوقف ، حيث صارت فى موضع غير تنوين » .

(٣) ط ، هـ : « الثيران » بالثاء . صوابه بالنون كما فى س .

(٤) تسمح الجاحظ فى التعبير ؛ فان بيض النعام ليس ممـا يصطاد ، بل هو ممـا يطلب ويبحث عنه . وكان العرب يطلبون بيض النعام فى أفاحيصها ومكامنها بالنار . جاء فى ثمار القلوب ٤٦٢ ، عند الحديث عن (نار الصيد) : « ويطلب بها أيضا بيض النعام فى أفاحيصها ومكامنها » .

(٥) يعابث ، من المعابثة ، وهى الملاعبة . وفى الأصل : « يعاتب » محرفة .

(٦) المناغاة : المحادثة والملاعبة . و « المصباح » هى فى ط ، هـ : « المصباع » صوابه فى س .

(٧) تغتر : تخدع ؛ فالأسد يرى النار فيستعظمها فتشغله عن السابلة ، وكذا الضفدع يشغل عن النقيق . ط ، س : « تفتر » صوابه فى هـ .

(تشبيه الغيوم بالنّعام)

وتوصف الغيومُ المتراكِة[1] بأنَّ عليها نعامًا . قال الشّاعر[2] :

كأنَّ الرَّبابَ دُوَينَ السَّحا ... بِ نَعامٌ تَعَلَّقَ بالأرْجُلِ[3]

وقال آخر :

خَليلَيّ لاتَسْتَسْلِمَا وَادْعُوا الّذِى ... له كلّ أمْرٍ أنْ يَصُوبَ ربيعُ

حَيًا لبِــلادٍ أَبْعَدَ المَحْلُ أهلها ... وفى العَظْمِ شىءٌ فى شَظَاهُ صُدُوعُ[4]

عنتضك[5] عر[6] النَّشَاص كأنها ... جِبالٌ عليهنَّ النُّسورُ وُقُوعُ[7]

---

(١) المتراكة : المتكاثفة . ط ، هـ : « المترامكة » تصحيحه من س .

(٢) هو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت كما فى اللسان (ربب) ـ عن الأصمعى ـ ومعجم الأدباء(١٦ : ٢٥٩) عن أبى عبيد . ونسبه الحصرى فى زهر الآداب (١ : ١٧٧) إلى حسان بن ثابت . والبيت منسوب فى الكامل ٤٨٥ ، ٧٥٨ وكذا فى شرح المفضليات ٢٤٨ (عن الأصمعى) إلى المازنى . قلت : المازنى الذى عنياه هو عروة بن جلهمة المازنى ، كما فى اللسان . وقبل البيت :

إذا الله لم يسق إلا الكرام ... فأَسقى وجوه بنى حنبل

أجش ملثاغزير السحاب ... هزيز الصلاصل والأزمل

تكركره خضخضات الجنوب ... وتفرغه هزة الشمأل

(٣) الرباب ، بالفتح : السحاب المتعلق .

(٤) الحيا : الخصب . وفى الأصل : « جا » . والمحل : الجدب وانقطاع المطر . والشظى : عظيم لاصق بالركبة . هـ . « شطاه » . س « وفى القطم فى شطاه صدوع » وأثبت مافى ط . ولعل صوابه : « وعَى العَظْمُ حَتّى فى شَظَاهُ صُدُوعُ » أى وعى العظم من المحل حتى ظهرت الشقوق فى شظاه . ووعى العظم : انجبر على عثم ، أى التواء . وهو كناية عن الشدة .

(٥) هـ . « عنتصك » س . « بمصك » وكلها صور محرفة . ولعلها « معتنك » وأصله البعير يحبو حبواً ولا يقدر على السير . فيكون قد جعله معتنكا لثقله وكثرة مائه .

(٦) كذا بالعين المهملة . ولعلها . « غر » .

(٧) النشاص ، بالفتح : السحاب المرتفع بعضه فوق بعض .

(استطراد لغوى)

وقال آخر :

وَضَعَ النَّعَامَاتِ الرِّجالُ بِرَيْدِهَا ... من بين مَخْفُوضٍ وبينِ مظَلَّلِ[1]

والنعائم فى السماء[2] . والنعائم والنعّامتان من آلات البئر[3] .

و[النعامة[4]] : بيت الصائد[5] .

وقال فى مثل ذلك عروة بن مُرَّة الهذلى[6] :

---

(١) النعامة : ظلة أو علم يتخذ من خشب ، فربما استظل به وربما اهتدى به . المخصص (٥ : ١٣٥) . والرجال هنا فاعل (رفع) . والريد ، بالفتح : الحرف الناتئ من الجبل . فى الأصل : « برمدها » وتصحيحه من المخصص . وشبيه بلفظه قوله :

لا شىء فى ريدها إلا نعامتها ... منها هزيم ومنها قائم باقى

و « مظلل » هى فى الأصل « مضلل » وصوابه فى المخصص .

(٢) هى منزلة من منازل القمر بها ثمانية نجوم أربعة منها فى المجرة وتسمى الواردة ، وأربعة خارجة تسمى الصادرة .

(٣) النعامتان : خشبتان يضم طرفاهما الأعليان ويركز طرفاهما الأسفلان فى الأرض ، أحدهما من هذا الجانب ، والآخر من ذاك الجانب ، يصقمان بحبل ويمد طرفا الحبل إلى وتدين مثبتين فى الأرض ، أو حجرين ، وتعلق القامة أى البكرة بين شعبتى النعامتين . قلت : فقد يضم إلى النعامتين ثالثة فيصرن نعائم . فى الأصل : « السر » وقد كشفت سر هذا التصحيف بما أثبت .

(٤) ليست بالأصل .

(٥) ط ، ه : « الصديد » . صوابه ما أثبت من س .

(٦) البيت الآتى منسوب فى اللسان (سرب) إلى أبى خراش الهذلى . وعروة وأبو خراش أخوان ، من عشرة إخوة أبوهم مرة الهذلى ، وكانوا جميعاً شعراء دهاة سراعا لا يدركون عدوا . أما عروة فقتل فى الجاهلية ورثاه أبو خراش بأبيات جادية ، فى الحماسة . وأما أبو خراش — واسمه خويلد بن مرة — فانه أدرك زمان عمر بن الخطاب ، وهاجر إليه ، وغزا مع المسلمين ، ومات فى زمن عمر . الأغانى (٢١ : ٣٨ — ٤٨) والإصابة ٢٤١ والشعراء والخزانة (١ : ٢٠٠ سلفية) .

وذاتِ رَيْدٍ كَزَنْقِ الفَأْسِ مُشْرِفَةٍ طريقها سَرِبٌ بالنّاسِ مجبُوبُ[(١)]

١١٥ لم يَبْقَ من عَرْشِها إلاّ نعامتُها حالانِ منهزِمٌ منها ومَنصوبُ[(٢)]

(مسكن النعام)

وفى المثل : « مايُجمَعُ بين الأرْوَى والنَّعام[(٣)] » لأنَّ الأرْوَى تسكن الجبال ولا تُسهِل[(٤)] ، والنَّعامَ تسكن السهل ولا تَرْقى فى الجبال . ولذلك قال الشاعر[(٥)] :

---

(١) الريد . ما شخص من الجبل . ط . « وذات فرند » س ، ه . « وذات زند » صوابه ما أثبت من اللسان ، وانظر البيت السابق . والزنق ، بالتحريك : أصله أسلة نصل السهم . والأسلة : مستدق النصل . فيكون قد أسكن النون لضرورة الشعر . والمعنى أن ذلك الريد يشبه حد الفأس . ط ، ه . « بزلف » س . « بدلف » . وفى اللسان . « كزلق الرخ » . وصواب الكلمة ما أثبت وأما كلمة « الرخ » فى اللسان فصوابها « الزج » . والأرض المشرفة : العالية تشرف على ما حولها . والطريق السرب ـ ككتف ـ : الذى يتتابع فيه الناس . فى الأصل . « طويلها » تصحيحه من اللسان . والمجبوب . كأنه الممهد من قولهم . سنام مجبوب أى مقطوع . ط ، س . « مجنوب » صوابه فى ه . ورواية اللسان : « دعبوب » بضم الدال ، وهو المذلل الواضح الذى يسلكه الناس .

(٢) العرس ، بالفتح : حائط يجعل بين حائطى البيت الشتوى لا يبلغ به أقصاه ثم يسقف ليكون البيت أدفأ . والنعامة : الظلة . حالان أى تلك النعامة لها حالان فبعض أجزائها منهزم أى متكسر . تقول هزمت القربة فانهزمت : إذا غمزتها فتطامنت . ومنصوب : أى قائم . انظر نظير هذا البيت فى حواشى الصفحة السابقة . فى الأصل : « مصبوب » والوجه ما أثبت .

(٣) نص المثل فى الميدانى (١ . ١٢٦) وكنايات الجرجانى ١١٨ والدميرى . « تكلم فجمع بين الأروى والنعام » وقالوا : أى تكلم بكلمتين مختلفتين . وفى اللسان . « ومن أمثالهم : من يجمع بين الأروى والنعامة ؟! » . والأَرْوَى : جمع أُرْوِيَّة ، أواسم جمع ، وهى أنثى الوعول .

(٤) أسهل . نزل فى السهل من الأرض .

(٥) هو مهلهل ، كما فى اللسان (ظهر ، وكدس) أو عبيد بن الأبرص ، كما فى مختصر تهذيب الألفاظ ١٧١ واللسان (كدس) .

وَخَيْلٍ تُــكَرْدِسُ بالدّارِعِينَ . كَمَشْيِ الوُعول على الظّاهر[(١)]

وقال كثيِّر :

يَهدى مَطَايَا كالحَنِيِّ ضَوَامِرًا بنيَاط أغْبَرَ شَاخِص الأمْيَالِ[(٢)]

فَــكأنَّهُ إذْ يغتَدِي مُتَسَنِّماً وَهْدًا فوَهْدًا نَاعِقٌ برِئالِ[(٣)]

(شعر فى التشبيه بالنعام)

وقال الأعشى ، فى تشبيه النَّعام بمـا يتدلَّى من السَّحاب من قطع الرَّباب :

---

(١) ط : « وتبل » س ، ﻫ : « ونبل » صوابه من الحيوان (٦ : ٩٨) والمخصص (١٠ : ٦٩) واللسان . وتكردس : تمشى مشية المقيد . ط : « يكردس » س ، ﻫ : « مكردس » صـوابهما من سادس الحيوان . والرواية فى المخصص واللسان والمختصر : « تَــكَدَّسُ » أى تتكدس . والتكدس : أن يمشى الفرس كأنه مثقل . والدارع : لابس الدرع الحديدى . والظاهر : أعلى الجبل حيث يسكن الوعل . وفى الأصل : « الطاهر » صوابه فى الجزء السادس . ورواية المخصص واللسان والمختصر : «الظاهرة» وهما بمعنى .

(٢) الحنى ، كغنى : جمع حنية،وهى القوس . جعلها كالقسى فى نحولهـا . ونياط المفازة : بعد طريقها . ط ، س : « نباط » صوابه فى ﻫ . والأغبر : الطريق ذو الغبرة . شاخص : قائم . والأميال : جمع ميل ، بالـكسر ، وهو المنار يبنى للمسافر فى أنشاز الأرض وأشرافها . وفى الأصل : « الأمثال » . ولا وجه له صوابه ما أثبت .

(٣) تسنم الشىء : علاه . س : « متنسا » صوابه فى ط ، ﻫ . والوهد ، بالفتح : الأرض المنخفضة . فمعنى تسنم الوهد : أشرف عليه من الأنشاز التى حوله ط : « وهد فوهد » س ، ﻫ : « وهدى فوهدى » صـوابهما ما أثبت . وناعق : هو من نعق الراعى بالغنم : دعاها وصاح بها . ط : « ناطق » تصحيحه من س ، ﻫ .

يا هَــلْ تَرَى بَرْقاً على الـ جَبَلَيْنِ يُعْجِبُنى انجيابُه[١]
مِنْ ساقِطِ الأكنافِ ذِى زَجَلٍ أَرَبَّ به سَحابُه[٢]
مثلِ النَّعامِ مُعَلَّقاً لَمَّــا زَقَا ودنا رَبابُه[٣]

وقال وشبَّه ناقتَه[٤] بالظَّلِيم :

وإذا أطافَ لبابه بسَدِيسِهِ[٥] ومسافراً وجا به وتَزَيَّدَا[٦]
شَبَّهْتُه هِقْلاً يُبارِى هِقْلَةً رَبْدَاءَ فى خَيْطٍ نقَانِقَ أربدا[٧]

---

(١) ياهل : أى ياصاح هل . حذف المنادى ، كما جاء فى الكتاب : « ألا ياسجدوا » فى قراءة الكسائى ، وكقوله :

يالعنة الله والأقوام كلهم والصالحين على سمعان من جار

برفع « لعنة » . ورواية الديوان ١٩٨ : « بل هل » . والجبلان ، هما جبلا طيء : أجأ وسلمى . وانجيابه : انكشافه . ويروى : « انتصابه » . وفى شرح الديوان : « الناصب من البرق ترى ضوءه ثابتا » . ط ، س : « انحيابه » تصحيحه من ه والديوان .

(٢) من ساقط الأكناف : أى من سحاب ساقط النواحى . وفى الأصل : «متساقط» . و « الأكناف » هى فى س : « الأكتاف » وصواب هذين التحريفين من الديوان . والزجل ، بالتحريك : الصوت . أربَّ به : أقام .

(٣) معلقاً ، فى موضع حال من النعام . فى الأصل : « معلق » ووجهه ما أثبت من الديوان . وانظر شبيه هذا المعنى فى البيت الذى سبق فى ص ٣٥٠ . زقا : صاح . وفى اللسان : « وكل صائح زاق . . . وقد تعدوا ذلك إلى مالا يحس فقالوا : زقت البكرة» ط ، ه : « رقا » ولا وجه له وأثبت مافى س . ورواية الديوان : « لمــا دَنَا قَرِداً رِبابُه » القرد : المجتمع . والرباب : ماتدلى من السحاب .

(٤) كذا . والوجه : «بعيره» أو «جمله» . كما يفهم من الشعر . انظر الديوان ١٥٢

(٥) رواية الديوان : « وإذا يلوثُ لُغامَه بسَدِيسِهِ » و : « أطاف لغامه » .

(٦) كذا فى ط ، ه . وفى س : «ومسافر دلجابه» ، وكلاهما محرف. ورواية الديوان: « ثنى فهبَّ هَبابُهُ وتَزَيَّدَا » .

(٧) الهقل ، بالكسر : الفتى من النعام . ط ، س : « شبهته صعلا » والصعل ، بالفتح : الطويل من النعام . ورواية الديوان : « وكأنه هقل يبارى هقلة » . والربداء : الرمادية اللون ، أو السوداء . وروى فى الديوان : « رمداء » =

وذكر زهيرٌ الظَّليمَ وأولاده ، حتّى[1] شبَّه ناقتَه بالظَّليم :

كأنّى وردْفِى وَالْقِرَابَ وَنُمرُقِى   على خاضِبِ السَّاقين أرعَنَ نِقْنِقِ[2]

ترامى به حبُّ الصَّحارِى وقد رأى   سَماوةَ قَشْرَاءِ الوظيفَين عَوْهَقِ[3]

تحنُّ إلى مِيــلِ الجَناحَيْنِ جُثَّمٍ   لَدَى سَكَنٍ مِنْ بَيضِها المتفلِّقِ[4]

تحطَّمَ عنها عَنْ خراطم أسيح   وعن حَدَقٍ كالسَّبْجِ لم يتفلَّقِ[5]

السَّبج[6] : الخَرَزُ[7] .

= أى رمادية اللون . والخيط ، بالفتح والكسر : جماعة النعام . ط ، س « نبط » هـ : « نيط » تصحيحه من الديوان . والنقانق : جمع نقنق ونقنقة ، وهو الخفيف من النعام . فى الأصل : « تعانق » والوجه ما أثبت من الديوان . و « أربدا » صفة لخيط ، وجر بالفتحة لوزن أفعل . هـ والديوان : « أرمدا » وهما بمعنى .

(١) لعلها : « حين » أو : « حيث » .

(٢) الردف ، بالكسر : الحقيبة ونحوها . والقراب ، بالكسر : غمد السيف . والنمرق مايوضع فوق الرحل يقعد عليه الراكب . خاضب الساقين : عنى به ظليما احمرت ساقاه . والنقنق : النافر ، أو الخفيف .

(٣) ط ، هـ : « وقد أرى » فإن صحت هذه الرواية ضبط الفعل بالبناء للمفعول . وأثبت ما فى س . والسماوة : شخص الشيء . والقشراء : البينة القشر ، وهو شدة الحمرة . والوظيف : مستدق الساق . وفى ط ، س . « الوظيفة » و هـ : « قشر الوظيفة » صوابه ما أثبت . والعوهق : الطويل يستوى فيه المذكر والمؤنث . ط ، س : « عيهق » هـ . « عبهق » محرفتان عما أثبت .

(٤) ميل : مائلات . و « الجناحين » لعلها « الجناجن » : وهى عظام الصدر . الجثم : اللاصقات بالأرض . وفى الأصل : « عن بيضها » .

(٥) أسيح ، كذا جاءت فى ط ، هـ . وهى ساقطة من س . والسبج ، وأصله التحريك : الخرز الأسود . شبه عيون الفراخ به . س ، ط : « كالمح » هـ : « كالمخ » وصوابه ما أثبت .

(٦) س : « السح » . ط ، هـ : « السيح » محرفة .

(٧) فى الأصل : « الحدور » تحريف ما أثبت

(النعامة فرس خالد بن نضلة)

وكان اسمُ فرسِ خالدِ بن نَضْلة[١] : « النَّعامة » . قال :

تَدَارَكَ إرخَاء « النَّعامةِ » حَنْثَرًا ... وَدُودَانَ أَدَّتْهُ إليَّ مُكَبَّلا[٢]

(تشبيه مشى الشيخ بمشى الرئال)

وقال عُروة بن الوَرد[٣] :

أليسَ ورائى أن أدِبَّ على العَصَا ... فيأمَنَ أعدائى ويَسْأَمَنِى أهْلِى[٤]

رَهِينَةَ قَعْرِ البيتِ كلَّ عَشِيَّةٍ ... يُطِيفُ بِىَ الوِلْدانُ أَهْدِجُ كالرَّألِ[٥]

---

(١) خالد بن نضلة الأسدى ، فارس مشهور من فرسانهم ، وله ذكر فى يوم النسار . إذ كان رئيس أسد يومئذ . كامل ابن الأثير (١ : ٣٧٧) . س : « فضلة » صوابه فى القاموس (نعم) وكامل ابن الأثير ، والبيان (٣ : ١٤٦ ، ١٥٧) ونهاية الأرب (٢ : ١١٨) . وقد قال البيت الآتى يذكر فيه أنه أسر حنثر ابن بحر ، ودودان بن خالد . أنظر بلوغ الأرب (٢ : ١١٨) .

(٢) الإرخاء : شدة العدو . ط : « أحساء » س ، هـ : « أرحاء » والوجه ما أثبت ، كما فى بلوغ الأرب . و « حنثراً » هى فى الأصل : « جيداً » صوابه فى بلوغ الأرب وانظر التنبيه السابق . وفى الأصل أيضاً : « أردته » صوابه ما أثبت . وفى بلوغ الأرب : « ودودان أدت فى الحديد » . مكبلا : مقيداً .

(٣) عروة بن الورد شاعر من شعراء الجاهلية ، فارس ، صعلوك ، جواد . وكان يسمى عروة الصعاليك ؛ لجمعه إياهم ، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا فى غزواتهم .

(٤) يقول : أليس ورائى إن سالمت الناس ، وتركت مخاطر التصعلك ، أن يلحقنى الكبر فأهون ويضجر منى أهلى ؟! فهو يحتج للتصعلك بما ترى . س ، هـ : « على الصفا » س : « وييأس بى » هـ : « وييأس أهالى » صواب ذلك فى ط والديوان ١٠٣ .

(٥) رهينة : أى ملازم لايبرح . وهدج الشيخ فى مشيته : قارب الخطو وأسرع من غير إرادة . والرأل : فرخ النعام .

١١٦ شَبَّه هَدَجَانَ[1] الشَّيخِ الضَّعيفِ فى مشيته بهدَجَان الرأل .

وقال أبو الزَّحْف[2] :

أشكو إليكَ[3] وَجَعًا بركبتى وَهَدَجَانًا لم يكنْ فى مِشْيتى[4]

* كهَدَجَانِ الرَّألِ حَوْلَ الهيْقَتِ[5] *

وقال آخر ، ولست أدرى أيُّهما حَمَل على صاحبه :

أشكو إليكَ وَجَعًا بمرفَقِى[6] وَهَدَجَانًا لم يكنْ فى خُلقى

* كهَدَجَانِ الرَّألِ حَوْلَ النِّقْنِقِ *

ولم يفضحْه إلاَّ قوله :

* أشكو إليك وجعًا بمرفقى *

لأنَّ الأوَّلَ حكى أنَّ وجعه فى المكان الذى يصيبُ الشُّيوخ ، ووجع المرفق مثلُ وجَعِ الأُذُنِ ، وضربانِ الضِّرس ، ليس من أوجاع الكِبَر فى شىء .

---

(١) فى الأصل : « وشبيه بهذا أن » تحريف ما أثبت .

(٢) أبو الزحف ، سبقت ترجمته فى (٢ : ١٩٧) . وفى الأصل : « أبو المرهف » محرفة والرجز فى الشعراء ١٦٣ فى ترجمة أبى الزحف . وقد نسب فى نوادر أبى زيد ٢٠٥ إلى (ابن عُلْقَةَ التَّيْميّ) . برواية أخرى . وأراه رجزاً آخر اتفق خاطرا القائلين فيه . وهو بغير نسبة فى أمالى القالى (١ : ١٨٩) . ونسب فى العقد (٢ : ٥٢) إلى أعرابى .

(٣) فى العقد : « إلى الله » .

(٤) فى الشعراء والنوادر والأمالى : « من مشيتى » .

(٥) الهيقة : النعامة الطويلة . وقد أراد : « الهيقة » فصير هاء التأنيث تاء فى المرور عليها . فى الأصل : « النقنق » ولا تتفق مع الرجز ، وتصحيحها من اللسان (هدج ، هيق) وسائر المصادر المتقدمة ماعدا العقد ، فالرواية فيه أشد تحريفاً . وروى : « خلف » مكان « حول » فى جميع المصادر ماعدا العقد .

(٦) المرفق ، كمنبر ومجلس : موصل الذراع فى العضد .

(شعر فيه ذكر النعامة)

وقال ابن ميّادة ، وذكر بنى نَعامةَ من بنى أسد ـ وقد كان قَطَرِىُّ ابن الفجاءة يكنى أبا نعامة[1] ـ :

فهل يمنَعَنِّى أنْ أسِيرَ ببَلْدَةٍ نَعامةُ ، مِفْتاحُ المخازِى وبابُها

وهجا دُريدُ بن الصِّمَّةِ رَجُلاً فجعل البيضةَ الفاسدةَ مثلاً له ، ثمَّ ألحقَ النَّسرَ بأحرار الطَّيرِ وكرامها ـ وما رأيتُهُمْ يعرِفون ذلك لنسرٍ ـ فقال :

فإنِّى على رغْمِ العَذولِ لَنَازِلٌ بحيث التقَى عيط و بيضُ بنى بدر[2]

أبا حَكَمَ السَّوْءاتِ لاتَهْجُ وَاضْطَجِعْ

فهل أنْتَ إن هاجَيْت إلاَّ من الحُضْرِ[3]

وهل أنْتَ إلاَّ بَيْضَةٌ مات فَرْخُها ثَوَتْ فى سُلوخ الطيرِ فى بلدٍ قفْرِ[4]

حَـوَاهاَ بغاثٌ : شرُّ طير علمتُها وَسُلاَّء ليستْ من عُقابٍ ولانسْرِ[5]

---

(١) قطرى ، بالتحريك : نسبة إلى موضع بين البحرين وعمان . وهى نسبة غـير حقيقية ؛ فان مولده بلد يقال له الأعدان والفجأة كذلك لقب لأبيه ، قالوا : قدم أهله فجأة فلقب بذلك . واسم قطرى جعونة ، واسم أبيه مازن . وأبو نعامة كنيته فى الحرب، ونعامة فرسه، وكنيته فى السلم أبو محمد . خرج قطرى فى زمن مصعب وكان بينه وبين الحجاج نضال مستمر طويل . وعثر به فرسه فاندقت فخذه فمات وجىء برأسه إلى الحجاج سنة ٧٨ . وفيه يقول الحريرى فى المقامة السادسة : « فقلدوه فى هذا الأمر الزعامة تقليد الخوارج أبا نعامة » ابن خلـكان والدميرى وشرح التبريزى للحماسة .

(٢) كذا . ولعله « غيظ » أو « عيص » اسما قبائل .

(٣) الحضر : اسم قبيلة . ط ، س : « الحصر » هـ : « الحضر » . ولعل صوابه ما أثبت .

(٤) سلوخ : جمع سلخ ، بالفتح ، وهو مايسلخه الطائر من ريشه ، فهو يبطن به عشه ليضع فيه البيض . انظر ماسبق من القول فى سلخ الطيور ص ٢٢٤ . س : « شلوخ » ولا وجه لهـا .

(٥) السلاء ، كرمان : ضرب من الطير أغبر طويل الرجلين .

(استطراد لغوى)

ويقال للأنثى من ولد النَّعامة : قلوص ؛ على التشبيه بالنَّعام من الإبل . وهذا الجمع[١] إلى ماجعلوه له من اسم البعير ، و إلى ما جعلوا له من الخفِّ والمنسِمِ ، والحَرَمَةِ[٢] ، وغير ذلك .

قال عنترة :

تأوِى له قُلُصُ النَّعامِ كما أوَتْ حِزَقٌ يمانيةٌ لأعجمَ طِمْطِمِ[٣]

وقال شماخ بن ضِرار[٤] :

* قلوص نَعامٍ زِفُّها قد تَمَوَّرَا[٥] *

(وصف الرئال)

ووصف لبيدٌ الرِّئالَ فقال :

---

(١) كذا . ولعلها : « يجمع » .

(٢) الحرمة ، بالتحريك : سبق شرحها فى ص ١٠٦ سابق . وفى الأصل : « الحزامة » محرفة .

(٣) تأوى له : أى تلجأ إليه . والضمير عائد إلى الظليم ، المفهوم من قوله قبل هذا البيت :

وكأنما أقص الإكام عشية بقريب بين المنسمين مصلم

وفى الأصل . « تأوى به » صوابه من المعلقات واللسان (قلص) . والقلوص الشابة من الرئال ، أى فراخ النعام . والحزق : الجماعات . والمراد بها جماعات الإبل . لأعجم طمطم : أى لإهابة راعيها الأعجم الذى لايفهم الكلام .

(٤) يصف ناقته ، من قصيدة له فى ديوانه ٢٦ ــ ٣٤ .

(٥) الزف ، بالكسر : صغار الريش . س ، هـ : « زحها » محرفة . وتمور : سقط وصدر البيت :

* وقد أنعلتها الشمس نعلا كأنه *

فأضْحَتْ قد خَلَتْ إلاَّ عِرَارًا   وَعَزْفًا ، بعـد أحياء حِلاَلِ[١]

١١٧ وخَيطاً من خَوَاضِبَ مزلفات   كأنَّ رِئالهـا وُرْقُ الإفالِ[٢]

(قول فى بيت لحسان)

وقال حسانُ بن ثابتٍ ، رضى الله عنه[٣] :

لعمرُكَ إنَّ إلَّكَ فى قُرَيش   كإلِّ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ[٤]

---

(١) العرار ، بكسر العين المهملة : صوت الظليم . يقال عرّ يعرّ عرارا ، وعار يعار معارة وعرارا . ط : « غرارا » صوابه فى س ، ه واللسان (عرر) . والعزف : صوت الرياح ، وقد يجعله العرب بزعمهم صوت الجن . وفى الأصل : « عرفا » تصحيحه من اللسان . وأحياء حلال : أى أقوام مقيمون متجاورون . ينعت تلك الديار بعد مارحل عنها أهلها .

(٢) الخيط بالفتح والكسر : جماعة النعام . والخواضب : الظلمان قد احمرت سوقها . و « مزلفات » لم أجد لها وجها . ورئالها : فراخها . والورق : جمع أورق ، وهو ، مالونه كلون الرماد . والإفال : جمع أفيل ، كأمير ، وهو الفصيل من الإبل وفى الأصل : « الإمال » بالميم ، محرفة .

(٣) يهجو أبا سفيان بن الحارث . والبيت أول أبيات أربعة فى ديوانه ٤٠٧ — ٤٠٨ . وبعده :

فإنك إن تمت إلى قريش   كذات البو جائلة المرام

وأنت منوط بهم هجين   كما نيط السرائح بالخدام

فلا تفخر بقوم لست منهم   ولاتك كاللئام بنى هشام

(٤) الإل : القرابة . والسقب : ولد الناقة ساعة يولد . ط : « الفيل » س ، ه : « السيف » صوابهما ما أثبت من الديوان ، والمخصص (٣ : ١٥١) وأمالى القالى (١ : ٤١) والأضداد ٣٤٦ . والرواية فيها جميعاً : « من قريش » وهناك بيت آخر يشتبه بهذا البيت . وهو :

وأشهد أن إلك من قريش   كإل الفيل من ولد الأتان

وصاحبه عبد الرحمن بن الحكم يقوله لمعاوية ، كما فى الحيوان (١ : ١٤٦ ، ٧ : ٧٣) والخزانة (٢ : ٥١٨ بولاق) . أو صاحبه يزيد بن مفرغ ، كما فى الشعراء ٧٩ والموشح ٢٧٣ . أو هو عبد الرحمن بن حسان ، كما فى العقد (٤ : ١٨٢) .

وقد عاب عَلَيْهِ هذا البيتَ ناسٌ ، وَظَنّوا أَنَّهُ أراد التبعيد ، فذكر شيئين قد يتشابهان من وجوهٍ . وحسانُ لم يردْ هذا ، وإنما أراد ضعْفَ نَسَبِه فى قُريش ، وأنّه حِينَ وَجَدَ أدنى نَسب[1] انتحل ذلك النَّسب .

(النعامة ، فرس الحارث بن عباد)

وقال الفرزدقُ — وذَكَرَ الفرَسَ الذى يقال له : « النّعامة » ، وهو فرسُ الحارث بن عُبَاد ، التى يقول فيها :

قرِّبا مَرْبِطَ النّعامةِ مِنّى ... لَقِحَتْ حَرْبُ وائلٍ عن حِيَالِ[2]

وقولُ الفرزدق[3] :

تُرِيكِ نُجومَ اللّيل والشَّمْسُ حَيّةٌ[4] ... كِرامٌ[5] بناتِ الحارثِ بن عُبادِ

نساءٌ أبوهنّ الأغرّ ، ولم تَكُنْ ... من الحُتِّ فى أجْبالها وَهَدَادِ[6]

---

(١) كذا بالأصل . ولعلها : « سبب » .

(٢) عن حيال : أى بعد حيال . والحيال ، بالكسر : ألا تحمل الناقة بولد . وقد قال الحارث هذا الشعر لمناسبة تجدها فى (يوم قضة) من أيامهم .

(٣) يقوله للنوار زوجه ، وكان تزوج عليها امرأة من ولد الحارث بن عباد ، فقالت له : تزوجتها أعرابية دقيقة الساقين !

(٤) كذا رواية صدر البيت فى الموشح ١٠٤ والأغانى (١٩ : ٩) . وروى : « أرتك » فى الأغانى (٨ : ٨٩) و : « أراها » فى الديوان ١٥٩ . يقول لها : إن بنات الحارث بن عباد يجلبن إليها الغيرة الممضة حتى يظلم عليها نهارها . والعبارة مثل . كما جاء فى قول طرفة (ديوانه ٦٥) :

إن تنوله فقد تمنعه ... وتريه النجم يجرى بالظهر

(٥) روى فى الديوان والموشح والأغانى (٨ : ٨٩) : « زحام » . وللمرزبانى كلام فى هذا اللفظ دقيق .

(٦) الحت ، بالضم ، وهداد : قبيلتان من الأزد . ط : « من الأزد فى جاراتها وهداد » . ولعله تصرف من المصحح اعتمد فيه على رواية الأغانى (١٩ : ٩) = .

أبوها الذى آوى النَّعامةَ بعد ما أبَتْ وَائِلٌ فى الحَرْبِ غَيْرَ تمَادِ[1]

وقد مَدحوا بناتِ الحارث بن عباد هذا ، فمن ذلك قوله[2] :

جاءوا بحارِشَةِ الضِّبابِ كأنَّهُمْ جَاءوا ببنتِ الحارثِ بن عُبادِ[3]

ويلحق[4] هذا البيت بموضعه ، من قولهم . باضَ الصَّيفُ[5] ، وباضَ القَيظُ[6] . وقال مضرِّس :

بلمّاعةٍ قد بَاكَرَ الصَّيفُ ماءَها وباضت عليها شمسه وحرائِرُه[7]

= لكن فى س ، هـ : «من الحب فى إحالها» وتصحيح هذا التحريف من الديوان.

(١) أبوها ، يعنى أبا زوجته . و «آوى النعامة» إشارة إلى قوله : «قرّبا مربط النعامة» . ط : «قاد النعامة» ويظهر أيضاً أنه اعتماد من المصحح على رواية الأغانى (١٩ : ٩) . ورواية الديوان : «أذنى» . والتمادى : اللجاجة . ووائل هو والدبكر وتغلب اللتين أشعلتا نار حرب البسوس ، فكانت إحداهما تحارب الأخرى .

(٢) فى (٦ : ٣٢) : وقائلة هذا الشعر امرأة من بنى مرة بن عباد . ونحوه فى ثمار القلوب ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٣) بحارشة الضباب : أى بامرأة تحرش الضباب أى تصيدها . وقد عدت هذه حرش الضباب لؤما ومسبة ، ولكن بعض العرب لا يرى فى ذلك شيئاً . انظر تفصيل هذا الخلاف فى (٦ : ٢٦ - ٣٦) . أما بنت الحارث بن عباد فثل فى الكرم والشرف .

(٤) الكلام من مبدإ هذا إلى نهاية بيت مضرس ساقط من س . وربما دل هذا على أنه كلام دخيل من صنع أحد القراء . وكلمة «بموضعه» تشير إلى ماسبق فى ص ١١٠ ساسى .

(٥) فى الأصل ، وهو هناك ، هـ : «السيف» . وانظر ماسبق فى ١١٠ ساسى .

(٦) فى الأصل : «ومن باض القيظ» وكلة «من» مقحمة .

(٧) لماعة : أى فلاة يلمع فيها السراب . ط : «بداعية» صوابه فى هـ واللسان (حرر) . وفى اللسان أيضاً : «قد صادف الصيف» . والحرائر : جمع حرور ، بالفتح ، وهو الحر . وباضت الشمس : أخرجت كل حرها . ورواية اللسان : «فاضت».

(ابن النعامة ، فرس خزز بن لوذان)

وابن النّعامة : فرس خُزَزِ بن لَوْذَان[١] . وهو الذى يقول لامرأته حين أنكرتْ عليه إيثاره فرسَه باللبَن :

كَذَبَ العَتِيقُ ومَاءُ شَنٍّ بارِدٌ إنْ كنْتِ سائلتى غَبوقا فاذْهَبِي[٢]

إنِّى لَأَخْشَى أن تقولَ خليلتى[٣] هــــذا غبارٌ ساطعٌ فتَلَبَّبِ[٤]

---

(١) خزز ، بزايين وبوزن عمر ، ابن لوذان ، بفتح اللام وبذال معجمة : شاعر قديم جاهلى ، كما فى الخزانة (٣ : ١١ بولاق) . وفى الأصل : « حرز » صوابه فى القاموس (خزز ، لوذ) والمؤتلف ١٠٢ ، والبيان (٣ : ١٧٩) . ونسبة الشعر الآتى إلى خزز ، مثلها فى الخزانة والبيان وأمالى ابن الشجرى (١ : ٢٦٠) . ونسب إلى عنترة فى المخصص (١٣ : ٢٠٦) والعقد (٢ : ٢٥٦) وحماسة ابن الشجرى ٨ وأماليه (١ : ٢٦١) .

(٢) هو مثل صادق من عناية العرب بخيلهم ، وإيثارهم لها على أنفسهم وعلى أزواجهم ولو أدى ذلك إلى النزاع مع الحرم . وقال فى مثل هذا ، الأعرج المعنى (الحماسة ١ : ١٣٠) :

أرى أم سهل ما تزال تفجع تلوم وما أدرى علام توجع

تلوم على أن أمنح الورد لقحة وماتستوى والورد ساعة يفزع

أم سهل : امرأته . والورد : اسم فرسه . ولقحة : أى لبن ناقة لقحة . وما تستوى : أى ما تستوى امرأته وذلك الفرس ساعة الفزع للحرب .

(٣) يقول لها : عليك بأكل العتيق ، وهو يابس التمر ، وبشرب الماء البارد الذى فى القربة الخلق ، ولا تتعرضى لغبوق اللبن ، وهو شربه بالعشى ؛ لأن اللبن خصصت به مهرى الذى أنتفع به ويسلمنى وإياك من الأعداء . وكذب كذا ، وكذب عليك كذا : مثلان غريبان من أمثلة الإغراء ، لكنه جاء مسموعاً كثيراً فى كلامهم . انظر اللسان (كذب) وأمالى ابن الشجرى والمزهر (١ : ٢٢٥) .

(٤) يعنى بخليلته زوجته . ط ، س : « خليلى » وتصح بالتصغير وإرادة النداء =

إِنَّ العدوَّ لهم إليكِ وسيلةٌ   إنْ يأخُذوكِ تَكَحَّلِي وتخضبِي[(١)]
ويكون مَرْكَبُكِ القَعودَ وحِدْجَه   وابنُ النَّعامةِ يوم ذَلِكِ مَرْكَبِي[(٢)]

(شعر فى النعامة)

وقال أبو بكر الهذليُّ :

١١٨ وَضَعَ النَّعاماتِ الرِّجالُ بِرَيْدِها   يُرْفَعْنَ بَيْنَ مُشَعْشَعٍ وَمُهَلَّلِ[(٣)]

وقال ذُو الإصبع العَدْوانىّ :

ولى ابنُ عَمّ على ما كان مِنْ خُلُقٍ   مخالفٌ لى أَقْلِيـــه ويقلينى[(٤)]
أَزْرَى بنا أَنَّنا شالَتْ نعامتُنا   فَخَالنى دُونَهُ بـــل خِلْتُهُ دُونى[(٥)]

= وأثبت ما فى ه والبيان واللسان (لبب) . ورواية ابن الشجرى فى الحماسة : « ظعينتى » . والظعينة : المرأة . والغبار الساطع الذى تعنى : هو مايتطاير من جرى خيل العدو المغير . والتلبب : التحزم بالسلاح وغيره .

(١) العدو ، من الكلمات التى تقال الواحد والاثنين والجمع ، والمثنى والمذكر ، بلفظ واحد . روى ابن الشجرى فى الأمالى : « أن يأخذوك » وقال : « موضعه نصب بتقدير حذف الخافض ، أى فى أن يأخذوك » . ثم قال : « قذنها بارادتها أن تؤخذ مسبية ، فلذلك قال : تكحلى وتخضبى » .

(٢) أى يحملك الأعداء حين تسبين على القعود ، وهو الفصيل من الإبل . والحدج ، بالكسر : مركب من مراكب النساء . يقول : وأما أنا فأركب للقاء العدو فرسى المسمى بابن النعامة . وقيل : أراد بابن النعامة باطن القدم ، وقيل أراد الطريق . وأول الثلاثة أصحها .

(٣) « وضع » هى فى الأصل : « وقع » و « بريدها » هى فى ط ، س « بريدها » وفى ه : « برمدها » . وانظر ما أسلفت من التحقيق فى ١١٤ ساسى . و « يرفعن » هى فى الأصل : « يدفعن » . والمشعشع : المتفرق فيه فرج . والمهلل : المتقوس . وانظر عجز البيت وشرحه فيما سبق ص ١١٤ ساسى

(٤) أى أبغضه ويبغضنى .

(٥) شالت نعامة القوم : تفرقت كلمتهم وذهب عزهم ، أو لم يبق منهم إلا بقية . والبيتان من قصيدة فى المفضليات ٦٩ .

وقال أبو دُوادٍ الإيادىُّ فى ذكر الصَّيد، وذكر فرَسه :

وأخـــذنا به الضرار وقلنا بحقـــير بنانه أضمار[1]

وأتى يبتغى تَفَرُّسَ أمِّ البَيـ ـض شَدًّا وقـــد تعَالَى النهارُ[2]

غـــير جعف[3] أوابدٍ ونعامٍ ونعامٍ خِلالَهَا أثوارُ

فى حوال العقارب[4] العمر فيها حين ينهضن[5] بالصباح عذارُ

ثم قال :

يتكشفن من صرائع ستٍّ قسِّمت بينهنَّ كأسٌ عُقَارُ

بينَ ربْدَاء كالمِظَلَّةِ أفق وظليمٍ مـــع الظَّليم حمار[6]

ومهايين حر بين ورِئال وسيوب كأنَّه أوْتَارُ[7]

---

(١) كذا جاء البيت محرفا فى الأصل . س : « الضرا » . ه : «فلسنا» موضع « وقلنا » . س : « بخفر » موضع : « بحقير » .

(٢) أم البيض ، عنى بها النعامة . س : « بفرس أم البيض » !

(٣) كذا بالأصل .

(٤) كذا فى ط . وفى س ، ه : « فى حو القارب » محرفتان .

(٥) س ، ه : « ينهض » .

(٦) ربداء : أى نعامة رمادية اللون . والمظلة : بالكسر والفتح ، الكبير من الأخبية ، وقدجاء مثل هذا فى قول ذى الرمة ص ٣١١ :

* شخت الجزارة مثل البيت سائره *

وسيأتى مثله لذى الرمة ص ٣٦٨ . ط : « كالمصلتة » س ، ه « كالمظلة » صوابه ما أثبت . والأفق ، بضمتين : الرائع ، يقال للذكر والأنثى . وقدسكن الفاء للشعر .

(٧) كذا فى س ، ه . وفى ط :

ومهاتين حرس ورئال وسيوف كأنها أوتار

والنصان محرفان .

(شعر فى تشبيه الناقة بالظليم)

ووصف علقمة بن عبدة ناقته ، وشبّهها بأشياء منها [١] ثمّ أطنب فى تشبيه إيّاها بالظّليم :

تلاحظ السَّوْطَ شَزْراً وهى ضامزة ... كما توجَّس طاوِى الكَشح مَوْشُومُ [٢]

كأنَّها خاضب زُعْرٌ قوائمُه ... أجْنَى له باللِّوَى شَرْىٌ وَتَنُّومُ [٣]

يظلُّ فى الحَنْظَلِ الخطبان ينقفُه ... وما استَطَفَّ من التَّنُّوم مَخْذومُ [٤]

فُوه كشَقِّ العصا لأْيا تَبَيَّنُهُ ... أسَكُّ ما يسمَعُ الأصواتَ مَصْلُومُ [٥]

يكادُ منسمه يَخْتَلُّ مُقْلَتَهُ [٦] ... كأنَّهُ حاذِرٌ للنَّخْسِ مَشْهومُ [٧]

---

(١) كذا . وقد تكون هذه الكلمة زائدة وقد تكون أصيلة يتلوها كلام سقط .

(٢) نظر شزراً : أى بمؤخر عينه . ضامزة ، بالزاى : أى ساكتة خائفة . س ، هـ والديوان ١٣٠ : «ضامرة» وما أثبت من ط والمفضليات ١٩٠ أجود . والتوجس : التسمع للصوت الخفى . س ، هـ : «تزجر» محرف عما أثبت من ط والديوان ، والمفضليات . والموشوم : الذى فى ذراعيه خطوط . وعنى به الثور الوحشى . س ، هـ : «مرشوم» محرف .

(٣) الخاضب : الظليم قد احمرت ساقاه . والزعر : القليلات الريش . هـ : «ذعر» . مصحفة . روى فى المفضليات : «قوادمه» . والشرى : الحنظل . والتنوم : نبت . وأجنى : أى أدرك وأمكن من جنيه . س ، هـ : «أحنى» صوابه فى ط والديوان وعيون الأخبار (٢ : ٨٧) والمفضليات ١٩٠ حيث القصيدة .

(٤) الخطبان ، بالضم والكسر : جمع خطبانة بالضم ، وهى الصفراء فيها خطوط خضر . فى الأصل : «الحبطان» صوابه فى الديوان والمفضليات واللسان (طفف) . ينقفه : يشقه ليستخرج لبه . واستطف : أى بدا للآخذ . والمخذوم : المقطوع . هـ : « محدوم » وأثبت ما فى ط ، س والمفضليات . ورواية الديوان . « محذوم » وهو المقطوع قطعاً وحياً .

(٥) لأيا تبينه . أى لاتتبينه إلا بعدجهد ومشقة . ط : « لا يأتبينه » . س ، هـ « لأيايينيه » صوابه من الديوان والمفضليات . والأسك : الأصم . والمصلوم : الصغير الأذنين أو المقطوعهما .

(٦) المنسم ، كمجلس : طرف خف النعامة . يختل مقلته : ينفذ فيها وينتظمها .

(٧) المشهوم: الفزع . س ، هـ . « موسوم » س: « حازم النحيين » هـ : =

حتى تذكَّرَ بَيْضَاتٍ وَهَيَّجَهُ ... يومُ رذاذٍ ، عليه الرِّيحُ مَغْيُومُ[(١)]

فــلا تزيُّدُه فى مَشْيِهِ نَفِقٌ[(٢)] ... ولا الزَّفيفُ دُوينَ الشَّدِّ مَسْئُومُ[(٣)]

يَأوِى إلى حِسْكِلٍ زُعْرٍ حَوَاصِلُها[(٤)] ... كأنَّهنَّ إذا بَرَّكْنَ جُرْثُومُ[(٥)]

وضَّاعةٌ كَعِصِىِّ الشِّرْعِ جُؤْجُؤُهُ ... كأنَّهُ بتناهى الرَّوْضِ عُلْجُومُ[(٦)]

حَتَّى تَلَافَى وقرنُ الشَّمْسِ مرتفعٌ ... أُدْحِىَّ عِرْسَيْنِ فيه البيضُ مَرْكُومُ[(٧)]

= « حازم التبختر » تحريف ما أثبت من ط والديوان والمفضليات .

(١) فى المفضليات . « عليه الدجن » . هـ « معتوم » .

(٢) التزيد : الزيادة . والنفق ، كفرح : المنقطع . س : « لغوا » . س ، هـ . « ولا تزيد وفى مشيه » صوابه فى ط والمصدرين السابقين .

(٣) الزفيف : المشى السريع . دوين ، تصغير دون : أى أقل . فى الأصل . « مشؤوم » صوابه فى المصدرين السابقين . س ، هـ . « إلا الرفيف دوين السك » محرف .

(٤) الحسكل ، كزبرج : الصغير من ولد النعام . س ، هـ : « درحق » صوابها : « دردق » . فى الديوان : « خرق » .

(٥) الجرثوم : أصــل الشجرة يجتمع إليه التراب . س ، هـ : « إذا ركبن مرثوم » .

(٦) الوضاع : الذى يعدو وضعا . والوضع : عدو سريع من عدو الإبل . وقد زاد التاء للمبالغة ، كما جاءت فى علامة ونسابة . والشرع ، بالـكسر : جمع شرعة ، وهى وتر القوس أو العود . والجؤجؤ : الصدر . والتناهى : جمع تَنْهِيَةٍ ، وهى الأماكن المطمئنة لها من جوانبها مايمنع المـاء أن يخرج منها . والروض : جمـع روضة . والعلجوم : البعير الطويل المطلى بالقطران . ولعمرى لقد دار علقمة على رأسه ، فشبه ناقته بالظليم ثم عاد فشبه الظليم بالبعير ، وقد دفعه إلى ذلك إفراطه فى الاستطراد . س ، هـ : « وصاعد كقصى الترع » و « بتناهى الروس » صوابه ما أثبت من ط والمفضليات والديوان .

(٧) تلاقى ، بالقاء : أى تدارك . س ، والديوان : « تلاق » صوابه فى ط ، هـ والمفضليات واللسان (عرس) . والأدحى : موضع بيض النعامة . وأراد بالعرسين الذكر والأنثى . س : « أرحى عرينين » محرف . ومركوم : ركب بعضه بعضاً . هـ . « محجوم » . ولا وجه له .

١١٩ يُومِى إليها بإنقاضٍ وَنَقْنَقَةٍ   كما تَرَاطَنَ فى أفْدَانِهَا الرُّومُ[1]

صَعْلٌ ، كأنَّ جَنَاحَيْهِ وَجُؤْجُؤَهُ   بيتٌ أطافَتْ به خَرْقاءُ مَهْجُومُ[2]

تحفُّهُ هِقْلَةٌ سَطْعاءُ خَاضِبَةٌ   تجيبُهُ بِزِمارٍ فيــه تَرْنِيمُ[3]

(رؤيا النعامة)

الأصمعىّ . قال : أخبرنى رجلٌ من أهل البَصرة قال : أرسلَ[4] شيخ من ثقيفٍ ابنَه فلاناً ــ ولم يحفظ اسمه ــ إلى ابن سيرين ، فكلمه بكلامٍ ، وأمُّ ابنِه هذا قاعدةٌ ، ولا يظنُّ أنَّها تفطنُ ، فقال له : يابنىَّ اذهبْ إلى ابن سيرِينَ ، فقل له : رجلٌ رأى أنَّ له نعامةً تطحَن . قال : فقلت له

---

(١) يومى إليها : يشير . س ، ه : « يرحى » صواب هذه : « يوحى » كما فى الديوان والمفضليات . والإنقاض : صويت مثل النقر . والنقنقة : صوت كصوت الدجاجة للبيض . وتراطن الروم : تكلموا برطانتهم . ويصح أن يكون حذف من الفعل إحدى التاءين تخفيفاً ، فيكون أصله : تتراطن . والأفدان : جمع فدن ، بالتحريك ، وهو القصر المشيد . ه : « أفرابها » س : « أقرانها » صوابهما فى ط والديوان والمفضليات .

(٢) الصعل : الصغير الرأس . والجؤجؤ : الصدر . وخرقاء : أى ريح خرقاء لاتدوم على حال فى هبوبها . المخصص (٩ : ٨٧) . وفى الكامل ٤٤٩ : «والخرقاء : التى لاتحسن شيئاً ، فهى تفسد ماعرضت له» وفى اللسان : «وقال المازنى فى قوله : أطافت به خرقاء : امرأة غير صناع ، ولا لها رفق ، فإذا بنت بيتا انهدم سريعاً » وتفسير ابن سيده أجود وأقرب . والمهجوم : المهدوم . وهو من صفة البيت الذى شبه به جناحى الظليم وجؤجؤه .

(٣) الهقلة : الفتية من النعام ، أو الطويلة الخرقاء . س ، ه : « يحفه مقلة » محرف . والسطعاء : الطويلة العنق . س ، ه : « صعقاء » محرفة . والزمار ، بالكسر : صوت أنثى النعام .

(٤) س ، ه : « أرسلنى » صوابه فى ط .

فقال : هذا رجلٌ اشترى جاريةً فَخَبَّأَهَا فى بنى حنيفة[١] . قال : فجئت أبى فأخبرتُه ، فنافرَتْهُ أُمّى ، وما زالت به حتى اعترف أنّ له جارية فى بنى حنيفة .

وما أعرفُ هذا التأويل . ولولا أنّه من حديث الأصمعى مشهورٌ ماذكرته فى كتابى .

(مسيلمة الكذاب)

وأمّا قول الشاعرِ الهذلىّ فى مسيلِمة الكذاب ، فى احتياله وتمويهه وتشبيهِ مايحتال به من أعلام الأنبياء ، بقوله :

ببيضَةِ قَارُورٍ وَرَايَةِ شَادِنٍ   وتوصيلِ مَقصوصٍ من الطيرِ جادِفِ[٢]

قال : هذا شعرٌ أنشدَنَاه أبو الزَّرقاء سَهْمٌ الخثعمى ، هذا [منذُ[٣]] أَكثَرَ من أربعينَ سنة . والبيتُ من قصيدةٍ قد كان أنشدنيها فلم أحفَظْ منها إلاّ هذا البيت .

فذكر أنّ مسيلمة طاف قبلَ التنبِّى ، فى الأسواق التى كانت بين دُور العجم والعرَب ، يلتقُون فيها للتسوُّق والبِياعات[٤] ، كنحو سُوق الأُبُلّة ، وسوق لقه[٥] ، وسوق الأنبار ، وسوق الحِيرة .

---

(١) أى فى حى بنى حنيفة .

(٢) الجادف من الطير : مايطير وهو مقصوص ، كأنه يردّ جناحيه إلى خلفه ، كما يفعل الملاح بمجدا فيه . وفى الأصل : « جانف » ولا وجه له .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) فى اللسان : « تسوّق القوم : باعوا واشتروا » . س ، ه : « فيه » ه : « للسوق » محرفتان عما فى ط . والبياعات : الأشياء التى يتبايع بها فى التجارة

(٥) كذا فى ط ، ه . وفى س : « لفة » ولعلها « سوق حكمة » التى ذكرها ياقوت .

قال : وكان يلتمس تعلُّم الحِيَل والنِّيرَجَات[1] ، واختيارات النُّجوم والمتنبئين . وقد كان أحكَمَ حِيَل السَّدَنَةِ والحُوَّاءِ[2] وأصحابِ الزَّجْر والخطِّ[3] ، ومذهبَ الكاهنِ والعَيَّاف[4] والسَّاحر ، وصاحبِ الجنِّ الذى يزعم أنّ معه تَابِعَةً[5] .

قال : فَخَرَجَ وقد أحكم من ذلك أمورًا . فمن ذلك أنَّهُ صبَّ على بيضَةٍ من خَلٍّ قاطع[6] ــ والبيضُ إذا أطيل إنقاعُه فى الخلِّ لان قشرُه الأعلى ، حَتَّى إذا مددته استطال واستدقّ وامتدّ كما يمتدُّ العِلْكُ ، أو على قريبٍ من ذلك ــ قال : فلمَّا تمَّ له فيها ماحاوَل وأمَّل ، طَوَّلها ثمَّ أدخَلَها قارورةً ضيِّقَةَ الرَّأسِ ، وتركها حتّى جفَّت ويبِست . فلمَّا جفَّت

---

(١) كذا فى الأصل . قال صاحب القاموس : « والنيرنج ، بالكسر : أخذ كالسحر وليس به » وعقب عليه الشارح بقوله : « هكذا فى سائر النسخ ، والمنقول عن نص كلام الليث : النيرج ، بإسقاط النون الثانية » وجاء فى المعارف ١٧٨ : « وكان صاحب نيرنجات » فهمامذهبان فى التعريب . وهو بالفارسية : « نيرنگ » .

(٢) السدنة : جمع سادن ، وهو خادم الكعبة ، أو خادم بيت الصنم . س : « السدانة » صوابه فى ط ، هـ . والحواء : جمع حو . انظر ماسبق فى تحقيق هذه الكلمة فى التنبيه الرابع من ص ٢٦٩ .

(٣) الخط : ضرب من ضروب الكهانة ، يأتى صاحب الحاجة إلى الحازى فيعطيه حلوانا ، فيقول : اقعد حتى أخط لك ، وبين يدى الحازى غلام له معه ميل له ــ أى قضيب ــ ثم يأتى إلى أرض رخوة ، فيخط الأستاذ خطوطاً كثيرة بالعجلة ، لئلا يلحقها العدد ، ثم يرجع فيمحو منها على مهل خطين خطين ، فإن بقى من الخطوط خطان فهما علامة قضاء الحاجة والنجح ، وإن بقى واحد كان ذلك أمارة للخيبة ، وبينما الحازى يمحو يقول الغلام للتفاؤل : ابنى عيان ! أسرعا البيان ! .

(٤) العياف ، من العيافة ، بالكسر : وهى زجر الطير ، والتفاؤل بأسمائها ، وأصواتها وممرها .

(٥) هـ : « تابعة » أى جنية تتبعه .

(٦) خل قاطع : أى شديد الحموضة .

انضمّت ، وكلما انضمّت استدارتْ ، حتى عادت كهيئتها الأولى . فأخرجها إلى مُجَّاعَة[1] ، وأهل بيته ، وهم أعراب ، وادَّعى بها أعجوبةً ، وأنّها جُعِلت له آية . فآمَنَ به فى ذلك المجلس مُجَّاعَة[2] . وكان قد حمل معه ريشًا فى لون ريشِ أزواجِ حمامٍ ، وقد كان يَرَاهُنَّ فى منزل مُجَّاعةَ مَقاصِيصَ .

فالتفت ، بعد أن أراهم الآيةَ فى البيض ، إلى الحمام فقال لِمُجَّاعَةَ : إلى كم ١٢٠ تعذِّب خَلْقَ الله بالقصِّ ؟ ! ولو أراد الله للطَّير خلافَ الطَّيَرانِ لَمَا خَلَقَ لها أجنحةً ، وقد حَرَّمْتُ عليكم قصَّ أجنحة الحمام ! فقال لَهُ مُجَّاعة كالمتعنت : فَسَلِ الذى أعطاك فى البيضِ هذه الآيةَ أنْ يُنبِتَ لك جَناحَ هذا الطائر الذَّكَر السَّاعةَ !

فقلتِ لسهم : أمَا كان أجوَدَ من هذا وأشبهَ أنْ يقول : فَسل الذى أدْخَلَ لك هذه البيضة فَمَ هذه القارُورة أنْ يخرجها كما أدخلها . قال . فقال : كأنَّ[3] القومَ كانُوا أعرابًا ، ومثلُ هذا الامتحانِ من مُجَّاعة كثير ، وَلَعَمْرِى إنَّ المتنبئ لَيخدع[4] ألفًا مثلَ قيس بن زهير[5] ، قبل أن يخْدَع

(١) هو مجاعة ، بضم الميم وتشديد الجيم ، ابن مرارة بن سلمى الحنفى اليمامى ، صحابى جليل ، كان من رؤساء بنى حنيفة وأسلم ووفد . الإصابة ٧٧١٦ . وقد ذكره المرزبانى فى المعجم ٤٧٢ . وأثبت له الجاحظ بلاغة فى البيان (٣ : ٢٦٣) . وذكر المرزبانى أنه عاش إلى خلافة معاوية .

(٢) حدث هذا قبل أن يسلم مجاعة ، فلا تناقض ، وكان مجاعة ممن أسره خالد بن الوليد يوم اليمامة ، فوجهه إلى أبى بكر الصديق ، فقال مجاعة من أبيات :

أترى خالداً يقتلنا اليـــو م بذنب الأصيفر الكذاب
لم ندع ملة النبى ولا نحـ ن رجعنا فيها على الأعقاب

(٣) ط ، ه . « كان » . وأثبت ما فى س .

(٤) ط . « يخدع » .

(٥) هوقيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسى ، كان يلقب بقيس الرأى لجودة =

وَاحدًا من آخِرِ المتكلمين ، وإن كان ذلك المتكلم لايشقّ غبارَ قيس فيما قيسٌ بسبيله .

قال مسيلمة : فإنْ أناسألتُ الله ذلك ،فانتبهْ له حتى يطيرَ وأنتم ترونَهُ، أتعلمون أنى رسول الله إليكم ؟ قالوا[1] : نعم . قال : فإنى أريد أنْ أناجيَ ربِّى ، وللمناجاة خَلوةٌ ، فانهضوا عنِّى ، وإن شئتم فأدخلونى هذا البيت وأدخلوهُ مَعِى[2] ، حتى أخرجه إليكم السَّاعةَ وافِىَ الجناحَين يطير ، وأنتم ترونَهُ . ولم يكن القوم سَمِعُوا[3] بتغريز[4] الحمام ، ولا كان عندهم بابُ الاحتياط فى أمْرِ المحتالين . وذلك أن عُبَيدًا الكَيِّس[5] ، فإنَّه[6] المقدَّم فى هذه الصناعة ، لو منعوه السِّتر والاختفاء ، لَمَا وصل إلى شىء من عمله جلّ ولا دَقّ ؛ ولكان واحداً[7] من النَّاس . فلما خلا بالطائر أخرج الريش الذى قد هيَّأه ، فأدخل طرَف كلِّ ريشةٍ ممَّا[8] كانَ معه ، فى جَوف ريش الحمام المقصوص ، من عند المقطع والقَصِّ . وقَصَبُ[9]

= رأيه . وهو صاحب داحس التى راهن عليها حذيفة بن بدر صاحب الغبراء ، فلما سبق قيس تنازعا وشبت نار حرب داحس والغبراء فى الجاهلية .

(١) فى الأصل . « قال » . والوجه ما كتبت .

(٢) ط . « فأدخلوه هذا البيت وأدخلونى معه » وأثبت ما فى س ، هـ . ومؤداهما واحد

(٣) ط . « يسمعوا » تصحيحه من س ، هـ .

(٤) تغريز الحمام : أى تغريز الريش فى جناحه . وأصله من تغريز النخل ، أى نقله من موضع إلى موضع . وهذا يقابل ما يعرف فى اصطلاح زراع مصر بالشتل ، بفتح الشين . ط : « بتغرير » هـ . « بتعزيز » وأثبت الصواب من س .

(٥) كذا فى الأصل . وفى أنساب ابن الكلبى من اسمه عبيد بن مالك بن شراحيل بن الكيس . أنظر تاج العروس (كيس) .

(٦) ط . « فأته » س « فاته » وصوابه فى هـ .

(٧) ط . « واجدا » .

(٨) ط . « كما » تصحيحه من س ، هـ .

(٩) قصب الريش : أنابيبه . فى الأصل : « قضيب » محرفة .

الرِّيش أجوَفُ ، وأكثَرُ الأصولِ حِدَادٌ وصلاب . فلما وفَّى الطَّائرَ ريشَهُ صارَ في العَين كأنَّهُ بِرْذَوْنٌ موصولُ الذَّنب ، لايعرف ذلك إلاَّ من ارتاب به . والحمام بنفسه قد كان له أصولُ ريشٍ ، فلما غُرِّزَتْ تمت[1] فلما أرسله من يده طار . وينبغي ألاَّ يكونَ فَعَلَ ذلك بطائرٍ قد كانوا قطوه[2] بعد أن ثبت عندهم . فلما فعل ذلك ازداد مَنْ كان آمَنَ به بصيرةً وآمَنَ به آخرون لم يكونوا آمنوا به ، ونزع منهم في أمْره[3] كلُّ من كان مستبصرًا في تكذيبه .

قال : ثمّ إنَّهُ قال لهم ــ وذلك في مِثْل ليلةٍ مُنكَرَةِ الرِّيَاح مُظلمةٍ ، في بعض زمان البوارح[4] ــ إنَّ الملَكَ عَلَى أن ينزل إليّ[5] ، والملائكة تطير ، وهي ذوات أجنحة ، ولمجيء الملَكِ زَجَلٌ وخشخشة[6] وقعقعة ، فمن كان مِنْكُمْ ظاهرًا فَلْيَدْخُلْ منزلَه ؛ فإنَّ من تأمّل اختُطِفَ بصرُه ! ثمّ صنَعَ رايةً من رايات الصِّبيان التي تعمل من الورق الصِّينيّ[7] .

---

(١) انظر التنبيه (٤) من الصفحة السابقة .

(٢) كذا في الأصل ، بالطاء . وقد تكون : « قصوه » .

(٣) أي صار في مذهبه ، وسار في نصرته .

(٤) البوارح : الرياح الشدائد التي تحمل التراب ، وخصها بعضهم بما كان منها في القيظ .

(٥) أي على وشك أن ينزل علي .

(٦) الخشخشة : صوت كصوت السلاح : ه : « حشحشة » بمهملتين ، وليس لها وجه .

(٨) من خواص الورق الصيني النعومة والحسن والرفق والرقة . انظر ثمار القلوب ٤٣١ . قال : « وذكر صاحب المسالك والممالك أنه وقع من الصين إلى سمرقند في سبي سباه زياد بن صالح في وقعة أطلخ ــ سنة ١٣٤ ــ من يصنع الكواغيد ثم كثرت الصنعة ، واستمرت العادة ، حتى صارت متجرا لأهل سمرقند » . وجاء في فهرست ابن النديم ٢١ ليبسك ٣١ مصر . « الورق الصيني ويعمل من الحشيش » .

١٢١ ومن الكاغَدِ[١] ، وتُجْعَلُ لها الأذنابُ والأجنحة ، وتعلّق فى صدورها الجلاجل[٢] ، وترسَل يوم الرِّيح بالخيوط الطِّوال الصِّلاب .

قال : فبات القومُ يتوقّعون نزولَ المَلَك ، ويلاحظون السَّماء ، وأبطأ عنهم حتَّى قام جلُّ أهلِ اليمامة ؛ وأطْنَبت[٣] الرِّيح وقويت ، فأرسلها ، وهم لايَرَوْنَ الخيوطَ ، واللَّيلُ لايُبِينُ عن صورة الرَّقِّ[٤] ، وعن دقّةِ الكاغد . وقد توهَّموا قبل ذلك الملائكة. فلمّا سَمِعُوا ذلك ورأوه تصارَخُوا وصاح : من صَرَفَ بصَره ودخلَ بيتَه فهو آمن ! فأصبح القومُ وقد أطبَقُوا على نصرتِه والدّفعِ عنه . فهو قوله :

ببَيْضَةِ قَارُورٍ وَرَايَةِ شَادنٍ وتوصيلِ مَقْصوصٍ من الطيرِ جادفِ[٥]

فقلت لسهمٍ[٦] : يكون مثلُ هذا الأمْرِ العجيب، فَلاَ يقولُ فيهِ شاعرٌ ، ولا يَشِيعُ به خبر ؟! قال : [أ[٧]] وَكلما كان فى الأرض عجبٌ ، أو شىء

---

(١) الكاغد ، بفتح الغين كلمة فارسية أصلها صينى ، بمعنى القرطاس الذى يكتب فيه والكاغذ لغة فيه . والقرطاس أيضاً معربة من اليونانى : χάρτης . وتنطق : « خَارْطِيس » . انظر الألفاظ الفارسية ١٣٦ .

(٢) الجلاجل : جمع جلجل ، بجيمين ، وهو الجرس الصغير . س « الخلاخل » محرفة .

(٣) أطنبت الريح إطنابا : اشتدت فى غبار . اللسان والقاموس . والكلمة محرفة فى الأصل فهى فى ط : « طلبت » وفى س ، هـ : « طابت » أما الأولى فظاهرة التحريف ، وأما الثانية فإن معناها يناقض ما بعدها ، وهو « وقويت » إذ أن الريح الطيبة هى اللينة غير الشديدة .

(٤) الرق ، بالفتح ، ويكسر . الصحيفة البيضاء .

(٥) فى الأصل . « جائف » . وانظر شرح هذه الكلمة وتحقيقها فى ص ٣٦٩ حيث أنشد هذا البيت .

(٦) س . « لهم » محرفة . وسيترجم الجاحظ « سهما » فى ص ٣٧٩ .

(٧) ليست بالأصل .

غريبٌ ، فقد وجَبَ أن يشيع ذكرُه ، ويقالَ فيه الشعْرُ ، ويجعلَ زمانُهُ تاريخاً ! أَلَسْنا معشَرَ العربِ نزعُمُ أنَّ كسرى أبرويز ، وهو من أحرار فارسَ ، من الملوكِ الأعاظمِ ، وسليلُ ملوكٍ ، وأبو مُلوكٍ ، مع حَزْمه ورأيه وكماله ، خطبَ إلى النُّعمان بن المنذر ، وإلى رجلٍ يرضى أن تكونَ امرأتُهُ ظِئرا لبعض ولدِ كسرى ، وهو عامله ، ويسمِّيه كسرى عبدًا ، وهو مع ذلك أُحَيْمِرُ أُقَيْشِرُ ، إمَّا من أشلاء قصيِّ بن معد ، وإما من عُرْض لخم . وهو الذى قالوا : تَزَوَّجَ مومسةً ـ وهى الفاجرةُ ؛ ولا يقال لها مومسةٌ إلاَّ وهى بذلك مشهورة ـ وعرَفها بذلك ، وأقام عليها ، وهُجِىَ بها ولم يَحفِلْ بهجائهم. وممّا زاد فى شهرتها قصّة المرقش[1]. وناكها قُرَّة بن هُبيرة[2] حين سباها . فعلم بذلك وأقامَ عليها ، ثمَّ لم يرضَ حتَّى قال لها : هل مَسّكِ ؟ قالت : وأنت والله لو قدَر عليك لَمَسَّك ! فلم يَرْضَ بها حتَّى قال لها : صِفيه لى . فوصَفَتْهُ حتَّى قالتْ : كأنَّ شعر خَدَّيْهِ حَلَقُ الدِّرْع ! وبال على رأسه خلف بن نوالة الكنانى عامَ حَجّ ، وَنَصَّرَه عدىُّ بنُ

---

(١) هو المرقش الأصغر ، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك ، أو عمرو ابن حنظلة بن سعد بن مالك وهو ابن أخى المرقش الأكبر . واسمه عمرو ـ أو عوف ـ ابن سعد بن مالك . والمرقش الأصغر أشعر المرقشين وأطولهما عمراً . والمعروف أنه عشق فاطمة بنت المنذر ، أخت النعمان لازوجه . وقصتهما فى الأغانى (٥ : ١٨٣ ـ ١٨٤) . وفيها يقول ـ من قصيدة مفضلية مطلعها (انظر المفضليات ١١٦) ـ :

ألا يا اسلمى لا صرم لى اليوم فاطما ولا أبداً ما دام وصلك دائماً

(٢) قرة بن هبيرة ، أحد بنى قشير، وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأسلم . الإصابة ٧٠١٠ .

زيد بأحمق سَبَب[١] . وَخطَبَ أخُوهُ المنذرُ إلى عبيدة بن همام ، فردّه أقبحَ الرّدّ ، وقال[٢] :

أَتَوْنِي ولم أرْضَ مابَيَّتُوا[٣] وقد طَرَقُونى بأمْرٍ نُكُرْ
لأنكِحَ أَيِّمَهُمْ مُنْذِرًا وهل يُنْكِحُ الْعَبْدَ حُرٌّ لِحُرْ[٤]

ثمّ مع ذلك خطب إليه كسرى بعضَ بناتِه فرغِب بها عنه ، حتّى كان ذلك سببَ هر به وعِلّةَ لقتله ــ فهل رَأيت شاعرًا فى ذلك الزّمان ١٢٢ مع كثرة الشعراء فيه ، ومع افتخارهم بالذى[٥] كان منهم فى يوم جَلولى[٦] ويوم ذى قار ، وفى وقائع المثنّى بن حارثة ، وسعد بن أبى وقّاص ــ فهل سَمِعْتَ فى ذلك بشعرٍ صحيحٍ طَريف[٧] المخرج ، كما سمعته فى جميع مفاخرهم ممّا لايدانى هذا المفخَر[٨] ؟!

---

(١) نصره : أدخله فى النصرانية . وانظر خبر تنصير عدى بن زيد للنعمان بن المنذر فى الأغانى (٢ : ٣٢ ــ ٣٣) .

(٢) البيتان فى الكامل ٤٤٦ ليبسك .

(٣) ما بيتوا : أى مادبروه وفكروا فيه ليلا . هـ : « بينوا » محرفة .

(٤) جعل أخا المنذر عبداً ، فقال : وهل يزوج الحر عبداً مثل أخى المنذر لحر مثل المرأة التى خطبها . فى الأصل : « حراً بحر » وصوابه من الكامل .

(٥) س ، هـ : « فى الذى » .

(٦) المعروف : « جلولاء » بالمد ، لكنها قد قصرت فى الشعر ، فنه قول القعقاع ابن عمرو :

ونحن قتلنا فى جلولا أثابراً ومهران إذ عزت عليه المذاهب
ويوم جلولاء الوقيعة أفنيت بنو فارس لما حوتها الكتائب

قال ياقوت : « فقصرها مرة ومدها أخرى » وهى طسوج من طساسيج السواد . وبها كانت الوقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة ١٦ وقتلوا منهم مائة ألف فيما يروون .

(٧) س ، هـ : « ظريف » بالمعجمة .

(٨) ط ، س : « المفتخر » .

ولقد خَطَبَ بَعْضُ إخْوَتِهِ[1] إلى رجالٍ من نِزار ، من غير أهل البيوتات ، فرغبوا عنهم .

وأمّ النعمان سَلْمَى بنت الصَّائغ[2] : يهوديّ من أنباط الشام ، ثمّ كان نَجْلُهُ[3] لفعلٍ غيرِ محمود .

وقد قال جَبَلَةُ بن الأيْهم[4] ، لحسَّان بن ثابت : قد دَخَلْتَ عليَّ ورأيتَنِي ، فأينَ أنا من النّعمان ؟ قال : واللهِ[5] . . . .

[فالنّعمان[6]] مع هذه المثالب كلِّها قد رَغِبَ بنفسه[7] عن مصاهرة كِسْرَى ، وهو من أنْبَهِ الكسور[8] . وكما[9] كان أبْرَوِيزُ أعْظَمَ خَطَرًا ،

(١) ط ، هـ : « إخوانه » . ولم يفصل صاحبا القاموس والمصباح بين الاثنين ، لكن جاء فى اللسان : « وأكثر مايستعمل الإخوان فى الأصدقاء والإخوة فى الولادة » .

(٢) اسمه عطية ، كما فى الأغانى (٩ : ١٥٨) .

(٣) نجله أى ولادته . ط ، هـ : « بخله » صوابه فى س .

(٤) هو جبلة بن الأيهم الغسانى ، آخر ملوك الغساسنة بالشام . أسلم ثم تنصر فى أيام عمر بن الخطاب . وحديثه مع حسان معروف . الأغانى (١٤ : ٢) والعمدة (٢ : ١٧٨) . والخزانة (٤ : ٢٩٧ ـ ٣٠٣ سلفية) وفى الأصل : « خلف » محرف عما أثبت .

(٥) فى الكلام نقص . تقديره كما فى الأغانى (١٤ : ٣) « .. لقفاك خير من وجهه ، ولشمالك خير من يمينه ، ولأخمصك خير من رأسه ، ولخطؤك خير من صوابه ، ولصمتك خير من كلامه ، ولأمك خير من أبيه ، ولخدمك خير من قومه » كما أن صاحب الحديث (فى الأغانى) هو عمرو بن الحارث الأعرج، لاجبلة.

(٦) ليست بالأصل .

(٧) س : « قد ترغب بنفسه » .

(٨) الكسور : جمع كسرى : اسم الملك الفرس ، معرب « خُسْرَوْ » أى واسع الملك . ويجمع كسرى أيضاً على أكاسرة ، وكساسرة ، وأكاسر ، أنظر القاموس . وجاء فى س فقط : « الأكاسرة » . وكسرى الذى يعنيه الجاحظ ، هو كسرى أبرويز .

(٩) فى الأصل : « وكلما » .

كانَتْ أَنَفَتَهُ[1] أَفْخَرَ للعَرَبِ ، وأدلَّ على مايدَّعون من العلوّ فى النسب وكان الأمر مشهودًا ظاهرًا ، وَمُرَدَّدًا[2] على الأسماع مستفيضا . فإذْ قد تهيَّأ أن يكون مثلُ هذا الأمر الجليل ، والفَخرِ العظيم ، والعربُ أَفْخَرُ الأمم ، ومع ذلك قد أغفلوه — فشَأْنُ مسيلمةَ أحقُّ بأن يجوزَ ذلك عليه .

وأنشدنى يوسفُ لبعضِ شعراءِ بنى حَنِيفة ، وكان[3] يُسَمَّى مُسَيلِمَةَ وَيُكْنَى أبا ثُمامة :

لهفى عَلَيْكَ أبا ثُمامَهْ   لهفى على رُكْنَىْ شمامَهْ[4]

كم آيةٍ لأبيهم[5]   كالشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ غمامَهْ

وقد كتبنا قِصَّتَهُ وَقِصَّةَ ابن النوَّاحَةِ (فى كتابنا الذى ذكرنا فيه فَصْلَ مابين النبىِّ والمتنبى) وَذَكَرْنَا جميعَ المتنبئين ، وشأنَ كلِّ واحدٍ منهم على حِدَتِهِ ، وبأىِّ ضربٍ كان يَحتالُ ، وَذَكَرْنَا جملةَ احتيالاتِهِمْ ، والأبوابَ التى تدور عليها مَخاريقهم[6] . فإنْ أردتَ أَنْ تعرفَ هذا البابَ فاطلبْ هذا الكتاب ؛ فإنهُ موجود .

---

(١) أى أنفة النعمان من مصاهرة كسرى . ط ، هـ : « أنفته » س : « الفتنة » . والأوضح ما أثبت .

(٢) فى الأصل : « وموروداً » . ولا تتجه .

(٣) أى كان مسيلمة .

(٤) فى المعارف ١٧٨ : « على ركنى شهامة » .

(٥) كذا . ورواية المعارف : « كم آية لك فيهم » .

(٦) المخاريق : يراد بها تلك الألاعيب التى يلجأ إليها المشعوذون . وإحداها مخراق . قال التبريزى فى شرح المعلقات ٢٢١ : «قيل المخاريق : ما مثل بالشىء وليس به نحو ما يلعب به الصبيان » . وانظر التنبيه والإشراف ٢٤٠ س ١٩ والحيوان (١ : ١٠) .

(هجاء النعمان)

وقد هجا عبدُ القيس بنُ خُفَافٍ البُرْجُمِىُّ[1] ، النُّعْمَانَ بن المنذر ، فى الجاهليَّةِ ، وذكر ولادة الصَّائغِ[2] [له] فقال :

لَعَنَ اللهُ ثمَّ ثنَّى بِلَعْنٍ ابنَ ذَا الصَّائغِ ، الظلومَ الجهولا[3]

يجمعُ الجيشَ ذا الألوفِ ويغزُو ثمَّ لايرزأُ العـــدُوَّ فَتيلا[4]

(سَهْمٌ الحنفى)

وكان سَهْمٌ الحنفىُّ يلى طَبَرِسْتان[5] ، لمعن بن زائدة[6] ، مع حداثة سنه يومئذ ، وكان له مروءةٌ وَقَدْرٌ فى نفسه .

---

(١) عبد القيس بن خفاف البرجمى نسبة إلى البراجم ، قبيلة من تميم . شاعر جاهلى ، وله خـبران مع حاتم الطائى والنابغة الذبيانى . والخبر الأول فى الأغانى (٧ : ١٤٥ ــ ١٤٦) ومعجم المرزبانى ٣٢٥ . وأما خبره مع النابغة فهو أنه هو ومرة ابن سعد بن قريع عملا هجاء فى النعمان على لسان النابغة ــ وهما البيتان الآتيان مع ثالث متوسط بينهما ــ فأفسد ذلك على النابغة أمره عند النعمان . الأغانى (٩: ١٥٨) . وقد ذكره المرزبانى باسم (قيس) حيث ذكره فى من اسمه قيس . والمعروف عبد القيس كما فى الأغانى ونوادر أبى زيد ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٦ والمفضليات ١٨٤ والحماسة (١ : ١١٣) . وفى الأصل : « عبدالقيس خفاف» باسقاط « بن » وصوابه ما أثبت . ويقال فيه أيضاً : « عبد قيس » .

(٢) ط : « والده الصائغ » س : « ولادة الصائع » صوابهما فى ه .

(٣) روى ابن قتيبة فى الشعراء ٢٢ : « قبح الله » . وروى هو وصاحب الأغانى (٩ : ١٥٨) : « وارث الصائغ الجبان الجهولا » .

(٤) يرزؤه : ينقصه . ط : « يرزء » س ، ه : « يرز » صوابهما ما أثبت من الأغانى . والفتيل : الهنة التى فى شق النواة . ه ، س : «قليلا» . والأجود ما أثبت من ط والأغانى .

(٥) طبرستان بفتح الطاء والباء وراء مكسورة : بلاد جنوبى بحر طبرستان ، المعروف أيضاً ببحر الخزر. انظر خريطة الممالك الإسلامية .

(٦) معن بن زائدة الشيبانى،أحد أجواد العرب وفرسانهم . وكان فى أيام بنى أمية =

(كثرة الشعر وقلته فى بعض قبائل العرب)

و بنو حنيفة مع كثرة عددهم ، وشِدّةِ بأسهم ، وكثرة وقائعهم ، وَحَسَدِ العربِ لهم على دارهم وتخُومهم وَسْطَ أعدائهم ، حتى كأنهم وَجْدَهُمْ[(١)] يعدلون بَــكْرًا كلها ــ ومع ذلك لم نَرَ قبيلةً قَطُّ أقلَّ شعرًا منهم. وفى إخوتهم ١٢٣ عِجْلٌ قَصِيدٌ وَرَجَزٌ ، وَشُعَرَاء ورجَّازُون . وليس ذلك لمكانِ[(٢)] الخِصْب وأنّهم أهلُ مَدَر ، وأكَّالو تمرٍ[(٣)] ؛ لأنَّ الأوْسَ والخزْرَج كذلك ، وهم فى الشعر كما قد علمت . وكذلك عبدُ القيس النَّازلة قرى البحْرين[(٤)] ، فقد تعرفُ أنَّ طعامَهم أطْيبُ[(٥)] من طعام أهل اليمــامة .

وثقيفٌ أهلُ دارٍ ناهيك بها خِصْبًا وطِيبًا ، وهم وإن كان شعرُهم أقلَّ ، فإنَّ ذلك القليلَ يدلُّ على طبْعٍ فى الشعر عجيب . وليس ذلك مِنْ

= متنقلا فى الولايات ومنقطعاً إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى ، أمير العراقين ، فلمــا انتقلت الدولة إلى بنى العباس ، وجرى بين أبى جعفر المنصور وبين يزيد ابن عمر ماجرى ، من محاصرة واسط ، أبلى معن مع يزيد بلاء حسنا ، فلما قتل يزيد هرب معن خوفا من المنصور ، ثم دخل معن فى شيعة المنصور وصار من خواصه . وقتل معن بسجستان ، إذ كان واليا عليها ، سنة اثنتين ، أو ثمــان وخمسين ومائة . ورثاه مروان بن أبى حفصة بمرثية ، هى من عيون الشعر العربى . وفيات الأعيان والأغانى وتاريخ بغداد ٧١٢٧ .

(١) ط : « وأحدهم » صوابه فى س ، هـ .

(٢) ط : « المــكان » صوابه فى س ، هـ .

(٣) أكالو تمر : أى لهم نخيل يأكلون تمرها . ط : « آكالو تمر » تصحيحه من س ، هـ .

(٤) البحرين ، تلك البلاد الواقعة على بحر فارس . ط : « البحر » والوجه ما أثبت من س ، هـ .

(٥) فى الأصل : « أخبث » . وهو عكس المراد .

قِبَلِ رداءة الغِذاء ، ولا من قِلّة الخِصبِ الشّاغل والغِنَى [1] عن النّاس ؛ وإنّما ذلك عن قَدْر ماقَسَمَ الله لهم من الحظوظ والغرائز ، والبلادِ والأعراقِ مكانَها .

وبنو الحارث بن كعب قبيلٌ شريفٌ ، يجرون مَجارِى ملوك اليمن ، ومجارِىَ ساداتِ أعراب أَهْلِ نَجْدٍ ، ولم يكن لهم فى الجاهليَّة كبيرُ حَظٍّ فى الشعر . ولهم فى الإسلام شعراء مفْلِقُونَ .

وبنو بَدْرٍ كانوا مفْحَمين [2] ، وكان ما أطلق الله به ألسنةَ العرب [3] خيرا لهم من تصيير الشعر فى أنفسهم .

وقد يَحْظَى [4] بالشعر نَاسٌ ويخرُجُ [5] آخَرون ، وإن كانوا [6] مثلهم أو فوقهم . ولم تُمْدَح [7] قبيلةٌ فى الجاهليّة ، من قُريش ، كما مُدحت

---

(١) فى الأصل : « والغنا » .

(٢) فى القاموس : « المفحم كمكرم : العيى ومن لايقدر يقول شعراً » كذا جاءت العبارة .

(٣) أى ما أطلق به ألسنة الشعراء فى مديحهم ، فمن ذلك قول حاتم الطائى (الأغانى ١٦ : ١٠٤) والديوان ١١٦ :

إن كنت كارهة معيشتنا هاتا فحُلّى فى بنى بدر
جاورتهم زمن الفساد فنعـ ـم الحى فى العوصاء واليسر
فسقيت بالماء النمير ولم ينظر إلىّ بأعين خزر
الضاربين لدى أعنتهم والطاعنين وخيلهم تجرى
والخالطين نحيتهم بنضارهم وذوى الغنى منهم بذى الفقر

وانظر مديح دريد بن الصمة لهم فى ٣٥٨ .

(٤) ط ، هـ : « يحظا » س : « يخطأ » صوابهما ما أثبت .

(٥) كذا فى س ، ط وفى هـ : « يجرح » وربما كانت : « يحد » أى يسوء حظه .

(٦) س ، هـ : « كان » صوابه فى ط .

(٧) س ، هـ : « يمدح » .

مخزوم . ولم يتهيَّأ من الشَّاهد والمثل لمادح فى أحدٍ من العرب ، ما تهيَّأ لبنى بدر .

وقد كان فى ولد زُرارة[1] لصُلبه ، شعر كثير ، كشعر لقيط[2] وحاجبٍ[3] وغيرهما من ولده . ولم يكن لحذَيفة ولا حِصْن ، ولا عيينَةَ ابنِ حِصن ، ولا لحَمَلِ بْنِ بدْر — شِعْرٌ مذكور .

(حظوة الخلفاء والولاة بالشعر)

وقد كان عبدُ العزيز بن مَرْوَانَ أَحْظَى[4] فى الشعر من كثير من خلفائهم . ولم يكنْ أحَــدٌ من أصحابنا ، من خُلفائنا وأُئمتنا ، أحْظَى

---

(١) هو زرارة بن عدس ، بضمتين ، ابن زيد . جد جاهلى . بنوه بطن من بنى دارم . وكان حكما من قضاة تميم .

(٢) لقيط بن زرارة ، شاعر فارس من فرسانهم ، وله خبر فى يوم رحرحان ، وكان من الرؤساء فى يوم جبلة ، وقتل فى ذلك اليوم وجعل يقول عند موته :

يا ليت شعرى عنك دختنوس ... إذا أتاك الخــبر المرموس

أتحلق القرون أم تميس ... لا بل تميس إنها عروس

دختنوس : بنته . وكان جبلة قبل الاسلام بتسع وخمسين سنة . الأغانى (١٠ : ١٩ — ٤٤) . ط : « شعراء كلقيط » س : « شعرا كثيراً كشعر لقيط » هـ : « شعراً كثيراً لقيط » . وقد وجهت القول بما ترى .

(٣) وكان حاجب بن زرارة من رؤساء يوم جبلة . وقد عاش حاجب إلى أن وفد على الرسول وأسلم وبعثه على صدقات بنى تميم . وهو الذى رهن قوسه عند كسرى على مال عظيم ووفى به . الإصابة ١٣٥٥ . وانظر قصة (قوس حاجب) فى بلوغ الأرب (١ : ١٢٥) فهى ممتعة . وممن رهن من العرب قوسه أيضاً ، سيار بن عمرو بن جابر الفزارى ، احتمل للأسود بن المنذر دية ابنه الذى قتله الحارث بن ظالم ، ألف بعير ، وهى دية الملوك ، ورهنــه بها قوسه . انظر العقد (٣ : ٣١١ — ٣١٢) .

(٤) إشارة إلى المدائح الـكثيرة الجيدة التى مدحه بها نصيب الشاعر ، وكذا عبد الله ابن قيس الرقيات . ط ، س « أخطأ » هـ : « أحظا » صوابهما ما أثبت .

فى الشعر من الرَّشيد[١] . وقد كان يزيد بن مَزْيَدَ[٢] وعمُّه[٣] ، مِمَّنْ أحْظَاهُ[٤] الشِّعْرُ .

وما أعلمُ فى الأرض نعمة بَعْدَ وِلاَيَةِ اللهِ ، أعْظَمَ من أنْ يكونَ الرَّجُلُ ممدوحًا .

(الصُّمُّ من الحيوان)

تقول العرب : ضربانِ من الحيوانِ لايَسمعان الأصوات . وذلك عامٌّ فى الأفاعى والنَّعام .

واعتدَّ من ادَّعى للنَّعام الصَّمَمَ بقول عَلْقَمَة :

فُوهُ كَشَقِّ العَصَا لأْيًا تَبَيَّنُهُ   أسَكُّ مايَسْمَعُ الأصْوَاتَ مَصْلُومُ[٥]

---

(١) وأما هارون الرشيد فقد أطنب فى مدحه أبو العتاهية ، وإبراهيم الموصلى وإسحاق الموصلى ، ومروان بن أبى حفصة ، والعتابى ، وابن مناذر ، وأشجع السلمى ، ومنصور النمرى ، ونصيب الأصغر وغيرهم . ط ، س : « أخطأ » هـ : « أحظا » . والوجه فيهما ما كتبت .

(٢) يزيد بن مزيد بن زائدة الشيبانى ، أمير شجاع ، ندبه هارون الرشيد لقتال الوليد ابن طريف الشارى الخارجى ، فقتله وعاد إلى أرمينية ، حيث كان والياً عليها . توفى سنة ١٨٥ .

(٣) عمه ، هو معن بن زائدة الشيبانى ، الذى سبقت ترجمته فى ص ٣٧٩ — ٣٨٠ .

(٤) حظى يزيد بن مزيد بمديح مسلم بن الوليد ومنصور النمرى . ورثاه أبو موسى التيمى بمرثية سمعها الرشيد فبكى بكاء اتسع فيه ، حتى لو كانت بين يديه سكرجة لملأها من دموعه . الأغانى (١٨ : ١١٦ — ١١٧) . وأما عمه فقد حظى بمديح مروان بن أبى حفصة ، ومطيع بن إياس ، وعلى بن خليل ، والحسين بن مطير ، وغيرهم . فى الأصل : « أخطأه » صوابه ما أثبت . وأحظاه : جعله ذا حظوة .

(٥) تقدم شرح هذا البيت فى ص ٣٦٦ . هـ : « يبينه » . س : « أسد » هـ : « أشد » كل منهما بدل « أسك » محرف .

قال[1] : ولا يصلح أن تكون « ما » فى الموضع الذى ذَكَرَ[2] ؛ لأنَّ ذلك يصير كقول القائل : التمر حلو ، والثَّلج بارد ، والنّار حارّة . [و[3]] لايحتاج إلى أن يُخبر أنَّ الذى يُسْمَعُ هــــذا الصَّوتُ ؛ لأنهُ لامسموعَ إلاَّ الصَّوت .

قال خصمه : فقد قال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَة :

حَتّى تلاقَى وقرنُ الشَّمْسِ مرتفعٌ ... أدحىَّ عِرْسَيْنِ فيه البَيضُ مَرْكومُ[4]

يوحِي إليها بإنقاض وَنَقْنَقَةٍ ... كما تَرَاطَنُ فى أفْدانها الرُّومُ[5]

١٢٤ ثم قال :

تحفــهُ هِقْلَةٌ سفعاء خاذلة ... تجيبهُ بزِمارٍ فيــه تَرنيمُ[6]

واحتجَّ من زعم أنها تسمع ، بقوله[7] :

وَصُحْمٍ صِيَامٍ بين صَمْدٍ وَرِجْلَةٍ ... وَبِيْضٍ تُوُءَامٍ بينَ ميثٍ وَمِذْنبِ[8]

---

(١) القائل هو الجاحظ ، ينقد البيت .

(٢) س : « فى موضع الذى » مع حذف كلة « ذكر » . ط : « فى الموضع لذى ذكر » صوابهما ماأثبت منه .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) سبق شرح هـذا البيت فى ص ٣٦٧ . س : « أرخى » ه : « أرحى » محرفتان .

(٥) سبق شرحه فى ص ٣٦٨ . س : « فى أندائها » . وهى صحيحة ؛ فالأنداء : جمع النادى ، وهو مجتمع القوم . انظر اللسان . ه : « أبدائها » محرفة عن سابقتها .

(٦) سبق شرحه فى ص ٣٦٨ . والسفعاء : السوداء ه : « صفعاء » س : « صنعا » محرفتان عما فى ط . وخاذلة : مقيمة على ولدها .

(٧) هو لبيد . اللسان (صحم) .

(٨) الصحم : جمع أصحم ، وهو ما فى لونه غبرة . وقد عنى بها الحمير ، كما فى اللسان . ط ، ه : « ضخم » س : « صخم » محرفتان . والصتام : جمع صتم ، بالفتح ، وهو الغليظ الشديد . وفى الأصل : « صنام» بالنون . وفى اللسان : =

مَتَى مَاتَشَأْ تَسْمَعْ عرارًا بِقَفْرَةٍ ... يُجِيبُ زِمَارًا كَالْيَرَاعِ الْمُثَقَّبِ[1]

وقال الطِّرِمَّاح :

يدعو العِرارُ بها الزِّمَارَ كَأَنَّهُ ... أَلِمٌ تجاوبُه النِّساء العُـوَّدُ[2]

قال : وَصَوْتُ النعامة الذَّكر : العِرار[3] . وصوت الأنثى : الزِّمَار .

وأنشدَ الذى زَعَمَ أَنَّهَا لا تسمع[4] ، قولَ أسامةَ بنِ الحارث الهذلى[5] :

تذكَّرْتُ إخوانى فَبِتُّ مُسَهَّدًا ... كما ذكرت بَوًّا من اللَّيل فَاقِدُ[6]

= « صيام» . وأثبت تصحيح ما فى الأصل . و «صمد» بالفتح ، و «رجلة» بالكسر : موضعان . وفى الأصل : « بين ضمر ورجله » تصحيحه من اللسان .
وبيض تؤام : أى أزواج . والميث ، بالكسر : جمع ميثاء وهى الأرض السهلة .
والمذنب ، كمنبر : مسيل الماء .

(١) العرار ، بالكسر : صياح الظليم . وفى الأصل : « عوارا » محرفة . والزمار ، بالكسر : صوت أنثى النعام . فى الأصل : « تجيب زمارا » صوابه ما أثبت . وسيعاد البيت فى ص ٤٠٠ .

(٢) يدعو ، هنا ، بمعنى يجيب ، كما فى شرح الديوان ٨٩ . وفى الأصل : « العوار » صوابها فى الديوان . والألم : الذى أصابه الألم . يقال رجل ألم ووجع — كلاهما كفرح — وفى الأصل : « أيم » تصحيحه من الديوان .

(٣) فى الأصل : « العوار » محرفة .

(٤) فى الأصل : «الذى زعم المغفل أنها لا تسمع » . وكلمة « المغفل » مقحمة بلا ريب

(٥) ذكره المرزبانى فى معجمه وقال : مخضرم . الإصابة ٤٤٢ .

(٦) مسهد : من السهاد ، وهو الأرق . والبو : ولد الناقة . والفاقد : التى فقدت ولدها . س : « ذكر براً » ه : «ذكرت برا» ط : « ذكرت بردا » وفى الجميع : « فاقداً » بالنصب . وكل ذلك تحريف صوابه ما أثبت ، موافقا ما فى بقية أشعار الهذليين (٢ : ١٠٦) .

لعمرى لقد أَمْهَلْتُ فى نَهْىِ خالدٍ ... عَنِ الشَّامِ إمَّا يَعْصِيَنَّكَ خالدُ[1]

وَأَمْهَلْتَ فى إخوانه فكأَنَّما ... تَسَمَّعَ بالنَّهْىِ النَّعامُ المُشَرَّدُ[2]

وقال الذى زعم أنّها تسمع: فقد قال الله عزَّ وَجَلَّ: ﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ ولو عنَى أنَّ عَماهم كعمى العُمْيان، وصممهم كصمم الصُّمَّان، لما قال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ وإنّما ذلك كقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ وكيف تُسمِعُ المدبرَ عنك! ولذلك يقال: «إنَّ الحُبَّ يُعمِى وَيُصِمّ». وقد قال الهذليُّ:

* تَسَمَّعَ بِالنَّهْىِ النَّعَامُ المُشَرَّدُ[3] *

والشارد النافر عنك لايوصف بالفهم. ولوقال: تسمع بالنَّهْى، وسكت — كان أبلغَ فيما يريد. وهو كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾. قال الرَّاجز:

رِدِى رِدِى وِرْدَ قَطَاةٍ صَمّا[4] ... كُدْرِيَّةٍ أَعْجَبَهَا بَرْدُ المَا[5]

---

(١) فى الأصل: «خالداً» صوابه ما أثبت من اللسان. وفى الأصل أيضاً: «إلى الشام» تصحيحه من اللسان (مهل) وبقية أشعار الهذليين. وأول البيت فى هـ: «وإنى قد أمهلت» وأمهلت: بالغت. يقول: إن عصانى فقد بالغت فى نهيه.

(٢) تسمع: أى أصغى ليسمع. ويروى: «يُسَمَّعُ». والنعام المشرد لايصغى إلا ريثما يشرد، وذلك لنفوره وتوحشه. فى الأصل: «المشردا» وصوابه ما أثبت.

(٣) فى الأصل: «المشردا». وانظر التنبيه السابق.

(٤) يخاطب ناقته. والرجز فى الوساطة ٣٠١ حيث استشهد به على أن المتنبي سرق منه قوله:

. . . . ورود قطا صم تشابهن فى ورد

(٥) الكدرية: واحدة الكدرى، وهو ضرب من القطا غبر الألوان، رقش الظهور، صفر الحلوق. س، هـ: «كردية» تحريف طيب صوابه فى ط =

أى لأنها [لا][1] تسمع صوتاً يثنيها ويَرُدُّها[2] .

وأنشد قول الشاعر :

دَعَوْتُ خُلَيْدًا دَعْوَةً فَكأنما[3] دعوت به ابنَ الطَّوْدِ أوْ هُوَ أسْرَعُ

والطَّود : الجبل . وابنهُ : الحجر الذى يَتَدَهْدَهُ[4] منه ، كقوله[5] :

* كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ[6] مِنْ عَلِ *

وقال الرَّاجز :

وَمَنْهَلٍ أعْوَرِ إحْدَى العَيْنَيْنْ[7] بَصِيرِ الأُخْرَى وَأصَمِّ الأُذْنَيْنْ[8]

= والوساطة واللسان (صمم) وشرح محب الدين افندى لشواهد الكشاف . استشهد به الزمخشرى عند قوله تعالى : « ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا » من سورة مريم .

(١) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام .

(٢) وفى اللسان: « لسكك أذنيها . وقيل لصممها إذا عطشت » ووجهه محب الدين أفندى بأنها لاتسمع صوت القانص حتى تنفر . وهو تعليل جيد .

(٣) فى اللسان (مادة طود) : « جليداً » . وفى أساس البلاغة : « كليبا » س ، ط : « وكأنما » وأثبت مافى ﻫ واللسان والأساس .

(٤) يتدهده : يتدحرج . س ، ﻫ : « يدهدا » لعل هذه الأخيرة محرفة عن « يتدهدى » ، وهى لغة فى يتدهده .

(٥) هو امرؤ القيس ، من معلقته . وصدره :

* مكر مفر مقبل مدبر معا *

(٦) ط : « السيد » وهو على الصواب فى س ، ﻫ .

(٧) المنهل : منزل السفار على الماء . أعور إحدى العينين : أى فيه بئران غاضت إحداهما .

(٨) بصير الأخرى : أى أن البئر الأخرى بها ماء . وفى الأصل : « بصيرة » تصحيحه من اللسان (عور) . والرواية فيه : « بصير أخرى » . وأصم الأذنين : أى ليس يسمع فيه صدى الصوت. فى الأصل : « أصم » بدون واو ، وهى ضرورية لوزن الشعر . والبيت من مشطور السريع .

١٢٥ كأنَّهُ كانَ فى ذلك المنهَلِ بيرَانِ[1] ، والآبارُ أعينٌ ، فَعُوِّرَتْ إحدى البيرَين[2] وتُرِكت الأخْرى .

وقوله : « أصَمُّ الأُذْنَيْنِ » لِمَا[3] أنْ كان عنده[4] فى الأرض فَضَاءٌ وَخَلَاءٌ[5] ، حيثُ لايسمع فيه صوت . جعله[6] أنْ كان لايسمَعُ صوتاً أصمَّ ؛ و إنْ كان ذلك لِفَقْدِ الأصْواتِ .

(شاهد من الشعر لسمع النعامة)

قال : وقد قال الحارثُ بن حِلِّزَةَ[7] قولاً يدلُّ على أنَّهَا تسمع[8] ، حيث قال :

ولقد أستَعِينُ يومًا على الهـ ـمِّ إذا خفَّ بالثَّوِىِّ الثَّوَاءُ[9]

---

(١) كذا جاءت فى الأصل ، بتسهيل الهمزة .

(٢) كذا بالتسهيل .

(٣) ط : « لا » وصوابه فى س ، هـ .

(٤) أى عند المنهل .

(٥) فى الأصل : « فضل وخلا » وصوابه ما أثبت .

(٦) أى لأن . وحذف الجار مطرد فى مثل هذا . ط : « إذ » وأثبت ما فى س ، هـ .

(٧) الحارث بن حلزة ، شاعر جاهلى من بنى يشكر . والأبيات الآتية من معلقته المشهورة ، التى قال فيها أبو عبيدة : « أجود الشعراء قصيدة واحدة جيدة طويلة ثلاثة نفر : عمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، وطرفة بن العبد » .

(٨) فى الأصل : « لاتسمع » وهو خلاف المراد .

(٩) الثوى : المقيم . والثواء ، هكذا جاءت بالأصل . والصواب : « النجاء » وهى السرعة . وأما « الثواء » فهى قافية لمطلع المعلقة :

آذنتنا ببينها أسماء رب ثاو يمل منه الثواء

بِزَفُوفٍ كأنها هِقْلَةٌ أُ مُّ رِئالٍ دَوِّيَّةٌ سفعاء[1]

ثمّ قال :

آنسَتْ نَبْأَةً وأفزَعَهَا القُنَّاص عَصْرًا وقد دنا الإمْسَاء[2]

فترى خَلْفَهُنَّ مِنْ سُرْعَة المَشْيِ مَنِيناً كأنَّهُ أهباء[3]

ولو قال : « أفْزَعَها[4] القُنَّاصُ » ولم يقل: « آنسَتْ نبأة » — والنَّبْأة الصَّوت — لكان لَكُمْ فى ذلك مَقَال[5] .

(شعر فى معنى الصمم)

وقال امرؤ القيس :

وَصُمٌّ صِلاَبٌ مايَقِين من الوَجَى كأنَّ مكَانَ الرِّدْفِ منه على رَالِ[6]

---

(١) زفوف ، بالفتح : أى ناقة سريعة . والهقلة : النعامة . والرئال : أولادها . دوية : منسوبة إلى الدو ، وهى الأرض المترامية الأطراف . والسفعاء : السوداء . س : « صنعاء » ه : « صفعاء » محرفتان . ورواية المعلقات : « سقفاء » أى عالية .

(٢) آنست نبأة : أحست صوتا خفيا .

(٣) قال التبريزى : « خلفهن : خاف الإبل ؛ لأن الناقة الموصوفة ، تسير مع غيرها ، فحمل الضمير على المعنى » . والمنين ، بالفتح : الغبار الدقيق . و « إهباء » روى بالفتح ، بمعنى الغبار المرتفع فى الجو . وروى بالكسر : مصدر أهبى يهبى إهباء : أثار التراب .

(٤) فى الأصل : « أفزع » وهو مخالف لنص الشعر السابق .

(٥) فى الأصل : « فقال » والوجه ما أثبت .

(٦) يقول : ولذلك الفرس حوافر صم صلاب مايضعفن فى سيرهن من الوجى . والوجى أن يجد الفرس فى حافره وجعاً يشتكيه ، من غير أن يكون فيه صدع أو غيره . ط ، س : « تعبن » ه : « تعين » صوابهما من الديوان ٦٦ واللسان (وقى) . ط : « الوجا » س ، ه : « الرجا » صوابهما من المصدرين السابقين . والردف : الذى تردفه ، ومكانه الذى يقعد فيه يسمى القطاة ، ويستحب =

وإنما يعني أنها مُصْمَتَةٌ غير جَوفاء . وقال الآخَر :

قُلْ مابدا لك مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ حِلْمِي أَصَمُّ وَأُذْنِي غَيْرُ صَمَّاء

يريد أنَّ حلمَهُ ليس بسخيف متخلخِل ، وليس بخفيف سارٍ ، ولكنه مصمَت . وقال الشاعرُ :

* وأسأل[1] من صَمَّاء ذاتِ صَليل *

وإنَّما يريد أرضاً يابسة ، ورملةً نَشَّافَةً ، تسأل[2] الماء : أي تريده وتبتلعه ؛ وهي في ذلك صَمَّاء .

(ذكر الصُّمِّ في القرآن الكريم)

وقد قال الله لناس يسمعون: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَيَرْجِعُونَ[3]﴾ وذلك على المثل . وقال : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَيَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَيَعْقِلُونَ[4]﴾ . وذلك كلّه على مافسّرنا . وقال : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا

= إشرافها ؛ فلذلك شبهها بعجز الرأل . والرال ، أصله الهمز ، وخففه لمكان القافية . وقبل البيت :

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا له حجبات مشرفات على الفال

(١) س ، هـ : « وأسل » صوابهما في ط . وهي من السؤال ، كما سيأتي في شرح الجاحظ ، وكما في اللسان . وصدر البيت في اللسان :

* أَجَلْ لاَ ، وَلٰكِنْ أَنْتَ أَلْأَمُ مَنْ مَشَى *

(٢) ط ، هـ : « تسال » صوابه في س .

(٣) الآية الثامنة عشرة من سورة البقرة .

(٤) الآية ١٧١ من سورة البقرة .

عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا[1] ﴾ وقال أيضًا : ﴿ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ[2] ﴾ .

(شعر فى معنى الصمم)

وقال عَنترة :

ظَلِلْنَا نَكُرُّ المَشْرَفِيَّةَ فيهمُ ... وخُرْصَانَ صُمِّ السَّمْهَرِىِّ المثقفِ[3]

وقال العُجَيْرُ السَّلولىّ :

وقد جَذَبَ القومُ العصائبَ مؤخراً ... ففيهنَّ عنْ صُلْعِ الرِّجالِ حُسُورُ[4]

فظلَّ نداء العصْبِ مُلقًى كأنَّه ... سَلَى فَرَسٍ تحتَ الرِّجال عقورُ[5]

لو أنَ الصُّخُور الصُّمَّ يَسْمَعْنَ صَلْقَنا ... لَرُحْنَ وفى أعْرَاضِهِنَّ فُطورُ[6] ١٢٦

وقال زهير[7] :

---

(١) الآية ٧٣ من سورة الفرقان .

(٢) الآية ٤٥ من سورة الأنبياء ، وأولها : « قل إنما . . . . » .

(٣) المشرفية : ضرب من السيوف ، منسوب إلى مشارف الشام . والخرصان ، بالكسر والضم : جمع خرص بالضم ويكسر ، وهو سنان الرمح . والسمهرى : أراد السمهرى من الرماح ، وهو الصليب العود . والمثقف : المعدل المسوى بالثقاف . ﻫ : « المثقب » تحريف ، صوابه فى س ، ﻫ . والديوان ١٦١ والرواية فيه :

فظلنا نكر المشرفية فيهم ... وخرصان لدن السمهرى المثقف

(٤) حسور : انكشاف .

(٥) العصب ، بالفتح : ضرب من البرود . « ونداء » هكذا جاءت ولعلها : « رداء » والسلى بالتحريك : الجلدة التى يكون فيها الولد . وتكتب بالياء . وفى الأصل بالألف . و « عقور » كذا جاءت .

(٦) يقول : لو أن تلك الصخور سمعن صوتنا الشديد فى تلك الحرب ، لرحن وقد تشققت أعراضهن . والأعراض : الجوانب والنواحى . ورواية الأغانى : (١١ : ١٥٠) :

لو ان الجبال الصم يسمعن وقعها ... لعدن وقد بانت بهن فطور

(٧) والبيتان ليسا فى ديوان زهير .

لَيتَنِى خُلِقْتُ لِلأَبَدِ صَخْرَةً صَمَّاء فى كَبِدِ[1]
لا تَشَكَّى[2] شرَّ جارتِها خُلِقَتْ غَليظَةَ الكَبِدِ

وقالت جُمْل بنتُ جَعْفَر :

بنى جَعْفَرٍ لا سِلْمَ حتَّى نَزُورَكُمْ بكلِّ رُدَينيٍّ وأبيضَ ذى أثْرِ[3]
وَحَتَّى تَرَوْا وَسْطَ الْبُيُوتِ مُغيرةً تُصِمُّكُمُ بِالضَّرْبِ حَاشِيَةُ الذُّعْرِ[4]
تَبِينُ لِذِى الشَّكِّ الذى لم يكن دَرَى وَيُبْصِرُهَا الأَعْمَى وَيَسْمَعُ ذو الْوَقْرِ[5]

وقال دريد :

متى كان الملوكُ لكم قَطِينًا[6] على وِلايةِ صَمَّاءَ مَنِّى[7]

(مثل وحديث فى الصمم)

ومن الأمثال قولهم : « صَمَّتْ حَصَاةٌ بِدَمٍ[8] » قال : فأصله أنْ

---

(١) كبد ، بفتح فكسر : اسم جبل . فى الأصل : « كبدى » !
(٢) فى الأصل : « تشتكى » وبذلك ينكسر الوزن ؛ إذ البيت من بحر المديد .
(٣) الردينى : الرمح المنسوب إلى امرأة تسمى ردينة ، كانت هى وزوجها سمهر يقومان القنا بخط هجر. وعنت بالأبيض: السيف . والأثر ، بالفتح: فرند السيف . ط ، س : « أشر » ه : « أسر » صوابهما ما أثبت .
(٤) مغيرة : أى خيلا مغيرة هاجة بأربابها . ط : « خاشية الذعر » . وأثبت صوابه من س ، ه . وللعرب مجاز فى مثل هذا . يقولون : حشى الرجل غيظا ، وكبراً ، كما قال المرار :

وحشوت الغيظ فى أضلاعه فهو يمشى حظلانا كالنقر

وكما قال المسعودى :

ولا تأنفا أن ترجعا فتسلما فما حشى الإنسان شراً من الكبر

(٥) تبين : تظهر هى . والوقر ، بالفتح : ثقل الأذن ، أو ذهاب السمع كله .
(٦) القطين : تبع الرجل ومماليكه وخدمه .
(٧) كذا جاء هذا الشطر .
(٨) يضرب مثلا فى الإسراف فى القتل وكثرة الدم . الميدانى (١ : ٣٥٩) .

يكثُرَ القتْلُ وسفكُ الدِّماء ، حتَّى لو وقَعَتْ حصاةٌ على الأرضِ لم يُسْمَعْ لها صوتٌ ؛ لأنَّها لاتلقى صلابةَ الأرض .

وقد جاء فى بعض الحديث : « إذا كانت تلك الملاحِمُ بلغَت الدِّماء الثُّنَنَ[1] » يعنى ثُنَنَ[2] الخيل ، وهو الشَّعر الذى خلف الحافر .

(صمت السيف)

وقال الزُّبير بن عبد المطَّلب[3] :

وَيَنْبِى نَخْوَةَ المختَال عنِّى   جُرَازُ الحَدِّ ضَرْبَتُهُ صَمُوتُ[4]

لأنَّ السَّيْفَ إذا مرَّ فى العظْم مَرًّا[5] سريعًا فلم يكن له صوت — كان فى معنى الصامت[6] .

---

(١) الثنن ، بضم الثاء وفتح النون : جمع ثنة ، بضم الثاء وتشديد النون ؛ الشعرات التى فى مؤخر رسغ الدابة . ط ، هـ : « السن » س : « الس » صوابهما ما أثبت ، موافقا لما جاء فى أمثال الميدانى فى أثناء الكلام على المثل السابق . وانظر : « بلغت الدماء الثنن » فى أمثال الميدانى (١ : ٨٣) . والملاحم : جمع ملحمة ، بالفتح ، وهى الحرب ذات القتل الشديد .

(٢) ط ، هـ : « سن » س : « بين » محرفتان . وانظر التنبيه السابق .

(٣) هو الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ؛ سيد كريم وشاعر محسن . وكان من رجالات قريش فى الجاهلية . وهو أكبر أعمام الرسول الكريم العشرة. وهو القائل :

ولولا الحمس لم يلبس رجال   ثياب أعزة حتى يموتوا

المؤتلف (١٣٠ — ١٣١) والمعارف ٥٢ والروض الأنف (١ : ٧٨) .

(٤) ينبى : يبعد . ونخوة المختال : تكبر المتكبر وتعظمه . وسيف جراز الحد ، بضم الجيم : ماضيه ونافذه . ورواية اللسان (صمت) :

وينفى الجاهل المختال عنى   رقاق الحد ضربته صموت

وأنشده عن ثعلب على هذه الصورة :

ويذهب نخوة المختال عنى   رقيق الحد ضربته صموت

(٥) ط ، س : « مر » صوابه فى هـ .

(٦) وقيل : لرسوبه فى الضريبة ، وإذا كان كذلك قل صوت خروج الدم . انظر اللسان .

(شعر فى مجاز الصمم)

وقال ابن ميّادة :

متى أدعُ فى قيسِ بن عَيْلاَنَ خائفاً إلى فزَعٍ تُرْكَبْ إلَىَّ خيُولُهَا[١]

بملومةٍ كالطَّودِ شهْباء فَيْلَقٍ رَدَاحٍ يصمُّ السَّامعين صليلُها[٢]

لأنَّ الصَّوت إذا اشتدَّ جدًّا لم يُفْهَمْ معناه ، إنْ كان صاحبه أراد أن يخبر عن شيء . ومتى كثُرت الأصواتُ صارت وَغًى[٣] ، ومنع بعضُها بعضاً من الفهم . فإذا لم يفهمها[٤] صار فى معنى الأصمّ ، فجاز[٥] أن يسمّى باسم الأصمّ .

وعلى ذلك قال الأضْبَط بن قُرَيع ، حين آذوه[٦] بنو سعدٍ فتحوّل من جوارهم فى آخرين فآذوه ، فقال : « بِكُلِّ وادٍ بَنُو سَعْدٍ[٧] » .

---

(١) المراد بالخيول هنا الفرسان الذين يركبون الخيول . ومنه فى الحديث : « ياخيل الله اركبى » انظر البيان (٢ : ٢٧) . ويصح أن تقرأ « تركب » بالبناء للمفعول فلا يكون فيها مجاز .

(٢) ملومة : أى كتيبة عظيمة مجتمعة . والطود : الجبل العظيم . والشهباء : البيضاء ، لما فيها من بياض السلاح . والكتيبة الفيلق : الكثيرة السلاح . والرداح ، بالفتح : الكثيرة الفرسان الثقيلة السير لكثرتها .

(٣) الوغى : الصوت والجلبة فى الحرب . ط ، س : « رغاء » وإنما الرغاء ، بالضم : صوت ذوات الخف . هـ : « وعا » صوابهما ما أثبت .

(٤) س : « تفهمها » صوابه فى ط ، هـ .

(٥) س ، هـ : « لجاز » !

(٦) كذا فى س ، هـ . على لغة أكلوه البراغيث . ط : « آذاه » .

(٧) سبق المثل فى (١ : ٣٥٨) و (٣ : ١٠٤) .

وقال جرانُ العَود :

وقَالَتْ لنا وَالْعِيسُ صُعْرٌ من البُرَى وأخفافُها بالجَنْدَلِ الصُّمِّ تقذِفُ[١]

(قول منكر صمم النعام)

وقال الذى ينكر صَمَمَ شىء من الخلق : اعتللتم فى صَمَم النّعام بقول زهير :

[أَصَكَّ مُصَلَّمِ الأُذُنَيْنِ أَجْنَى لَهُ بِالسِّىِّ تَنُّومٌ وَآءُ[٢]]

وبقول أوس بن حجر :

وَيَنْهَى ذَوِى الأَحْلَامِ عَنِّى حُلُومُهم وَأَرْفَعُ صَوْتِى للنَّعامِ المُخَزَّمِ[٣] ١٢٧

يريد خَرْقَ[٤] أنفه ، وهو فى موضعِ الحَرَمَةِ[٥] من البعير .

وأمّا قوله : « وَأَرْفَعُ صَوْتِى للنَّعام » فإنما خصّ بذلك النّعامَ لأنّها تجمَعُ الشُّرُودَ وَالنِّفَار ، إلى المُوقِ وسوءِ الفهم . ولو قال : وأرفع صَوتى للحَمـــير والدَّوَابِّ لكان كذلك . والمصلَّمة : السُّكّ التى ليس لآذانها حَجم .

---

(١) العيس ، بالكسر : الإبل الخالصة البياض . صعر من البرى : موائل من جذب البرى : جمع بُرَةٍ ، وهى الحلقة توضع فى أنف البعير. والجندل : الحجارة .

(٢) هذا البيت ليس بالأصل . وبه يلتئم الكلام ويتم . وقد أثبته اعتماداً على ما سيأتى فى ص ٣٩٨ .

(٣) المراد بالأحلام هنا ، الألباب والعقول . وفى اللسان : « والمخزم من نعت النعام ، قيل له مخزم لثقب فى منقاره » .

(٤) فى الأصل : « عرض » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) فى موضع الحرمة ، أى ذلك الخرق بمكانة الحرمة، شبيه بها . والحرمة، بالتحريك ، سبق شرحها فى ص ٣٢١ . فى الأصل : « الخزامة » . ولا تصح ، فإن الخزامة هى الحلقة التى توضع فى الحرمة . وانظر ماسبق فى ص ٣٢١

(رد عليه)

قال : [قَوْلُ[١]] الذى زعم أنها ليست بصماء لايجوز ؛ لأنَّ الدواب تسمعُ وتفهم الزَّجْر ، وتجيب الدُّعاء . بل لو قال : وأرفع صوتى للصخور والحجارة ، كان صوابًا ، وكان لِرَفْع صوته معنًى ؛ إذْ[٢] كان الرَّفْعُ والوضْعُ[٣] عند الصُّخور سَوَاءً . وليس كذلك الدوابُّ . ولو كان إنما جعله مصلَّما ، وجعلَ آذانَ النّعام مصلومةً ؛ لأنه ليس لآذانها حَجْم فالطير كله كذلك إلاَّ الخفّاش[٤] . وكلُّ شىء يبيض من الحيوان فليس لها حَجْم آذَان . فِى قَصْدهم بهذه الكلمة إلى النّعام ، بين جميعِ ماليس لأذنَيه حجْم ، دليلٌ على أنَّ تأويلَكم خطأ . قال عَلْقمة بن عَبَدَة :

فُوه كشَقِّ العَصَا لأياً تبيّنُهُ ... أَسكُّ مايَسْمَعُ الأصواتَ مصلومُ[٥]

وقالت كَبْشة بنت مَعْدِ يكَرِب[٦] :

---

(١) ليست بالأصل . وبمثلها يستقيم الكلام .

(٢) فى الأصل : «إذ لو» . وكلمة «لو» لاوجه لوجودها .

(٣) أى رفع الصوت ووضعه . والوضع بمعنى التخفيض .

(٤) س : « لا الخفاش » ط : « الأخفاش » . وأثبت الوجه من هـ .

(٥) كذا على الصواب فى هـ . وفى س : « لأياً يبينه » و ط : « الا يأتبينه » وسبق شرحه فى ١١٨ ساسى وإنشاده كذلك فى ١٢٣ ساسى .

(٦) كبشة ، هى أخت عمرو بن معد يكرب . وكذلك جاءت النسبة فى حماسة أبى تمام (١ : ٧١) والبحترى ٣٠ وأمالى القالى (٢ : ٢٢٦ ، ٣ : ١٩٠) والخزانة (٣ : ٧٧ بولاق) . ونسبت فى لباب الآداب ١٨٢ إلى ريحانة أخت عمرو بن معد يكرب . وفى الشعراء ٨٣ : « كبيشه » . قال التبريزى : « كبشة اسم مرتجل علماً . وليس بتأنيث كبش لأن ذلك لامؤنث له من لفظه ، إنما هى نعجة » . وقد قالت الشعر حينما قتل أخوها عبد الله ، ولم يأخذ عمرو بثأره ، بل أخذ دية أخيه ، فغضبت هى وقالت الشعر تحضضه على الأخذ بالثأر ، فى أسلوب حسن بديع .

وَأَرْسَلَ عَبْدُ اللهِ إذ حانَ يومُهُ ... إلى قومه ألاَّ تَغُلوا لهُمْ دَمِى[1]

ولا تأخُذُوا منهمْ إفالاً وَأَبْكُرًا ... وَأُتْرَكَ فى بيتٍ بِصَعْدَةَ مُظلِمِ[2]

جَدَعْتُمْ بعبدالله آنفَ قَوْمِكُمْ[3] ... بنى مَازِنٍ أَنْ سُبَّ راعى الحَزَّمِ[4]

فإنْ أنتمُ لم تثأرُوا لأخيكمُ ... فَمَشُّوا بآذانِ النَّعامِ المصلَّمِ[5]

فلو كانت إنّما تريد أنّه ليس لمسامِعِها حجمٌ ، كانت الدُّنيا لها مُعرضة .

وقال عنترة :

---

(١) تغلوا : تخونوا . كذا جاءت الرواية فى هـ . وفى س : « ألا تقلوا » محرفة . وفى ط : « لاتعقلوا » ومعناه لاتأخذوا بدل دمى عقلا . والعقل ، بالفتح : الدية . وهى رواية الحماسة وأمالى القالى ج ٢ ولباب الآداب . وروى فى الأمالى ج ٣ : « ألا تخلوا » . وفى حماسة البحترى : « ألا يعـلوا » تحريف رواية هـ .

(٢) الإفال : جمع أفيل ، وهو من أولاد الإبل ما أتى عليه سبعة أشهر أو ثمانية . والأبكر: جمع بكر بالفتح ، وهو ولد الناقة . وصعدة : مخلاف من مخاليف اليمن. وجعلت قبره مظلماً لما يزعمون من أن المقتول إذا ثأروا به أضاء قبره ، فإن أهدر دمه أو قبلت ديته أظلم . التبريزى . وإنما ذكرت الإفال والأبكر، والديات لاتكون منها ، لما أرادت من معنى تحقير الدية .

(٣) جدعتم : قطعتم . آنف : جمع أنف . والمراد : أذللتم قومكم . ورواية الأمالى : « قومه » وفى الخزانة : « سيد قومه » .

(٤) بنى مازن ، أى يابنى مازن . والمخزم ، كذا جاء هنا بإعجام الخاء والزاى . وكذا فى الأمالى . لكن ضبطه صاحب الخزانة بتشديد الزاى المفتوحة والحاء قبلها مهملة ومهما يكن فهو ، كما قالوا — : رجل من بنى مازن ، كان له عبد يرعى ، وجلس عبد الله مع بنى مازن فشرب . فتغنى ذاك العبد الحبشى بشعر، فيه تشبيب بامرأة من بنى زبيد ، فلطمه عبد الله وسبه ، فنادى الحبشى : يالمازن ! فقاموا إلى عبد الله فقتلوه . عن الأمالى والأغانى (١٤ : ٣٢) . والرواية فيها :

أيقتل عبد الله سيد قومه ... بنو مازن أن سب راعى المخزم

(٥) هـ : « لم تتلدوا » محرفة . وروى : « لم تثأروا واتديتم » و : « لم تقتلوا واتديتم » . و : « لم تثأروا بأخيكم » .

وكأنما أَقِصُ الإِكامَ عَشِيَّةً ... بِقَرِيبِ بَيْنَ المَنْسِمَيْنِ مُصَلَّمِ[1]

تأوِى له حِزَقُ النَّعامِ كما أَوَتْ ... حِزَقٌ يَمانِيَةٌ لأَعْجَمَ طِمْطِمِ[2]

ولو كان عنترة إنَّما أراد عدَم الحجْم، لقد كانت الدُّنيا له مُعرضة.

وقال زُهير:

بآرزةِ الفَقَارةِ لم يخنها ... قِطاف في الرِّكاب ولا خِلاءُ[3]

كأنَّ الرَّحْلَ منها فَوْقَ صَعْلٍ ... من الظلْمانِ جُؤْجُؤه هَواءُ[4]

أَصَكَّ مُصَلَّمِ الأُذْنَيْنِ، أَجْنَى ... له بالسِّيِّ تَنُّومٌ وآءُ[5]

(رد منكر صمم النعام)

قال القوم: فإنَّا لانقول ذلك، ولكنّ العربَ فى أمثالها تقول: إنَّ النَّعامةَ ذهبَتْ تطلبُ قرنَين فقطعوا أذنيها[6]. ليجعلوها مثلاً فى المُوقِ وسوء التدبير. فإذا ذكر الشَّاعرُ الظَّليمَ، وذكَرَ أنَّهُ مصلَّمُ الأذنين، ١٢٨

---

(١) يقول: كأنما أكسر الإكام بظليم قريب بين المنسمين. والمنسم، كمجلس: الظفران المقدمان فى الخف. وقرب المنسمين مما يجعل الخف صلباً. و «بين» تقرأ بالجر. ورواها بعض اللغويين بالنصب على تقدير «ما» وهو وجه ضعيف.

(٢) سبق شرح هذا البيت فى ص ١١٦ ساسى.

(٣) الفقارة، بالفتح: واحدة فقار الظهر، بالفتح أيضاً. آرزة: متداخلة مدمجة. س، : «بيارزه» هـ: «الفقاوة لم يجبها» صوابه فى ط وديوان زهير ٦٧ واللسان (أرز، قطف، خلأ) والمخصص (٧ : ١٦٢) والمقصور ٣٨. والقطاف: اسم من قطفت الدابة تقطف - من بابى ضرب ودخل -: أساءت السير وأبطأت. والخلاء، بالكسر: مصدر خلأت الناقة تخلأ: حرنت من غير علة.

(٤) جوجؤه هواء: أى صدره فارغ لا قلب فيه، فهو كالمذعور يسرع العدو هربا.

(٥) الأصك: المتقارب العرقوبين. وأجنى الشجر: أدرك. والتنوم والآء: نبتان.

(٦) انظر ما سبق فى ٣٢٣.

فإنما يريد هذا المعنى . فكَثُرَ ذلك حتى صار قولهم : مصلم الأذنين ، مثلَ قولهم صَكَّاء . وسواءٌ قال صَكَّاء ، أو قال نعامة ، كما أنَّهُ سواء قال خنْساء أو قال مهاة وَنَعْجَةٌ وبقرة وظبية ؛ لأنَّ[1] الظِّباء والبقرَ كلها فُطْس خُنْسٌ وإذا سمَّوا امْرَأةً خنْساء فليسَ الخَنَسَ وَالفَطَسَ يُرِيدون ، بل كأنهم قالوا: مَهَاةٌ وَظَبية . ولذلك قال المسيَّبُ بنُ علَسٍ[2] ، فى صفة النَّاقة :

صَكَّاء ذِعْلِبَةٍ إذا استَقْبَلْتَها … حَرَجٍ إذا اسْتَدْبَرْتَهَا هِلوَاعِ[3]

فتفهَّمْ هذا البيت ، فإنَّهُ قد أَحْسَنَ فيه جدًّا .

وَالصَّكَكُ فى الناس ، والاصطكاك فى رجلى الناقة عيب[4] . فهو لم يكنْ ليصِفَهَا بما فيه عيب[5] ، ولكنَّه لايفرق بين قولِهِ [صَكَّاء ، وبين

---

(١) من مبدإ : « قال صكاء » إلى هنا ، ساقط من هـ .

(٢) المسيب ، كمعظم ، بذا ضبطه صاحب القاموس والأنبارى فى شرح المفضليات ٩٢ ، جاء فيها : قال مؤرج : إنما لقب زهير بن علس بالمسيب ، حين أوعد بنى عامر بن ذهل ، فقالت له بنو عامر بن ضبيعة : قد سيبناك والقوم ! وضبطه صاحب الخزانة بصورة اسم الفاعل . واسمه زهير بن علس كما تقدم . وهو جاهلى لم يدرك الإسلام . انظر الخزانة (٣ : ٢١٧ سلفية) .

(٣) الذعلبة ، بكسر الذال واللام : الناقة السريعة . والحرج : الجسيمة الطويلة . والهلواع : ذات النزق والخفة . وهكذا ورد البيت فى الأصل : وصواب إنشاده ، كما فى اللسان (هلع) والمفضليات ١٧ .

صكاء ذعلبة إذا استدبرتها … حرج إذا استقبلتها هلواع

إذا أن جسامتها وطولها ونزقها ، إنما تبين عند الاستقبال . وقبل هذا البيت :

فتسل حاجتها إذا هى أعرضت … بخميصة سرح اليدين وساع

(٤) كذا فى ط . وفى س : « واصطكاك رجلى الناقة » . وفى هـ : « واصطكاك رجل الناقة » . وهذه محرفة .

(٥) كذا على الصواب فى ط ، س . وفى هـ : « فلولم يكن يصفها » . . الخ .

قَوْلِهِ[١]] نعامة[٢] ، وكذلك لايفرّقون بين قولهم أعلم ، و بين قولهم : يَعِيرُ[٣] . قال الراجز :

إنى لِمِن أنكَرَ أو توَسما   أخو خَنَاثِيرَ يَقُودُ الأعْلَمَا[٤]

كأنه يقول : يقودُ بعيرًا . وهو كقول عنترة :

وحَليلِ غانيةٍ تَرَكْتُ مجدّلاً   تمْكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الأعْلَمِ[٥]

(ردّ مدّعى الصَّمم)

فقال مَن ادّعى للنَّعام الصَّمَم: أمَّا قولكم : من الدَّليل على أن النَّعامة تسمعُ قولُ الشاعِرِ :

* تدعُو النّعَام به العِرار[٦] *

وقوله :

متى ماتَشأْ[٧] تسمعْ عِرَارًا بقفْرَةٍ   يجيب زِمَارًا كاليَرَاعِ المثقَّبِ

وقوله[٨] :

آنَسَتْ نَبْأَةً وَأَفزَعها القَنَّاصُ عَصْرًا وَقَدْ دَنَا الْإِمْسَاء

فليس ذلك أراد . وقد يراك الأخرسُ مِن النّاس ـ والأخرس أصمُّ ـ

(١) ليست هذه الزيادة بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) فى الأصل : « نعم » . تحريف ، انظر له السطر الرابع .

(٤) الخناثير : الدواهى . والرجز رواه الجاحظ مرة أخرى فى (٦ : ١٣٨) .

(٥) انظر ماأسلفت من شرح هذا البيت وتقدم فى (٣ : ٩) ۞ : « وخليل » بالخاء المعجمة .

(٦) سبق البيت بتمامه فى ٣٨٥ برواية أخرى .

(٧) فى الأصل : « متى تأتنا » . وصوابه مما سبق فى ٣٨٥ .

(٨) هو الحارث بن حلزة اليشكرى ، من معلقته وانظر ص ٣٨٩ .

فيعرف ما تقول ، بمـا يرى مِنْ صُورة حَرَكَتِكَ[1] ، كما يعرف معانيكَ من إشارتك ، ويدعُوكَ ويطلُبُ إليكَ بصوتٍ ؛ وهو لم يسمَعْ صوتَكَ قط فيقصِدَ إليه ، ولـكنه يريد تلك الحركَةَ ، وتلكَ الحركةُ تولد الصّوت ، أراده هو أو لم يرده[2] . وَيُضْرَبَ فيصيح ، وهو لم يقصِدْ إلى الصِّياح ، ولـكنّه متى أدار لسانَهُ فى جَوْبَةِ[3] الفم بالهواء الذى فيه ، والنَّفَس الذى يُحضِره جُمّاع الفم[4] ، حدَثَ الصَّوت . وهذا إنمـا غايتَهُ الحركة فيعرف صورة تلك الحركة .

والأخرس يرى[5] النّاس يصفِّقون بأيديهم ، عند دعاء إنسانٍ ، أو عند الغضب والحَدِّ[6] ، فيعرف صورة تلك الحركةِ ؛ لطول تَرْدادِها على عينيه ، كما يعرف سائر الإشارات . وإذا تعجَّبَ ضربَ بيدَيهِ كما يضربون. ١٢٩

فالنّعامة تعرف[7] صورةَ إشارة الرِّئلان وإرادتها ، فتعقل[8] ذلك ، وتجاوبها بما تعقل عنها من الإشارة [والحركة] ، وغدت[9] لحركتها أصواتٌ .ولو كانا يسمعان لم تزد حالهما[10] فى التَّفاهُم على ذلك .

(١) فى الأصل : « حركة » .
(٢) س ، هـ : « أم لم يرده » .
(٣) الجوبة : الحفرة . والمراد باطن الفم . س : « حوجة » . ط ، هـ : « جوحة » . وأثبت ما سبق فى مثل هذا الموضع فى (١ : ٧٠) مطابقاً لما فى نسخة كوبريلى .
(٤) الجماع ، كرمان : مجتمع الأصل .
(٥) ط : « والأخرس من يرى » . هـ : « والآخر من يرى » صوابهما ما أثبت من س .
(٦) الحد ، بفتح الحاء : الحدة والغضب . وفى الأصل : « الجد » بالجيم . محرف .
(٧) ط : « تعرق » صوابه فى س ، هـ .
(٨) س : « فتفعل » صوابه فى ط ، هـ .
(٩) س : « ويحدث » .
(١٠) س : « حالتهما » .

(شمُّ النعامة)

والعرب تقول : «أشَمُّ مِنْ نَعامةٍ» و: «أشَمُّ مِنْ ذَرّةٍ». قال الرّاجز :

* أشمُّ مِنْ هَيْقٍ وَأهْدَى مِنْ جَمَلْ[١] *

وقال الحِرْمازىُّ ، فى أرجُوزته :

* وهــو يَشْتَمُّ اشتِمام الهَيْقِ[٢] *

قال : وأخبرنا ابنُ الأعرابىِّ أنَّ أعرابيًّا كلم صاحِبَهُ ، فرآه لايفهَمُ عنه ولا يسمعُ كلامَهُ فقال : « أصلَخٌ كَصلَخِ[٣] النَّعَامَةِ ! »

(شم الفرس والذئب والذّرّ)

وقد يكون الفرَسُ فى الموكب وخلفه ، على قاب غلوتين ، حِجْرٌ أو رَمَكةٌ[٤] ، فيَتَحَصَّنُ[٥] تحتَ راكبه ، من غير أن تكونَ صهلَتْ .

والذّئب يشتَمُّ ويستروح مِنْ مِيلٍ ، والذّرّة تَشْتَمُّ ما ليس لهُ ريحٌ ، ممّا لو وضَعْتَهُ على أنفكَ ما وجَدْتَ لهُ رائحة وإن أجَدْتَ التشمُّمَ ، كرِجْل

---

(١) سبق هذا البيت فى ١٣٣ . والهيق ، بالفتح : الظليم . وأهدى ، من الهداية . وذاك أنه يعرف مكامن الماء فى الصحراء ، فيتجه إليها بنفسه .

(٢) سبق البيت فى ١٣٣

(٣) الصلخ ، بالتحريك : الصمم وذهاب السمع . والوصف منه أصلخ . قال :

لو أبصرت أبكم أعمى أصلخا   إذا لسمى واهتدى أنى وخى

وفى اللسان : « وإذا دعى على الرجل قيل : صلخا كصلخ النعامة ! » . ط : « أصلم كصلم » صوابه فى س ، ه .

(٤) الحجر ، بكسر الحاء : الأنثى من الخيل . والرمكة ، بالتحريك : البرذونة تتخذ للنسل .

(٥) يتحصن : تبدو منه أمارات الذكورة . وقد سبق نحو هذا التعبير فى (٢: ١٤١ س ٨) ط ، س : « فيشخص » وليس بذاك . والأوفق ما أثبت من ه .

الجرادة تَنْبِذُهَا[1] من يدك فى موضع لم ترفيه ذرّة قطّ ، فلا تلبث أن ترى الذّرّ إليها كالخيط الأسودِ الممدود .

وقال الشّاعر ، وهو يصف استرْواح الناس :

وجاء كَمِثْلِ الرَّألِ يتبع أَنْفَهُ لِعَقْبَيْهِ مِنْ وَقْعِ الصُّخور قعاقع[2]

فإنَّ الرَّألَ يشتم[3] رائحة أبيه وأمّه والسَّبُع والإنْسَانِ من مكانٍ بعيد . وشبَّهَ به رَجُلاً جاء يتّبع الرِّيح فيَشتمُّ .

(استطراد لغوى)

وقال الآخر :

والمرء لم يغضَبْ لمطْلَبِ أَنْفِهِ أو عِرْسِه لِكَرِيهةٍ لم يَغْضَبِ[4]

ومطْلَبُ أنفه : فَرْجُ أمِّه ؛ لأنَّ الولد إذا تمَّتْ أيَّامُهُ فى الرَّحم ، قَلاَ مَكانَهُ[5] وكرِهَه ، وضاق به موضعُهُ ، فطلبَ بأنفه مَوضع المخرَج مِمَّا هو فيه من الكرب ، حتَّى يَصِير أنفه ورأسُهُ على فم الرَّحم ، تِلقاءَ فم المخرج . فالأَناء[6] والمكانُ يرفعانه فى تلك الجهة ، والولد يلتمسُ تلك الجهةَ بأنْفه .

---

(١) نبذ ، من باب رمى : بمعنى ألقى ورمى . ط ، هـ : « ينفذها » صوابه فى س وفى أمثال الميدانى (١ : ٣٥١) حيث نقل كلام الجاحظ ولم يصرح بذلك .

(٢) الرأل : فرخ النعام . هـ : « لعقبيه » محرفة .

(٣) س : « يشم » .

(٤) كذا جاء . وروى صدره فى كنايات الجرجانى ٢٧ : « من كان لايغضب لمطلب أنفه » وكنايات الثعالبى ٧ : « وإذا الكريم أضاع مطلب أنفه » واللسان (أنف) : « وإذا الكريم أضاع موضع أنفه » . وعجزه عند الجرجانى « من أمه أو عرسه » والثعالبى : « أو عرسه لكريهة » أى كما عند الجاحظ . واللسان : « أو عرضه لكريهة » .

(٥) قلاه ، كرماه ورضيه ، قِلًى وقَلاءً ومَقْلِيَةً : أبغضه وكرهه غاية الكراهة .

(٦) الأناء ، بالفتح : أن يحين الشىء .

ولولا أنَّه يطلبُ الهواءَ من ذاته ، ويكرهُ مكانَه من ذاته ، ثمَّ خرجَ إلى عالَمٍ آخَرَ خلافِ عالمه الذى رُبِّى فيه ، لَماتَ ؛ كما يموت السَّمَكُ إذا فارقه الماء . ولكنَّ الماء لمَّا كانَ قابلاً لطباع السمك [غاذياً[1] لها ، والسَّمكُ[2]] مريداً له ، كانَ فى مفارقته له عطبُه . وكان فى مفارقة الولد لجَوْف البطن واغتذائه فضلاتِ الدَّم ،[مالا يَنْقُصُ[3]] شيئاً من طباعِه وطباع المكان الذى كان له مَرّةً مَسْكناً . فلذلك قال الشَّاعر الجاهليّ :

والمرء لم يغضب لمطْلَبِ أنفه ... أو عِرسه لكريهةٍ لَمْ يغضَبِ[4]

يقول : متى لم يَحْمِ فرجَ أمّه وامرأته ، فليس مِمّن يغضب من شىء يؤول إليه .

(قول المتكلِّمين فى صمم الأخرس)

١٣٠ وزعم المتكلّمون أنَّ الأخرسَ أصمُّ ، وأنّه لم يُؤتَ من العجْز عن المنطق لشىء فى لسانه ، ولكنّه إنّما أُتِىَ فى ذلك ؛ لأنّه حين لم يسمع صوتاً قطُّ ، مؤلَّفاً أو غير مؤلَّف ، لم يعرف كيفيَّته فيقصدَ إليه . وأنَّ جميعَ الصُّمِّ ليس فيهم مُصْمَتٌ[5] ، وإنّما يتفاوَتُون[6] فى الشِّدَّةِ واللِّين ؛ فبعضهم يسمع الهدَّة والصَّاعقة ، ونَهيقَ[7] الحمار إذا كان قريباً منه ،

---

(١) س : « عاريا » صوابه فى هـ .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) ليست بالأصل . وبمثلها يتمّ الكلام .

(٤) سبق هذا البيت فى ٤٠٣ . وموضع عجزه فى كل من ط ، هـ كلمة : « البيت » .

(٥) مصمت : أى تام الصمم خالصه .

(٦) فى الأصل : « يتقاربون » .

(٧) ط ، هـ : « ونعيق » وإنّما النعيق للغراب والبوم . وصوابه فى س .

والرَّعد الشَّديدَ ، لايسمعُ غير ذلك . ومنهم من يَسمعَ السِّرار[1] ، وإذا رفَعْت له الصَّوتَ لم يسمَعْ . ومتى كلَّمته ووَرَّت الشَّكاية[2] فى أذنه ، فهِمَ عنك كلَّ الفهم . وإن تكلَّمْت على ذلك المقدارِ فى الهواءِ، ولم يكن ينفذُ فى قناةٍ تحصُرُه وتجمعُه ، حتَّى تُؤَدِّيه إلى دماغِه — لم يفهمه .

فالأصمُّ فى الحقيقة إنَّما هو الأخرس ، والأخرس إنَّما سمِّى بذلك على التشبيه والقرابة . ومتى ضَرَبَ الأصمُّ من النَّاس إنساناً أو شيئاً غيرَه ، ظنَّ أنّه لم يبالِغْ ، حتّى يسمعَ صوتَ الضربة . قال الشَّاعر[3] :

أشَارَ بِهِمْ لَمْعَ الأصمِّ فأقْبَلُوا عَرَانِينَ ، لايأتيه للنَّصرِ مُحْلِبُ[4]

وقال الأسَدِىّ :

وَأُوصِيكُمُ بطِعَانِ الكُمَاةِ فقَدْ تعلَمُونَ بأنْ لا خُلُودَا[5]

---

(١) السرار ، بالكسر : مصدر ساره يساره : حدثه فى أذنه .

(٢) كذا فى ط . وفى س : « وطرت السكاية » ه : « وطرت الشكاية » .

(٣) هو بشر ، كما فى اللسان (صمم) . يعنى بشر بن أبى خازم . وهو شاعر جاهلى قديم . و بشر بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة . و خازم بالخاء والزاى المعجمتين . الخزانة (٤ : ٣٢٦ سلفية) .

(٤) فى اللسان : « ويقال للنذير إذا أنذر قوما من بعيد ، وألمع لهم بثوبه : لمع بهم لمع الأصم . وذلك أنه لما كثر إلماعه بثوبه كان كأنه لايسمع الجواب ، فهو يديم اللمع » . وعرانين الناس : وجوههم وسادتهم وأشرافهم ، مأخوذ من عرنين الأنف ، وهو رأسه . والمحلب : من يعين المرء من غير قومه . يقول : هو لايعينه أحد من غير قومه . فى الأصل : « مخلب » وتصحيحه من اللسان(حلب) . ويروى أيضاً : « مجلب » بالجيم ، كما فى اللسان (صمم) . وفى اللسان (جلب) : « وأجلبه : أعانه » . والرواية بالحاء المهملة أجود وأصح . وقبل البيت :

وينصره قوم غضاب عليكم متى تدعهم يوما إلى الروع يركبوا

(٥) رواية اللسان (صمم) : « فأوصيكم » . وقبل هذا البيت :

فأبلغ بنى أسد آية إذا جئت سيدهم والمسودا

وَضَرْبِ الجماجمِ ضَرْبَ الأَصَمِّ حَنْظَلَ شَابَةَ يَجْنِى الهبيدا[١]

وقال الهذلىُّ[٢] :

فالطعْنُ شَغْشَغَةٌ وَالضَّرْبُ مَعْمَعَةٌ ضَرْبَ المُعَوِّلِ تحتَ الدِّيمَةِ العَضَدا[٣]

وإنما جعله تحتَ الدِّيمة ؛ لأنَّ الأغصانَ والأشجارَ تصير ألْدَنَ وأعْلَكَ ، فيحتاج الذى يضربُ تلك الأُصولَ قبل المطر ، إلى عشرِ ضَرَباتٍ حتّى يقطع ذلك المضروب ؛ فإذا أصابه المطَرُ احتاج إلى أكثرَ من ذلك .

---

(١) وضرب الجماجم : أى وأوصيكم بضرب رءوس الأعداء . والأصم الذى عنى ، هو الظليم من النعام . وشابة : موضع بنجد . وفى الأصل : « شأنه » وصوابه من اللسان (شوب وصمم) . والهبيد : حب الحنظل . ، وهو أحب طعام إليه . وفى الأصل : « الوليدا » وهو تحريف . وفى اللسان : « هبيدا » .

(٢) هو عبد مناف بن ربع الجربى ، شاعر جاهلى من شعراء هذيل . و (ربع) بكسر الراء بعدها باء موحدة ساكنة . والجربى ، كقرشى : نسبة إلى جريب ، كقريش ، وهو بطن من هذيل . والبيت من قصيدة ذكر قصتها البغدادى فى الخزانة (٣ : ١٧٢ بولاق) وهى اثنا عشر بيتا . وقد نسب صاحب العمدة (١ : ٢٠١) البيت إلى أبى كبير الهذلى . وليس بذاك . وقد نسبه العسكرى فى ديوان المعانى (٢ : ٥٥) إلى عبد مناف بن ربعى . صوابه « ربع » كما فى الخزانة واللسان (شغشغ ، هقع ، عول ، عضد) . وفى اللسان (عول) . « قال ابن برى : الصحيح أن البيت لساعدة بن جؤية الهذلى » .

(٣) الشغشغة بغينين معجمتين : تحريك السنان فى المطعون ليتمكن منه . وفى الخزانة : « شفشفة » . وفى الأصل وديوان المعانى : «شمشمة » وهما تحريف ما أثبت من اللسان والمخصص (٥ : ١٣٥) والعمدة . والمعمعة : شدة الحرب والجد فى القتال . والمعمعة أيضاً : الدمشقة ، وهى عمل فى عجل . ط ، ه : «مقمعة» وأثبت ما فى س . والرواية فى جميع المصادر : « هيقعة » والهيقعة : صوت السيوف . والمعول ، بكسر الواو المشددة : الذى يتخذ العالة ، وهى شجر يقطعه الراعى أو الرامى فيستظل به من المطر . والعضد ، بالتحريك : ماقطع من الشجر .

(تحقيق معنى شعرى)

وأنشدنى يحيى الأغر[١] :

كَضَرْبِ القُيونِ سَبِيكَ الحديـــدِ يومَ الجنائبِ ضرباً وَكيدا[٢]

فلم أعرفه ؛ فسألتُ بعضَ الصَّياقلة فقال : نعم ، هذا بَيِّنٌ معروف . إذا أَخْرَجْنا الحديدةَ من الكِيرِ فى يومِ شَمَال[٣] ، واحتاجت فى القطع إلى مائة ضربةٍ ، احتاجَت فى قطعها يومَ الجَنُوب إلى أكثر من ذلك ، وإلى أشدّ من ذلك الضَّرب ؛ لأنّ الشمالَ يُيَبِّسُ ويقصِف ، والجنوب يرطِّب ويلدِّن .

(الأخرس)

والإنسان أبداً أخرسُ ، إذا كان لايسمع ولا يتبيَّن الأصواتَ التى تخرج من فيه ، على معناه[٤] . ويقال فى غير الإنسان ، على غير ذلك . قال كثيِّر :

١٣١ ألم تَسْألى ياأمَّ عَمْرٍو فَتُخْبَرِى سَلِمْتِ وأسقاكِ السّحَابُ البوارقُ

بكيا لصوت الرَّعدِ خرس روائحٍ ونعق ولم يُسْمَعْ لهن صواعق[٥]

(١) هـ : « الأعز » .

(٢) القيون : جمع قين ، بالفتح ، وهو الحداد . والجنائب : جمع جنوب ، وهى الريح التى تقابل الشمال . والوكيد : الشديد الصائب .

(٣) أى يوم ريح شمال .

(٤) أى على المعنى الحقيق للخرس .

(٥) كذا جاء البيت . وفى هـ : « روامح » بدل : « روائح » .

وتقول العرَب : « مازلت تحتَ عينٍ خرساء » . والعين : السحابة تبقى أيامًا تمطر . و إذا كثر ماؤها وكثُف ، ولم يكن فيها مخارق لم تقدح ببرق .

(سرعة الضوء وسرعة الصَّوت)

ومتى رأيتَ البرقَ سمعتَ الرَّعْدَ بعدُ . والرَّعدُ يكون في الأصل قبله ولكنَّ الصَّوتَ لايصل إليك في سرعة البرق ؛ لأنَّ البارقَ والبصرَ أشدُّ تقاربًا من الصَّوتِ والسَّمْع . وقد ترى الإنسانَ ، و بينك و بينه رحْلة فيضرب بعصًا إمَّا حَجَرًا ، و إمَّا دَابَّةً ، و إمَّا ثوبًا ، فترى الضَّرْب[1] ثم تمكثُ وقتاً إلى أن يأتيَك الصَّوت .

(السحابة الخرساء)

فإذا لم تصوِّت السَّحابةُ لم تبشِّر بشيء ، و [إذا[2]] لَمْ يكن لها رِزٌّ[3] سمِّيت خَرْساء .

(الصخرة الصَّمَّاء)

وإذا كانت الصَّخرةُ في هذه الصِّفة سمِّيت صماء . قال الأعشى :

وإذا تجيء كَتيبةٌ ملمُومَــةٌ مَــكْرُوهَةٌ يخشى الــكُماةُ نِزَالَهَا

وعلى غير هذا المعنى قال كثيِّر :

كأني أنادي صَخْرَةً ،حِينَ أَعْرَضَتْ، من الصُّمِّ لو تمشي بها العُصْمُ زَلَّتِ

---

(١) س « الضربة » .

(٢) ليست بالأصل .

(٣) الرز ، بالكسر : الصوت تسمعه من بعيد ، أو الصوت مطلقاً .

ومن هذا الشَّكل قولُ زُهير :

وَتَنُوفَةٍ عَمْياءَ لايَجْتازُها إلا المشيَّعُ ذُو الفؤاد الهـادى(١)

قَفْرٍ هَجَعْتُ بها،ولستُ بنائمٍ ، وذراعُ مُلْقِيَةِ الجِرَانِ وِسادِى(٢)

وَوَقَعْتُ بَيْنَ قُتُودِ عنْس ضَامِرٍ لَحَّاظَةٍ طَفَلَ العشىِّ سِنَادِ(٣)

فجعل التَّنُوفَةَ عَمْياءَ(٤) ، حين لَمْ تَكن بها أمارات .

(الزَّبابَة)

ودابَّة يقال لهـا الزَّبابَة(٥) ، عمياء [صَمَّاء(٦)] ، تشبه الفأرة ؛ وليست

---

(١) الشيع ، بفتح الياء المشددة : الشجاع ؛ لأن قلبه لايخذله ، فكأنه يشيعه . والفؤاد الهادى : المهتدى ، أو الذى يهدى صاحبه .

(٢) قفر ، يقال أرض قفر ، ومفازة قفر وقفرة أيضاً . فهى ممـا يوصف به المؤنث ، صفة لتنوفة . والهجوع ، هنا ، بمعنى الاضطجاع ، نوما كان ، أو غير نوم . المخصص (٥ : ١٠٤) . وملقية الجران ، عنى بها ناقته . ألقت جرانها : وضعت باطن عنقها على الأرض ، تستريح بذلك . ومثل هذا البيت فى معناه قول الآخر (الخزانة ٤ : ٤٨٠ بولاق) :

يارب سار بات ماتوسـدا إلا ذراع العنس أو كف اليدا

(٣) القتود : جمع قتد ، بالتحريك ، وهو أداة الرحل . والعنس ، بالفتح وبالنون السا كنة : الناقة الصلبة . ووقعت ، هنا ، كأنه من الوقعة ، بالفتح ، وهى النومة فى آخر الليل . وطفل العشى : آخره عند غروب الشمس واصفرارها . وإنمـا تـكثر اللحظ فى ذلك الوقت لمـا يداخلها من الحنين إلى ولدها ، فتتعجل الأوبة ويظهر نشاطها . والسناد ، بالكسر : الشديدة الخلق ، قال ذو الرمة :

جمالية حرف سـنـاد يشلها وظيف أزج الخطو ظمآن سهوق

وفى الأصل : « سنادى » والوجه ما أثبت .

(٤) فى الأصل : « عيا » تحريف .

(٥) الزبابة بفتح الزاى ، بعدها باء موحدة . ط ، س : « الزيابة » و : « الذيابة » صوابهما ما أثبت .

(٦) ليست بالأصل . وأثبت ماتقتضيه المقارنة الآتية .

بالخُلْد ؛ لأنَّ الخُلْدَ أعمى وليس بأصمّ . والزَّبَاب[1] يكون فى الرَّمل .

وقال الشاعر[2] :

وَهُـــمُ زَبَابٌ حائرٌ لاتَسْمَعُ الآذَانُ رَعْـــدَا[3]

(الأعمى من ولد الحيوان)

وكلُّ مولودٍ فى الأرض يُولد أعمَى ، إن كان تأويل العمى[4] أنّهُ لايُبصر إلاّ بعد أيام . فمنه ما يفتح عينيه بعد أيّامٍ كالجَرْوِ[5] ؛ إلاّ أولادَ الدّجاج ؛ فإنَّ فراريجها تخرُجُ من البيض كاسِيَةً كاسبة .

(شعر فيه مجون)

وقال أبو الشَّمَقْمق ـ وجعل الأيْر أعمى أصمَّ على التشبيه ـ فقال :

فسلِّمْ عليه فاتِرَ الطّرْفِ ضَاحِكاً وصوِّت له بالحارثِ بن عُبادِ

(١) ط ، هـ : « الذباب » صوابه فى س .

(٢) هـــو الحارث بن حلزة ، كما فى عيون الأخبار (٢ : ٩٥ ـ ٩٦) : واللسان (زبب) .

(٣) أى لا تسمع آذانهم صوت الرعد . والبيت محرف فى الأصل س ، هـ : « فهو رباب » ط « فهو ذباب » وفى الجميع : « لا يسمع » و هـ : « الأذانل » مكان : « الآذان » وأثبت صحته الرواية من الحيوان (٥ : ٨١) وعيون الأخبار واللسان .

(٤) س : « أعمى » . هـ : « لمى » وهذه محرفة . وأثبت ما فى ط .

(٥) الجرو ، مثلثة : ولد الكلب والأسد والسباع . ط ، هـ : « كالجرذ » س : « كالحرذ » صوابهما ما أثبت . وفى (٢ : ٢٨٨) : « وجرو الكلب يكون أعمى عشرة أيام وأكثر . وقد يعرض شبيه بذلك لكثير من السباع » .

بأضْلَعَ مِثْلِ الجِزْوِ جَهْمٍ غضَنْفَرٍ مُعاوِدِ طَعْنٍ جائفٍ وسِنادِ(١)
أصمّ وأعْمى يُنْغِضُ الدَّهْرَ رأسَهُ يسير على مَيْلٍ بغير قيادِ(٢) ١٣٢

(قول لمن زعم أن النعامة تسمع، وردٌّ عليه)

و[قال] مَنْ زعَم أنّ النَّعامة تسمَع : يدلُّ على ذلك قول طرَفَةَ :

هَلْ بالدِّيارِ الغَداةَ من خَرَسِ أمْ هَلْ بِرَبْعِ الجميعِ مِنْ أنَسِ(٣)
سِوَى مَهاة تَقْرُو أَسِرَّتَه وَجُؤْذُرٍ يَرْتَعِي على كُنُسِ(٤)
أو خاضبٍ يرتعى بِهِقْلَتِهِ متى تَرُعْهُ الأصْوَاتُ يهتَجِسِ(٥)

فقد قال طرَفة كما ترى :

* متى تَرُعْهُ الأصوات يهتجس *

وقال الآخر : جوابُنا فى هذا هو جوابنا فيما قبله .

---

(١) الطعن الجائف : الذى يصل إلى الجوف .

(٢) أنغض رأسه : حركه إلى أسفل وأعلى . فى الأصل : « ينفض » بالفاء ، وأراها محرفة . ط ، س : « على مهل » وأثبت ما فى هـ . وهو أجود .

(٣) الأنس ، بالتحريك : الحى المقيمون . س : « جرس » موضع : « خرس » تحريف .

(٤) المهاة : البقرة الوحشية . تقرو : تقصد . والأسرة : جمع سر ، بالكسر ، وهو من الوادى : أفضل موضع فيه . والجؤذر : ولد البقرة الوحشية . وفيه مع الهمز لغتان : الجؤذر بضم الجيم والذال وبضم الجيم وفتح الذال . وأنظر سائر اللغات فى القاموس . والكنس ، بضمتين : جمع كناس ، بالكسر ، وهو بيت الوحش كما فى فقه اللغة ٣٠٤ طبع الحلبى . وفى شرح التبريزى للمعلقات ١٣٠ : « وهو شىء يتخذه الظباء ، تجذب أغصان الشجرة ، فتقع إلى الأرض ، فيصير بينها وبين ساق الشجرة مدخل تستظل به » .

(٥) الخاضب : الظليم احمرت ساقاه . يرتعى بهقلته : يرعى مع أنثاه الفتية . يهتجس : فى القاموس : « هجسه : زده عن الأمر فانهجس » ونحوه فى اللسان . فلعل يهتجس وينهجس فعلان مطاوعان لهجسه ، وإن لم تذكر المعاجم أولهما .

(فكاهة)

وروى الهيثم بنُ عديّ ، وسمعه بعضُ أصحابنا من أبي عبيدة ، قال : تضارَط أعرابيَّان عند خالدبن عبد الله[1] ، أحدُهما تميميٌّ والآخر أزْديٌّ فضَرَط الأزْديُّ ضَرْطَةً ضئيلة ، فقال التميميّ :

حَبَقْتَ عَجِيفاً مُحْثَلاً ولو انَّني حَبَقْتُ لأَسْمَعْتُ النَّعَامَ الشَّرَّدَا[2]

فــرّ كرّ المنجَنيق وصَوْتُهُ يبذُّ هَزِيمَ الرَّعْدِ ، بدءًا عمرَّدَا[3]

(مَنْ لَقَبهُ : نَعامة)

وزعم أبوعمرو الشَّيبانيُّ عن بعض العرب ، أنّ كلّ عربيّ [وأعرابيّ] كان يلقَّب نَعامة ، فإنما يلقَّب بذلك لشدّة صَمَمِه . وأنّهُ سأله عن الظليم : هل يسمع ؟ فقال : يَعرِفُ بأنفه وعينهِ ، ولا يحتاج معهما إلى سمْع . وأَنْشَدَنِي :

فجئْتُكَ مِثْلَ الهِقْلِ يشتمُّ رَأْلَهُ ولا عَرْفَ إلاّ سَوْفُهَا وَشَمِيمُهَا[4]

---

(١) هو خالد بن عبد الله القسرى .

(٢) العجيف : المهزول . ولم يذكر فى اللسان والقاموس بمادة (عجف) . والمحثل ، بالحاء المهملة بعدها مثلثة مفتوحة : الهزيل . وفى الأصل : « مجتلا » محرف .

(٣) المنجنيق ، وتكسر الميم : آلة ترمى بها الحجارة ، مؤنثة وقد تذكر ، فارسيتها : من چه نيك ، أى أنا ما أجودنى . يبذ : يغلب ويفوق . وهزيم الرعد : صوته . والبدء ، بالفتح : أصل معناه السيد والشاب العاقل . وبدءا : حال ثانية من ضمير « مر » . ط ، س : « بدء » ه : « بداء » محرفتان عما أثبت . والعمرد ، كعملس : الطويل .

(٤) العرف ، بالفتح : الريح طيبة أو غير طيبة . والسوف ، بالفتح : الشم . وفى ط ، ه : « شوءها » س : « نوءها » . وهما كلمتان محرفتان لا ينبضان بمعنى . والوجه ما أثبت .

وزعم أنَّ لقَبَ بيهس [١] نعامة ، وأنَّه لقِّب بذلك لأنه كان فى خُلُق نعامة ، وكان شديدَ الصَّمم مائقاً [٢] . فأنشَدَ لعدىِّ بن زَيْد [٣] :

وَمِنْ حَـذَرِ الْأَيَّامِ مَاجَزَّ أَنْفَهُ
قَصِيرٌ وَخَاضَ المَوْتَ بِالسَّيْفِ بَيْهَسٌ [٤]

نعامةُ لَمَّـا صرَّع القومُ رَهْطَهُ تَبَيَّنَ فى أَثْوَابِهِ كيفَ يَلْبَسُ [٥]

وقال المتنخِّل الهذَلىُّ [٥] ، وذكر سَيْفاً :

مُنْتَخَبُ اللُّبِّ لهُ ضَرْبَةٌ خَدْباءُ كالعَطِّ من الخِـذْعِلِ [٦]

---

(١) بيهس : رجل من بنى فزارة بن ذبيان . وله حديث وقصة فى الأغانى (٢١ : ١٢٢ — ١٢٤) ونقلها عنه صاحب الخزانة فى (٣ : ٢٧٢ — ٢٧٣ بولاق) . وذكره الميدانى فى مثل : « ثكل أرأمها ولدا » .

(٢) مائقاً : أى أحمق . والموق بالضم والفتح : الحمق . هذا . وقد زعم أبو الفرج أنه إنما سمى نعامة بقوله :

فَلأَطْرُقَنْ قَوْمًا وَهُمْ نِيَامُ وَأَبْرُكَنْ بِرْكَةَ النَّعَامَهْ

(٣) الحق أن قائل الشعر هو المتلمس الضبعى ، من قصيدة فى ديوانه المخطوط ، وكما فى الأغانى وحماسة أبى تمام (١ : ٢٦٨) والبحترى ١٩ وأمثال الميدانى (١ : ١٣٨ ، ٢١٦) ومروج الذهب (١ : ٢٩٢) والخزانة ، ومعاهد التنصيص (١ : ٢٤٨) . وقد ذكر الجاحظ البيتين فى البيان (٣ : ٢٢١) ولم ينسبهما .

(٤) قصة قصير متداولة فى الكتب . انظر المراجع المتقدمة . واسمه قصير بن سعد اللخمى . ورواية البيان : « ولاقى الموت بالسيف » والمروج : والأغانى والخزانة والميدانى : « ورام الموت » رام : طلب .

(٥) المتنخل ، بكسر الخاء المشددة ، اسم فاعل من تنحل ، لقب مالك بن عويمر الهذلى شاعر من شعراء هذيل . وهو جاهلى كما فى الخزانة (٤ : ١١٠ سلفية) . وفى الشعراء من يقال له : (المتنخل السعدى) ذكره الآمدى فى المؤتلف ١٧٩ .

(٦) منتخب اللب : أى منتزع العقل ، فهو فى هوجه كالمجنون . ورواية اللسان (خذعل) : « تنتخب اللب » . والخدباء ، بفتح الخاء : الهوجاء . وفى الأصل : « حدباء » تصحيحه من اللسان . كالعط من الخذعل : أى كالشق من ثوب الخذعل وهو بكسر الخاء والعين : المرأة الحمقاء ، أو ثياب من أدم يلبسها الزعن =

يقول : هذا السَّيف أهوجُ لاعَقْل له . والخَدَب[1] فى هذا الموضع : الهوَجُ[2] . وتهاوِى الشىء لايَتمَالك . ويقال للسَّيف لايُبالِى مالَقِىَ .

(شعر فى النعام والتشبيه به)

وقال الأعشى فى غير هذا الباب :

كَحَوْصَلةِ الرَّأْلِ فى جَرْيِهاَ ... إذا جُلِيَتْ بَعْدَ إقْعَادِها[3]

١٣٣ « كحوصلة الرَّأل » يصف الخَمْرَ بالحُمرة . جليت : أُخرجت ؛ وهو مأخوذ من جَلوة العروس القاعدة ، إذا قَعَدَت عن الطَّلَب[4] . ومثله فى [غَير[5]] الخمر قولُ علقمة :

تأوِى إلى حِسْكِلٍ حُمْرٍ حواصِلُه ... كأنَّهُنَّ إذا بَرَّ كْنَ جُرثومُ[6]

وقال الأخنس بن شهاب[7] :

تظلُّ بها رُبْدُ النَّعامِ كأَنَّهاَ ... إمَاءٌ تُزَجِّى بالمسَاءِ حَواطِبُ[8]

= لتحمل عبئهم وحمقهم . ط ، ه : « الحزعل » صوابه بالذال ، كما فى س ، والاـان .

(١) فى الأصل : « الحدب » بالحاء صوابه بالمعجمة .

(٢) الهوج ، بالتحريك : الحمق والرعونة . ه : « الهدج » صـوابه ما أثبت من س ، ط .

(٣) فى جريها : أى عند سيلانها وتدفقها من فم الدن . والرأل : فرخ النعام وحوصلة حمراء ؛ لتجردها من الريش .

(٤) أى عن أن يطلبها الأزواج .

(٥) ليست بالأصل ، ولا يصح الـكلام بدونها .

(٦) نسبق هذا البيت وشرحه فى ص ٣٦٧ .

(٧) الأخنس بن شهاب ، شاعر جاهلى قبل الإسلام بدهر . الخزانة (٣ : ١٦٩ بولاق) نقلا عن شرح المفضليات ٤١٠ .

(٨) الربد : جمع أربد وربداء ، وهو ما فى لونه غبرة . والإماء : جمع أمة ، بالتحريك وهى المملوكة . والحواطب : اللاتى يجمعن الحطب . وخص المساء ؛ لأن الإماء =

تُزجِّى : تَدْفَع[1] ؛ وذلك أنّهُ يثقل حِملها فتمشى مِشْيةَ النَّعامـةِ .

وقال الرّاجز[2] :

وإذا الرِّياحُ تَرَوَّحَتْ بِعَشيَّةٍ   رَتَكَ النَّعامُ إلى كَثِيفِ العَرْفَجِ[3]

والرَّتَكُ : مشْىٌ سريع . يقول تبادِرُ إلى الكثيف[4] تستتر به[5] من البَرْد . وقال :

* رَتْكَ النّعامةِ فى طريقٍ حامِ[6] *

= المحتطبات يرجعن فيه لى أهاليهن . وقد أعيين، فهن يمشين على تؤدة . أنظر شرح المفضليات . ورواية المفضليات : « بالعشى » مكان : « بالماء » .

(١) فى الأصل : « ترفع » صوابه من اللسان وشرح المفضليات ٤١١ . ويروى : « تَزَجَّى » بنزع إحدى التاءين .

(٢) كذا . وصوابه : « الشاعر » . وهو الحارث بن حلزة اليشكرى، من قصيدة مفضلية ١٢٣ أولها :

طرق الخيال ولا كليلة مدلج   سدكا بأرحلنا ولم يتعرج

(٣) كذا أنشد الجاحظ هذا البيت . وتفسيره الآتى يشهد لصحة هذا النص عنده هو ، وكذا صحة ما ضبطت به البيت . لكن صواب الرواية والضبط ، هو كما فى المفضليات ١٢٣ :

وَإذَا اللِّقَاحُ تَرَوَّحَتْ بِعَشِيَّةٍ   رَتْكَ النَّعامِ إلى كَثيفِ العَرْفَجِ

وبعده :

أَلفَيْتَنا للضيف خَيْرَ عِمَارَةٍ   إنْ لَمْ يَكُنْ لَبَنٌ فَعَطْفُ المُدْمَجِ

اللقاح : الابل ، واحدها لقوح ، بالفتح . تروحت بعشية : سارت فى آخر النهار راجعة إلى مأواها . رتك النعام : أى مثل رتك النعام . والرتك ، بالفتح والتحريك : مقاربة الخطو . والكثيف : الملتف . والعرفج : شجر .

(٤) س : « الكثيب » محرف . وفى الكلام نقص . لعله : « الكثيف من العرفج » .

(٥) س : « تستريه » . ولعلها صحيحة . وقالوا : انسرب الوحشى : دخل فى كناسه .

(٦) طريق حام : أى حمى رمله مما ضربت فيه الشمس . وهو أشد لرتك النعامة .

(استقبال الظليم للريح)

وليسَ لقولِ مَنْ زعَم أنَّ الظليم إذا عدا استَقْبَل الرِّيحَ [وإنَّمَا ذلك مخافةَ أن تَكونَ الرِّيحُ من خلفه فتَــكبِتَه(١) ـ معنًى ؛ لأنَّا نجدُهم يصفون جميع ما يستدعونه(٢) باستقبال الرِّيحِ] . قال عَبْدَة بن الطَّبِيب ، يصف الثَّور :

مستقبل الرِّيحِ يهفُو وهو مبترِكٌ ... لسانُه عَنْ شِمالِ الشِّدْقِ مَعْدُولُ(٣)

ووصف الذِّيبَ طُفيلٌ الغَنَوِىُّ ، فقال :

كسِيدِ الغَضَا العادِى أضَلَّ جِرَاءه ... عَلَى شَرَفٍ مُسْتَقْبِلَ الرِّيحِ يلحَبُ(٤)

---

(١) تكبته : تصرعه لوجهه . كبته يكبته كبتاً فانكبت . وممن ذهب هذا المذهب شارح ديوان طفيل ص ٢٣ قال : « وكل دابة أو ضامر إذا جرت استقبلت الريح ؛ لأنها إذا استدبرتها كسعتها وألقتها » .

(٢) كذا بالأصل . ولعلها : « يستسرعونه » أى يعدونه سريعاً . وقد علل الأمر صاحب اللسان بقوله : « وامتخر الفرس الريح واستمخرها : قابلها بأنفه ؛ ليكون أروح له » .

(٣) يهفو : يشتد عدوه . قال بشر بن أبى خازم يصف فرساً :

يُشَبَّهُ شَخْصُهَا وَالخَيْلُ تَهْفُو ... هُفُوًّا ظِلَّ فَتْخَاءِ الجَنَاحِ

وابترك : انتحى على أحد شقيه فى عدوه . ط ، هـ : « مشتبك » س : « مشترك » صوابهما من المفضليات ٨ ه والشدق هى فى س : « السدق » هـ : « السدف » صوابهما فى ط والمفضليات . وأول البيت فى كل من ط ، هـ : « يستقبل » وأثبت رواية س والمفضليات .

(٤) السيد ، بالكسر : الذئب . والغضا : نبت تلجأ إليه الذئاب . وذئاب الغضا أخبث الذئاب ط : « العاوى » هـ « السارى » صوابهما فى س . ورواية الديوان : « الغادى » . أضل جراءه : فقد أولاده ، فهو يسرع فى عدوه مجتهدا ليبحث عنها . والشرف : الأرض العالية . ورواية الديوان : « عَلاَ شَرَفًا » . يلحب : =

(استطراد)

ويُلحَقُ[1] بموضع ذِكْر الضَّربِ الشديد، قولهم فى المثَل: «ضَرَبْنَاهُمْ ضَرْبَ غَرَائبِ الإبِلِ». قال أبو حيّة:

جَدِيرُونَ يَوْمَ الرَّوْعِ أَنْ يخضِبُوا القنَا

وَأَنْ يترُكُوا الـكَبْشَ المدجَّجَ ثاويا[2]

ضَرَبْنَاهُمْ ضرب الحساما غرائب

وإذا جاءك عطاشا لعسا حراراً ضواريا[3]

وإذا جاءت عِطاشاً قَدْ بلَغ منها العطشُ واليُبْسُ، قيل: جاءتْ تَصِلُّ

= يمر مرّا سريعاً. وفى الأصل: «يلهث» صوابه ما أثبت. والبيت من قصيدة بائية لطفيل، أولها:

تَأَوَّبَنِي هَمٌّ من الليلِ مُنْصِبُ وَجَاءَ مِنَ الأَخْبَارِ مالا أُكَذِّبُ

وهو قد نعت بالبيت الذى أنشده الجاحظ فرسا شبهه بالذئب. وقبل البيت:

كأنَّ على أعرافِهِ ولجامِـهِ سَنَا ضَرَمٍ مِنْ عَرْفَجٍ يتلهبُ

(١) الـكلام من هنا إلى قوله فى الصفحة الآتية: «وزعم ابن أبى العجوز» استطراد من الجاحظ لاعلاقة له بالـكلام السابق.

(٢) القنا: الرماح. يخضبونها: أى بدماء الأعداء. والـكبش: القائد، أو الرئيس المدجج: ذو السلاح. ثاويا: مقتولا. ﻫ: «الـكيس» س: «الـكبس» س، ﻫ: «المحدد» مكان: «المدجج» ﻫ: «قاويا». وصواب رواية البيت من ط.

(٣) هذا البيت ساقط من س. ﻫ: «وإذا جاءت». وهو كلام محرف مشأ، لم أجد له مصدرا يعين على تحقيقه.

أجوافها صليلا . قال الرّاعى :

فَسَقَوا صَوَادِىَ يَسْمَعُونَ عشيَّةً ... لِلْمَاءِ فى أجوافهنَّ صَليلاَ

قال : وأنشدنا أبو مَهدية ، لمزاحمٍ العُقَيلِىّ[1] :

غَدَتْ مِنْ عَليه بعدَ مَاتَمّ ظِمْؤُهَا ... تَصِلُّ،وَعَنْ قَيْضٍ بِزَيزاءَ مَجْهَلِ[2]

قال الزِّيزاء[3] : المكان الغليظ .

وقال آخر[4] :

ألم تعلمى ياأمّ حَسَّانَ أنّنِى ... إذا عَبْرَةٌ نَهْنَهْتُها فتجلَّتِ[5]

١٣٤ رجعت إلى صَدْرٍ كجَرّةِ حَنْتَمٍ ... إذاقُرِعَتْ صِفْرًامِنَ الماءِصلَّتِ[6]

---

(١) هو مزاحم بن عمرو ، شاعر بدوى إسلامى ، صاحب قصيد ورجز ، كان فى زمن جرير والفرزدق ، وكان جرير يصفه ويقرظه ويقدمه . الأغانى (١٧ : ١٥٠) .

(٢) أى أقامت مع فرخها حتى عطشت وطلبت الماء ، فطارت لذلك عند تمام ظمئها .
والظمء ، بالكسر : مابين الشربين أو الوردين . وروى فى الكامل والمخصص (١٤ : ٥٧) : « تم خمسها » . وهو بالكسر : ورودالماء فى كل خمسة أيام .
قال أبو حاتم : ولم يرد أنها تصبر عن الماء خمسة أيام ، إنما هذا للإبل لاللطير ولكنه ضرب به مثلا . ابن السيد فى الاقتضاب ٢٤٨ . وقد تكلم كثير من العلماء فى هذا البيت ، فى دخول : « من » على « على » . انظر أدب الكاتب ٣٨٣ وابن سيده (١٤ : ٥٧) والبغدادى (٤ : ٢٥٣ بولاق) واللسان (صلل) .
ط : « يعدما » تحريف . والقيض ، بالفتح : قشر البيضة الأعلى . والزيزاء ، بالكسر والفتح : ماغلظ من الأرض . هـ : « عن قبض بزيراء » محرف .
قال أبو حاتم : قلت للأصمعى : كيف قال : غدت من عليه ، والقطاة إنما تذهب إلى الماء ليلا ، لاغدوة ؟ فقال : لم يرد الغدو ، وإنما هذا مثل للتعجيل .
والعرب تقول : بكر إلى العشية ، ولا بكور هناك .

(٣) هـ : « الزيراء » محرف .

(٤) هو عمرو بن شأس ، كما فى اللسان (حنتم) والأغانى (١٠ : ٦١) . وعمرو ابن شأس شاعر مخضرم أدرك الإسلام وهو شيخ كبير . شرح التبريزى للحماسة (١ : ١٤٩ بولاق) .

(٥) أم حسان هى زوجه . والعبرة ، بالفتح : الدمعة . نهنهها : كفها . تجلت : ظهرت . وفى الأغانى : « فتخلت » والأولى أقوى وأطيب .

(٦) الحنتم : جرار خضر تضرب إلى الحمرة ، وقد يقال للخزف كله حنتم . =

(اختبار أمير المؤمنين المنصور لأحد الحُوَّاء)

وزعَمَ ابن أبى العجوز الحوّاء ، أنَّ الأفاعيَ صُمٌّ ، فلذلك لا تُجيب الرُّقَى ، ثمَّ زعم لى فى ذلك المجلس[1] أنَّ أميرَ المؤمنينَ المنصورَ ، أراد امتحان رُقَى حَيَّةٍ[2] وأنْ يتعرّف صحّتها من سُقْمها ، وأنَّهُ أَمَرَ[3] فصاغوا له أَفْعًى من رَصاص ، فجاءت ولا يَشُكُّ النَّاظر فيها ؛ وأنَّهُ أمر[4] بإلزاقها فى موضعٍ من السَّقف ؛ وأنَّهُ أحضرهُ وقال [له] : إنَّ هذه الأفعى قد صارَتْ فى هذه الدّارِ ، وقد كرِهْتُهَا لمكانهَا ؛ فإن احْتَلْتَ لى برُقْيَةٍ ، أو بما أحببْتَ[5] أحسنتُ إليك . قال : إن أَرَدْتُ أَنْ آخذها هَرَبَتْ[6] ولكنْ أرقِيها حتى تنزل ! فرقاها فلما رآها لاتتحرّكُ زادَ فى رفْع صوتِه وألقى قِناعَهُ ، فلما رآها لاتتحرّكُ نزعَ عِمامَتَهُ وزاد فى رفعِ صوتِه . فلما رآهَا لاتتحرّك نزَعَ قلنسُوتَهُ وزادَ فى رَفْعِ صوتِه . فلما رآها لاتتحرّك نزَعَ ثِيابَهُ ، وزادَ فى رَفْعِ صَوْتِهِ[7] ، حتّى أَزْبدَ[8] ، وتمرّغَ

= انظر اللسان والنهاية . صفراً من الماء : خالية منه . وجعل صدره كالجرة من الحنتم ، فى صلابتها وشدتها .

(١) بدل هذا الكلام من أول الفقرة فى . س : « زعم ابن أبى العجوز فى ذلك المجلس » .

(٢) س ، هـ : « جده » ط : « جد » صوابهما ما أثبت وانظر ٤٢٠ س ٢ .

(٣) ط ، هـ : « فأمرهم » .

(٤) ط ، هـ : « ثم أمر » .

(٥) ط ، هـ : « أحسست » صوابه فى س .

(٦) س : « فعلت » .

(٧) الكلام من مبدإ : « وألقى قناعه » إلى هنا ساقط من س .

(٨) ط ، س : « أربد » . هـ : « أزيد » صوابهما ما أثبت . وأزبد بمعنى ظهر منه الزبد على جانبى الشفتين .

فى الأرض ، فلما فعل ذلك سال ذلك الرّصاصُ وذابَ ، حتى صار بينَ أيديهم ، فأقرّ عند ذلكَ المنصورُ بجودةِ رُقيته .

فقلت له : ويلك ! زعمتَ قُبيْلُ أنَّ الأفَاعِيَ لاتُجيب الرُّقَى ؛ لأنها لاتسمع ، وهى حيوان ، ثمّ زعمْتَ أنَّها أجابت ، وهى جماد !!

(شعر وخبر فى نفار النعامة)

وقال الشَّاعِرُ :

وربداء يَـكفيها الشَّميمُ ومالهـا سِوى الرُّبْدِمن أنْسٍ بتلك المجاهِلِ

يخبر أنَّ النّعامة لاتستأنسُ بشىء من الوحْش، وأنَّ الشَّمّ يغنيها فى فهم ما تحتاج إليه .

وهى مع ذلك إذا صارتْ إلى دور النّاس ، فليس معها من الوحْشة منهم ، على قدر ما يذكرون .

وفى الوحش ما يأنس ، وفيها[1] مالايأنس . وقال كثيِّر :

فأقسَمْتُ لاَ أنساكِ ماعِشْتُ ليْـلَةً وَإنْ شَحَطَتْ دارٌ وَشَطّ مزَارُها[2]

وماااستَنّرَقراقُ السّرَابِوماجَرَتْ بِبِيض الرُّبا أنِسيُّها وَنَوَارُها[3]

---

(١) س : «ومنها» .

(٢) شحطت : بعدت . وشط مزارها : بعد .

(٣) استن السراب : اضطرب . والسراب ، كسحاب : مايرى على وجه الأرض كأنه ماء وليس به ، وهو يبدو فى الفلوات فيخدع السفر يظنونه ماء . وفى الكتاب « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً » وقد علله العلماء بما يكون من الانعكاسات الضوئية ، فتظهر صورة السماء فى صفحة الأرض ، أو تبدو صور النخيل البعيدة ، فى وضع مقلوب يخدع الناظر ، فيحسبها ظلالا مرتسمة فى ماء . والانسى من الحيوان، يقال بفتح الهمزة والنون، نسبة إلى الأنس=

ووصف بلادًا قفارًا[1] غيرَ مأنوسة فقال :

ماتَرَى العَيْنُ حولَهَا مِنْ أنِيسٍ ... قُرْبَهَا غـــيرَ رابداتِ الرِّئَالِ[2]

خصّها بالذِّكْر ؛ لأنها أنفَرُ وأشرَد ، وأقَلُّ أنساً من جميع الوحش .

وقال الأحيمر[3] : كنتُ آتي الظَّبْيَ حتَّى آخُذَ بذراعيه ؛ وما كان شيءٌ من بهائم الوحْش ينكرُنى إلاّ النّعام[4] .

وَأَنْشَدَ قَوْلَ ذى الرُّمَّةِ :

وكلّ أَحَمِّ المقْلتين كأنّهُ ... أخوالإنْسِ من طُولِ الخَلاءِالمغفّلِ[5]

= والأنسة بالتحريك فى كل منهما بمعنى الائتناس . ويقال بكسرها نسبة إلى الإنس ، بالكسر وهم بنو آدم . ويقال بضمها نسبة إلى الأنس ، بالضم ، وهو ضد الوحشة . وأول هذه اللغات أضعفها . وقد أعاد الضمير فى «أنسيها» إلى الحيوان ، ولم يذكره ، ولكنه مفهوم ضمنا . والنوار ، بالفتح : النافر الذى لايستأنس من الحيوان . والرواية فى ديوان كثير ٩١ : «وحشيها ونوارها» .

(١) س : «أقفارا» .

(٢) الرابدات : المقيمات . ربد ربودا : أقام . والرئال جمع رأل ، بالفتح : وهو ولد النعام . وفسرت «الرابدات» فى شرح ديوان كثير ١٤٨ بأنها «صفة بمعنى الربد جمع ربداء وهى التى فى سوادها نقط بيض أو حمر» . ولعل مافسرت به أقرب إلى الاشتقاق . فليس فى المعاجم التى بأيدينا «رابد» بمعنى «أربد» .

(٣) سبقت ترجمته في (١ : ١٣٣) .

(٤) كذا أورد الجاحظ الخبر مقتضبا ، وهو بتمامه ، كما فى عيون الأخبار (٢ : ٨٨) «كنت حين خلعنى قومى ، وأطلّ السلطان دمى ، وهربت وترددت فى البوادى ظننت أنى قد جزت نخل وبار ، أو قريب منها . وذلك أنى كنت أرى النوى فى رجع الذئاب . وكنت أغشى الظباء وغيرها من بهائم الوحش فلا تنفر منى ؛ لأنها لم تر أحداً قبلى . وكنت أمشى إلى الظبى السمين فآخذه ، وعلى ذلك رأيت جميع تلك الوحوش ؛ إلا النعام ؛ فإنى لم أره قط إلا نافراً فزعا .» .

(٥) أحم : أسود . والمقلة ، بالضم : حدقة العين ، وأراد به الظبى . والخلاء المغفل : الذى لا علامة فيه ولا أثر . وضبط «كل» بالنصب ؛ لأن قبل البيت كما فى الديوان ٥٠٥ : =

(نفار الوحش وهربها من الصحارى)

١٣٥ يدلّ على ذلك في قَدْرِ ما شاهدنا أنّهم يخرجون إلى الصّحارى الأغفال(١) ، التي لم يُذْعَر صيدُها ، ولا يطَؤُها النّاس ، فيأتون الوحْشَ فوضَى هَمَلاً ، ومعهم كلابُهم وفهودُهم تتلوى(٢) بأيديهم ، فيتقدّمون إلى المواضع التي لو كانوا ابتدءوا الصّيْدَ مِنْ جهتها لأخَذُوا ما أخذوا . فإذا نفرَتْ وحوش هذه الأرْضِ ، ومرّت بالأرْضِ المجاوِرَةِ لها ، نفرت سُكّانُ تلك الأرضِ مع هذه النّوافر ، ولا تعودُ تلك الصّحارَى إلى مثل ما كانت عليه ، مِنْ كثْرَة الوَحْشِ حيناً .

ومتى لم تنفِّرها الأعرابُ بالكلابِ والقِسِيِّ ، ونَصْب الحبائل ، رتَعتْ بقُربهم ، ثمّ دنتْ منهمْ أوّلاً فأوّلاً ، حتى تطأ أكنافَ بيوتهم . وهي اليوم في حَيْرِ(٣) المعتصم بالله(٤) والواثق بالله(٥) على هذه الصِّفَة .

= دعت مية الأعداد فاستبدلت بها ... خناطيل آجال من العين خذل

وبعده سبعة أبيات ، ثم :

وكل موشاة القوائم نعجة ... لها ذرع قد أحرزته ومطفل

تريع له ريع الهجان وأقبلت ... لها فرق الآجال من كل مقبل

ثم البيت : « وكل أحم المقلتين » .

(١) الأغفال : التي لاعلامة فيها ولا أثر .

(٢) س : « ملوى » !

(٣) الحير ، بالفتح : البستان ، أو الموضع المطمئن الوسط المرتفع الحروف . ومثله الحائر . جاء في اللسان : « وبالبصرة حائر الحجاج ، معروف ، يابس لاماء فيه ، وأكثر الناس يسميه الحير ، كما يقولون لعايشة :عَيْشَةُ . يستحسنون التخفيف وطرح الألف » . في ط ، س : « حيز » هـ : « حد » صوابهما ما أثبت

(٤) المعتصم بالله ، هو محمد بن هارون الرشيد ، بويع بالخلافة سنة ٢١٨ بعد وفاة المأمون ، وهو فاتح عمورية ، وأول من أضاف من الخلفاء اسمه إلى اسم الله تعالى توفي بسامرا سنة ٢٢٧ .

(٥) الواثق بالله ، هو هارون بن محمد بن هارون الرشيد ، فهو ابن المعتصم . ولي بعد أبيه سنة ٢٢٧ وتوفي بسامرا سنة ٢٣٢ .

(هِجرة الظِّباء إلى الناس)

وخبّرنى إبراهيم بْنُ السِّندىّ(١) قال خبرنى عبدُ الملك بنْ صالح ، وإسحٰق بن عيسى ، وصالحٌ صاحبُ الموصِل ، أنّ خالدَ بنَ بَرْمَكَ ، بينا هو على سطحٍ من سُطوح القُرى مع قَحْطَبَةَ(٢) ، وهم يتغدَّون(٣) ، وذلك فى بَعض منازلهم(٤) ، حين فصلوا من خُراسَانَ إلى الجبل . قال : وبين قَحْطَبَةَ وبينَ الأعداء مَسِيرَةُ أيّامٍ وليالٍ . قال : فبينا خالدٌ يتغدّى معه وذلك حين نزلوا وبهم كَلاَلُ السَّير ، وحينَ عَلّقُوا على دَوابّهم(٥) ، ونصبوا قُدُورَهُمْ ، وَقَرّبُوا سُفَرَهُم(٦) .

---

(١) هو إبراهيم بن السندى بن شاهك ، يروى عنه الجاحظ كثيراً . وأبوه السندى ابن شاهك ، كان على الجسرين ببغداد للرشيد . انظر الجهشيارى ٢٣٦ — ٢٣٧ . وقد نعت الجاحظ ابراهيم بأنه « مولى أمير المؤمنين » الرسائل ٤٧ ساسى .

(٢) هو قحطبة بن شبيب الطائى ، صحب أبا مسلم الخراسانى وكان شريكه فى إقامة الدعوة العباسية بخراسان ، وقاد جيوش أبى مسلم فكان مظفراً ، غرق فى الفرات سنة ١٣٢ حين ابتدأت الخلافة العباسية . ﻫ : « قرطبة » محرفة وقحطبة ، بفتح القاف والطاء .

(٣) أى يتناولون الغداء ، بالفتح ، وهو طعام الغدوة ، بالضم ، وهى البكرة ، أو مابين الفجر وطلوع الشمس . س : « يتغذون » بالذال المعجمة .

(٤) بعد هذا فى س : « وذلك حين نزلوا وبهم كلال السير » وهو كلام مقحم سيأتى فى موضعه قريباً .

(٥) فى اللسان : « والعليق : القضيم يعلق على الدابة . وعلقها : علق عليها » . والقضيم : الشعير . ولا تزال هذه العبارة حية عندنا فى مصر ، يستعملها سواس البهائم . ﻫ : « علفوا على دوابهم » محرفة .

(٦) السفر : جمع سفرة ، بالضم ، وهى طعام المسافر ، وتقال لتلك التى تبسط ويؤكل عليها ، والتى يوضع فيها طعام المسافر .

قال فَنَظَرَ خالدٌ إلى الصَّحراء ، فرأى أَقَاطِيعَ الظِّباء قد أقبلَتْ من جهة الصَّحارَى ، حتى كادت تخالطُ العَسْكَر ، فقال لِقَحْطَبَةَ : أيُّها الأمير ! نَادِ في النَّاس : « ياخَيلَ الله ازْكَبِي[1] » ؛ فإنّ العدوّ قد حَثَّ إليكَ السَّير ، وغاية أصحابك أنْ يسرجوا ويُلجموا قبل أن يروا سَرَعَان الخيل[2] . فقام قحطبة مذعورًا ، فلما لم ير شيئًا يَرُوعه ، وَلَمْ يَرَ غُبارا قال لخالد : ماهذا الرّأيُ ! قال : أيُّها الأمير ! لاتتشاغل بي و بكلامي،وَنَادِ في النَّاس[3] . أما تَرَى أقاطيعَ الوحْش قد أقبلت ، فارقت[4] مواضعَها حَتَّى خالطت الناس ؟! إنّ وَرَاءهَا جَمْعًا عظيما[5] !. قال : فوالله ما ألجموا وَأَسْرَجُوا[6] حَتَّى رَأَوْا ساطِعَ الغُبَارَ ، ولا تلبَّسوا[7] وتسلَّحوا حَتَّى رأوا الطليعة[8] . فما التأموا حَتى استوى أصحابُ قحطَبة على ظُهورِ خيولهم . ولولا نَظْرَةُ خالد بنِ برمَكَ وفِراستُهُ ، لقد كان ذلك الجيش اصطُلِم[9] .

---

(١) روى الجاحظ هذا الحديث في أول ما اختاره « من كلام الرسول ، مما لم يسبقه إليه عربي ، ولم يشاركه فيه عجمي ، ولم يدع لأحد ، ولا ادعاه أحد ، مما صار مستعملا ومثلا سائراً » . البيان (٢ : ٢٧) .

(٢) سرعان الخيل ، بالتحريك ، ويسكن : أوائلها .

(٣) كذا في هـ . وفي س : « ناد في الناس » بإسقاط الواو . ط : « ونادى في الناس » محرفة .

(٤) كذا بدون ذكر الواوقبله ، على الاستئناف .

(٥) س : « قطيعاً » .

(٦) أي وضعوا اللجم والسروج على الخيل .

(٧) تلبسوا : لبسوا ثياب الحرب .

(٨) طليعة الجيش : أولهم . س : « الطلبة » .

(٩) اصطلم الجيش ، بالبناء للمفعول : أبيد ، واستؤصل .

(قصة فى قوة الشمّ)

وكان إبراهيم [بنُ[١]] السِّنديّ يحدِّثُنا مِنْ صدقِ حِسِّ أبيه فى الشَّمّ ، بشىء مايحكى مثلُهُ إلاَّ عن السِّباع والذَّرّ والنَّمام . وزعم أنَّ أباه قال ذات يوم : أجدُ ريحَ بولِ فأرة ! ثمَّ تَشَمَّمَ وأَجَالَ أَنْفَهُ فى المجلس ، فقال : هو فى تلك الزّاوية ! فنظروا فإذا على طرف البِساط من البلَلِ بقدْر الدِّرْهم ، أو أوْسَعَ شيئاً ، فقضَوْا أنَّهُ بولُ فأرة .

١٣٦

قال : وَشَهِدْتُهُ مرَّةً وَأَشْرَاطُهُ[٢] قيامٌ على رأسه فى السِّماطين[٣] ، فقال : أجدُ رِيحَ جَوْرَبٍ عَفِنٍ مُنْتن ! فتشمَّمْنا بأجمعنا ، فلم نَجِدْ شَيْئاً ، ثمَّ تشمَّمَ وقال : انزَعُوا خُفَّ ذاك . فنزعوا خُفَّه ، فكلَّما مدَّ النازعُ له شيئاً بدا من لِفافَته . فما زَال النَّتْنُ يَكْثُفُ ويزدادُ ، حتَّى خَلَعَ خُفَّهُ ونزَعَهُ مِنْ رِجْله ، فَظَهَرَ من نَتْنِ لِفَافَتِهِ ماعُرِفَ به صِدْقُ حِسِّه . ثمَّ قال : انزَعُوا الآنَ أخْفَافَكُمْ بأجمعكم ، فلابُدَّ من ألاَّ يكونَ فى جميع اللَّفائفِ مُنْتِنٌ غيرَ لِفافته ، أو تكونَ لِفافتُه أنتَنها ؛ فَنزَعُوا ، فلم يَجِدُوا فى جميعها لِفافةً منتنةً غيرها .

وَأَنْشَدُوا :

غزا ابْنُ عُميرٍ غَزوةً تركت لنا ثَناءً كَنَتْنِ الجوربِ المتخرِّقِ[٤]

---

(١) ليست بالأصل . وانظر ما سبق فى التنبيه الأول من ص ٤٢٣ .

(٢) الأشراط : الحرس ، مثله ما جاء فى قول حسان (اللسان : شرط) :

فى ندامى بيض الوجوه كرام نبهوا بعد هجعة الأشراط

(٣) السماطين : مثنى سماط ، بالكسر ، وهو الصف من الناس .

(٤) ابن عمير هذا ، اسمه عبد الله بن عمير ، كما سبق فى (١ : ٢٤٠) . وفيه وفى ثمار القلوب ٤٨٦ : « تركت له » . ورواية الوساطة ٢٩٩ : « لها » =

(أقوى درجات التشمّم)

وليس الذى يُحكَى من صِدق الحسِّ فى الشَّم ـ عن بعض النَّاس ، وعن النَّعام والسِّباع ، والفأر والذَّرّ ، وضروبٍ من الحشَرات ـ من شكل مانطق[1] به القرآنُ العظيمُ ، من شأن يعقوبَ ويوسفَ عليهما الصلاة والسَّلام حين يقول تعالى : ﴿قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ، قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾. وكان هذا من يعقوبَ بعد أنْ قال يوسفُ ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِى هٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾. ولذلك قال : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ ثمَّ قال : ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ .

وإنّما هذا علامةٌ ظهرَتْ له خاصة ؛ إذ كان النَّاسُ لايشتمُّون أرواحَ أولادِهم[2] إذا تباعدُوا عن أنوفهم ، وما فى طاقة الحصان الذى يجدُ ريحَ الحِجْر ممَّا يجوزُ الغَلوتين والثَّلاث[3] . فكيف يجدُ الإنسانُ وهو بالشَّام ريحَ ابنه فى قميصه ، ساعَةَ فَصَلَ من أرض مصر ؟! ولذلك قال : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَالَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

= والثناء ، بتقديم المثلثة : ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم ، وخص به بعضهم المدح ، ورواية الوساطة وثمار القلوب « الجورب المتمزق » .

(١) كذا فى س : وفى ط ، هـ : « مما نطق » .

(٢) الأرواح ، هنا : جمع ريح ، بالكسر ، وهى بمعنى الرائحة .

(٣) أى ولا يشتمون ما فى طاقة الحصان . . . الخ . والحجر ، بالكسر : أنثى الخيل . يجوز : يزيد . والغلوة ، بالفتح : قدر رمية بسهم ، وانظر ماسبق من الكلام على تشمم الحصان فى ٤٠٢ وكذا (٢ : ١٤١) .

(بعض المجاعات)

وقد غَبَرَ موسى وهو يَسِيرُ[1] أَرْبَعِينَ عَامًا ، لايذوق ذَوَاقًا[2] . وجاع اهل المدينة فى تلك الحُطْمَةِ[3] ، حتى كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشدُّون الحَجَرَ على بُطُونِهِمْ ، من الجُوعِ والجَهْدِ . وكان النبيُّ صلّى اللهُ عليه وسلّم ، وعلى آله الطيِّبين الطّاهرين ـ يقول : « إِنِّى لَسْتُ كأَحَدِكُمْ ، إِنِّى أَبيتُ عِنْدَ رَبِّى ، يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِى » .

(حِجَاجٌ فى ذبح الحيوان وقتله)

ورجَالٌ مِمَّنْ ينتحل الإسلام ، يُظهِرُونَ التقذُّرَ من الصَّيدِ ، وَيَرَوْنَ أَنَّ ذلكَ من القَسوة ، وَأَنَّ أصحابَ الصَّيدِ لَتُؤَدِّيهم الضَّراوةُ التى اعترتهم

---

(١) غبر : مكث . س ، هـ : « وهو يسرى » . والوجه ما أثبت من ط . والسرى لاتكون إلا بالليل .

(٢) الذواق ، بالفتح : المأكول والمشروب . وفى الحديث : « لم يكن يذم ذواقا » فعال بمعنى مفعول من الذوق ، يقع على المصدر والاسم . وما ذقت ذواقاً : أى شيئاً .

(٣) الحطمة ، بالفتح والضم : الجدب والسنة الشديدة ، كأنها تحطم كل شىء . وكان النبى صلى الله عليه وسلم ، قد دعا على مضر فقال : « اللهم اشدد وطأتك على مضر وابعث عليهم سنين كسنى يوسف » . فتتابع عليهم الجدوبة والقحط سبع سنين ، حتى أكلوا القد والعظام والعلهز . فنال ذلك الجدب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وبدعائه عوقبوا ، حتى شد وشد المسلمون على بطونهم الحجارة من الجوع . تأويل مختلف الحديث ٣١٨ ، ٢٦٩ والتجريد الصريح للزبيدى (١ : ٧١) وثمار القلوب ٣٧ . وفى صحيح البخارى : « فأخذتهم سنة حصت كل شىء » عمدة القارى (٧ : ٢٧ ـ ٢٨) . وقد كان هذا الأمر فى مكة قبل الهجرة ، لا فى المدينة كما ذكر الجاحظ . عمدة القارى (٧ : ٤٦ س ١٣) .

مِنْ طرُوقِ الطَّيرِ فى الأوكار ، وَنَصْبِ الحبائل للظِّباء ، التى تنقطع عن الخشْفَانِ[1] حتى تموتَ هُزْلا وجُوعا ، و إشلاء السِّباعِ على بهائم الوحش وَسَتُسْلِمُ[2] أهلَها إلى القَسْوة ، و إلى التهاوُن بدماء النَّاس . ١٣٧

والرَّحمةُ شكلٌ واحد . وَمَنْ لم يَرْحَمِ الْكَلْبَ لم يَرْحَمِ الظَّبىَ، وَمَنْ لَمْ يرْحَم الظَّبىَ لَمْ يَرْحَمِ الجَدْىَ ، وَمَنْ لَمْ يَرْحَمِ الْعُصْفورَ لَمْ يَرْحَمِ الصَّبىَّ . وصِغارُ الأمور تؤدِّى إلى كبارها .

وليسَ ينبغى لأحدٍ أن يتهاونَ بشىء مِمَّا يؤدى إلى القَسْوة يَوْمًا مَا . وأ كثَرُ ما سمعت هذا البابَ ، مِنْ نَاسٍ من الصُّوفِيَّة ، ومن النَّصارَى ؛ لمضَاهاة النَّصارى سبيلَ الزَّنَادِقَةِ ، فى رفضِ الذبائح ، وَالْبُغْضِ لإراقة الدِّماءِ ، وَالزُّهدِ فى أ كل اللُّحْمَانِ .

وقد كان يرحمُك الله ــ على الزِّنديق ألاَّ يأتى ذلك فى سِبَاع الطَّيرِ ، وذواتِ الأربع من السِّباع . فأما قتْلُ الحيَّةِ والعقرب ، فما كان ينبغى لهم الْبَتَّةَ أَنْ يقفُوا فى قتلهما طَرْفَةَ عَينٍ ؛ لأنَّ هذه الأمورَ لا تخلو مِنْ أن تكونَ شَرًّا صِرْفًا ، أو يكون ما فيها من الخير مغْمورًا بما فيها من الشَّر . والشَّرُّ شيطانٌ ، والظُّلْمة عدُوُّ النُّورِ . فاستِحْياء الظلمة وأنتَ قادرٌ على إماتتها ، لا يكونُ من عمل النُّور . بل قد ينبغى أن تكونَ رحمةُ النُّورِ لجميعِ الخلائق والنَّاس ، إلى استنقاذهما من شُرور الظُّلمة .

---

(١) الخشفان : جمع غريب للخشف ، بتثليث الخاء ، وهو ولد الظبية عند ما يتحرك للمشى . ولم أر هذا الجمع فى معجم ، وجمعه فى اللسان والقاموس على « خشفة » بكسر ففتح .

(٢) أى : وستسلم الضراوة . فى الأصل : «ستسلم» بدون واو . والمراد بالسباع هنا الحيوان المفترس من الوحش والطير ، كالكلاب والفهود والبزاة .

وكما ينبغى أن يكون حَسَناً فى العقْل استحياء النُّور والعمَلُ فى تخليصه والدَّفعُ عنه ـ فكذلك ينبغى أنْ يكونَ قتْلُ الظُّلْمة وإماتتها ، وَالعوْنُ على إهلاكها ، وتوهينِ أمرها ـ حسناً .

والبهيمة التى يَرَوْنَ أن يدفعُوا عنها أيضًا ممزُوجة[١] ، إلاَّ أنَّ[٢] شرّهاَ أقلُّ . فهم إذا استَبْقَوْها فقد استبقَوا الشُّرورَ المخالطةَ لها .

فإنْ زَعموا أنَّ ذلك إنَّما جاز لهم ؛ لأنَّ الأغْلَبَ على طِباعها النُّور فليغتفروا فى هذا الموضعِ إدخالَ الأذى على قليل مافيها من أجزاءِ الشَّر[٣] كما اغتفروا مافى إدخال الروح والسُّرور[٤] على مافى البهيمة من أجزاء الظُّلْمة لدفعهم عن البهيمة ؛ إذْ كان أكثرُ أجزائها من النُّور .

وإنَّما ذكرتُ ماذكرت ؛ لأنَّهم قالوا : الدَّليلُ على أنَّ الذى أنتم فيه ، مِنْ أكل الحيوان كلَّ يومٍ من[٥] الذبائح، مكروهٌ عِنْدَ الله ، أنَّكُمْ لَمْ تَرَوْا قطُّ ذَبَاحى[٦] الحيوان ولا قتَّالى[٧] الإنسان ، ولا الذين لايقْتاتون إلاَّ اللَّحْمَان يفلحون[٨] أبدا . ويستغنون[٩] ؛ كنحو صيَّادِى السَّمك وصيَّادى الوحْش[١٠] وأصناف الجزَّارين والقصَّابين ، والشَّوَّائين والطهَّائين

---

(١) أى ممزوج فيها الخير بالشر .

(٢) س : « لأن » صوابه فى ط ، هـ .

(٣) فى الأصل: « الخير » . والصواب عكسه ، كما يقتضى الكلام .

(٤) الروح ، بالفتح : الرحمة ، و « السرور » هى فى أصلها « الشرور » مصحفة .

(٥) ط ، هـ : « ومن » . والوجه حذف الواو كما فى س .

(٦) هـ : « ذبايح » محرفة ط : « ذابح » وأثبت مافى س لملاءمته نسج الكلام .

(٧) ط فقط : « قتال » .

(٨) س ، هـ : « لايفلحون » . والوجه إسقاط « لا » كما فى ط .

(٩) فى الأصل : « ولا يستغنون » .

(١٠) جاءت كلمة « صيادى » فى الموضعين : « صياد » بحذف الياء الآخرة . والوجه إثباتها .

والفهّادين[1] والبيازرة[2] والصقّارين والكلابين؛ لا ترى أحدًا منهم صار إلى غنًى ويُسْر، ولا تراه أبداً إلا فقيراً مُحارَفاً[3]، وعلى حالٍ مشبهة بحاله الأولى.

وكذلك الجلّادون، ومن يضرب الأعناق بين يدى الملوك. وكذلك

١٣٨ أصحاب الاستخراج[4] والعذاب، وإن أصابوا الإصابات، وجميع أهل هذه الأصناف.

نعم وحتّى ترى بعضهم وإن خرج نادرًا خارجيًّا، ونال منهم ثروة وجاهاً وسلطاناً، فإمّا أن يُقتَل، وإمّا يُغْتَصَب[5] نفسُهُ بميتةٍ عاجلة، عندَ سروره بالثروة؛ أو يبعث الله عليه المحق[6] فلا ينمو له شىء، وإما ألاّ يجعل من نسلهم عقبًا مذكورًا، ولا ذكرًا نبيهاً وذرّيّة طيبةً، مثل الحجّاج بن يوسف، وأبى مسلم[7]، ويزيد بن أبى

---

(١) الفهاد : الذى يصطاد بالفهد، ذاك الحيوان .

(٢) البيازرة، بتقديم الزاى : جمع بيزار . وبيزار : معرب بازيار، الفارسية، وهو القائم بأمر البازى . انظر الصحاح واللسان . ط : « البيازة » ه : « البيارزة » س : « البيازرة » محرفات عما أثبت . وقد جاءت على الصواب فى ١٣٩ ساسى .

(٣) المحارف، بفتح الراء : المحدود المحروم .

(٤) الاستخراج، كذا جاء . ولم أجد له تفسيرا معينا .

(٥) ط، ه : « يغصب » وأثبت ما فى س .

(٦) المحق، بالفتح : النقصان، وذهاب البركة . س : « المحو » .

(٧) يعنى أبا مسلم الخراسانى . وهو عبد الرحمن بن مسلم، القائد المشهور، الذى قام بتأسيس الدولة العباسية، توفى سنة ١٣٧ وله من العمر سبع وثلاثون سنة، قتله أبو جعفر المنصور .

مسلم[١] ومثل أبى الوعد[٢] ، ومثل رجالٍ ذكروهم لانحبُّ أن نسميهم .

قال : فإنَّ هؤلاءِ ، مع كثرة الطَّرُوقةِ[٣] وظهورِ القدْرة ، ومع كثرة الإنسال ، قد قبَّحَ الله أمرَهم ، وأخْمَلَ أولادَهم . فهم بين مَنْ لم يُعقِبْ ، أو بَيْنَ مَنْ هُوَ فى معنى مَن لم يُعقب .

فقلت للنَّصارَى بديًّا : كيف كان النّاسُ أيّامَ الحُكمِ بما فى التَّوْراة أيّامَ[٤] موسى وَدَاودَ ، وهما صاحبا حُروبٍ وَقَتْلٍ ، وَسِبَاءٍ وذبائحَ ؟! نعم حتى كان القُربان كُلّه أو عامَّتُهُ حيواناً مذبوحًا ، لذلك سُمِّيتم بيت المَذْبَحِ .

وَلَسْنَا نسألكم عن سِيرَةَ النَّصارَى اليومَ ، ولكنَّا نسألُكُمْ عَنْ دينِ مُوسى وَحُكْمِ التَّوْراةِ ، وَحُكْمِ صاحب الزَّبور . وما زالوا عندكم إلى أن أنكروا رُبُوبِيّةَ المسيح ، على أكثَرَ من حالنا اليومَ فى الذبائحِ .

وأنتم فى كثيرٍ من حالاتكم تُغْلُونَ علينا السَّمَكَ ، حتَّى نتوخَّى أيّامًا بأعيانها ، فلا نشترِى السَّمَكَ إلا فيها ؛ طلباً للإمكانِ والاسْتِرْخَاصِ ، وهى يومُ الخَميسِ ، ويومُ السَّبْتِ ، ويومُ الثُّلاثاء ؛ لأنَّ شراءَكم فى ذلك

---

(١) يزيد بن أبى مسلم ، هو يزيد بن دينار الثقفى ، كان مولى الحجاج بن يوسف وكاتبه : ولما حضرت الحجاج الوفاة استخلفه على الخراج بالعراق ، فلما مات أقره الوليد بن عبد الملك . وقال الوليد فى شأنه : « مثلى ومثل الحجاج وابن أبى مسلم ، كرجل ضاع منه درهم فوجد ديناراً ! » . قتل يزيد سنة ١٠٢ . وفيات الأعيان (٢ : ٢٧٦ — ٢٧٧) .وفى س ، ط : « يزيد بن مسلم » . هـ : « زيد بن مسلم » صوابهما ماأثبت . وسيأتى على الصواب فى ١٤٠ ساسى .

(٢) كذا جاء . ولم أجد له تعريفا .

(٣) الطروقة ، بالفتح : المرأة ، والزوجة .

(٤) س : « وأيام » .

اليوم ِ يَقِلُّ . على أنَّكم تُكْثِرُونَ مِنَ الذَّبائِحِ فى أيَّامِ الفِصْحِ[1] .
وهلْ تَدَّعُونَ أكْلَ الحيوانِ إلاّ أيّاماً معدُودةً ، وساعاتٍ مَعْلومةً ؟! .

فإذا كانت الحِرْفةُ والِمحَنُ إنَّما لَزِماَ القصَّابين والجزَّارِين والشَّوّائين ، وأَصنافَ الصَّيَّادين ، من جهة العقوبة — فأنتمْ شركاء صيَّادِى السَّمَكِ خَاصَّةً ؛ لأنَّكم آكِلُ الخلْقِ له ، وأنتم أيضاً شُرَكَاء القصَّابين فى عامَّةِ الدَّهْرِ . فلا أنتم تَدِينُونَ للإسلام فتعرفوا ما عليكم ولكم ، وفصْل[2] مابين الرّحمةِ والقَسوة ، وما الرَّحمةُ ، وفى أىِّ موضعٍ يكونُ ذلك القتلُ رحمةً ؟ فقد أجمعوا على أنّ قَتْلَ الْبعْضِ إحياء للجميع ، وَأنّ إصلاحَ النَّاس . فى إقامةِ جزاءِ الحسنةِ والسيئة . ﴿ وَلَكُمْ فى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ[3] ﴾

وَالْقَوَدُ حَيَاةٌ . وهذا شىء تَعْمَلُ به الأممُ كلها ، غيْرَ الزَّنَادِقةِ .
وَالزَّنَادِقَةُ لمْ تَكُنْ قطُّ أمَّةً ، ولا كان لها مُلْكٌ وَمَمْلَكَةٌ ، وَلَمْ تزَلْ بَيْنَ مَقْتُولٍ وهاربٍ ومنافق . فلا أنتم زَنَادِقَةٌ . ولا ينكر لمن كان ذلك مَذْهَبَهُ أن يقول هذا القوْلَ .

فأنتم لادهْرِيَّةٌ[4] ، ولا زَنَادِقَةَ ، ولا مُسلمون ؛ ولا أنتم رَاضُونَ بِحُكْمِ اللهِ أيَّامَ التَّوراة .

١٣٩ فإن كانَ هذا الحكْمُ قد أمرَ الله به — وهو عَدْلٌ — فليس بين الزَّمَانَيْنِ فرق .

---

(١) الفصح ، بالكسر : عيد للنصارى . انظر القاموس وبلوغ الأرب . (١ : ٣٥٧) والتنبيه والإشراف ١٠٨ ، ١٢٣ .
(٢) فصل : أى فرق . فى الأصل : « فضل » وهو تصحيف يتكرر .
(٣) ع : « ولكم فى القصاص » . وهو سهو من الكاتب
(٤) سبق شرح هذه الكلمة فى ص ٧٩ — ٨٠ .

وَبَعْدُ فإنَّا نَجدُكم تأكُلونَ السَّمك أكْلاً ذَريعا ، وتتقذرون من أُحمان! أفلأنَّ السّمكَ لايألَمُ القَتْلَ، أم لأنّ السَّمكَ لمَّا قتلتمُوه بلاسكِّين لم يُحِسَّ[1] قتلَهُ ؟! فالجميع حيوانٌ ، وكلٌّ مقتول يألَمُ ، وكلٌّ يُحِسّ . فكيف صار أكْلُ اللَّحْمِ قَسْوَةً ، وَأَكْلُ السَّمَكِ لَيْسَ بقَسْوَة ؟! . وكيف صار ذَبْحُ البهائمِ قسوة ولا تَكون تفرِقَةُ ما بين السَّمَكِ والماء حَتَّى تَموت[2] قسوة ! وكيف صار ذَبحُ الشّاةِ قَسوَةً وصيدُ السمكِ بالسَّنانير المذَرّبة المعقّفة[3] ليس لهـا شعائر تخالف العقاف المنصوص[4] فى جهاتها . وكيف وهى و إنْ لم تنشَبْ فى أجوافها ، وتَقْبِضْ على مجامع أرواحِها ، لم تقدِرْ على أخْذِها ؟!.

وكيف صار وَجْءُ اللَّبَّة[5] من الجَزور أقسى من ضَرْب النبائل[6] ؟! أم كيف صار طَعْن العَير[7] بالرُّمح ، ونصْبُ الحبائل للظّباء ، و إرسالُ الكِلابِ عليها أشدَّ مِنْ وقع النَّبائل[8] فى ظَهْرِ السَّمَك ؟!

---

(١) ط : « يحسن » صوابه فى س ، هـ .

(٢) المراد بالتفرقة الصيد . تموت : أى تموت السمك . س فقط : « يموت » بالياء . وكل جائز .

(٣) المذرّبة : المحددة . والمعقفة : الملوية .

(٤) كذا جاءت العبارة محرفة فى الأصل . بيد أنه فى ط : « العقاب » مكان « العقاف » .

(٥) وجء اللبة : طعنها بالسكين . واللبة ، بالفتح : المنحر ، أى موضع النحر . س ، هـ : « وجء » ولم أجد هذه إلا بمعنى لا يلائم هذا الموضع . ط : « وجأ » محرفة . ط « البلة » صوابها فى س ، هـ .

(٦) كذا فى ط ، هـ . وفى س : « النبايل » بهذا الإهمال .

(٧) العير ، بالفتح : الحمار الوحشى .

(٨) كذا . ولعلها : « النبال » : جمع نبل ، بمعنى السهام .

ولأنَّكُمْ تكْثِرونَ قَولَكُمْ : لانأكل شيئاً فيه دمٌ أيّامَ صومِنا ، فللسَّمك دمٌ ، ولابدَّ لجميع الحيوان من دمٍ أو شيء يُشبِه كلُّ الدَّم ، فما وجْهُ اعتلالِكم بالدَّم ؟! أَلِأنَّ[١] كلَّ شيء فيه دمٌ فهو أشدُّ ألماً ؟ فكيف نعلم ذلك ؟ وما[٢] الدَّليلُ عليه ؟

فإن زعمتم أنَّ ذلك داخلٌ فى باب التعبُّدِ والمصْلَحة ، لافى باب القِياسِ والرَّحْمَةِ والقَسْوة ، فهذا باب آخر . إلاَّ أنْ تَدَّعُوا أنَّ ذَواتِ الدِّماء[٣] أقوى للأبدان ، وآشَرُ[٤] للنفوس ، فأردتم بذلك قلَّةَ الأشَرِ وضَعْفَ البدن . فإنْ كان ذلك كذلك فقد ينبغى أنْ يكونَ هذا المعنى مُستبيناً فى آكِلِى السَّمَكِ من البحريين[٥] .

وأمّا ماذكَرْتُم مِنْ مُلازمَةِ الحِرْفَة لِهؤلاء الأصْناف ، فإنَّ كلَّ مَنْ نزلَتْ صِناعَتُه ، ودَقَّ خَطَرُ تِجارته ، كذلك سَبيلُه .

وأحلُّ الكَسْبِ كُلِّه وأطيَبُهُ عِنْدَ جَميعِ النّاس سَقْيُ المـاء ، إمّا على الظَّهر ، و إمَّا على دَابَّة . ولم أرَ سَقَّاء قَطُّ بَلَغَ حالَ اليسارِ والثَّروة وكذلك ضَرَّابُ اللَّبِنِ ، والطَّيّانُ ، والحَرّاثُ . وكذلك ماصَغُرَ من التِّجاراتِ والصِّناعاتِ .

ألا ترون أنَّ الأموالَ كثيراً ماتكونُ عند الكُتَّاب ، وعندَ أصْحابِ الجَوهرِ ، وعندَ أصحابِ الوَشْيِ والأنمـاط[٦] ، وعند الصَّيارِفَةِ

---

(١) فى الأصل : « ألا أن » .

(٢) فى الأصل : « وأما » .

(٣) يعنى بذوات الدماء : ماسوى السمك . وفى الأصل : « دواب المـاء » .

(٤) آشر : أفعل من الأشر بالتحريك ، وهو المرح والنشاط . فى الأصل : « أسر » وانظر السياق .

(٥) فى الأصل : « فى أكل السمك من البحرين » . محرفة .

(٦) الأنمـاط : ضرب من البسط .

والحنَّاطين[١] ، وعند البحْريِّين والبصريين[٢] . والجُلاَّبُ أبدا[٣] ، والبيازِرَة[٤] أيسر ممّنْ يبْتَاع منهم .

وجُملُ الأموالِ حقٌ[٥] بأنْ تُربحَ الجُملَ مِنْ تفاريق الأموال . وكذلك سبيل القصّاب والجزّار ، والشوّاء ، والبازيار[٦] ، والفهّاد .

وأمّا ماذكرتم من انقطاع نَسْلِ القُساة، وخمول[٧] أولادِهم ، كانقطاع نَسْل فِرعَونَ ، وهامان ، ونمرُود[٨] ، وبُخْت نَصّر[٩] ، وأشباههم ، فإنّ الله يقول : ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ .

١٤٠

وإن شئتم أن تعدّوا من المذكورين بالصَّلاحِ أكثَرَ مِن هؤلاء ممّن كان عقيما أو كان ميناثاً[١٠] ، أو يكونُ ممّنْ نبَتَ لهم أوْلاَدُ سَوء عقّوهُمْ فى حياتهم ، وعرّضوهُمْ للسَّبِّ بعد موتهم — لوجَدْتموهُمْ .

وعلى أنى لم أَنْصِبْ نفسى حَرْبًا لِلْحَجّاجِ[١١] بن يوسف ، ويزيد

---

(١) الحناط : بائع الحنطة ، وهى بالكسر : البر .

(٢) كذا .

(٣) المراد بالجلاب : من يجلبون الرقيق والعبيد للتجارة فيها . و « أبدا » كذا فى الأصل ، وقد تكون صحيحة . أو لعلها «أثرى» من الثراء ، وهو الغنى واليسر .

(٤) سبق الكلام على البيازرة فى ص ٤٣٠

(٥) هى صحيحة . يقال : هو حق بكذا ، أى جدير به . انظر القاموس .

(٦) البازيار : من يتعهد البازى ويعتنى به . وفى الأصل : « البازباز » مصحفة .

(٧) الكلام من مبدإ : « وجل الأموال حق » إلى هنا ، ساقط من ه .

(٨) نمرود ، بالضم : جبار من الجبابرة ظهر إبراهيم عليه السلام فى زمنه .

(٩) هو ذاك الطاغية المشهور الذى خرب بيت المقدس . ولى ملك بابل سنة ٦٠٦ قبل الميلاد .

(١٠) كذا بالياء ، وأصلها الهمز ، والمئناث : من لا يولد له إلا الإناث .

(١١) الحرب : المحارب . ولعله يريد بذلك : مدافعاً عن الحجاج ، وانظر ما سبق فى ٤٣٠ .

ابن أبي مسلم[1] ، أتحرى بهما[2] ، وهما عِندى من أهل النَّارِ . ولكنِّى عرَفْتُ مَغْزا كم .

وعلى أنَّكُمْ ليسَ الْقَصّابينَ أَرَدْتُمْ ، وَلٰكِنَّكُمْ أَرَدْتُمْ دِينَ المسلمين .

وَقَدْ خرَجَ الحَجَّاجُ من الدُّنْيَا سَلِيماً فى بَدَنِهِ ، وظَاهِرِ نعمته ، وعلىٌّ مرتَبَتِهِ من المُلْك ، ومَكانِهِ من جَوَازِ الأمْرِ وَالنَّهْى[3] .

فإنْ كان اللهُ عِنْدَ كُمْ سَلَّمَهُ وَعاقَبَ أولادَه ، وكان ذلك دينَكم فإنّ هذا قولٌ إن خاطبتم به الجَبْرِيَّةَ[4] فعسى أن تتعلَّقُوا منهمْ بسبب . فأمّا مَنْ صَحَّحَ القَوْلَ بالْعَدْلِ[5] فإنّ هذا القولَ عِنْدَه من الخطإ الفاحش الذى لاَشُبهَةَ فيه .

(شعر فى القانص وفقره)

وكان ممَّا أنشدُوا من الدَّليلِ على أنّ القانِصَ لا يزالُ فقيرًا ـ قَوْلُ ذى الرمّةِ :

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٤٣١ .

(٢) كذا بالأصل . ولعله : « أتحدى بهما » فيكون مراده أنهما لا يصلحان لأن يتحدى بهما ، أو يدافع عنهما .

(٣) جواز الأمر والنهى : نفوذهما .

(٤) الجبر ، هو نفى الفعل حقيقة عن العبد ، وإضافته إلى الرب تعالى . والجبرية أصناف . فالجبرية الخالصة هى التى لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا . والجبرية المتوسطة التى تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة . فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثراً ما فى الفعل ، وسمى ذلك كسباً ، فليس بجبرى . والمعتزلة يسمون من لم يثبت للقدرة الحادثة فى الإبداع والإحداث استقلالا — جبريا . الملل والنحل (١ : ١٠٨) .

(٥) يعنى المعتزلة ، وهم يسمون أهل العدل. يقولون : إن الله منزه أن يضاف إليه =

حَتَّى إِذَا مَا لَهَا فِي الجَدْرِ وَانْحَدَرَتْ ... شَمْسُ النَّهَارِ شُعَاعًا بينها طِبَبُ (١)

وَلَاحَ أَزْهَرُ مَشْهُورٌ بِنُقْبَتِهِ ... كَأَنَّهُ حِينَ يَعْلُو عَاقِرًا لَهَبُ (٢)

هَاجَتْ بِهِ جُوَّعٌ طُلْسٌ مُخَصَّرَةٌ ... شَوَازِبٌ لَاحَهَا التَّقْرِيبُ وَالخَبَبُ (٣)

جُرْدٌ مُهَرَّتَةُ الأَشْدَاقِ ضَارِيَةٌ ... مِثْلُ السَّرَاحِينِ فِي أَعْنَاقِهَا العَذَبُ (٤)

= شر وظلم ، وفعلهو كفر ومعصية ؛ لأنه لو خلق الظلم كان ظالما ، كما لو خلق العدل كان عادلا . الملل والنحل (١ : ٥٦) .

(١) لها : غفل . يعنى ثورا وحشياً والجدر ، بالفتح : نبت رملى . والشعاع ، بالضم : ضوء الشمس الذى تراه عند ذرورها كأنه الحبال أو القضبان مقبلة عليك . والطبب ، كعنب : جمع طبة ، بالكسر ، وهى الطريقة من طرائق الشعاع . وأصل الطبة السير الذى يخرز به . س : « إذا رابها » هـ : « إذا نابها » محرفتان صوابهما فى ط و الديوان ٢٣ وجمهرة أشعار العرب ١٨٣ واللسان (طبب) س ، هـ « فى الخدر وانحدرت » تصحيحه من الديوان واللسان . وفى اللسان : « وانحدرت» محرفة . ط والجمهرة : « بالجدر» وهى صحيحة . س ، ط : « قبب » هـ : « طنب » صوابهما فى الديوان والجمهرة واللسان

(٢) لاح : ظهر ، وأشرق . س ، هـ : « ناب » محرفة . وأثبت ما فى ط والديوان وجمهرة أشعار العرب واللسان (نقب) . والأزهر : الأبيض . وأراد به الصبح . والنقبة ، بالضم : اللون . فى الجمهرة : « معروف بنقبته » . يعلو عاقراً : أى يرتفع فى رملة لا تنبت شيئاً ، شبهت بالعاقر من الناس : الرجل والمرأة اللذين لا يلدان . وقد شبه الصبح بلهب النار . جاء فى جمهرة أشعار العرب : « منهم من يقول إنه يعنى الفجر ، ومن يقول إنه يعنى به الثور » .
قلت : ممن جعله يعنى الصبح صاحب اللسان ، فإنه قال : « يصف ثوراً » .

(٣) يقول : أولعت بذلك الثور كلاب جائعة ، فى لونها غبرة إلى سواد ، قد ضمرت خواصرها . ط وجمهرة أشعار العرب: «هاجت به عوج» وفى الجمهرة والديوان : « زرق مخصرة » . والشازب ، بالزاى : الضامر اليابس . س : « شواذب » بالذال ، مصحفة . لاحها : هزلها وغيرها . والتقريب والخبب : ضربان من العدو . وفى الديوان : التغريث والجنب » . التغريث : التجويع . والجنب بالتحريك : أن يشتد عطش الحيوان حتى تلزق رئته بجنبه . وأصله فى الإبل .

(٤) جرد : جمع أجرد ، وهو القليل الشعر . وفى الديوان واللسان (عذب) : =

وَمُطعَمُ الصَّيْدِ هَبَّالٌ لبُغْيَتِهِ أَلْفَى أَبَاهُ بِذَاكَ الْكَسْبِ يكتسب(١)

مقزَّعٌ أَطْلسُ الأطمَارِ لَيْسَ له إلاّ الضراءِ وَإِلاّ صَيْدَهاَ نَشَبُ(٢)

فانصاعَ جَانِبهُ الوَحْشِيَّ وَانْكَدَرَتْ

يلحبن لا يأتلى المطلوبُ والطّلَبُ(٣)

قال : فجعله كما ترى مقزَّعًا أطلسَ الأطمار ، وخَبَّرَ أنَّ كِلاَبَه نَشَبُه ، وأنّه ألْفَى أباه كذلك .

وأنشَدُوا فى ذلك قول الآخر :

= « غضف » . مهرتة الأشداق : واسعتها . والسراحين : الذئاب ، واحدها سرحان ، بالكسر . والعذب : سيور تشد فى أعناق الكلاب ، واحدها عذبة ، بالتحريك .

(١) مطعم الصيد : أى رجل طعمته وحرفته الاصطياد ، فهو مرزوق منه. ومطعم ، بضم الميم وفتح العين ، قال امرؤ القيس :

مُطْعَمٌ للصَّيْدِ ليس لَهُ غَيْرَهَا كَسْبٌ على كِبَرِه

هبال ، من الاهتبال ، وهو سرعة الأخذ . والبغية ، بالضم : الطلبة .والطلبة بفتح ، فكسر : مايطلبه المرء . س ، هـ : «هتاك لنقبته » محرفة. وفى جمهرة أشعار العرب : « هباش لبغيته » . ألفى أباه ، يقول : هو صائد ابن صائد ، فذاك أمهر له .

(٢) مقزع : خفيف الشعر. أطلس : أغبر . والأطمار : جمع طمر ، بالكسر ، وهو الثوب الخلق البالى . والضراء ، بالكسر : جمع ضرو بالكسر أيضاً ، وهو الضارى . عنى بها الكلاب . وصيدها : أى ماتصيده الكلاب من الوحش . والنشب ، بالتحريك : المال .

(٣) انصاع : ذهب سريعاً. جانبه: أى على جانبه . والجانب الوحشى: الأيمن من الدابة، وقيل الأيسر . انكدرت : أى انقضت . وضميره للكلاب . يلحبن : يسلكن طريقا لاحباً ممهدا . أو يمرون مراً سريعاً . لايأتلى : أى لايترك جهداً ولا يخفض من جريه . والمطلوب ، عنى به الثور . والطلب ، بالتحريك : جمع طالب ، وهو من نادر الجمع . وقد أراد به الكلاب . س ، هـ : « واتصلت بحيث لايأبأ » تحريف ما أثبت من ط ، والديوان وجمهرة أشعار العرب واللسان (صوع ، لحب ، طلب) .

وأعْصَمَ أنْسَتْهُ المنيّةُ نَفْسَهُ ... رَعَى النَّبْعَ والظّيَّانَ في شاهقٍ وَعْرِ [1]

مَــــوَارِدُهُ قَلْتٌ تصفقُه الصَّبَا ... بنِيقٍ مَزِلٍّ، غيرُ كَدْرٍ ولا نَزْرِ [2]

قَرَتْهُ السَّحابُ ماءَها، وتَهَدَّلَتْ ... عليه غُصونٌ دانياتٌ من السَّمْرِ [3]

أُتِيحَ له طِلْحٌ إزَاهُ بكَفِّهِ: ... هَتُوفٌ وأشْبَاهٌ تُخُيِّرْنَ مِنْ حَجْرِ [4]

أبو صِبْيَةٍ لا يَسْتَدِرُّ إذا شَتَا ... لَقُوحاً، ولا عنْزاً، وليس بذي وَفْرِ [5]

---

(١) أعصم، يعنى وعلا بإحدى يديه بياض. س: «وأعظم» مصحفة. أنسته المنية نفسه، أى أعماه قدر الموت عن الحذر. والنبع والظيان: من أشجار الجبال. وفى الأصل: «النبت والطيان» محرف.

(٢) القلت: نقرة فى الجبل تمسك الماء. تصفقه: تضربه. والصبا: ريح شرقية. والنيق، بالكسر: أعلى موضع فى الجبل. مزل: تزلق عليه الأقدام ولا تثبت. س: «مزك». وغير كدر، صفة للقلت. وقد أسكن الدال للشعر.

(٣) تهدلت: تدلت. والسمر: نبات، وهو بضم الميم. وأسكنها للشعر.

(٤) أتيح له: أى قدر. والطلح، بالكسر: المعيي. أراد صائداً. وإزاه: أى سبب عيشه. والإزاء، بكسر الهمزة والمد، وقصره للشعر. فى الأصل: «أذاه» مصحفة. والهتوف: القوس المرنة المصوتة. قال الشنفرى:

هتوف من الملس المتون يزينها ... رصائع قد نيطت إليها ومحمل

وقال الشماخ:

هتوف إذا ماجامع الظبي سهمها ... وإن ريع منها أسلمته النوافز

ط، س: «خنوف» هـ: «حتوف» صوابهما ما أثبت. وأشباه: أى سهام متشابهة طبعت على غرار واحد. وحجر، بالفتح: قصبة اليمامة، تنسب إليها السهام والنصال، قال الراعى:

توخّى حَيْثُ قَالَ القَلْبُ منه ... بحَجْرِيٍّ ترى فيه اضطمارا

أى نصل منسوب إلى حجر. أبو حنيفة: «وحدائد حجر مقدمة فى الجودة». وقال رؤبة:

حَتَّى إذا تَوَقَّدَتْ من الزَّرَقْ ... حجْرِيَّةٌ كالجَمْرِ مِنْ سَنِّ الدَّلَقْ

(٥) يقول: له صبية، فهو يسعى جاهداً ليحصل على مايقوتهم به من صيد. واللقوح =

١٤١ لَهُ زَوْجَةٌ شَمْطَاءُ يَدْرُجُ حَوْلَهَا ... فَطِيمٌ تُنَاجِيه ، وَآخَرُ فى الحِجْرِ (١)
مُشَوَّهَــةٌ لم تَعْبَ طيباً ولم تَبِتْ ... تقتِّرُ هِنْدِيًّا بِلَيْلٍ على جَمْــرِ (٢)
مُحَــدَّدَةُ العُرقُوبِ ثَـلْمٌ نَابُهَا ... تَعَرَّقُهَا الأَوْذَارَ مِنْ فِقَرِ الحُمْرِ (٣)
مُسَفَّعَةُ الخَدَّيْنِ ، سوَّدَ دِرْعَهَا ... تقدُّرها باللَّيلِ ، والأَخْذُ بالقِدْرِ (٤)
كَغُولِ الفَلَاةِ لم تَخَضَّبْ بَنَانَهَا ... ولم تَدْرِ مَا زِيُّ الخرائدِ بالمِصْرِ (٥)
فَأَرْسَلَ سهمًا أرهفَ القَيْنُ حَدَّهُ ... فَأَنْفَذَ حِضْنَيْهِ فَخَرَّ على النَّحْرِ (٦)

= بالفتح : الناقة الحلوب . يقول : ليس له لقوح فيستدرها . واختار الشتاء لما أنه وقت المجهدة والعسر عندهم . وإنما يخصبون فى الربيع . ط « يستدرا » صوابه فى س ، ه . الوفر ، بالفتح : الغنى .

(١) أى فى حجرها . والشمطاء : التى يخالط سواد شعرها بياض . وهو يصور بذلك كثرة عيال الصائد .

(٢) لم تعب طيباً . لم تهيئه ولم تخلطه . يقال عبأ الطيب يعبؤه ، من باب منع : صنعه وخلطه . فأصله الهمز كما رأيت ، فلما سهلها بالألف ، عامله كالمعتل . والهندى ، أراد به العود الهندى الذى يتبخر به . والتقتير : تهييج القتار ، وهو بالضم : ريح البخور .

(٣) العرقوب ، بالضم : عصب غليظ فوق عقب الرجل . ثلم نابها : كسر حرفه . والتعرق : أكل ماعلى العظم من اللحم . والأوذار : القطع الصغيرة من اللحم . وفى الأصل : « الأوزار » صوابه بالذال كما أثبت . والفقر ، كعنب : جمع فقرة ، بالكسر ، وهى الواحدة من عظام الصلب . ه : « تقر » محرفة . والحمر ، أصله الحمر بضمتين : جمع حمار . عنى مايصطاده زوجها من حمر الوحش . وسكن الميم لضرورة الشعر .

(٤) مسفعة : مسودة . ه : « مسقعة » محرفة . والدرع ، بالكسر : القميص . والتقدر ، لعل معناه الطبخ فى القدر ، ولم يذكره صاحبا اللسان والقاموس . وفى اللسان : « قدر القدر يقدرها ويقدرها قدراً . واقتدر أيضاً بمعنى قدر » . ط ، س : « تقذرها » وأثبت مافى ه .

(٥) الزى ، بالكسر : الهيئة . والخرائد : جمع خريدة ، وهى البكر لم تمسس ، أو الخفرة الطويلة السكوت ، الخافضة الصوت ، المتسترة .

(٦) القين ، بالفتح : الحداد . أنفذ حضنيه : خرق جنبيه . والحضن ، بالكسر : الجنب . والنحر ، بالفتح : أعلى الصدر .

(مُساءلة المنانيَّة)

كان أبو إسحٰقَ يسأل المنانيةَّ[1] ، عن مسألةٍ قريبة المأخَذ قاطعةٍ ، وكان يزعُمُ أنَّهَا ليست له .

وذلك أنَّ المنانيَّةَ تزعُمُ أنَّ العالَمَ بما فيه ، من عشرةِ أجناس : خمسةٌ منها خيرٌ ونورٌ ، وخمسةٌ منها شرٌّ وظُلْمَة . وكلُّها حاسَّةٌ وحارَّة .

وأنَّ الإنسانَ مركَّبٌ مِنْ جميعها على قدْر مايكونُ فى كلِّ إنسان من رُجْحانِ أجناس الخَيرِ على أجْنَاس الشَّرِّ ، [ورُجْحانِ[2]] أجْنَاسِ[3] الشَّرِّ على أجناسِ الخير .

وأنَّ الإنسانَ وإن كان ذا حَواسَّ خمسةٍ[4] ، فإنَّ فى كُلِّ حاسّةٍ متوناً[5] من ضدِّه من الأجْناس الخمسة . فمتى نَظَرَ الإنسانُ نَظْرَةَ رحمةٍ فتلك النَّظْرَةُ من النُّور ، ومن الخير . ومتى نَظَرَ نَظْرَةَ وعيدٍ ، فتلك النَّظْرَةُ من الظلمة . وكذلك جميع الحواسِّ .

وأنَّ حاسَّة السَّمعِ جنسٌ على حِدَةٍ ، وأنَّ الذى فى حاسَّة البصر من الخير والنُّور ، لايعين الذى فى حاسَّة السَّمع من الخيرِ ولكنه لايضادُّه[6] ،

---

(١) المنانية : أتباع مانى . انظر ماسبق ص ٨١ . وقد أسهب القول ابن النديم فى تفصيل مذهبه . الفهرست ٣٢٧ — ٣٣٧ ليبسك ، ٤٥٦ — ٤٧٢ مصر .

(٢) ليست بالأصل . وبها يصلح الكلام .

(٣) فى الأصل : « فاحتاج » . ووجهه ما أثبت .

(٤) كذا . والصواب : « خمس » ؛ إذ إن الحواس : جمع حاسة .

(٥) كذا فى الأصل .

(٦) ط ، ه : « يضاره » بالراء . وأثبت ماقى س .

ولا يُفاسِدُهُ ، ولا يمنعه . فهو لايعينه[1] لمكان الخلاف والجنس ، ولا يعين عليه ؛ لأنَّهُ ليس ضِدًّا .

وأنَّ أجناسَ الشَّرِّ خلافٌ لأجناس الشَّرِّ ، ضِدٌّ لأجناس الخير . وأجناسَ الخيرِ يخالفُ بعضُها بَعْضًا ولا يضادُّ . وأنَّ التَّعاونَ والتآدِي[2] لايقعُ بين مختلفِها ، ولابين متضادِّها[3] ، وإنما يقع بين متفقها .

قال : فيقال للمنانيِّ : ماتقول في رَجُلٍ قال لرجُلٍ : يافلان ، هل رأيت فلانا ؟ فقال المسئول : نعم قد رأيتُه . أليسَ السَّامعُ قد أدَّى إلى النَّاظِرِ ، والنَّاظِرُ قد أدَّى إلى الذَّائقِ ؟! وإلاَّ فلِمَ قال اللِّسَانُ: نَعَمْ ! إلاَّ وقد سَمِعَ الصَّوْتَ صاحبُ اللِّسَان ؟!

وهذه المسألة قصيرةٌ كما ترى ، ولا حِيلةَ له بأنْ يَدْفَعَ قَوْلَهُ .

(مُساءلَة زنديق)

ومسألةٌ أخرى ، سأل عنها أميرُ المؤمنين[4] الزِّنديقَ الذى كان يكنى بأبى عليّ ، وذلك عند مارأى من تطويلِ مُحَمَّدِ بن الجهم[5] وعجْز العُتبِي[6] وسوءِ فهم[7] القاسم بن سَيَّار[8] ، فقال له المأمون : أسألُكَ عن حَرفين

(١) س : « يعنيه » ومع إسقاط « لا » . هـ : « لايعينه » . وصوابهما ما أثبت من ط .

(٢) التآدي : التعاون . وفى الأصل : « التأذى » ولا يستقيم به المعنى .

(٣) س ، هـ : « مضادها » .

(٤) يعنى الخليفة « المأمون » كما سيأتى فى الكلام .

(٥) هو محمد بن الجهم البرمكى ، الذى أسلفت ترجمته فى (٢ : ٢٢٦) .

(٦) هو محمد بن عبد الله العتبي . وقد تقدمت ترجمته فى (١ : ٥٤) .

(٧) فى الأصل : « وسوقهم » وهو تحريف .

(٨) القاسم بن سيار ، ذكره الجاحظ فى الرسائل ٢٤ ساسى ، فيمن كانوا يغشون دار الخلافة . وأجرى له ذكراً فى ٢٦ ، ٢٧ من الرسائل.

فقط . خبِّرْنى : هل ندم مُسىءٌ قَطُّ على إساءته ، أو نكون نحنُ لم نندَمْ على شىءٍ كان منّا قط ؟! قال: بل ندِم كثيرٌ من المسيئينَ على إساءتهم . ١٤٢ قال : فَخَبِّرْنِى عن النَّدَم على الإساءَة ، إساءَةٌ أو إحسان ؟ قال : إحسان . قال : فالذى ندم هو الذى أساءَ أو غَيْرُهُ ؟ قال : الذى نَدِم هو الذى أساءَ . قال : فأَرى صاحبَ الخيرِ هو صاحبُ الشَّرِّ ، وقد بطل قولكم : إنَّ الذى ينظر نَظَرَ الوعيد غيرُ الذى ينظر نَظَرَ الرحمة . قال : فإنى أزعم أنَّ الذى أساءَ غيرُ الذى ندِم . قال : فندم على شىءٍ كان منه أو على شىءٍ كان من غيره ؟ فقطعه[1] بمسألته ، ولم يتُبْ ولم يرجِعْ ، حتى مات ، وأصْلاَه الله نارَ جهنَّمَ .

(شعر فى هجو الزنادقة)

وقد ذكر حمَّادُ عجردٍ ناسًا فى هجائه لعُمارَةَ[2] ، فقال :

لو كنْتُ زِنْدِيقًا، عُمارُ ، حبوتَنى	أو كنْتُ أعبُد غَيْرَ رَبِّ محمَّدِ[3]
أو كنتُ عِندك أو تراكَ عرفْتَنى	كالنَّضْرِ أو ألْفيتُ كابن المُقْعَدِ[4]
أو كابن حمَّادٍ ربيئة دينكُمْ	جبل وما جبل الغوىِّ بمرْشَدِ[5]
لكنَّنى وحدْتُ رَبِّى مُخلِصًا	فجفوْتَنى بُغْضًا لكلِّ موحِّدِ

(١) قطعه : أى غلبه بالحجة وأسكته .

(٢) فى الأصل : « لبشار » ونص الشعر والتعقيب عليه ، يوجب ما أثبت .

(٣) عمار ، أى ياعمارة . وحذف جواب (كنت) الثانية لدلالة جواب الأولى .

(٤) هـ : « أو تراكَ عرفتنى » .

(٥) الربيئة : الطليعة ، وعين القوم . والغوى : الضال . ط ، هـ : « القوى » ووجهه ما أثبت من س .

وَحَبَوْتَ مَنْ زَعَمَ السَّمَاءَ تَكَوَّنَتْ ،

والأرضَ خالقها لها لم يَمهَدِ[1]

وَالنَّسْمَ مثلَ الزَّرْعِ آنَ حَصَادُهُ منه الحَصِيدُ ومنه مَا لَمْ يُحْصَدِ[2]

وحَمَّادٌ هذا أشهر بالزَّنْدَقَةِ من عُمارَةَ بن حربية[3] ، الذى هجاه بهذه الأبيات .

وأمَّا قوله :

* وحبوت من زعم السماء تكوّنت * (البيت)

فليس يقول أحدٌ : إنّ الفلكَ بما فيه من التّدْبير ، تكوّنَ بنفسه ومِنْ نفسه ! فَجَهِلْ[4] حمّادٍ بهذا المقدارِ من مقالة القَوْم[5] ، كأنّهُ عندى ممّا يعرفه من براءته الساحة[6] . فإن كان قد أجابَهُمْ فإنما هو من مقلِّديهم .

---

(١) الأرض عطف على السماء .

(٢) أى : وحبوت من زعم النسم . . . الخ . والنسم ، بالتحريك : جمع نسمة ، بالتحريك . والنسمة الإنسان . وقد أسكن السين لضرورة الشعر . وفى الأصل : « النعم » تحريف ما أثبت . وجاء فى الأغانى (١١ : ٧١) فى أثناء الحديث عن عمارة بن حمزة ، الذى هو هنا : عمارة بن حربية : « وكان له نديم يعرف بمطيع ابن إياس ، وكان زنديقاً مأبونا . وكان له نديم آخر يعرف بالبقلى . وإنما سمى بذلك ؛ لأنه كان يقول : الإنسان كالبقلة ، فإذا مات لم يرجع » . فهذا النص يفسر ماجاء فى البيت ، ويدل على التصحيح الذى أثبت .

(٣) كذا ورد هذا الإسم فى الأصل ، بحاء مهملة بعدها راء وباء موحدة تحتية تتلوها ياء مثناة تحتية . وفى الأغانى (١١ : ٧١) : « عمارة بن حمزة » . وأمالى المرتضى (١ : ٩٠) نقلا عن الجاحظ « عمارة بن حمزة » .

(٤) فى الأصل : « فجعل » .

(٥) يعنى بالقوم ههنا الزنادقة .

(٦) كذا فى ط . وفى س : « من براءة الساحة » وفى ه : « مما نعرفه من برأته الساحة » وكل محرف .

وهجا حمّادُ ابن الزِّبرِقان[1] ، حمادًا[2] الراوية فقال :

نِعْمَ الفتَى لَوْ كَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ ويقيمُ وقْتَ صَلاَتِهِ حَمَّادُ

هدَلَتْ مَشَافِرَهُ الدِّنَانُ فأَنْفُهُ مِثْلُ الْقَدُومِ يَسُنُّها الحَدَّادُ[3]

وَابْيَضَّ مِنْ شُرْبِ الْمُدَامَةِ وَجْهُهُ فبيَاضُه يوم الحساب سَوَادُ

فقد كان[4] كما ترى :

هدَلَتْ مَشَافِرَهُ الدنَانُ فأنفُه مثلُ القدوم .... (البيت)

فقد رأيتُ جماعةً ممَّنْ يُعاقِرُون الشَّراب ، قد عظمت آنُفُهُمْ[5] ، وصارتْ لهم خراطيمُ ، منهُمْ رَوْحٌ الصّائغُ[6] ، وعبدُ الواحد صاحب اللؤلؤى[7]

(١) نسبه صاحب الأغانى (٦ : ١٦٢) إلى أبي الغول وكان حماد قد عاب شعراً له . وانظر الخزانة (٤ : ١٣٢ بولاق) والمخصص (١٧ : ٦) والعقد (٤ : ٣٢١) وأمالى المرتضى (١ : ٩١) وديوان المعانى (١ : ٣١٤) والشعراء ١٨١ .

(٢) فى الأصل : « حماد » .

(٣) الدنان : جمع دن ، بالفتح ، وهو من الأوعية التى يحفظ فيها الخمر ، وهو خزفى مستطيل مقير لا يقعد إلا أن يحفر له . والقدوم ، بالفتح : قدوم النجار ، مؤنثة . فى المخصص : « نفخت مشافره الشمول » والمرتضى : « بسطت مشافره الشمول » والعسكرى : « هدلت مشافره المدام وأنفه » . والمدام والشمول : الخمر .

(٤) لعلها : « قال » .

(٥) آنف : جمع أنف . س ، هـ : « أنفهم » بالإفراد . وهو جائز . والعرب يقيمون الواحد مقام الجمع . وفى الكتاب : « ثم يخرجكم طفلا » أى أطفالا . و : « لا نفرق بين أحد منهم » والتفريق لا يكون إلا بين اثنين ، فالمعنى لا نفرق بينهم . و : « وإن كنتم جنبا » انظر سر العربية ٣٣٩ الحلبى ، وحواشى الحيوان (٢ : ٤٠٣) .

(٦) لعله : « أبو روح الصائغ » . انظر (٣ : ٤٣٥) .

(٧) كذا وردت كتابة هذا الاسم بواوين فى الأصل وفى سائر المصادر القديمة . واللؤلؤى ، هو الحسن بن زياد ، الذى تقدمت ترجمته فى (١ : ٥٢) .

وجماعة من نَدْمانِ[١] حمّاد بن الصّباح ، وعبد الله أخو نهر[٢] ابن عسكر وناس كثير[٣] .

ويدلُّ على ذلك من المنافَرَةِ قولُ جَرِيرٍ الأَخطل :

١٤٣ وشَرِبتَ بعد أبي ظهير وابنه سكَرَ الدِّنانِ كأنَّ أَنْفكَ دُمّلُ[٤]

وكان منهم يونس بن فروة[٥] . وفي يونس يقول حمّادُ عجرد :

أما ابنُ فَرْوَةَ يُونَسُ فكأنَّهُ مِنْ كِبْرِهِ أيرُ الحمارِ القائمُ[٦]

ماالنَّاسُ عِنْدَكَ غيرُ نفسِكَ وحْدَها والخَلْقُ عندكَ ماخَلاكَ بهائمُ[٧]

إنّ الذي أصبحْتَ مفتوناً به سيزُول عنكَ وأنفُ جارِكَ راغمُ

فتعضُّ من نَدَمٍ يدَيْكَ على الذي فرَّطت فيه ، كما يَعَضُّ النّادمُ

---

(١) الندمان ، بالفتح : النديم على الشراب . والمراد هنا جماعة الندامى وفي اللسان : « وقد يكون الندمان واحداً وجمعاً » . ومثله في القاموس .

(٢) هـ فقط : « هز » . وكلة : « أخو » هي في الأصل : « أخا » .

(٣) في الأصل : « وناسا كثيراً » صوابه ما أثبت .

(٤) السكر ، بالتحريك : الخمر ، أو نبيذ يتخذ من التمر ، أو كل مسكر .

(٥) يونس بن فروة ، ويقال ابن أبي فروة . وجاء بالأخيرة في لسان الميزان (٢ : ٣٥٣ ، ٦ : ٣٣٤ ، ٣٣٥) وكذا أمالي المرتضى (١ : ٩٠) نقلا عن الجاحظ . وما في الشعر يرجح التسمية الأولى . وجاءت التسمية الأولى أيضاً في جمع الجواهر ٢٠٩ في أثناء رسالة للخوارزمي ، والعمدة (٢ : ١٨٥) .

(٦) في الأصل : « من كفره » وهو تحريف ، صوابه في عيون الأخبار (١:٢٧٢) والعمدة ، وجمع الجواهر . وفي جمع الجواهر أيضاً : « ذاك الحمار » لعلها تحريف متعمد .

(٧) في عيون الأخبار والعمدة : « والناس » موضع : « والخلق » . والبيت ساقط من س .

فلقد رَضيتَ بعُصْبَةٍ آخَيتهمْ ... وَإِخَاهُمُ لك بالمعَرَّةِ لازمُ[1]
فعلِمْتَ حينَ جعلتهم لك دخلة[2] ... أنى لعِرضك فى إخائك ظالِمُ

(ذكر بعض الزنادقة)

وكان حمّادُ عجرد[3] ، وَحَماد الرّاوية[4] ، وحمّادُ بن الزِّبرقان[5] ، ويونس بن هرون[6] ، وعلى بن الخليل[7] ، ويزيد بن الفيض[8] ، وعُبادة وجميل بن محفوظ[9] ، وقاسم[10] ، ومطيع[11] ، ووالبة بن الحباب ، وأبانُ

---

(١) وإخاهم ، أراد : وإخاؤهم ، أى صحبتهم . قصر الكلمة للشعر . ط : « أوخاهم » تصحيحه من س ، هـ .

(٢) دخلة الرجل ، بتثليث الدال : بطانته .

(٣) حماد عجرد ، بالإضافة ، هو حماد بن عمر بن يونس ، شاعر مشهور ، وهو من مخضرمى الدولتين : الأموية والعباسية، ولم يشتهر إلا فى العباسية . وكان بينه وبين بشار أهاج فاحشة . توفى سنة ١٦١ وقيل ١٦٨ أو قتل سنة ١٥٥ .

(٤) حماد الراوية ، هو حماد بن أبى ليلى ، عرف بكثرة روايته للشعر والخبر ، وكان يصنع فيهما . ولد سنة ٩٥ وتوفى سنة ١٥٥ .

(٥) حماد بن الزبرقان ، ذكره ابن حجر فى لسان الميزان (٢ : ٣٤٧) . وهو ممن اتهم بالزندقة .

(٦) كذا فى الأصل ، وهو كذلك فى الأوراق للصولى ١٠ قسم أخبار الشعراء . وقد نقل عن الجاحظ ولو أنه لم يصرح بذلك . وقد يكون : « يونس بن فروة » الذى تقدمت ترجمته قريباً .

(٧) هو رجل من أهل الكوفة ، مولى لمعن بن زائدة ، وكان يعاشر صالح بن عبد القدوس ، لا يكاد يفارقه ، فاتهم بالزندقة . وله أخبار مع المهدى والرشيد انظر الأغانى (١٣ : ١٣ — ١٨) .

(٨) ذكره صاحب لسان الميزان .

(٩) كذا فى الأصل وأمالى المرتضى والأغانى (١٦ : ١٤٣) نقلا عن الجاحظ والأوراق ١٠ قسم أخبار الشعراء . وعند ابن حجر فى لسان الميزان : « حميد بن محفوظ » . فى رسم خاص . ولعله تصحف عليه .

(١٠) فى أمالى المرتضى : « قاسم بن زنقطة » .

(١١) هو مطيع بن إياس الكنانى ، من مخضرمى الدولتين ، كان ظريفاً خليعاً . ولد

ابن عبد الحميد[١] ، وعمارة بن حربية[٢] ، يتواصلون ، وكأنهم نفس واحدة وكان بشّارٌ ينكر عليهم .

ويونس الذى زعم حمادُ عجْردٍ أنّهُ قد غَرَّ نفسه بهؤلاء ، كانَ أشهَرَ بهذا الرّأى منهم ، وقد كان كتبَ كتابًا لملك الرُّومِ فى مثالب العرب ، وعيوبِ الإسلام ، بزعمه[٣] .

(هجائية فى أبان والزنادقة)

وذكر أبو نواسٍ أبانَ بْنَ عبد الحميد اللاّحقى ، وبعضَ هؤلاء ، ذِكْرَ إنسانٍ يَرَى لهم قَدْرًا وخطرًا ، فى هجائيّةٍ لأبان[٤] ، وهو قوله :

جالسْتُ يومًا أبانًا لاَدَرَّ دَرُّ أبانِ

ونحنْ حضْرَ رواق الـ أمير بالنهْرَوَانِ[٥]

= ونشأ بالكوفة . وأخباره مسهبة فى الأغانى (١١ : ٧٥ — ١٠٣).

(١) أبان بن عبد الحميد اللاحق ، شاعر من ظراف الشعراء . نقل للبرامكة كتاب كليلة ودمنة فجعله شعراً ؛ ليسهل حفظه عليهم ، فأعطاه يحيى عشرة آلاف دينار ، والفضل خمسة آلاف دينار ، ولم يعطه جعفر وقال : ألا يكفيك أن أحفظه فأكون راويتك؟!.

(٢) فى الأغانى ولسان الميزان : « عمارة بن حمزة » ، وما فى أوراق الصولى يوافق ما أثبت من الأصل .

(٣) زاد فى أمالى المرتضى : «فأخذ منه مالا» .

(٤) ذكر سبب هذا الهجاء ، أبو الفرج فى الأغانى (٢٠ : ٧٣) قال : « كان يحيى بن خالد البرمكى قد جعل امتحان الشعراء وترتيبهم فى الجوائز ، إلى أبان ابن عبد الحميد ، فلم يرض أبو نواس المرتبة التى جعله فيها أبان ، فقال يهجوه بذلك .

(٥) حضر ، هنا بمعنى قربه وبحضر منه . وانتصب على الظرفية . وأصله بتحريك الحاء والضاد . وسكن الضاد للشعر . ويقال أيضاً حضرة ، بالفتح . قال :

فشلت يداه يوم يحمل راية إلى نهشل والقوم حضرة نهشل =

حَتَّى إذا ما صَلاة الأُولَى أَتَتْ لأذانِ [1]

فقامَ ثَمَّ بِها ذُو فَصاحةٍ وبيانِ [2]

فكلّ ما قال قُلْنَا إلى انقضاء الأذانِ [3]

فقال : كيف شهدتم بِذَا ، بغَيْرِ عيانِ ؟ ! [4]

لا أشهدُ الدَّهْرَ حتَّى تُعايِنَ العينانِ !

فقلت : سبحانَ رَبِّى ! فقال : سُبحانَ مانى ! [5]

فقلت : عيسى رسولٌ فقال : مِنْ شَيطانِ ! [6]

فقلت : موسى كَليمُ الْـ مُهيمنِ المَنَّانِ [7]

١٤٤

= والرواق ، بالكسر : مقدم البيت ، أو سقف فى مقدمه . ط ، س : « ونحن وحضروان » وتصحيحه من الديوان ١٨٠ وأوراق الصولى (قسم أخبار الشعراء ١١) .

(١) صلاة الأولى ، عنى بها الصبح . لأوان : أى لأوانها ووقتها . س ، ط : « الأذان » نقلا عن الأغانى . وأثبت ما فى الديوان ، والأوراق ، والأغانى . وفى ﻫ والخزانة (٣ : ٤٥٨ بولاق) نقلا عن الأغانى : « لأذان » وإخالها تحريفاً .

(٢) أى قام بصلاة الصبح مؤذنا لها ، رجل ذو فصاحة وبيان . فالمراد الأذان ، لا الصلاة .

(٣) أى كلما قال المؤذن قولا رددوه بعده .

(٤) بذا : أى بقول المؤذن : « أشهد ألا إلا الله » ، « أشهد أن محمداً رسول الله » بغير عيان : بغير معاينة ومشاهدة .

(٥) مانى : صاحب دين المانوية الزنادقة . انظر ما كتبت عنهم فى ص ٨١ .

(٦) فى الأصل : « من شيطانى » صوابه من الديوان والأوراق . وقد أراد أنه قال : رسول من شيطان !

(٧) المنان : اسم من أسماء الله تعالى ، أى المعطى ابتداء . وفى الأصل : « المنانى » تصحيحه من الديوان والأوراق .

فقال : ربكَ ذو مُقْ لَةٍ إذًا ولسانِ !
فنفســه خلقتْه أمْ مَنْ ؟ اقعُدْ مكانى
عن كافرٍ يتمرَّى بالكفر بالرحمنِ[1]
يريد أن يتسوَّى بالعُصْبــة المجّان
بعَجْرَدٍ وعُبــادٍ والوالبيِّ الهجَانِ[2]
وقاسمٍ ومُطيــعٍ ريْحانةِ النّدْمانِ[3]

وتَعَجُّبي من أبي نواس ، وقد كان[4] جالسَ المتكلمين أشدُّ من تعجُّبي من حمّادٍ ، حين يحكى عن قومٍ من هؤلاء قَولاً لا يقولُه أحد[5] . وهذه قُرَّة[6] عَينِ المهجُوّ . والذى يقول : سبحانَ مانى يعظم أمر عيسى تعظيماً شديداً[7]

---

(١) يتمرى : يتزين . يقول : هو يتخذ الكفر زينة له . وبئس الزينة ! . ط والأوراق : « يمارى » بمعنى يشك ، وليس له وجه صالح . وأثبت ما فى س والديوان . وفى هـ : « متمرى » تحريف ما فى س . وبين هذا البيت وسابقه بيتان فى الديوان ، هما :

وَقلتُ ربِّى ذُو رحْـ ـمَةٍ وذُو غفْرانِ
وقمتُ أسحَبُ ذيلى عن هازئٍ بالقَرانِ

(٢) فى الصفحة السابقة ، من اسمه : « عباد » ، فلعله هو بعد تغيير يسير ، لما يقتضى الشعر . أما الوالبي فهو والبة بن الحباب . شاعر من شعراء الدولة العباسية ، هاجى بشارا وأبا العتاهية فلم يصنع شيئاً ، وفضحاه . وهو أستاذ أبى نواس . الأغانى (١٦ : ١٤٢) .

(٣) سبق تفسير هذه الكلمة فى ص ١٤٢ ساسى .

(٤) س : « وهو كان » .

(٥) إشارة إلى ما سبق فى ص ١٤٢ ساسى .

(٦) هـ : « قوة » تحريف .

(٧) هذا مافهمه الجاحظ . ويؤيده ماورد فى فهرس ابن النديم ٣٢٨ ليبسك ٤٥٨ مصر: « وزعم مانى أنه الفارقليط المبشر به عيسى عليه السلام. واستخرج مانى =

فكيف يقول : إنَّه من قِبَلِ شيطانٍ ؟!

وأما قوله : « فنفسه خلقتْه أم من » فإنَّ هذه مسألةٌ نجدُها ظاهرةً على ألْسُنِ العوامّ . والمتكلمون لايحكُون هذا عن أحد .

وفى قوله : « والواليِّ الهِجان » دليلٌ على أنَّه من شكلهم .

والعجب أنَّه يقول فى أبان : إنَّهُ ممَّن يتشبه بعَجْرد ومُطيعٍ ، ووالبةَ ابن الحباب ، وعليِّ بن الخليل ، وأصبغ[1] ـ وأبان فوقَ ملء الأرضِ مِنْ هؤلاء . ولقد كان أبانُ ، وهو سكرانُ ، أصحَّ عقلا من هؤلاء وهم صحاةٌ[2] . فأمَّا اعتقادُه فَلَا أدرى ما أقول لك فيه ؛ لأنَّ النَّاس لم يُؤْتَوْا فى اعتقادهم الخطأَ المكشوفَ ، من جهة النظر[3] . ولكنْ لِلنَّاس تأسٍّ وعاداتٌ ، وتقليدٌ للآباء والكُبراء ، ويعملون على الهوى ، وعلى ما يسبق إلى القلوب ، ويستثقلون التَّحصيلَ ، ويُهملون النَّظَرَ ، حتى يصيروا فى حالٍ متى عاودوه وأرادوه ، نظروا بأبصار كليلة[4] ، وأذهان مدخُولة ، [و] مع سوء عادَة . والنَّفسُ لا[5] تجيبُ وهى مُسْتَكْرَهة . وكان

= مذهبه من المجوسية والنصرانية » . لكن جاء فى الفهرس أيضاً مايؤيد مافهمه أبو نواس . ففيه : « ومانى ينتقص سائر الأنبياء فى كتبه ، ويزرى عليهم ، ويرميهم بالكذب ، ويزعم أن الشياطين استحوذت عليهم ، وتكلمت على ألسنتهم بل يقول فى مواضع من كتبه : إنهم شياطين ! فأما عيسى المشهور عندنا وعند النصارى ، فيزعم أنه شيطان » الفهرس ٤٦٨ مصر . فالظاهر أن مرد ذلك الخلاف إلى ما فى أقوال مانى من التناقض والتنافر .

(١) لم يذكر هؤلاء جميعاً فيما رواه الجاحظ من القصيدة المتقدمة ، فلعله سقط منها شىء وانظر الديوان والأوراق حيث تجد زيادة فى الشعر .

(٢) الصحاة : جمع صاح ، من صحا يصحو . س : « أصحاء » صوابه فى ط ، هـ والأوراق ١٢ قسم أخبار الشعراء .

(٣) ط ، هـ : « النظير » صوابه فى س .

(٤) كليلة . ضعيفة . س : « قليلة » تحريف . وفى الأصل : « ونظروا » .

(٥) س : « لما » .

يقال: «العقلُ[1] إذا أُكرِه[2] عَمِي». ومتى عَمِي الطِّبَاعُ[3] [و] جَسَا وغلظ وأُهمل، حتَّى يألف الجهل، لم يكد[4] يفهم ما عليه وله. فلهذا وأشباهه قاموا على الإلف، والسَّابق إلى القلب.

(شعر لحماد عجرد)

وقال حمَّادُ عجْرَد:

اعلَمُوا أَنَّ لوُدِّي ثمنًا عندي ثَمينَا
لَيْتَ شِعْرِي أَيَّ حُكْمٍ قَدْ أراكُمْ تَحْكُمُونَا
أَنْ تكونوا غيْرَ مُعْطِينَ وأنتمْ تأْخذونَا[5]
ابْنِ لُقْمَانَ بنَ عادٍ فى اسْتِ هذا الدِّينِ دِينا[6]   ١٤٥

وما رأيت أحداً وضع لقمانَ بنَ عاد فى هذا الموضع، غيرَه!

وقال حَمَّادُ عجردٍ فى بشار:

يا ابنَ الخبيثةِ إنَّ أُمَّكَ لم تكُنْ ذاتَ اكتتامِ[7]
وتبذَّلَتْ ثَوْبَانَ ذَا الْأَيْرِ المضبَّرِ والعُرَامِ[8]

---

(١) ط، هـ: «الطفل» صوابه فى س.
(٢) فى الأصل: «كره».
(٣) الطباع، بالكسر: الطبع والسجية.
(٤) ط، هـ: «ولم يكد» بإثبات الواو قبلها. صوابه فى س.
(٥) ط: «تأخذون» صوابه فى س، هـ.
(٦) ابن: أمر من بنى يبنى. ط، س: «أين» وصوابه فى هـ. ولقمان: أى يالقمان، حذف حرف النداء
(٧) أى كانت تجاهر بفسقها.
(٨) ثوبان: رجل اتهمت أم بشار به. وفيه أيضاً يقول حماد عجرد (الحيوان ١: ٢٤٢):
=

ثَوْبَانَ دَقّاقَ الأرز بأرواث حســـامِ[1]

عَـــرْد كقاعة السّرِ يُبيلهَا عند الرِّطام[2]

وَأَتَتْ سُمَيعةُ بَعْدَهَا بالمصمئلاّتِ العظامِ[3]

أخت لهم كانت تكابر أن تُسَافِحَ مِنْ قيام[4]

وقال حَمَّاد يذكر بشارًا :

غـــزالة الرجسة أو بنتها سُمَيعة الناعية الفهـــرا[5]

وقال وذكر أمّه[6] :

أبَنِى غَزَالة يا بنِى جُشَمٍ استها لَيَحقكُمْ أنْ تفرَحوا لاتَجزعُوا[7]

(حماد عجرد وبشار)

وما [كان] ينبغى لبشّارٍ أنْ يناظِرَ حمادًا من جهة الشعرِ وما يتعلّقُ

= يا ابن التى نشزت عن شيخ صبيتها لأير ثوبان ذى الهامات والعجر

يقول : تبدلت ثوبان بزوجها . ط : « ثوبين » تحريف صوابه فى س ، ه .

(١) ط : « دقاقا » صوابه فى س ، ه . ط : « الازار » وأثبت ماقى س ، ه وهما محرفان . س : « يدقها أرزب حام » وأثبت ماقى ط ، ه . على تحريفهما .

(٢) العرد ، بالفتح : الصلب الشديد . ط : « كقائمة السير » صوابه فى س ، ه يبيلها : يجعلها تبول . ط ، س : « يسنها » ووجهه ما أثبت من س . والرطام : أن يخالطها مستوعبا . ه : « الركام » صوابه فى ط ، س .

(٣) ضبطت « سميعة » بهيئة التصغير فى س . والمصمئلات : الدواهى .

(٤) تكابر ، هى فى ط : « لكابر » محرفة .

(٥) كذا جاء البيت .

(٦) أى أم بشار . ط ، س : « وقال ذو الرمة » وهو تحريف لاجرم .

(٧) أبنى ، أى يابنى . والجشم ، كصرد : الجوف : ط ، ه : « ياجشم » وإكماله من س .

بالشِّعر ؛ لأنَّ حمَّادًا فى الحَضِيض ، وَبَشَّارًا مع العَيُّوق[1] . وليس فى الأرض مولَّد قَرَوِىٌّ يُعَدُّ شعرُه فى المحدث إلاَّ و بَشَّارٌ أشعرُ منه .

(شعر فى هجو بعض الزنادقة)

وقال أبو الشمقمق فى جميل بن محفوظ[2] :

وهذا جميلٌ على بغـله   وَقَدْ كانَ يعدُو عَلَى رِجْلِهِ
يَرُوحُ ويغدو كأَيْرِ الحمارِ   وَيرجِـعُ صِفْرًا إلى أهله[3]
وقـد زَعموا أنه كافرٌ   وأنَّ التَّزَنْدُقَ من شَـكْلِهِ
كأنى به قد دعاهُ الإمامُ   وآذنَ رُبُّكَ فى قَتْلِهِ

(غلو أبى نواس فى شعره)

وأمّا أبو نُواسٍ فقد كان يتعرَّضُ لِلْقَتْلِ بجهْدِه . وقد كانوا يعجَبون من قوله :

كيف لايُدْنيك مِنْ أمَلٍ   مَنْ رَسُولُ اللهِ مِنْ نَفَرِه[4]

---

(١) العيوق ، بفتح العين ، وتشديد الياء المضمومة : نجم أحمر مضىء فى طرف المجرة الأيمن ، يتلو الثريا لايتقدمها . يضرب به المثل فى العلو .

(٢) سبقت ترجته فى ١٤٣ساسى .

(٣) ط : « يروح ويغد » صوابه فى س ، ه . صفراً : خالى اليدين .

(٤) من نفره : من قومه وأنصاره . ه : « نقله » تحريف . والبيت من قصيدة رائية مشهورة مطلعها :

أيها المنتاب من عفره   لست من ليلى ولا سمره

يمدح بها العباس بن عبيد الله بن أبى جعفر المنصور . الديوان ٦٦ . وقد أثار هذا البيت ضجة كبيرة بين الأدباء ، فأخذوا عليه قوله : « من رسول الله من نفره » . أنظر الكامل ٢٣٤ ــ ٢٣٥ ليبسك والعقد :(٣:٤٣٦ــ٤٣٧)=

فلما قال :

فاحْبِبْ قُرَيشًا لحبِّ أحمَدِها واشكُرْ لها الجَزْلَ مِنْ مواهبِها[1]

جاء بشيء غطّى على الأوّل .

وأنكروا عليه قولَه :

* لو أكثر التَّسبيح مانجّاه *

= حيث تجد النقد والاعتذار له . وفى الموشح ٢٧٩ أن أبا على الضرير ، أحد رواة أبى نواس قال : « أنشدنى أبو نواس فى العباس بن عبيدالله ، مديحه الذى يقول فيه :

كيف لا يدنيك من أمل من رسول الله من نفره

فعلمت أنه كلام ردىء مستهجن موضوع فى غير موضعه ، وأنه مما يعاب به ؛ لأن من حق الرسول صلى الله عليه وسلم أن يضاف إليه ، وألا يضاف إلى أحد . فرأى ذلك فى وجهى ، فقال لى : ويلك ! إنما أردت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم من القبيل الذى هو منه ، كما قال حسان :

وما زال فى الإسلام من آل هاشم دعائم عز لاترام ومفخر
بهاليل منهم جعفر وابن أمه علىّ ومنهم أحمد المتخير

فقال : منهم ، كما قلت من نفره . أى من النفر الذين العباس منهم ، فما تعيب من هذا ؟ ! » قال أبو على : « فعلمت أن هذا ضرب من الاحتيال » . وقد روى هذا الخبر فى أخبار أبى نواس ١٦١ — ١٦٢ وزاد فى آخره : « ولكنه قد أحسن المخرج منه » وفى الصناعتين ١١٣ نظائر لهذا الخطإ .

(١) رواية الديوان ١٥٧ : « أحبب » بقطع الهمزة وإسقاط الفاء : أمر من أحب يحب . ورواية الجاحظ هنا تخرج على لغة ضعيفة . وفى اللسان عن الفراء ، أن حببته لغة . وفيه أيضاً : « وكره بعضهم : حببته ، وأنكر أن يكون هذا البيت لفصيح » وفيه : « وحكى سيبويه : حببته وأحببته بمعنى » . وفى الصناعتين ١١٣ : « واحبب » . والبيت من قصيدة جيدة لأبى نواس يفتخر فيها بقحطان ويهجو عدنان ، وقد أبدع فى صنعتها إبداعا ، وأتى بطريف حقا . ولكن هذه القصيدة جلبت إليه شؤما بما حبسه الرشيد وأطال من حبسه . ومطلعها .

ليست بدار عفت وغيرها ضربان من قطرها وحاصبها

وفيها يقول : :

فاهج نزارا وافر جلدتها وهتك الستر عن مثالبها

فلما قال :

١٤٦ يا أحمدَ المُرْتجى فى كُلِّ نائبةٍ قُمْ سَيِّدى نَعْصِ جَبَّارَ السَّمٰوَاتِ[١]

غَطّى هذا علي الأوّل[٢] . وهذا البيت مع كفره مَقِيتٌ جداً . وكان يُكْثِرُ فى هذا الباب[٣] .

(خطأ أبى نواس فى شعره)

وأما سوى هذا الفنِّ فلم يعرِفُوا له من الخطإ إلاَّ قولَه :

أمستخبرَ الدّارِ هلْ تنطِقُ أنا مكانَ الدار لا أنطقُ[٤]

كأنها إذا خَرِسَتْ جَارِمٌ بينَ ذَوِى تَفْنِيدِهِ مُطْرِقُ[٥]

فعابوه بذلك ، وقالوا : لا يقول أحد : لقد سكت هذا الحَجَرُ ، كأَنَّهُ

(١) أحمد هذا ، هو أحمد بن أبى صالح ، كان أبو نواس يتعشقه . أخبار أبى نواس ١٤٥ . وأبيات القصيدة فيها ، وفى ديوانه ٢٤٩ — ٢٥٠ . وقبله :

قفلت والليل يجلوه الصباح كما يجلو التبسم عن غرّ الثنيات

(٢) فى الأصل : « الأولى » . وانظر مثل هذا التعقيب فى الصفحة السابقة . و « غطى » رسمت بالألف فى هذا الموضع وسابقه فى كل من ط ، ه وهو رسم قديم . وأثبت ما فى س .

(٣) أى كان أبو نواس يكثر من القول فى مثل المعنى السابق . ومما قال فى ذلك (الصناعتين ١١٣) :

تنازَعَ الأحمدان الشِّبهَ فاشْتَبَهَا خَلْقاً وَخُلْقاً كما قُدَّ الشِّرا كانِ

قال العسكرى : « فزعم أن ابن زبيدة مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خلقه وخلقه » .

(٤) ط : « أخبر الديار » س : « أستخبر الديار » ه : « يامستخبر الدار » : ولعل صوابه ما أثبت . وعجز البيت هكذا ورد بالأصل .

(٥) الجارم : الجانى . والتفنيد ، المراد به : اللوم والعذل . والتفنيد: التكذيب والتعجيز وتخطىء الرأى وتضعيفه . والبيت عند العسكرى فى الصناعتين ٦٨ .

إنسانٌ ساكت ، وإنما يُوصَف خَرَسُ الإنسانِ بخَرَسِ الدّارِ ، ويشبَّهُ صممه بصمَمِ الصَّخر .

وعابوه بقوله ، حين وصف عَيْنَ الأسد بالُجحوظِ ، فقال :

كأنَّ عَيْنَهُ إذا التهبَتْ بارِزَةَ الجَفْنِ عينُ مخنوقِ[1]

وَهُمْ يَصِفُونَ عينَ الأسد بالغؤورِ . قال الرّاجز :

* كأنما يَنْظُرُ من جَوْفِ حَجَرْ[2] *

وقال أبو زُبَيد[3] :

كأنَّ عَينيه فى وَقْبَين من حَجَرٍ قِيضاَ اقتياضًا بأطراف المناقيرِ[4]

ومع هذا فإنّا لانعرف بَعْدَ بَشّارٍ أشعرَ منه[5] .

وقال أبو زُبيد :

وَعينانِ كالوَقْبينِ فى مل ءِصَخْرةٍ ترى فيهما كالجَمْرَتَينِ تَسَعُّرُ[6]

(قصة راهبين من الزّنادقة)

وحدَّثنى أبو شُعيب القَلاَّلُ ، وهو صُفْرِىٌّ[7] ، قال : رُهبانُ الزّنادقةِ

---

(١) ه : « والمخنوق » وأثبت مافى ط ، س والصناعتين ١١٥ .

(٢) فى الصناعتين : « من خرق حجر » .

(٣) هو أبو زبيد الطائى ، الذى تقدمت ترجمته فى (١ : ٣٥٢) .

(٤) الوقب ، بالفتح : النقرة فى الصخر . قيضا : شقا وحفرا اقتياضاً : استئصالا : فى الأصل : « قيضاً اقتناصا » محرف ، صوابه فى الصناعتين ١١٥ . والمناقير : جمع منقار ، وهو حديدة كالفأس ينقر بها .

(٥) منه : أى من أبى نواس . وحق هذا التعقيب أن يكون بعد البيت الآتى .

(٦) فى الصناعتين : « فى قلب صخرة * يرى فيهما » .

(٧) الصفرى ، بالضم ، ويكسر : واحد الصفرية . وهم فرقة من الخوارج ، نسبوا إلى زياد بن الأصفر ، أو عبد الله بن صفار ، أو إلى صفرة ألوانهم ، أو لخلوهم من =

سَيَّاحون[١] ؛ كأنهم[٢] جعلوا السِّياحةَ بدلَ تعلقِ النُّسطورى[٣] فى المطامير .
و[مُقامُ[٤]] المَلْكانىِّ[٥] فى الصَّوامـــــع . ومُقامُ النُّسطورىِّ

=الدين . انظر القاموس . وتفصيل مذهبهم فى الفرق ٧٠ — ٧١ والملل والنحل (١ : ١٨٣ — ١٨٤) والأرجح نسبتهم إلى زياد بن الأصفر ، كما فى الفرق والملل . ط : « صفرى » صوابه فى س ، هـ .

(١) السياحة : الذهاب فى الأرض للعبادة ، وانظر ماسيأتى من قول الجاحظ .

(٢) ط ، هـ : « لأنهم » وأثبت ما فى س .

(٣) فى القاموس : « النسطورية ، بالضم وتفتح : أمة من النصارى تخالف بقيتهم . وهم أصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمن المأمون ، وتصرف فى الإنجيل بحكم رأيه ، وقال : إن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة » . وفى الفصل (١ : ٤٩) : « وهذه الفرقة غالبة على الموصل والعراق وفارس وخراسان . وهم منسوبون إلى نسطور ، وكان بطريركا بالقسطنطينية » . وقد أخطأ صاحب القاموس ؛ فإن نسطور ، أو نسطورس كان قبل الهجرة لافى زمن المأمون كما زعم . وقد ذكر المسعودى فى التنبيه والإشراف ١٢٧ أن السنهودس الثالث بمدينة أفسيس قرر لعن نسطورس والتبرؤ منه ونفيه ، فسار إلى صعيد مصر فأقام ببلاد أخميم والبلينا ومات بقرية يقال لها «سيفلج» . وقد كان اجتماع ذلك السنهودس فى سنة ٤٣١ الميلادية ، كما جاء فى كتاب تاريخ الأمة القبطية، تأليف ،لجنة التاريخ القبطى (الحلقة الثانية ١١٦)، وكما جاء فى معجم القرن العشرين: (Nestorian). وصاحب القاموس المحيط المتوفى ســـنة ٨١٧ هـ قد تابع فى خطئه هذا ، ماذكره الشهرستانى صاحب الملل والنحل المتوفى سنة ٥٤٨، حيث قال فى (٢ : ٦٤) : « النسطورية أصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمان المأمون » . وقد تولى نسطورس بطريركا سنة ٤٢٨ م . فبينه وبين ظهور الإسلام نحو ١٨٣ سنة .

(٤) ليست بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(٥) الملكانى : واحد الملكانية ، ويقال ملكائى وملكائية ، كما فى مفاتيح العلوم ٢٣ وملكى وملكية كما فى التنبيه والإشراف ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٦ . وفى مفاتيح العلوم : « وهم منسوبون إلى ملكاء . وهم أقدمهم » . يعنى أقدم النصارى . وفى الملل والنحل (٢ : ٦٢) : « الملكائية أصحاب ملكا الذى ظهر بالروم واستولى عليها » . والحق أن الملكانيين منسوبون إلى « ملكا » =

في المطامير[١] .

قال : ولا يَسِيحون إلاَّ أزواجاً . ومتى رأيتَ منهم واحدًا فالتفتَّ رأيتَ صاحبَه[٢] . والسِّياحة عندهم ألاَّ يبيت أحَدُهم في منزلٍ ليلتَين . قال : ويسيحون على أربع خِصال : على القُدْس ، والطُّهر ، والصِّدق ، والمسكَنة . فأمَّا المسكنة ، فأَنْ يأكلَ من المسألة[٣] ، وممَّا طابت به أنفُسُ النَّاس له حتَّى لا يأكلَ إلاَّ من كسْبِ غيره الذي عليه غُرْمُهُ ومأثمه . وأمَّا الطهر فترك الجِماعِ . وأمَّا الصِّدق فعلى ألاَّ يكذبَ . وأما القُدْس فعلى أن يكتُمَ ذنبه ، وإن سئل عنه .

قال : فدخل الأهوازَ منهم رجلان ، فمضى أحَدُهما نحو المقابرِ للغائط وجلس الآخَرُ بقربِ حانوتِ صائغٍ ، وخرجت امرأةٌ من بعض تلك القُصُور ومعها حُقٌّ[٤] فيه أحْجارٌ نَفيسة ، فلمـا صَعِدَت من الطَّريق إلى دكان الصَّائغ زَلِقت فسقَطَ الحقُّ من يدها ، وظَليمٌ لِبعضِ أهل تلك الدُّور يتردَّدُ ١٤٧ فلمـا سقَطَ الحُقُّ وبايَنَهُ الطَّبَقُ[٥] ، تبدَّدَ ما فيه مِنَ الأحْجار ، فالتقَمَ

= « ومعناه » الملك بالسريانية . والمراد بهم : أتباع مذهب قياصرة الروم ، الذي يسمى أيضاً المذهب الخلقيدوني ، الذي أقره المجمع المعقود في خلقيدونية سنة ٤٥١ م انظر تاريخ الأمة القبطية (الحلقة الثانية ص ٩١ — ٩٣) .

(١) المراد بالمطامير : أماكن تهيأ تحت الأرض . وهي في أصلها اللغوي : حفر أو أماكن تحت الأرض ، يطمر فيها الطعام والمال ، أي يخبأ . والمطمورة أيضاً : السجن تحت الأرض . انظر اللسان .

(٢) س : « ترى صاحبه » .

(٣) أي سؤال الناس الطعام . س : « فأنه » مكان : « فأن » .

(٤) الحق ، بالضم : وعاء من الخشب ، ومثله الحقة ، بالضم أيضاً . وقد يكون الحق جمعاً لحقة ، كما في اللسان والقاموس . لكن المراد هنا المفرد قطعاً .

(٥) الطبق ، بالتحريك : غطاء كل شيء . وفي الحديث : « حجابه النور ، لو كشف طبقه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه » . سمي طبقاً لأنه يطابق ويساوي ما هو غطاء له .

ذلك الظَّليمُ أعظمَ حجرٍ فيه وأَنْفَسَهُ ، وذلك بِعَيْنِ السّائح[1] ؛ ووثب الصّائغُ وغلمانهُ فجمعُوا تلك الأحْجارَ ، وَنَحّوا النّاسَ[2] وصاحُوا بهم فلم يَدْنُ منهم أَحَدٌ ، وفقدوا ذلك الحجَر ، فصرخت المرأةُ ، فكشفَ القَوْمُ وتناحَوْا[3] ، فلم يصيبوا الحَجَرَ ، فقال بعضهم : واللهِ ما كان بقربنا إلاّ هذا الرّاهبُ الجالسُ ، وما ينبغى أن يكون إلاّ معه ! فسألوه عن الحجر فكرِه أنْ يخبرَهم أنه فى جوف الظليمِ فيُذْبحَ الظليمُ ، فيكونَ قد شاركَ فى دَم بعضِ الحيوان ، فقال ما أَخذْتُ شيئًا ! و بحثُوه وفتّشُوا كلّ شىء معه وألحُّوا عليه بالضّرب ، وأقبل صاحبُهُ وقال : اتّقُوا اللهَ ! فأخذُوهُ وقالوا:[4] دفعتَه إلى هذا حتّى غيّبَهُ ! فقال : ما دفعتُ إليه شيئًا ! فضرَبوهما ليموتَا[5] فبينماهما كذلك إذْ مرَّ رَجُلٌ يَعْقِلُ ، ففهم عنهُمُ القِصَّةَ ، ورأى ظَليمًا يتردّدُ فقال لهم : أَكان هذا الظليمُ يتردّد فى الطريق حينَ سقطَ الحجر ؟ قالوا : نعَمْ . قال : فهو صاحبكم . فعوّضُوا أصحابَ الظليم ، وذبحوه وشقُّوا عن قانصته ، فوجدوا الحجَر وقد نَقَصَ فى ذلك المقدارِ من الزّمانِ شَبيهًا بشَطْره[6] ، إلاّ أنها أعطتْهُ لَوْنا صارَ الذى استفادُوه من جهةِ اللّوْنِ أربحَ لهم من وزْنِ ذلك الشَّطر أنْ لوْ كانَ لم يذْهَبْ .

ونارُ القانصةِ غيرُ نارِ الحجَر[7] .

---

(١) العين ، بالفتح : المعاينة . ومنه قولهم فى المثل : « تطلب أثراً بعد عين » . انظر أمثال الميدانى فى هذا الرسم .

(٢) نحوا : أبعدوا . ط : « نحو الناس » صوابه فى س ، هـ .

(٣) تناحوا : المراد بها تباعدوا . ط : « تناجوا » بالجيم صوابها فى س ، هـ .

(٤) ط ، س : « وقال » صوابه من هـ .

(٥) لعلها : « ليقرا » من الإقرار .

(٦) أى قريبا من نصفه .

(٧) أى النار التى تقتدح من الحجر .

القول فى النّيران وأقسامها

ونحنُ ذاكِرُون جُملاً من القَول فى النّيرانِ وأجناسها، ومواضِعها، وأىّ شىء منها يضافُ إلى العجَم، وأىّ شىء منها يضاف إلى العَرَب. ونُخبِرُ عن نيران الدّيانات، وغير الدّيانات، وعمّن عظّمها وعمّن استهانَ بها، وعمّنْ أفرَطَ فى تعظيمها حتّى عَبَدَها. ونُخبِرُ عن المواضعِ التى عُظّمَ فيها مِنْ شأنِ النّار.

(نار القربان)

فمن مواضعها التى عُظّمَتْ بها أنَّ الله عزّ وجلّ جعلها لبنى إسرائيلَ فى موضعِ امتحانِ إخلاصهم، وتَعَرُّفِ صدقِ نيّاتِهم؛ فكانوا يتقرّبون بالقُرْبان. فَمَنْ كانَ منهم[1] مُخلِصًا نزلتْ نارٌ من قِبَلِ السّماء حتّى تُحيطَ به[2] فتأكُلَهُ، فإذا فَعَلَتْ ذلك كان صاحبُ القُرْبانِ مُخْلِصًا فى تقرُّبِهِ. ومَتَى لَمْ يَرَوْهَا وَبَقِيَ الْقُرْبَانُ على حَاله، قَضَوْا بأنّهُ كانَ مدخولَ القلْب فاسِدَ النّيّةِ. ولذلك قال الله تعالى فى كتابه: ﴿ الّذِينَ قَالوا إنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ[3] ﴾. ١٤٨

والدّليل على أنّ ذلك قدْ كانَ معلومًا، قولُ الله عزّ وجلّ:

---

(١) «فمن كان منهم» ساقطة من ﻫ.

(٢) أى بالقربان. وفى الأصل: «بهم» تحريف.

(٣) الآية ١٨٣ من آل عمران.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾ ثمّ إنّ الله سَتَرَ على عباده ، وجعَلَ بيانَ ذلك فى الآخرة . وكان ذلك التدْبيرَ مصلحةً ذلك الزّمانِ[1] ، ووفق[2] طبائعهم وعِلَلهم . وقد كانَ القومُ من المعاندةِ والغَباوة على مقدارٍ لم يكنْ لينجع[3] فيهم وَيَكْمُلَ لمصلحتهم إلاّ ما كان فى هذا الوزْن . فهذا بَابٌ من عِظَم شأنِ النّار فى صُدور النّاس .

وممّا زاد فى تعظيم شأنِ النّار فى صدور النّاس[4] قولُ الله عزّ وجلّ : ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى . إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ[5] أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى . فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى . إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾. وقال عزّ وَجلّ: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ[6] إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ . فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

وكان ذلك ممـا زاد فى قَدْرِ النّارِ فى صدور النّاس .

---

(١) فى ثمار القلوب ٤٥٥ نقلا عن الجاحظ : « وكان ذلك التدبير مصلحة فى ذلك الأمر » .

(٢) ط : « ووافق » وأثبت ما فى هـ وثمار القلوب .

(٣) ط : « ينجع » .

(٤) الكلام من قوله : « قول الله عز وجل » إلى هنا ، ساقط من س .

(٥) فى الأصل : « بخبر » وهو تحريف شنيع . والآية هى العاشرة من سورة طه .

(٦) ط ، هـ : « فقال لأهله امكثوا » س : « وقال لأهله امكثوا » وهو تحريف كبير كسابقه . والآية هى السابعة من سورة النمل . وقد سبق مثل هذا التحريف فى القرآن ، فى ص ٨ و ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٣١٠

ومن ذلك نار إبراهيم صلى الله عليه وسلم . وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ . قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ ثمّ قالَ : ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ فلما قالَ الله عزّ وجلّ : ﴿ قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ كانَ ذلك ممّا زاد في نباهة النّار وَقَدْرِهَا في صُدور النّاس .

باب آخر

(تنويه القرآن الكريم بشأن النار)

وهو قوله عزّ وَجَلّ : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ[١] ﴾ .

والنّارُ مِنْ أَكْبَرِ الماعون[٢] ، وأعظَمِ المرافق . ولو لم يكنْ فيها إلاّ أنّ الله عزّ وَجَلّ قد جَعَلَهَا الزاجرةَ عن المعاصي ، لكان ذلك ممّا يزيدُ في قَدْرِها ، وفي نَباهةِ ذِكْرِها .

وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ . ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ[٣] ﴾ ثم قال : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ[٤] ﴾ . فقف عند قوله : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا ﴾

---

(١) الآية ٨٠ من سورة يس .

(٢) الماعون : ماينتفع به . في الأصل : « من أكثر الماعون » .

(٣) الآيتان ٧١ ، ٧٢ من سورة الواقعة .

(٤) الآية ٧٣ من سورة الواقعة .

فإنْ كنت بهذا القول مؤمنًا فتذكَّرْ مافيها من النعمة أولاً ثم آخرًا ، ثم توهَّمْ مقادير النعم وتصاريفها .

١٤٩ وقد علمنا أنّ الله عذَّب الأممَ بالغَرَق ، والرِّياحِ ، وبالحاصِب[١] ، والرُّجُمِ[٢] ، وبالصَّواعق ، وبالخسْف[٣] ، والمسخ ، وبالجُوع ، وبالنقص من الثمرات ، ولم يبعث عليهم نارًا ، كما بعث [عليهم[٤]] ماءً وَريحاً وحجارة . وجعلها من عقاب الآخرة ، ونهى أن يُحرَق بها شيء من الهوامّ وقال[٥] : « لاتُعَذِّبُوا بِعَذَاب الله » . فقدْ عظَّمَهَا كما ترى ، فتفهَّمْ ـ رَحِمَكَ الله ـ فقد أرادَ اللهُ إفهامك .

وقال الله تعالى لِلثَّقَلَيْنِ[٦] : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنْتَصِرَانِ. فَبِأَىِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ فجعل الشُّواظ والنُّحَاسَ ، وهما النّارُ وَالدُّخانُ، من الآية. ولذلك قال على نَسَق الكلام : ﴿ فَبِأَىِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ولم يَعْنِ أن التّعْذِيبَ بالنّار نعمةٌ يومَ القيامة ، ولكنه أرادَ التّحذيرَ بالخوفِ والوَعِيدِ بها[٧] ، غيرَ إدخالِ النَّاس[٨] فيها ، وإحراقهم بها .

---

(١) الحاصب : ريح شديدة تحمل التراب والحصباء . وقيل : هو ماتناثر من دقاق البرد والثلج ، أو الريح التي تقلع الحصباء .

(٢) الرجم ، بضمتين : النجوم التي يرمى بها .

(٣) الخسف : تغييب الشيء في باطن الأرض . وفي الكتاب في شأن قارون : « فخسفنا به وبداره الأرض » .

(٤) الزيادة من س ، هـ : وثمار القلوب ٤٥٤ .

(٥) أي على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم . والحديث الآتي رواه أبو داود والترمذي والحاكم في المستدرك . انظر الجامع الصغير ٩٨٣٠ .

(٦) الثقلان ، بالتحريك : الجن والإنس .

(٧) كذا في س . وفي ط ، هـ : « والخوف والمواعيد بها » .

(٨) في الأصل : « النار » ووجهه ما أثبت .

(شعر فى بعض النبات)

وقال المرّار بن منقذ[1] :

وكأنّ أرحُلنا بجوّ مُخْصِبٍ   بِلوَى عُنَيزةَ مِنْ مَقيلِ التِّرْمُسِ[2]
فى حيثُ خالطت الخزامى عَرْفَجًا   يأتيك قابسُ أهْلها لم يُقْبَسِ[3]

أراد خِصْبَ الوادى و رُطوبتَهُ . و إذا كان كذلك لم تَقْدَح عيدانُهُ ، فإنْ دَخَلها[4] مستقبسٌ لم يُورِ نارًا .

وقال كُثَيِّر :

له حسبٌ فى الحىّ ، وارٍ زِنَادُهُ   عَفَارٌ وَمَرْخٌ حَثَّهُ الوَرْىُ عاجلُ[5]

---

(١) المرار بن منقذ ، ذكره صاحب المؤتلف ١٧٦ ، ويعرف أيضاً بالمرار الحنظلى ، وهو الذى سعى بجرير إلى سليمان بن عبد الملك فهاج الهجاء بينه وبين جرير . معجم المرزبانى ٤٠٩ . والبيتان الآتيان سبقا فى (٣ : ١٢١) .

(٢) ط ، هـ : « أرجلنا » صوابه فى س . ط : « مخصب » وأثبت مافى س ، هـ . وما فى ط رواية المخصص (١٠ : ١٣٣) وانظر ماسبق من شرح البيت فى (٣ : ١٢١) .

(٣) فى الأصل : « الخزاما » بالألف . وانظر ماسبق من الكلام على هذا البيت فى (٣ : ١٢١) .

(٤) انظر ماسبق من تعقيب الجاحظ فى (٣ : ١٢١) . ولعل : « دخلها » : « حكها » أو « قدحها » .

(٥) وار : متقد . والزناد : جمع زند ، أو الزناد مفرد كالزند ، عن كراع ، وهو ذاك الذى يقتدح به . وهى كناية عن الكرم وغيره من الخصال المحمودة . ط ، س « وارى » صوابه فى هـ والمخصص . حثه : أراد : عجل بإشعاله . وفى الأصل « حثة » تحريف صوابه فى المخصص (١١ : ٢٧) وصدره فى المخصص : « لهم حسب » . ومما قيل فى مثل هذا المعنى ، قول الأعشى :

زنادك خير زناد الملوك   خالط فيهن مرخ عفارا
ولو بتّ تقدح فى ظلمة   حصاة بنبع لأوريت نارا

والعَفار والمَرْخ ، من بين جميع العِيدان التى تُقْدَحُ ، أكثَرُها فى ذلك وأسرعُها .

قال : ومن أمثالهم : « فى كُلِّ الشَّجَرِ نارٌ ، واستمجَدَ المَرْخُ والعَفار[1] » .

(نار الاستمطار)

ونارٌ أخرى ، وهى النَّار التى كانوا يَسْتَمْطِرُونَ بها فى الجاهليَّةِ الأولَى : فإنهم كانوا إذا تتابعت عليهم الأزَمَاتُ[2] ورَكَدَ عليهم البلاء ، واشتدَّ الجَدْب ، واحتاجُوا إلى الاستمْطار ، اجتمَعُوا وجَمَعُوا ماقدَرُوا عليه من البَقَر ثمَّ عقَدُوا فى أذنَابها وبينَ عَراقيبها ، السَّلَعَ والعُشَر[3] ، ثمَّ صعدوا بها فى جبلٍ وعْرٍ[4] ، وأشعَلُوا فيها النِّيرانَ ، وضجُّوا بالدُّعاء والتضرُّع . فكانوا يَرَوْنَ أنَّ ذلك من أسبابِ السُّقيا . ولذلك قال أُمَيَّةُ :

سَنَةٌ أَزْمَةٌ تخيَّــلُ بالنَّا ... سِ تَرَى للعِضَاهِ فيها صريرا

---

(١) استمجد : أسرع الورى ؛ فهو فى منحه النار بسرعة ، شبيه بمن يكثر من العطاء طلباً للمجد . ط ، س : « استجمد » ه : « استمحر » صوابهما فى اللسان وأمثال الميدانى (٢ : ١٨) والمخصص (١١ : ٢٧) والخزانة (١ : ١٥٩ ، ٢ : ٨٦ ، ٤ : ٤٦ بولاق) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨).

(٢) الأزمات ، بالتحريك : جمع أزمة بالفتح ، وهى الشدة . وفى الأصل : « الأزمان » محرفة .

(٣) السلع ، بالتحريك ، والعشر بضم ففتح : ضربان من الشجر ، كان العرب يأخذون حطبهما للغرض الذى ذكره الجاحظ .

(٤) وروى عكسه ، أى أنهم كانوا يحدرونها من الجبال . انظر شرح شواهد المغنى ٢٤٧ .

إذْ يَسَفُّونَ بالدَّقيقِ وكانوا ... قَبْلُ لايأ كُلونَ شيئاً فَطيرا[1]

ويَسُوقون باقِرًا يطرُدُ السَّهـ ... لَ مهازِيلَ خَشْيةً أن يَبُورَا[2]

عاقِدِينَ النِّيران فى شُكُرِ الأذْ ... نَابِ عَمْدًا كيما تَهيجَ البُحورا[3]

فاشتَوَتْ كلها فهاجَ عليهم ... ثمّ هاجَتْ إلى صَبيرٍ صَبيرَا[4] ١٥٠

فرآها الإلٰه تُرْشِمُ بالقَطْـ ... رِ وأمسى جَنَابُهم ممطورا[5]

فسقاها نَشاصُه واكفَ الغيْـ ... ثِ منه إذ رادعوه الكبيرا[6]

سَلَعٌ ما ومثْله عُشَرٌ ما ... عائـلٌ ما وعالت البيقورا[7]

---

(١) سففت السويق والدواء ونحوهما ، بكسر الفاء الأولى ، أسف ، بفتح السين . والباء فى : « بالدقيق » زائدة . أى يسفون الدقيق . انظر أدب الكاتب ٢٩٧ والاقتضاب ٤٥٦ . والفطير : ماعجل خبزه من ساعة ، ولم يترك حتى يختمر .

(٢) الباقر : البقر ورواية اللسان (عيل) « ويسوقون باقر السهل للطود » وهى رواية الآلوسى فى بلوغ الأرب (٢ : ٣٠١) عن ابن الكلبى . مهازيل : نحاف ، هزلتها الأزمة . يبور : يهلك ، أى الباقر . س . « تبورا » .

(٣) الشكر : جمع شكير، وهو الشعر القصير بين الشعر الطويل. ط : « عهدا » مكان « عمدا » هـ : « عداء » صوابهما ما أثبت من س . وهاجت البحور : أثارتها . يقال : هاجه وأهاجه. وروى فى اللسان (ثكن) وبلوغ الأرب : « فى ثكن الأذناب »

(٤) كلها : أى كل الأذناب ، أو كل الباقر . والصبير : السحاب يثبت يوما وليلة ولا يبرح ، كأنه يصبر أى يحبس .

(٥) ضمير رآها للأرض المفهومة من الكلام . وأرشمت الأرض : بدا نبتها . فى الأصل والديوان : « ترسم » ولا وجه له . والقطر ، بالفتح : المطر .

(٦) النشاص ، بالفتح : السحاب المرتفع . والغيث الواكف : المطر الهاطل . وفى الأصل : « فسقاها نشاطه واكف النبت » تحريف . منه : أى من النشاص . وفى الأصل : « منهم » صوابه من ديوان أمية ٣٦ . هـ : « إذ رأى دعوة » وفى الديوان : « إذ وادعوه » . وأرى كل ذلك محرفا . وشعر أمية مفعم بالتحريف والتصحيف .

(٧) السلع والعشر مضى ضبطهما وتفسيرهما . والكلمة الأخيرة من البيت حكاية من =

هكذا كان الأصمعيُّ ينشِدُ هذه الكلمة ، فقال له علماء بَغدادَ : صحفْتَ ، إنما هي البيقور ، مأخوذة من البقر .

وأنشد[1] القحذمي[2] للوَرَلِ الطائى[3] :

لادَرَّ درُّ رِجَالٍ خاب سَعْيُهُمُ ... يَسْتَمْطِرُونَ لَدَى الأَزْماتِ بالعُشَرِ[4]

أجاعلٌ أنتَ بَيْقُورًا مُسَلَّعَةً ... ذَرِيعةً لك بينَ اللهِ والمَطَرِ[5]

= الجاحظ لتصحيف الأصمعي ، كما سيأتي . والرواية : «البيقورا» بمعنى البقر، كما نبه وكما في اللسان (بقر ، عيل) والديوان . ويقال عال الشيء فلانا : ثقل عليه . القاموس . يقول : أثقلت البقر بما حملته من السلع والعشر . انظر اللسان (عيل) وأنشد البيت صاحب اللسان مرة ثالثة في (على) بعد أن قال : « وعالِ علىَّ : أى احمِلْ » فكأنه جعل « عالت » مرة أخرى من المعالاة . والبيت استشهد به ابن هشام في المغنى على زيادة « ما» ثلاث مرات . وقد نقل السيوطى في المزهر (٢ : ٢٢٣) ما كتبه الجاحظ هنا عن تصحيف الأصمعي . وفيه : «النيقورا» . وليس أحد التصحيفين بأولى في الإثبات من صاحبه . ونقل الآلوسى في بلوغ الأرب (٢ : ٣٠١) أن تصحيف الأصمعي هو : « وغالت البيقورا » بالغين المعجمة .

(١) ط : « فأنشد » صوابه في س ، هـ .

(٢) القحذمي هو الوليد بن هشام القحذمي ، كما في البيان (١ : ٦٧، ٢ : ١٩٨) . وفي لسان الميزان (٦ : ٢٢٨). «قال ابن حبان في الطبقة الثالثة من الثقات : الوليد بن هشام بن قحذم ، أبو عبد الرحمن القحذمي ، من أهل البصرة ، يروى عن جرير بن عثمان . حدثنا عنه أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي . مات سنة اثنتين وعشرين ومائتين» . والقحذمي، بفتح القاف بعدها حاء مهملة ساكنة وذال معجمة مفتوحة : نسبة إلى جده قحذم ، كما رأيت . وفي الأصل : « القحدمى» بالدال ، تصحيف ، صوابه من المصدرين السابقين .

(٣) كذا في الأصل واللسان (بقر) نقلا عن الجوهرى ،حيث أنشد البيتين . وفي اللسان (سلع) : « الورك » .

(٤) س ، هـ : « لدى الأزمان » صوابه في ط واللسان (بقر ، وسلع) .

(٥) مسلعة : وضع في أذنابها وبين عراقيبها السلع . والسلع ، بالتحريك : نبت .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال بقر ، وبَقِير ، وبَيْقور ، وباقر[1] . ويقال للجماعة منها قطيع ، وإجْل ، وكَوْر[2] . وأنشد[3] :

فسكَّنتهم بالقَولِ حتى كأنَّهم بَواقِرُ جُلْحٌ أَسكَنَتها المراتعُ[4]

وأنشد[5] :

ولا شَبُوبٌ مِن الثيران أَفْرَدَهُ عَنْ كَوْرِه كَثْرَةُ الإغْراء والطَّرَدُ[6]

---

(١) زاد عليه فى اللسان : باقور وباقوة . وكلها أسماء جمع .

(٢) إجل ، بالكسر . وكور ، بالفتح . وفى الصحاح : « والكور أيضاً : الجماعة الكثيرة من الإبل . . . . وجعله أبو ذؤيب فى البقر أيضاً » .

(٣) البيت الآتى لقيس بن عيزارة الهذلى ، كما فى اللسان (جلح) . وله ترجمة فى معجم المرزبانى ٣٢٦ . والعيزارة أمه وهو قيس بن خويلد .

(٤) جلح : جمع أجلح وجلحاء ، وهو الذى لا قرن له . أسكنتها : جعلتها تسكن . وفى اللسان (جلح) : « سكنتها » وروى فى (بقر) : « أسكنتها » . وفى س : : « أمكنتها » .

(٥) البيت الآتى لأبى ذؤيب الهذلى ، كما فى اللسان (كور) . وقبله ، وهو أول القصيدة :

تَاللهِ يَبْقَى على الأيّامِ مُبْتَقِلٌ جَوْنُ السَّراة رَبَاعٌ سِنُّهُ غَرِدُ

يقول : تالله لا يبقى على الأيام مبتقل : أى الذى يرعى البقل . جون السراة : أسود الظهر ، غرد : مصوت .

(٦) أى : ولا يبقى شبوب . والشبوب ، كصبور : التام الشباب . ومثله الشبب ، بالتحريك . والمشب ، بضم الميم وكسر الشين . ورواية الجوهرى : « ولا مشب » وهى كذلك رواية ابن سيده (٨ : ٣٣) وفى (٨ : ٤٢) : « ولا شبوب » . وقد ضبط فى اللسان : « ولا شَبوبَ » بالبناء على الفتح . وهو خطأ ، فإنه عطف على : « مبتقل » فى البيت السابق فى التنبيه السالف . أفرده عن كوره : جعله مفرداً عن جماعته وشرده . وروى فى اللسان : «من كوره » : والإغراء : =

(نار التحالف والحلف)

ونار أخرى ، هي التي توقَدُ عند التَّحالُف ؛ فلا يعقدُونَ حِلفهُمْ إلاَّ عندَها . فيذكرون عند ذلك[1] منافعَها ، ويَدْعُونَ إلى الله عزَّ وجلَّ ، بالحرمان والمنع من منافعها ، على الذى يَنْقُضُ عَهْدَ الحِلف ، ويَخيس بالعهد[2] .

ويقولون فى الحلف : الدَّمُ الدَّمُ ، والهدَمُ الهدَمُ[3] (يحرِّكون الدّالَ فى هذا الموضع) لايزيده[4] طلوعُ الشمس إلا شَدًّا ، وطولُ اللَّيالى إلاَّ مَدًّا ، ما بلَّ البحر صوفة[5] ، وما أقام رضوى فى مكانه[6] ، (إن كان جبلهم رَضْوَى) .

= أى إغراء الكلاب الصائدات به . والطرد ، بالتحريك ، مثل الطرد بالفتح : المطاردة ومزاولة الصيد . هـ : « من النيران » محرف . وفى الأصل : « كثرة الأعداء » صوابه من اللسان والمخصص والصحاح .

(١) هـ : « عندذكر » .

(٢) خاس بالعهد : أخلفه ونقضه .

(٣) الهدم ، بالسكون ، وبالتحريك : إهدار دم القتيل . والمعنى : إن طلب دمكم فقد طلب دمنا ، وإن أهدر دمكم فقد أهدر دمنا . وقيل : الهدم ، بالتحريك : القبر . أى قبرنا قبركم . أى لا نزال معكم حتى نموت عندكم . وللعبارة تفاسير أخر مذكورة فى اللسان ، وكلها جيد .

(٤) أى لايزيد الحلف .

(٥) فى الأصل : « وما بل البحر صوفة » والواو مقحمة . والصوفة : واحدة الصوف . وصوف البحر : شىء على شكل هذا الصوف الحيوانى . ويروى : « مابل بحر صوفة » كما فى اللسان (صوف) .

(٦) رضوى ، بالفتح : جبل بالمدينة .

وكلُّ قومٍ يذكرون جبالهم ، والمشهورَ من جبالهم .

وربّما دَنَوْا منها حتى تكاد تحرقهم[1] .

ويهوِّلون على من يُخافُ عليه الغَدْرُ ، بحقوقها ومنافعها ، والتّخويفِ مِنْ حِرْمانِ منفعتها . وقال الكُمَيت :

كهُولةِ ما أوقد المحلفُو ن للحالفِينَ وما هوّلوا[2]

وأصلُ[3] الحِلْف والتّحالف ، إنّما هو من الحَلِفِ والأيمان[4] .

ولقد تحالفت قبائلُ من قبائِلِ مُرّةَ بن عَوف ، فتحالفوا عندَ نارٍ فدَنَوْا منها ، وعشَوا بها[5] ، حتّى محَشَتهم . فسُمُّوا : المحاشَ[6] .

وكان سيدَهم والمطاعَ فيهم ، أبو ضمرة يزيد بن سنان بن أبي حارثة[7] .

ولذلك يقول النّابغة :

جَمِّعْ مِحَاشَكَ يايزيدُ فإنّني جَمَّعْتُ يَرْبُوعًا لكم وتميما[8]

---

(١) هـ : « تخرقهم » مصحفة .

(٢) الهولة ، بالضم : مايهول . ط ، س : « لهولة » صوابه في هـ واللسان (هول) . وكانوا يطرحون في النار ملحا يفقع يهولون بذلك . اللسان (نور) . وانظر الخزانة (٣ : ٢١٤) حيث تجد تفصيلا أوسع . وقبل البيت كما في الخزانة :

فقدصرتُ عمًّا لهـا بالمشيبِ زَوَالاً لَدَيْهَا هُوَ الأزْوَلُ

(٣) في الأصل : « وأهل » ووجهه ما أثبت .

(٤) الأيمان : جمع يمين ، وهي القسم . ط : « ولايمان » تحريف ما أثبت من س ، هـ .

(٥) عشي بالنار ، كرضي ودعا : ساء بصره . ومصدره العشا ، يكتب بالألف وبالياء .

(٦) المحاش ، بالكسر . ومحشته النار : أحرقته . والمحاش هم صرمة وسهم ومالك بنو مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض ، وضبة بن سعد . اللسان (محش) وفي شرح ديوان النابغة للبطليوسي ٦٩ أنهم بنو خصيلة بن مرة، وبنو نشبة بن غيظ ابن مرة ، تحالفوا على بني يربوع بن غيظ بن مرة ، رهط النابغة .

(٧) يزيد هذا ، هو أخو هرم بن سنان بن أبي حارثة الذي مدحه زهير بن أبي سلمى . وأبوهما سنان ، كان أيضاً ممن مدحه زهير .

(٨) رواية اللسان والديوان : « أعددت يربوعا » .

١٥١ ولحِقتُ بالنَّسَبِ الذى عَيَّرتَنِى وتركْتَ أصلاً يايزيدُ ذَميا[1]

وقوله : « تميم » يريد : تميمة[2] . فحذف الهاء .

(التحالف والتعاقد على الملح)

وربّما تحالفوا وتعاقَدُوا على الملح . والملحُ شيئان : أحدهما المَرَقة[3] ، والأخرى اللَّبَن . وأنشدوا لشُتَيم بن خُوَيلدٍ الفَزارىّ[4] :

لايبعد اللهُ رَبُّ العبـــادِ والمِلْحُ ماوَلَدَت خَالِدَهْ[5]

---

(١) كان يزيد يفتخر بنسبته فى قيس ويقول :

إنى امرؤ من صلب قيس ماجد لا مدع نسبا ولا مستنكر

وكان يقول للنابغة : والله ما أنت من قيس ولا أنت إلا من قضاعة . فقال النابغة له : أنا لاحق بمن عيرتنى ومتحقق بهم . ولست مثلك تنتفى عن أصلك . وقيس من العدنانية . وأما قضاعة فكانت فى العدنانية . ثم تحولت إلى القحطانية انظر ماسبق من الكلام على هذا فى ص ٣٢٥ـ ٣٢٦ من هذا الجزء . وفى الديوان : « وتركت أصلك » و « ذميا » حال من فاعل « تركت » أى فعلت ذلك وأنت مذموم .

(٢) أى استعمل الترخيم فحذف الهاء . وتميمة هى ابن ضبة بن عذرة بن سعد ابن ذبيان ، كما فى شرح ديوان النابغة ٧٠ . قال : « قوله وتميما ، لم يرد تميم ابن مر . إنما أراد : تميمة بن ضبة بن عذرة » .وقد عقب على ذلك بقوله : « فرخم فى غير النداء » . وكلمة : « مر » هى فى أصل الشرح : « مرة » . و « تميمة بن ضبة » هى فى أصلها : « تميم بن ضبة » . وقد أصلحت التحريفين .

(٣) كذا . وفى القاموس واللسان أن الملح « الحرمة » . وفى اللسان عن ابن الأنبارى والخزانة (٤ : ١٦٤ بولاق) عن المفضل بن سلمة أن الملح « البركة » . ولم أجد من فسرها بأنها المرقة .

(٤) شتيم ، بهيئة التصغير ، شاعر جاهلى كما فى الخزانة (٤ : ١٦٤ بولاق) . وروى فى الخزانة أيضاً عن نوادر ابن الأعرابى منسوبا إلى نهيكة بن الحارث المازنى من مازن فزارة . ورواه المبرد فى كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه ص ٢٧ منسوبا إلى ابن الزبعرى . وفى مقطعات المراثى ١٠٦ نسبتها إلى الحارث بن عمرو الفزارى يرثى بنى خالدة : كردما وإخوته .

(٥) الملح ، روى بالرفع فى الفاخر ٩ والكامل ٢٨٤ ليبسك . عطف على لفظ الجلالة =

وأنشدوا فيه[1] قول أبي الطَّمَحَانِ[2] :

وإني لَأَرْجُو مِلْحَهَا في بطونِـكم ... وما بَسَطَتْ مِنْ جِلْدِ أَشْعَثَ أَغْبَرَا[3]

وذلك أنَّهُ كان جاورهم ، فكان يَسقيهم اللَّبن ؛ فقال : أرجو أن تشكروا لي رَدَّ إِبِلِي[4] ، عَلَى ـ ماشَرِبتم من ألبانها ، وما بَسَطَتْ من جِلْدِ أَشْعَثَ أغبر . كأنَّهُ يقول : كنتم مهازيل ـ والمهزولُ يتقشَّف جِلْدُهُ وينقبض ـ فَبَسَطَ ذلك من جُلودِكم .

(نار المسافر)

ونار أخرى[5] ، وهي النَّار التي كانوا رُبَّمـا أوقدوها خَلْفَ المسافر ،

= وروى بالجر عطفا على «العباد» أو بجعل الواو واو القسم . انظر اللسان (٣ : ٤٤٤ س ٤) حيث تجد العبارة مضطربة . وقد حررتها . وخالدة هي بنت أرقم ، أم كردم وكريدم ابني شعبة الفزاريين .

(١) أي في الملح . وفي الأصل : « في » محرفة .

(٢) أبو الطمحان ، بالتحريك ، هو حنظلة بن الشرقي . كان نديما للزبير بن عبد المطلب في الجاهلية ، ثم أدرك الإسلام . وهو أحد المعمرين . الإصابة ٢٠٠٧ والأغاني (١١ : ١٢٥) والشعراء ٨٧ .

(٣) كذا جاءت الرواية هنا وفي الكامل ٢٨٤ ليبسك . والصواب : « أغبر » بالجر . والقصيدة مكسورة الروي . وأولها :

ألا حنَّت المرقالُ واشتاق رَبُّها ... تَذَكَّرُ أَرْمَامًا وأَذْكُرُ مَعْشَرِي

انظر اللسان (ملح) والشعراء والأغاني (١١ : ١٢٨) . والبيت يقوله لقوم نزلوا عليه فشربوا من ألبانها ثم أغاروا عليها فأخذوها .

(٤) الرد بمعنى الفائدة والنفع . ط ، هـ : « ردائلي » س : رزائلي » بهذا الإهمال . ولعل صوابهما ماأثبت .

(٥) سماها العسكري في كتاب الأوائل : « نار الطرد » صبح الأعشى (١ : ٤٠٩) وتنزيل الآيات لمحب الدين افندي . وسماها الثعالبي في ثمار القلوب ٤٥٩ : « نار المسافر » .

وَخَلْفَ الزَّائِرِ الذى لايحبُّونَ رُجُوعَهُ . وكانوا يقولون فى الدُّعاء : أبعده الله وأسحقه ، وَأَوْقَدَ نَارًا خلفَه ، وفى إثره ! وهو معنى قولِ بشار — وضرَبَهُ مثلا — :

صَحوتَ وأوقَدْتَ للجهل نَارَا ‏ ‏ ‏ وردَّ عليك الصِّبَا ما اسْتَعَارَا

وأنشدوا :

وجَمَّةِ أقوامٍ حَمَلْتَ ولم تكنْ ‏ ‏ ‏ لتوقِدَ نَارًا إثرهم للتندُّمِ [١]

والجَمَّة : الجمَاعة يمشون فى الصلح . وقال الراجز فى إبله :

* تقسَمُ فى الحقِّ وَتُعْطَى فى الجُمَمْ [٢] *

يقول [٣] : لا تندم على ما أعطيت فى الحمالة [٤] ، عند كلام الجَماعة فتوقد خلفهم نارًا كى لا يعودوا .

(نار الحرب)

ونار أخرى [٥] وهى النَّار التى كانوا إذا أرادوا حرْبًا ، وتوقَّعُوا جيشاً عظيما ، وأرادوا الاجتماع أوقدوا ليلاً على جبلهم نَارًا ؛ ليبلغ الخبرُ أصحابَهم .

---

(١) مثل هذه الرواية فى ثمار القلوب ٤٥٩ وتنزيل الآيات . وروى فى اللسان (نور) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٧) : « ولم أكن لأوقد ناراً » . والجمة ، بفتح الجيم وتضم .

(٢) فى الحق : أى فى حق الأضياف إذ ينحرها لهم . هـ : « يقسم » س ، هـ : « بالحق » صوابهما فى ط . س : « بالجم » صوابه فى ط ، هـ .

(٣) أى الشاعر السابق ، لا الراجز .

(٤) الحمالة ، كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم .

(٥) سماها الثعالبى فى ثمار القلوب ٤٦١ : « نار الإنذار » والعسكرى فيما نقل عنه محب الدين افندى : « نار الأهبة للحرب » وفيما نقل عنه القلقشندى : « نار الحرب »

وقد قال عمرو بن كلثوم :

ونحن غداة أوقد فى خزازٍ   رفدنا فوق رفد الرافدينا[(١)]

وإذا جدّوا فى جمع عشائرهم إليهم[(٢)] أوقدوا نارين . وهو قول الفرزدق[(٣)] :

لولا فوارس تغلب ابنة وائلٍ   سدّ العدوُّ عليك كلَّ مكانِ[(٤)]

ضربوا الصنائع والملوك وأوقدوا   نارين أشرفتا على النيرانِ[(٥)]

---

(١) خزاز وخزازى ، بالفتح : جبل . وروى البيت بالروايتين . س ، هـ : « حزاز » مصحفة . وانظر خبر يوم خزاز فى معجم البلدان والميدانى (٢ : ٣٥٣) والعقد (٣ : ٣٦٥) وكامل ابن الأثير (١ : ٣١٠) والعمدة (٢ : ١٦٦) . رفدنا : أعنا .

(٢) فى الأصل : « فى جميع » محرفة . ط ، س : « ولما وجدوا » هـ : « ولما حدوا » وهما تصحيف ما أثبت . وجاء فى تنزيل الآيات ٩٢ : « فإذا جد الأمر أوقدوا نارين » وفى الخزانة (٣ : ٢١٤ بولاق) نقلا عن ابن قتيبة : « فإذا جدوا وأعجلوا أوقدوا نارين » .

(٣) من قصيدة يهجو بها جريرا ، ويذكر فضل التغلبيين رهط الأخطل . الديوان ٨٨٢ — ٨٨٣ .

(٤) روى فى الديوان وتنزيل الآيات : « نزل العدو عليك » هـ : « ترك » محرفة عن الرواية السابقة .

(٥) الصنائع ، يروون أنه كان للنعمان الأكبر ملك الحيرة ، خمس كتائب : الرهائن ، والصنائع ، والوضائع ، والأشاهب ، ودوسر . فالرهائن : خمسمائة رجل رهائن لقبائل العرب ، يقيمون سنة على باب الملك طوع أمره ، ثم يستبدل غيرهم بهم . و(الصنائع) : بنو قيس وبنو تيم اللات ابنى ثعلبة . وكانوا خواص الملك لايبرحون بابه . والوضائع : ألف رجل من الفرس يضعهم ملك الملوك بالحيرة نجدة لملوك العرب ، يقيمون سنة ثم يستبدل غيرهم بهم . والأشاهب : إخوة ملك العرب وبنو عمه . وأما دوسر فكانت أخشن كتائبه وأشدها بطشا ، وكانوا من كل قبائل العرب ، وأكثرهم من ربيعة . انظر بلوغ الأرب (٢ : ١٧٦) . وفى الأصل : « ضربوا المصانع والتلول » وليت شعرى ماذا يجدى عليهم ضرب التلول ؟! =

(نار الحرّتين)

ونار أخرى ، وهى « نار الحرّتين[1] » ، وهى نار خالد بن سنان ، أحد بنى مخزوم ، من بنى قُطَيْعَةَ بْنِ عَبْس[2] . ولم يكن فى بنى إسمٰعيل نبىٌّ قبلَهُ . وهو الذى أطفأ الله به نار الحرَّتَينِ . وكانت ببلاد بنى عبس[3] ، فإذا كان اللّيلُ فهى نارٌ تسطعُ فى السّماء ، وكانت طيّئٌ تُنْفِشُ بها إبلها من مسيرةِ ثلاث[4] . وربّما ندَرَتْ منها العُنُق[5] فتأتى على كلّ شىء فتحرقُه . وإذا كان النهارُ فإنما هى دخانٌ يفور . فبعث الله خالدَ بنَ سنانٍ ١٥٢

= فهو تحريف صوابه ما أثبت من الخزانة ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨) ، وتنزيل الآيات . ورواية الديوان : « قتلوا الصنائع والملوك » وفيه أيضاً : « نارين قد علتا » . وأشرفتا وعلتا بمعنى .

(١) الحرة ، بالفتح : أرض ذات حجارة نخرة سود . والحرتان ، هما حرة ليلى ، لبنى مرة ، وحرة النار لغطفان ، كما فى المزهر (٢ : ١١٩) أما حرة ليلى فهى من وراء وادى القرى من جهة المدينة . وحرة النار قريبة من حرة ليلى قرب المدينة . عن معجم البلدان .

(٢) قطيعة ، كجهينة ، بهيئة التصغير .

(٣) فى الأصل : « وكانت حرة ببلاد بنى عبس » . وكلمة « حرة » تفسد الكلام . وضمير « كانت » راجع إلى : « نار الحرتين » فالصواب حذفها ، كما جاء فى نقل الثعالبى عن الجاحظ فى ثمار القلوب ٤٥٦ . وكما فى صبح الأعشى (١ : ٤٠٩) وبلوغ الأرب .

(٤) أنفش الراعى إبله : جعلها ترعى ليلا دون أن يراقبها . من مسيرة ثلاث : أى ثلاث ليال ، كما جاء فى ثمار القلوب نقلا عن الجاحظ ، وكما فى صبح الأعشى (١:٤٠٩) وبلوغ الأرب . س فقط « ثلاثة » : أى ثلاثة أيام . فى الأصل : « تتبين بها إبلها » وفى ثمار القلوب : « تنعش بها إبلهم » ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨) وهو ينقل عن الجاحظ ولو لم يصرح — : « تنفش فيها الإبل » صواب هذا كله « تنفش » بالفاء ، كما أثبت موافقا لما فى عجائب المخلوقات ٨٨ .

(٥) ندرت : ظهرت وبدت . والعنق : القطعة أو الطائفة .

فاحتفَرَ لهـا بئرًا ، ثمّ أدخلها فيها ، والنّاسُ ينظرون ؛ ثمّ اقتحم فيها حتى غيَّبها. وسمع بعض القوم وهو يقول:[هَلَكَ الرَّجُلُ ! فقال خالدُ بنُ سِنانٍ[(١)]]: كذب ابنُ راعية المعز ، لأخرجنَّ منها وجبينى يَنْدَى[(٢)] ! فلمّا حضَرَتْهُ الوفاة ، قال لقومه : إذا أنا متُّ ثمَّ دفنتمونى ، فاحضُرونى بعدَ ثلاثٍ ؛ فإنَّــكم تَرَوْنَ عَيرًا أبتَرَ يطوفُ بقبرى ، فإذا رأيتم ذلك فانبشونى ؛ فإنى أخبرُكم بما هو كائن إلى يوم القيامة. فاجتمعوا لذلك فى اليوم الثالث[(٣)]، فلمـا رأوا العَيْرَ[(٤)] وذهبوا ينبشونه ، اختلفوا ، فصاروا فرقتين ، وابنُه عبدُ الله فى الفرقة التى أبَتْ أن تنبشه ، وهو يقول : [لا أفْعَلُ ! إنى[(٥)]] إذًا أُدْعَى ابنَ المنبوش ! فتركوه .

وقد قدِمَتْ ابنَتُهُ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فبَسَطَ لهـا رِداءَهُ وقال : هذه ابنةُ نَبِيٍّ ضيّعهُ قومُهُ .

قال : وسَمِعَتْ سورَةَ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فقالت:قد كان أبى يتلو هذه السورة .

---

(١) هذه التكملة من الإصابة ٢٣٥١ فى ترجمة خالد بن سنان . وبدونها لا يصح الـكلام

(٢) كذا على الصواب فى محاضرات الراغب . والعبارة محرفة فى الأصل ففى ط : « وجبتى تندل » هـ : « وحيتنى يندا » س : « وجبينى تندى » . وبندى : أى عليه ندى العرق . كناية عن سلامته من أذى النار ولفحها .

(٣) كذا فى س وثمـار القلوب . وفى ط ، هـ : « فاجتمعوا له فى ذلك اليوم »

(٤) العير . بالفتح : الحمار الوحشى .

(٥) الزيادة من محاضرات الراغب .

(نبوّة خالد بن سنان)

والمتكلمون لا يؤمنون بهذا ، ويزعمون أنَّ خالداً هذا كان أعرابيًّا وبَرِيًّا ، من أهل شَرْجٍ ونَاظِرَة[1] . ولم يبعث الله نبيًّا قَطُّ من الأعرابِ ولا من الفدَّادِينَ[2] أهلِ الوَبَرِ ، وإنما يبعثهم من أهل القرى ، وسُكَّانِ المُدُنِ .

وقال خُلَيْدُ عَيْنَيْن[3] :

وأى نبيٍّ كانَ فى غــير قَوْمِهِ ... وَهَلْ كانَ حُــكْمُ اللهِ إلاَّ مَعَ النَّخْلِ[4]

وأنشدُوا :

كَنَارِ الحَرَّتَينِ لهـا زفــيرٌ ... يُصِمُّ مَسَامِــعَ الرَّجُلِ السَّمِيعِ[5]

(عبادة النار وتعظيمها)

وما زالَ النَّاسُ كافَّةً ،والأممُ قاطبةً — حتى جَاءَ اللهُ بالحقِّ — مُولَعين بتعظِيم النَّار ؛ حتى ضلَّ كثيرٌ من النّاس لإفراطهم فيها ، أنهم يعبدونها[6] .

---

(١) شرج وناظرة : ماءان لعبس . عن معجم البلدان (ناظرة) . وشرج ، بفتح الشين وسكون الراء بعدها جيم . وناظرة ، بالظاء المعجمة . وفى ط ، س : « سرح وناصرة » هـ : « سرح وناصر » محرفتان صوابهما ما أثبت .

(٢) الفدادون : أهل الوبر ، أى الذين يعيشون فى بيوت من وبر الإبل ، وهم أهل البادية .

(٣) عينين : قرية بالبحرين نسب إليها خليد . وقد ترجمته فى (١ : ٢٦٦) . وفى الأصل : « خليد عبس » محرف .

(٤) يقوله لجرير فى قصيدة يهجوه بها ويردّ عليه . انظر (١ : ٢٦٦) .

(٥) زفير النار : صوت توقدها واضطرامها . ط ، هـ : « تصم » ورواية البيت فى ثمار القلوب :

ونار الحرتين لها زفير ... يصم لهوله الرجل السميع

(٦) فى ثمار القلوب : « حتى ظن كثير من الناس لإفراطهم أنهم يعبدونها » .

فأما النار المُلونَّة؛ كالشمس والكواكب، فقد عُبدت ألبتَّة. قال الله تعالى: ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ﴾.

وقد يجيء فى الأثرِ وفى سُنَّةِ بعضِ الأنبياء، تعظيمها على جهة التعبّدِ والمحنة، وعلى إيجاب الشكر على النِّعمة بها وفيها. فيغلط لذلك كثيرٌ من النَّاس، فيجوزُون الحدَّ.

ويزعم أهلُ الكِتاب أنَّ الله تعالى أوصاهُمْ بها، وقال: «لاتُطفئُوا النِّيران مِنْ بُيوتى». فلذلك لاتجد الكنائس والبِيَع[1]، وبيوت العبادات، إلاَّ وهى لاتخلو من نارٍ أبدًا، ليلاً ولا نهارًا؛ حتَّى اتَّخذَت للنِّيرانِ البُيُوتَ وَالسَّدَنَةَ، ووقَفُوا عليها الغَلاَّتِ الكثيرة. ١٥٣

(إطفاء نيران المجوس)

أبو الحسن عن مسلمة[2] وقحذم[3]، أنَّ زيادًا بعث عَبدَ اللهِ بنَ أبى بَكرة[4]، وأمَرَهُ أن يطفِئَ النيران، فأراد عبدُ اللهِ أَنْ يَبْدَأَ بنارِ

---

(١) البيع بكسر ففتح: جمع بيعة، بالكسر، وهى كنيسة النصارى، وقيل كنيسة اليهود.

(٢) هو مسلمة بن محارب، فيما أرجح. وله حديث عن زياد فى البيان (٢ : ٧٧).

(٣) كذا جاء بالدال المهملة. والمعروف فى أسمائهم: «قحذم» بالذال، و: «قحزم» بالزاى.

(٤) عبد الله، أحد أولاد أبى بكرة الأربعين، ذكره ابن قتيبة فى المعارف ١٢٥. وأبو بكرة اسمه نفيع بن الحارث، أسلم ومات فى خلافة عمر. وكان تدلى إلى النبى صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ببكرة، فاشتهر بأبى بكرة، الإصابة ٨٧٩٤.

جُور[١] فيطفِئها ، فقيل له : ليست للمجوس نَارٌ أعْظَمُ من نار الكارِيانِ[٢] من دار الحارث[٣] . فإن أطفأتها لم يمتنع عَلَيْكَ أحدٌ ، وإنْ أطفأت سافلتها استعدُّوا للحَرْب وامتَنَعُوا . فابْدَأ بها . فخرجَ إلي الكاريان فتحصَّنَ أهلُها فى القَلْعة . وكان رَجُلٌ من الفرس مِنْ أهل تلك البلاد معروف[٤] بالشدّة ، لايقدِرُ عليه أحد ، وكان يمرُّ كلَّ عشيَّةٍ بباب منزله[٥] استخفافا وإدْلالاً بنفسه ، فغمَّ ذلك عبدَ الله ، فقال : أما لِهذَا أحدٌ ؟! وكان معَ عبد الله بن أبي بكْرة[٦] رجلٌ من عبد القيس ، مِنْ أشدِّ النَّاس بطشاً ، وكانَ جباناً ، فقالوا له : هذا العبدى[٧] ، هو شديدٌ جَبان. وإن أَمَرْتَهُ به خافَ القتالَ فلم يَعْرِضْ له . فاحتل له حيلةً . فقال : نعم .

قال : فبينا هو فى مجلسه إذْ مرَّ الفارسِيُّ ، فقال عبد الله : مارأيتُ مِثلَ خَلْقِ هذا ، وما فى الأرض ـ كما زعموا ـ أشدُّ منه بطشاً ! ما يقوى

---

(١) ط ، ﻫ : « حوم » س : « حدر » صوابهما ما أثبت . جاء فى مروج الذهب (١ : ٣٨٣) : « وفى مدينة جور من أرض فارس وهو البلد الذى يحمل منه ماء الورد الجورى . وإليه يضاف بيت النار ، بناه أردشير بن بابك » . ونحو هذا الكلام أيضاً فى معجم البلدان (جور) .

(٢) الكاريان ، بكسر الراء ، قال ياقوت : « مدينة بفارس صغيرة ، ورستاقها عامر وبها بيت نار معظم عند المجوس ، تحمل ناره إلى الآفاق » .

(٣) كذا بالأصل . ولعل وجهه : « ومن نار الحارث » والحارث : جبل بأرمينية انظر معجم البلدان .

(٤) كذا فى س ، ﻫ ، على الوصفية ، وخبره : « لايقدر » . ط : «معروفا» على الخبرية .

(٥) فى الأصل : « يأتى منزله » .

(٦) س : « وكان مع ابن أبى بكرة » .

(٧) العبدى : نسبة إلى عبد القيس : قبيلة كانت تسكن البحرين . س : « العبدكى » ولعل صواب ماقى س : « العدولى » نسبة إلى عدولى بفتحتين فسكون ففتح ، مقصور . وهى قرية بالبحرين بلاد عبد القيس .

عليه أحد ! فقال العبدى[1] : ما تجعلون لى إن احتملته حتَّى أُدْخِلَه الدَّارَ وأَكْتِفَهُ ؟ فقال له عبد الله : لك أربعةُ آلافِ درهم . فقال : تَفُونَ لى بألفٍ ؟ قال : نَعَمْ ! فلمَّا كان الغَدُ مرَّ الفارسىُّ ، فقام إليه العبدىُّ فاحتمله فما امتنَع ولا قَدَر أن يتحرّك ، حتَّى أدخَله الدَّارَ وَضَرَبَ به الأرضَ وَوَثَبَ عليه النَّاسُ فقتلوه ، وغُشِىَ على العبدى[2] حين قتلوه . فلما قُتِلَ أَعْطَى أهلُ القَلْعة بأيديهم[3] . فقتل ابنُ أبى بَكْرَةَ المرابذة[4] ، وأطفأ النَّارَ ، ومضى يُطفِئُ النِّيرَانَ حتَّى بَلَغَ سِجِسْتَانَ .

(تعظيم المجوس للنار)

والمجوسُ تقدِّم النَّارَ فى التَّعظيم على الماء ، وتقدِّم الماءَ فى التَّعظيم على الأرض . ولا تكاد تذكر الهواء[5] .

(نار السعالى والجن والغيلان)

ونار أخرى ، التى يحكونها من نيران السَّعالِى[6] والجنِّ ، وهى غيرُ نارِ الغِيلان[7] . وأنشد أبو زيد لسَهم بن الحارث[8] :

(١) س : « العبدلى » وانظر التنبيه السابق .
(٢) س : « العبدلى » محرف .
(٣) أعطوا بأيديهم : استسلموا واستأسروا .
(٤) المرابذة : جمع هربذ ، بكسر الهاء والباء ، كزبرج ، وهو خادم نار المجوس . وفى معجم استينجاس أنه قيم معبد النار ، أو الرئيس من رؤساء كهنة المجوس .
(٥) فى الأصل : « الهوى » محرف
(٦) السعالى : جمع سعلاة ، بالكسر ، وهى أنثى الجن ، فيما يزعمون .
(٧) ذهب الجاحظ إلى أن الغيلان نوع مغاير للسعالى . انظر تفصيل ذلك فى الحيوان (٦ : ٤٨ — ٤٩) . ونحوه ما ورد فى عجائب المخلوقات ٣٠٩ . وبعض اللغويين يجعلهما نوعا واحداً .
(٨) الذى فى نوادر أبى زيد ١٢٣ : « شمير بن الحارث الضبى » وضبط « شمير » =

وَنَارٍ قد حضأتُ بُعَيْدَ هَدْءٍ ... بدارٍ لا أُريدُ بِهـا مُقامَا[١]

سوَى تحليلِ رَاحلةٍ وعَيْنٍ ... أُكالئُها مخافَةَ أنْ تنَامَا[٢]

أتَوْا نارِى،فقلْتُ مَنُون أنتمْ ... فقالوا: الجنُّ!قلت:عِمُوا ظَلاَمَا[٣]

فقلت: إلى الطّعامِ،فقالَ منهم ... زَعيمٌ: نحسُدُ الإنْسَ الطعامَا[٤]

وهذا غلط وليس من هذا الباب ، وسنَضَعُهُ فى موضعه إن شاء الله تعالى[٥] . بل الذى يقع ههنا قولُ أبى المطراب عُبيدِ بنِ أيُّوبَ[٦] :

= بهيئة التصغير . وقال أبو الحسن فى ١٢٤ : « حفظى سمير » أى بالسين . وانظر الخزانة (٣ : ٣ بولاق) . وجاء فى الحيوان (٦ : ٦٠) : « شمر بن الحارث الضبى » ومثله فى اللسان (من) .

(١) حضأت : أشعلت . ه : « حصأت » مصحفة . والهدء ، بالضم والفتح : أن تهدأ الرجل والليل . س : « هذا » محرفة .

(٢) فى شرح نوادر أبى زيد ١٢٦ : « سوى تحليل راحلة » ، أراد سوى راحلة أقمت بها فيها بقدر تحلة اليمين » : وتحلة اليمين : مثل فى القليل المفرط القلة . وهو أن يباشر من الفعل الذى يقسم عليه المقدار الذى يبريه قسمه ويحلله . مثل أن يحلف على النزول بمكان . فلو وقع به وقعة خفيفة أجزأته . فتلك تحلة قسمه . انظر اللسان . وروى : « سوى ترحيل راحلة » أى إزالة الرحل عن ظهرها . وروى فى المخصص (١ : ٩٤) والميدانى (١ : ٣٢٠) مع نسبته فى الأخير إلى تأبط شراً : « وعير * أكالئه مخافة أن يناما » . وفى الخزانة عن المفضل « وعير أكالئها مخافة أن تناما » . والعير ، بالفتح : إنسان العين ، يذكر ويؤنث .

(٣) منون أنتم : أى من أنتم . وانظر تفصيل القول فى هذه اللغة فى لسان العرب (من) .

(٤) إلى الطعام : أى هلموا إليه .

(٥) برّ الجاحظ بوعده . وأعاد ذكر الأبيات فى موضعها . انظر الحيوان (٦ : ٦٠) .

(٦) عبيد بن أيوب : شاعر من بنى العنبر . كان يخبر فى شعره أنه يرافق الغول والسعلاة ، ويبايت الذئاب والأفاعى ، ويؤاكل الظباء والوحش الشعراء ١٨٢ .

فلله درُّ الغُول أىُّ رَفيقةٍ لصاحبِ قفرٍ خائفٍ متقفرٍ[١] ١٥٤

أرنَّتْ بلحْنٍ بعْدَ لحنٍ وأوقدَتْ حَوَالَىَّ نِيرَانًا تبوخُ وَتَزْهَرُ[٢]

(نار الاحتيال)

وما زالت السَّدَنَةُ تحتالُ للنَّاس جهةَ النِّيران بأنواع الحيل ، كاحتيال رُهبانِ كَنيسةِ القُمَامة[٣] ببيت المقدس بمصابيحها ، وأنَّ زَيْتَ قناديلها يَسْتَوْقِدُ لهم[٤] من غير نَارٍ ، فى بعض ليالى أعيادِهم .

قال : وبمثل احتيال السَّادنِ[٥] لخالد بن الوليد ، حين رماه بالشَّرَر :

(١) المتقفر : الذى يتبع آثار الصيد ونحوه . فى الأصل : « در الفول » صوابه ماأثبت من الحيوان (٥ : ٤٢) والشعراء ١٨٢ والمسعودى (١ : ٣٢٨) وأصل إعجاز القرآن للباقلانى ٤٣ وتنزيل الآيات ٩٣ . ط ، س : « أى رقيقة » صوابه : « رفيقة » أى صاحبته ، كما فى هـ والمراجع المتقدمة .

(٢) أرنت ، من الإرنان ، وهو التصويت . فى الأصل : « أذنت » صوابه فى المراجع ط : « حوالى نيران » صوابه فى س ، هـ ، والمصادر السابقة ، قال المسعودى : « كانت العرب قبل الإسلام تزعم أن الغيلان توقد بالليل النيران للعبث والتخييل واختلال السابلة » . وانظر الحيوان (٥ : ٤١ — ٤٢) . تبوخ : تسكن وتفتر تزهر : تضىء ، وبابه منع . والمعنى : أنها تخبو تارة وتشتعل أخرى . وهذه رواية الأصل والشعراء وإعجاز القرآن وتنزيل الآيات . وفى مروج الذهب والحيوان ج ٥ : « تلوح وتزهر » . وفى هذا البيت إقواء ، فإنه مروىٌّ مع أبيات خمسة أخرى مكسورة الروى . انظر الحيوان (٦ : ٥٠)

(٣) هى كنيسة القيامة : أعظم كنيسة للنصارى بالبيت المقدس. ورجح ياقوت فى معجم البلدان تسميتها : كنيسة القمامة ، بالضم . فى الأصل : « القمة » محرفة . صوابها من الحيوان (٦ : ٦٢) ومعجم البلدان . وجاء فى التنبيه والإشراف ١٢٣ : « وبنت هيلانى ، بإيليا ، الكنيسة المعروفة بالقيامة فى هذا الوقت ، التى يظهر منها النار فى يوم السبت الكبير الذى صبحه الفصح » .

(٤) يقال اتقدت النار وتوقدت واستوقدت . القاموس فى الأصل : « تستوقد » .

(٥) يريد سادن العزى . وكانت العزى ثلاث شجرات من سمر ، فأرسل النبىّ

ليوهمه أنّ ذلك من الأوثان ، أو عقوبةٌ على ترك عبادتها وإنكارها ، والتعرُّض لها ؛ حتى قال :

يا عُزَّ كُفرَانَكِ لاسُبْحَانَكِ إنّى وَجَدْتُ اللهَ قد أهَانَكِ [1]

حَتَّى كشف الله ذلك الغِطاء ، من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(نار الصيد والبيض)

ونار أخرى ، وهى النّار التى تُوقَدُ للظباء وصيدها ، لتعشى إذا أدامت النّظر . وتجعل من ورائها . و يطلب بها بيضُ النّعام فى أفاحيصها ومكِناتها [2] . ولذلك قال طُفَيلٌ الغَنَوِىّ :

عوازب لم تسمع نُبُوحَ مَقامَةٍ وَلَمْ تَرَ نَاراً تِمَّ حَوْلٍ مُجَرَّمِ [3]

سِوى نَارِ بَيْضٍ أو غَزَالٍ بِقَفْرَةٍ أغَنَّ مِنَ الخُنْسِ المَنَاخِرِ تَوْأَمِ [4]

= صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ليعضدها، وذلك يوم فتح مكة . انظر بقية الخبر والزعم فى الأصنام ٢٥ وثمار القلوب ١٧ وخزانة البغدادى (٣ : ٢٤٢ — ٢٤٤ بولاق). والعزى ، فى لفظها : تأنيث الأعز .

(١) روى فى المخصص (١٥ : ١٩٠) :

كفرانك اليوم ولا سبحانك الحمد لله الذى أهانك

(٢) مكناتها ، بفتح الميم وضم الكاف وكسرها ، أو بضمهما : والمكنات : الأمكنة ومنه الحديث : « أقروا الطير على مكناتها » . انظر التفصيل فى لسان العرب (مكن) . قال الزمخشرى : « ويروى : مُكُناتِها ، جمع مُكُن . ومُكُنٌ : جمع مكان كصُعُدات فى صُعُد ، وحُمُرات فى حُمُر » .

(٣) س ، هـ : « بنوح مقامة » محرف . وانظر تحقيق البيت وشرحه فى ص ٣٤٨

(٤) انظر رواية البيت وشرحه وتحقيقه فى ص ٣٤٨ .

وقد يُوقِدون النِّيرانَ يُهَوِّلون بها على الأُسْدِ إذا خافوها. والأَسَدُ إذا عايَنَ النَّارَ حَدَّقَ إليها وتأمَّلها، فما أَكْثَرَ ماتَشْغَلُهُ عن السَّابلة[1].

(قصة أبى ثعلب الأعرج)

وَمَرَّ أَبُو ثعلب[2] الأعرج، على وادى السِّباع، فَعَرَضَ له سبع، فقال لَهُ المُكَارِى: لو أمرتَ غِلْمَانَكَ فأَوْقَدُوا نَارًا، وضَرَبوا على الطِّسَاس[3]! ففعلوا فأَحْجَمَ عنها[4]. فأنشدنى لَهُ ابن أبى كريمة، فى حُبِّه بعد ذلك النَّار، وَمَدْحِهِ لها وللصَّوتِ الشَّديدِ، بَعْدَ بُغْضِه لَهُمَا[5] وهو قوله:

فأَحْبَبْتها[6] حُبًّا هَوِيتُ خِلاَطَها ... ولو فى صَمِيمِ النَّارِ نَارِ جَهَنَّمِ

وصِرْتُ أَلَذُّ الصَّوتَ لو كان صاعِقاً ... وَأَطْرَبُ من صَوْتِ الحِمارِ المرقَّمِ[7]

وروى أنّ أعرابيًّا اشتدَّ عليه البَرْدُ، فأصابَ نَارًا، فَدَنَا منها ليصطلى بها[8]، وهو يقول: اللهم لاتَحْرِمْنيها فى الدُّنيا ولا فى الآخرة!.

---

(١) سبق مثل هذا الكلام فى ص ٣٤٩. وقد سمى الثعالبى هذه النار: «نار التهويل» ثمار القلوب ٤٦٠.

(٢) فى الأصل: «ابن ثعلب» وفى ثمار القلوب ٤٦١: «أبو تغلب». وجاء فى الحيوان (٦: ١٦٦): «وكان من العرجان الشعراء أبو ثعلب، وهو كليب ابن الغول» وانظر ما كتب فى هامش أصل معجم المرزبانى ٣٥٤ — ٣٥٥ وكذا ماجاء فى نهاية مادة (اى ر) من لسان العرب.

(٣) الطساس: جمع طس، بالفتح، وهو الطست.

(٤) فى ثمار القلوب: «وأحجم عنهم الأسد».

(٥) فى الأصل: «لها» والصواب ما أثبت موافقاً مافى ثمار القلوب.

(٦) ط: «فأجبتها» صوابه فى س، هـ وثمار القلوب.

(٧) ينعت الحمار الوحشى بالمرقم، لأنه مخطط القوائم.

(٨) س: «فدنا ليصطلى منها».

(حيرة الضفدع عند رؤية النار)

وممّا إذا أبصر النّار اعترَتْهُ الحيرةُ ، الضِّفدِعُ ؛ فإنّهُ لا يزالُ ينِقُّ فإذا أبْصَرَ النّار سَكَتَ .

(نار الحباحب)

ومن النِّيران « نار الحُباحِب[1] » وهى أيضًا « نارُ أبى الحباحب » .

وقال أبو حَيّة :

تعسر فى تغريبه فإذا انحنى ... عليهنّ فى قفٍّ أرنّتْ جنادلُهْ[2]

١٥٥ وَأَوْقَدَ نيرانَ الحباحب والتقى ... غضًا تراقى بينهنّ ولاوِلُهْ[3]

وقال القُطامىُّ فى نارِ أبى الحُباحِب :

تُخَوِّدُ تخويدَ النّعامةِ بَعْدَ ما ... تَصَوَّبَتِ الجَوْزَاءُ قَصْدَ المَغَارِبِ[4]

---

(١) الحباحب ، بضم الحاء الأولى ، سيفسرها الجاحظ .

(٢) فى الشطر الأول تحريف . والقف ، بالضم : الأرض ذات حجارة عظام . أرنت : صوتت . ط ، هـ : « أرثت » س : « أرتنا » محرفتان . والجنادل : الحجارة الكبيرة . جعلها تصوت مما يضرب بعضها فى بعض .

(٣) الغضا : نبت شديد النار تبقى ناره طويلا . وفى الأصل : « عصا » صوابه فى تنزيل الآيات ٩٣ . تراقى : تتصاعد . والولاول : الأصوات ، جمع ولولة .

(٤) خود البعير والظليم : أسرع واهتز فى مشيه . وفى الأصل ، وهو هناط ، هـ ؛ لأن البيت ساقط من س : « تجرد تجريد » وتصحيحه من الديوان ٥٣ وأمالى ابن الشجرى (٢ : ٦٠ حيدر أباد) . والجوزاء : نجم . تصوبت قصد المغارب : انحدرت ومالت إلى المغيب . يقول : تلك الناقة قد سارت ليلتها وهى بعد ذلك تواصل سيرها السريع بعد تصوب الجوزاء حين يعترى الكلال كل شىء ، فهى محتفظة أبداً بنشاطها . وإنما تتصوب الجوزاء وقت الغداة . ط : « تصوتت » صوابه فى هـ والمرجعين السابقين . وفى الأصل : « قصر » صوابه فى الديوان والأمالى .

ألا إنها نيرانُ قَيْسٍ إذا اشْتوت ... لطارقِ ليْلٍ مثلُ نارِ الحباحِبِ[1]

ويصفون نارًا أخرى ، وهي قريبة من نار أبي الحباحب . وكلُّ نار تراها العينُ لاحقيقةَ لها عند التماسها ، فهي نار أبي الحباحب . ولم أسمعْ في أبي حباحب نفسِهِ شيئاً[2] .

(نار البرق)

وقال الأعرابيُّ ، وذَكَرَ البرْق :

نَارٌ تعُود به للعُودِ جِدّتُه ... والنّارُ تُشْعِلُ نِيرَاناً فتحترِقُ

(١) في الأصل : « ألا إنها نيران قيس إذا استوت » وتصحيح الكلمة الثانية من الديوان وأمالي ابن الشجري وثمار القلوب ٤٦٣ والمخصص (١١ : ٢٨) واللسان (حبحب) والخزانة (٣ : ١٩٠ بولاق) وأمثال الميداني (٢ : ٨٦) وأما « استوت » فهي محرفة عما أثبت . واشتوت : صنعت شواء . ومثل هذه الرواية رواية الخزانة (٣ : ٢١٣ بولاق) : « إذا اشتووا » . وقيس تؤنث باعتبار القبيلة . والرواية الجيدة : « إذا شتوا » أي أقاموا شتاء . وهي رواية جميع المصادر السالفة وكذلك العقد (٤ : ٢٢٤) وفيه : « ألا إنها » تحريف . وهو قد هجا قيس عيلان ؛ لأنه مر في بعض أسفاره بامرأة من محارب بن قيس فاستقراها — أي طلب القرى — فقالت : أنا من قوم يشتوون القد من الجوع . قال : ومن هؤلاء ويحك ؟ قالت : محارب . ولم تقره ! فبات عندها بأشرّ ليلة ، وصنع فيها القصيدة . أمالي ابن الشجري (٢ : ٥٨) والخزانة (٣ : ١٨٩ — ١٩٠ بولاق) . وقد نسب البيت في اللسان (حبحب) إلى النابغة . وهو خطأ .

(٢) هكذا تكون أمانة العلم . ومثله ماقال أبو حنيفة : « لايعرف حباحب ولا أبو حباحب . ولم نسمع فيه عن العرب شيئاً » . لكن جاء في المخصص (١١ : ٢٨) نقلا عن صاحب العين : « كان أبو حباحب رجلا من محارب خصفة . وكان بخيلا لايوقد ناره إلا بحطب شخت » . ومثله في اللسان . وزاد : « لئلا ترى » . وفي اللسان : « وقيل اسمه حباحب فضرب بناره المثل ؛ لأنه كان لايوقد إلا ناراً ضعيفة مخافة الضيفان » . وفي المخصص : « وزعم قوم أن =

يقول : كلُّ نار فى الدُّنيا فهى تحرِق العِيدانَ وتُبْطلها وتُهلكها ، إلاَّ « نار البرق » ؛ فإنَّها تجىء بالغيث . و إذا غِيثَتِ[1] الأرضُ ومُطِرَتْ أحدَثَ الله للعِيدَانِ جِدَّةً ، وللأَشْجارِ أغصاناً لم تكن .

(نار اليراعة)

ونَارٌ أخرى ، وهى شبيهةٌ بنار البرق ، ونارِ أبى حباحب ، وهى « نار اليراعة » . واليراعة : طائر صغير ، إنْ طار بالنَّهار كان كبعض الطَّير ، و إن طار باللَّيل كان كأنَّهُ شهابٌ قُذِفَ[2] أو مصباحٌ يطير .

(الدفء برؤية النار)

وفى الأحاديثِ السَّائرة المذكورة فى الكتب ، أنَّ رَجُلاً أُلقِىَ فى ماء راكِدٍ[3] فى شتاء بارد ، فى ليلةٍ من الخنادِس[4] ، لاقمر ولا ساهور[5] — و إنما ذكر ذلك ؛ لأنَّ ليلة العَشْر[6] والبدر والطَّوق الذى يستدير حول القمر ، يكون كاسِرًا[7] من بَرْد تلك الليلة — قالوا : فما زال الرجُل حيًّا

أبا حباحب وحباحبا اليراع ، وهو فراشة إذا طارت بالليل لم يشك من لم يعرفها أنها شررة طارت من نار » .

(١) غيثت الأرض : أصابها الغيث . والغيث ، بالفتح : المطر . ط ، هـ : « غثيت » صوابه فى س .

(٢) أى الكوكب الذى ينقض على إثر الشيطان بالليل ويقذف به . وفى الكتاب : « إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب » .

(٣) راكد : ساكن لايتحرك . س : « بارد » .

(٤) الخنادس : ثلاث ليال من الشهر مظلمات .

(٥) الساهور : التسع البواقى من الشهر .

(٦) أى العشر الليالى . س ، هـ : « العسر » صوابهما فى ط .

(٧) كاسراً : أى مضعفاً ومخففاً . ط ، هـ : « كاسداً » بالدال صوابه فى س .

وهو فى ذلك تَارِزٌ[١] جامِد ، ما دام ينظر إلى نَارٍ ، كانت نُجاهَ وجهِه فى القرية ، أو مصباحٍ . فلما طَفِئتْ انتَفَضَ[٢] .

(نار الخلعاء والهُرَّاب)

وقال الشّاعر :

ونارٍ قُبيلَ الصُّبحِ بِادَرْتُ قَدْحَهَا   حَيَا النَّارِ قد أَوْقَدْتُهَا للمُسَافِرِ[٣]

يقول : بادرت اللّيل ، لأنَّ النَّارَ لا تُرى بالنهار ، كأنه كان خليعاً أو مطلوبا[٤] :

وقال آخر :

وَدَوِّيَّةٍ لا يثقب النَّارَ سَفْرُهَا   وَتُضْحِى بِها الوَجْناءُ وهى لَهِيدُ[٥]

كأنَّهم كانوا هُرَّابًا ، فمِنْ[٦] حثهم السَّيرَ لا يُوقِدون لبُرْمَةٍ ولا مَلَّةٍ ؛

(١) التارز : الصلب الشديد . وفى الأصل : « بارد » وذا يفسد المعنى ، ووجهه ما أثبت .

(٢) طفئت النار ، كسمع ، طفوءا : ذهب لهبها ، كانطفأت . وانتفض : ارتعد ، أى من البرد . وفى الأصل : « انطفأ » وهو تحريف .

(٣) أنشد هذا البيت صاحب اللسان فى (١٨ : ٢٣٣) وقال فى تفسيره : « قوله : حيا النار : أراد حياة النار ، فحذف الهاء » . ط ، هـ : « خبا » صوابه من س واللسان .

(٤) الخليع : الرجل قد خلعه أهله ، فإن جنى لم يطالبوا بجنايته . والمطلوب : من يطلبه السلطان ليأخذه بجنايته .

(٥) أثقب النار : أشعلها . س : « تثقب » والسفر : المسافرون . والوجناء : الناقة الشديدة . واللهيد : المجهدة المتعبة . فى الأصل : « نهيد » بالنون . ولا وجه له . والصواب ما أثبت . واللهيد ، وصف يستوى فيه المذكر والمؤنث ؛ لأنه فعيل بمعنى مفعول . وانظر المزهر (٢ : ١٣٥) فيما جاء من صفات المؤنث من غير هاء .

(٦) : « من » وأثبت ما فى س ، هـ ..

لأنّ ذلك لايكون إلاّ بالنزول والتمكّث ، وإنما يجتازون بالبَسيسة[1] ، أو بأدنى عُلقة[2] . وقال بعضُ اللُّصوص[3] :

ملساً بذودِ الحَدَسِيِّ مَلْسا[4] نبّهتُ عنهن غلامًا غُسًّا[5]

لمّا تَغَشّى فَرْوَةً وَحِلْسا[6] مِنْ غُدْوَةٍ حتّى كأنّ الشّمسا[7]

بالأُفُقِ الغربيِّ تُكْسَى وَرْسا[8] لاتخبزا خَبْزًا وَبُسّا بَسّا[9]

١٥٦

(١) البسيسة ، بالفتح ، سيفسرها الجاحظ . يقال بس البسيسة : صنعها . ط ، س « بالبسبسة » . هـ : « بالبيسة » صوابهما ما أثبت . وانظر اللسان (بسس) .

(٢) العلقة ، بالضم : كل شيء يتبلغ به .

(٣) هو المفوان العقيلي ، أحد بني المنتفق ، وأحد لصوص العرب .

(٤) ملس بالإبل ملسا : ساقها في خفية . والذود ، بالفتح : جماعة الإبل . والحدسى يعني الرجل الحدسى الذى سرقوا إبله . والحدسى ، بالتحريك : نسبة إلى بنى حدس ، حى من اليمن . والبيت محرف فى الأصل . ط ، هـ : « ملسا برود الحى منى » س : « يرود الحى منى » صوابهما فى اللسان (حدس) ومعجم المرزبانى ٤٩٢ والمخصص (٧ : ١٢٧) . وفى اللسان (ملس) : « بذود الحلسى » محرف .

(٥) عنهن أى عن الإبل . والغس ، بضم الغين : الضعيف اللئيم . وفى الأصل : « قلسا » صوابه من نوادر أبى زيد ١٠٢ ، ٧٠ . وفى معجم المرزبانى : « جبسا» والجبس ، بالكسر : النؤوم الكسلان .

(٦) تغشى الشيء : تغطى به . والحلس ، بالكسر والتحريك ، مثل شبه وشبه ومثل ومثل . وهو مايبسط تحت حر المتاع من مسح ونحوه ، أو الكساء الذى على ظهر البعير تحت القتب .

(٧) مثله فى المخصص (٧ : ١٢٧) . وفى معجم المرزبانى : « من بكرة » .

(٨) فى الأصل : « بالأفق الشرقى » صوابه من المخصص (٧ : ١٢٧) . وفى معجم المرزبانى : « بالأفق الغورى » محرف . وجعل الشمس كأنها مكسية بالورس . والورس ، بالفتح : نبت له نور لونه يشبه الزعفران . ط : « تكاسا » س ، هـ : « تكسا » صوابه فى معجم المرزبانى ونوادر أبى زيد ١١ . ورواية المخصص ونوادر أبى زيد : « تطلى ورسا » . ومثله فى المعنى قول أسقف نجران فى الشمس — وقد سبق فى (٣ : ٨٨) — :

وطلوعها بيضاء صافية وغروبها صفراء كالورس

(٩) رواه المرزبانى : « لاتوقدا نارا » . وفسره بقوله: « لاتوقدا نارا لتختبزا فتبطئا

ولا تُطيلا بمُناخٍ حَبْسَا . وَجَنِّباها أَسَداً وَعَبْسَا[١]

قال : والبَسيسة[٢] : أن يبلّ الدّقيق بشيء حتى يجتمع ويؤكل .

(نار الوسْم)

ونار أخرى ، وهى « نار الوسْمِ[٣] والمِيسَمِ » يقال للرجل : ما نار إبلك ؟ فيقول : عِلاط[٤] ، أو خِبَاط[٥] أو حَلْقَة[٦] أو كذا وكذا .

(رجز لبعض اللصوص)

وقرّب بعضُ اللُّصوص إبلاً من الهُواشة[٧] ، وقد أغار عليها من كلّ

= ويعرف موضعكما ـ فى الأصل : موضعهما ـ واقتصرا على الإبساس وهو الحلب » وروى فى فقه اللغة ٥١ طبعة الحلبى : « لاتخبزا خَبْزاً وبُسّا بَسَّا » وهى إحدى روايتى ابن سيده فى المخصص (٧ : ١١٥) ورواية اللسان (مادة خبز) . وفسر الخبز بأنه السوق الشديد . وأما النس ، بالنون ، فهو السوق الرفيق . ويروى : « لاتخبزا خبزا ويسابسا » بالباء وبالمعنى الأخير . وقيل إنها خطأ ، كما جاء فى المخصص .

(١) أسد وعبس : قبيلتان .

(٢) البسيسة ، بالفتح . والمراد عمل البسيسة . وفى الأصل : « البسبسة » تحريف .

(٣) الوسم : التعليم على الإبل بالميسم ، وهو المكواة .

(٤) العلاط ، بالكسر : سمة فى عرض عنق البعير . والسطاع بالطول . وربما كان العلاط خطا . وربما كان خطين أو خطوطا فى كل جانب .

(٥) الخباط ، بكسر الخاء المعجمة : سمة تكون فى الفخذ طويلة عرضاً . وهى لبنى سعد . وقيل هى التى تكون على الوجه . حكاه سيبويه . ط ، هـ : « وخباط » صوابه « أو » . س : « أو حباط » و« حباط » محرفة عما أثبت من ط ، هـ .

(٦) الحلقة ، بالفتح : سمة على شكل الحلقة ، فى الفخذ أو أصل الأذن . ط ، س « جنفة » صوابه فى هـ . وانظر بابا مفصلا فى سمات الإبل ، فى المخصص (٧ : ١٥٤ ـ ١٥٦) .

(٧) هاشت الإبل هوشا : نفرت فى الغارة فتبددت وتفرقت . وإبل هواشة : أخذت =

جانب ، وجَمَعها من قبائلَ شتّى ، فقرّبها إلى بعض الأسواق ، فقال له بعض التّجّار : مانارك ؟ وإنما يسأله عن ذلك ؛ لأنهم يعرفون بميسم كلِّ قومٍ كَرَمَ إبلهمْ من لؤمها. فقال :

تَسْألُنى البَاعَــةُ مانِجَارُها إذْ زعزعُوها فَسَمَتْ أبصارُها[1]

فكلُّ دارٍ لأناسٍ دَارُها وكلُّ نَارِ العَالَمِينَ نارها

وقال الــكردوس المرادى[2] :

تسائلنى عن نارها وَنِتَاجِها وذلك عِزٌ لايُحيط به الطَّمْشُ[3]

والطَّمْشُ[4] : الخَلْقُ . وَالوَرَى[5] : النّاس خاصّة .

تمَّ المصحفُ[6] الرابعُ من كتاب الحيوان ، ويليه إن شاء الله تعالى المصحَفُ الخامسُ . وأوله : نبدأ فى [هذا] الجزء بتمام القَوْل فى نيران العجَم والعرب ، ونيران الدّيانة ، ومبلغ أقدارها .

= من هنا وهنا . لسان العرب . وفيه : « والهواشات، بالضم : الجماعات من الناس ومن الإبل، إذا جمعوها فاختلط بعضها ببعض . وفى الأصل : « النواسة » محرف

(١) زعزعوها : ساقوها سوقا شديدا . وفى الخزانة (٣ : ٢١٣ بولاق) : « إذ زعزعتها » أى زعزعتها الباعة . وانظر رواية الرجز فى الخزانة ، وأمثال الميدانى (٢ : ٧٤) ومحاضرات الراغب (٢ . ٢٩٠) .

(٢) س : « المرارى » .

(٣) الطمش ، بالفتح ، سيفسر . وفى ط : « الطمس » بالسين ، صوابه فى س ، هـ .

(٤) ط : « الطمس » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) ط ، هـ : « الودى » صوابه بالراء كما فى س .

(٦) ط فقط : « تمّ هذا المصحف » .

فهـــــارس

الجزء الرابع من كتاب الحيوان

١ ـ أبواب الكتاب

صفحة

٢ — ما يتعلق من الأبحاث بالحيوان

ا

ب

ت

ث

ج

ح

خ

ض

ط

ظ

ع

غ

ف

ق

ك

ن

٣ — ما يتعلق من الأبحاث بالأعلام

ا

ب

ث

ج

ح

خ

ر

ز

س

ط

ع

٤ — ما يتعلق من الأبحاث بالمعارف

ا

ب

ت

خ

د

ر

ز

س

ش

ص

ض

ط

ع

غ

ف

ق

٤ ـ ما ترجم من الأعلام فى الشرح

٥ – مراجع الشرح والتحقيق

يضاف إلى المراجع المثبتة فى الأجزاء السابقة

الكتاب	المؤلف	المطبعة	التاريخ	البلد
أشعار الهذليين	(رواية) السكرىّ	—	١٨٥٤ م	لندن
إعجاز القرآن	الباقلانىّ	السلفية	١٣٤٩	مصر
الإمتاع والمؤانسة	أبو حيان التوحيدىّ	لجنة التأليف	١٩٣٩	»
بقية أشعار الهذليين	—	—	١٨٨٤ [1]	برلين
تاريخ الأمة القبطيّة	لجنة التاريخ القبطىّ	المقتطف	١٩٢٥م	مصر
التبصر بالتجارة	الجاحظ	الرحمانية	١٣٥٤	»
التجريد الصّريح	الزّبيدىّ	الأزهرية	١٣٣٣	»
تنزيل الآيات [2]	محب الدين أفندى	عبدالرحمن محمد	١٣٤٤	»
التنبيهات	على بن حمزة	مخطوط خاص	—	—
جمهرة أشعار العرب	أبو زيد القرشىّ	بولاق	١٣٠٨	مصر
الحيوان [3]	الجاحظ	مخطوط	—	—
خريطة الممالك الإسلامية	محمد أمين واصف بك	مصلحة المساحة	١٩٣١م	مصر
ديوان الأخطل	(رواية) السكرىّ	اليسوعيين	١٨٩١م	بيروت
» جران العود	—	دار الكتب	١٣٥٠	مصر
» ذى الرّمّة	—	—	١٩١٩م	كمبردج

(١) والجزء الثانى منها مطبوع فى مدينة ليبسك سنة ١٩٣٣

(٢) هو شرح شواهد الكشاف للزمخشرى .

(٣) النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب الأزهرية تحت رقم (٤٨٤ أباظة) . وقد عارضت بها ابتداء من هذا الجزء الرابع ورمزت إليها بالرمز : (ﻫ) . ومما يجدر ذكره أن كل زيادة موضوعة بين معقفين فى هذا الجزء خاصة، وتركت مهملة بدون تعليق وتنبيه فهى من النسخة الشنقيطية المرموز إليها بالرمز : (س) .

الكتاب	المؤلف	المطبعة	التاريخ	البلد
ديوان طُفيل الغَنَوى	—	—	١٩٢٧م	لندن
« أبى العَتاهِيَة	—	الكاثوليكية	١٩٠٩م	بيروت
« القَطامى	—	—	١٩٠٢م	برلين
« كُثَيِّر	—	—	١٩٢٨م	الجزائر
الرسالة	الشافعىّ	مصطفى الحلبى	١٣٥٨	مصر
رغبة الآمل	المرصفى	النهضة	١٣٤٦	»
الروض الأنف	السهيلىّ	الجمالية	١٣٣٢	»
سراج القارئ	ابن القاصح	الشرقيّة	١٣٠٤	»
صبح الأعشى	القَلْقَشَنْدِى	دار الكتب	١٣٤٠	»
عمدة القارى	العَينىّ	(إدارة الطباعة المنيرية)	١٣٤٨	»
غرر الخصائص	برهان الدين الوطواط	بولاق	١٢٨٤	»
غيث النفع	الصفاقسى	الشرفية	١٣٠٤	»
الفاخر	المفضل بن سلمة	—	١٩١٥م	ليدن
قاموس انجليزى فارسى عربى[1]	ج . ريتشاردسن	—	١٨١٠م	لندن
« القرن العشرين[2]	—	—	—	إدنبرة
لباب الآداب	أسامة بن منقذ	الرحمانية	١٣٥٤	مصر
ما اتفق لفظه	المبرِّد	السلفية	١٣٥٠	»
المختار من شعر بَشَّار	الخالديان[3]	الاعتماد	—[4]	»

(١) Dictionary Enghlish Persian And Arabic . By John Richardson

(٢) Shambere's Twentieth Sentury Dictionary

(٣) رواه وشرحه أبو الطاهر إسماعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبي البرقى

(٤) لم يذكر فيه تاريخ الطبع . وتاريخ مقدمة المصحح ١٧ جمادى الآخرة ١٣٥٣ هـ

الكتاب	المؤلف	المطبعة	التاريخ	البلد
مختصر تهذيب الألفاظ	ابن السكيت	الكاثوليكية	١٨٩٧م	بيروت
المفردات	الراغب الأصفهانى	الميمنية	١٣٢٤	مصر
المقدمة	ابن خلدون	البهية	١٩٢٨م	»
مقطعات مراث	—	—	١٨٥٩م	ليدن
نبراس المدارس[1]	الشيخ مسعود السنندجى	السعادة	١٣٤٦	مصر
النقود العربية	الأب أنستاس	العصرية	١٩٣٩م	»
الوزراء والكتاب	الجهشيارى	مصطفى الحلبى	١٣٥٧	»

---

(١) فى قواعد اللغة الفارسية . وضعه مؤلفه سنة ١٣٢٢ . وكتب فى صدره : « هذا أول كتاب دون باللغة العربية لمعرفة اللسان الفارسى » .

تذييل واستدراك

صفحة	سطر	
١٢	١	« فلفله » . جاء فى المزهر (٢ : ٢٢٥) : « ويسمُّون ثمر البَرْوَقِ فلفلاً ؛ تشبيهًا به » . وأنشد البيت .
٢٧	١	كلمة « الشبُّور » مأخوذة من العِبرية ، ولعلَّ أوّل من انتبه إلى أصل هذه الكلمة هو ابنُ الأثير فى مادة (شبر) ونقل ذلك عنه صاحب اللِّسان . وهى فى العبريّة (שופר) : شُوفَار . ومعناه عندهم : البُوق الذى يُستعمل فى الأعياد الكبرى كرأس السَّنة ، والعيد الأكبر : (عيد الصِّيام) .
٢٧	٢	« رأس الجالوت » المراد به : رئيس الجالوت . وجاء فى مفاتيح العلوم للخوارزمىّ المتوفَّى سنة ٣٨٧ : « والجالوت هم الجالية ، أعنى الذين جَلَوا عن أوطانهم ببيت المقْدس . ويكون رأسُ الجالوت من ولد داودَ عليه السلام . وتزعم عامَّتُهم أنَّه لا يَرْأَس حتَّى يكونَ طويلَ الباع تبلغُ أناملُ يديه ركبتيه إذا مدَّهما » . قلت وهو بالعبريَّة : (ראש גלויות) : رُوش جالُويُوت .
٤٣	٧ ش	كلمة « نية » صحيحة ، بمعنى نيئة لم تنضج . انظر التنبيه (٤) من ص ٣٠٣ والمزهر (٢ : ٢٠٢) .
٥٣	٧ ش	« خ يحمد خ تحمد » ، أى فى نسخة : يحمد ، وفى نسخة أخرى : تحمد
٦٦	٢ ش	قصة قرد يزيد بن معاوية رويت برواية أخرى مع بسط وتفصيل فى مروج الذهب (أخبار يزيد) وفيه أيضاً أن قائل البيتين بعض شعراء الشام . ومثل هذه النسبة الأخيرة فى مباهج الفكر (عند الحديث عن طبائع القرد) . ورواية البيتين فى كل منهما مخالفة لصاحبتها ، ولا توافقان كذلك الروايتين المثبتتين عن الجاحظ وابن سيده .
١٨	١٩ ش	يضاف إلى الحاشية . انظر مفاتيح العلوم ص ٢٥ .

صفحة سطر

٨٩ ٩ « بنى النواحة » . كذا بالأصل . والصواب : « ابن النوّاحة » كما جاء فى ص ٣٧٨ س ٩ . وقد ذكره ابن حجر فى الإصابة ٦٦٤٣ قال : « عبد الله بن النوّاحة ، ذكره بعضُ من ألف فى الصَّحابة ، فقرأتُ بخطه بما هذا لفظه : كان قد أسلم ثم ارتد فاستتابه عبدُ الله بنُ مسعودٍ فلم يتُبْ ، فقتله عَلَى كُفره ورِدَّتِه . والنّواحة : الكثيرة النّوح »

٩٣ ٣ ش مافى ط إذا صح عن الجاحظ ، كان حكاية منه لقول العوام ، أو جريا على مذهب ضعيف فى النحو . وفى كتاب سيبويه (٢ : ٢٩٦ س ١١ — ١٢) « وحدثنى الخليل أن ناسا يقولون : ضربتيه . فيلحقون الياء » .

٩٨ ٦ ش ما أثبت بالشرح ليس مايمنع صحته . لكن الأوفق التعميم أى الحر من جميع الناس .

١١٦ ١٤ الصواب ما بالأصل : أى « معمولة » وجاء فى حياة الحيوان ، فى رسم (حية) : يحرم أكل الحيات لضررها . وكذا يحرم أكل الدرياق المعمول من لحومها » . ونقل عن الشافعى أنه قال : « لايجوز أكل الدرياق المعمول من لحم الحيات ، إلا أن يكون بحال الضرورة . بحيث يجوز له أكل الميتة » .

١٣٢ ١٠ رواه صاحب اللسان فى (مخر ، قرع) : « يَسْتَمْخِرُ الرِّيحَ » وقال « استمخرها : قابلها بأنفه ليكون أروَحَ لنفسه » .

١٣٥ ١٧ ش تضاف كلمة : « الشام » بعد كلمة : « مجاورة » .

١٣٦ ٦ ش « كالرجيع » المراد بالرجيع : الحبل الذى نقض ثم فتل مرة ثانية .

١٣٧ ٦ « أحد بنى المغيرة » هو المهاجر بن خالد بن الوليد المخزومىّ . انظر الإصابة ٨٣٢٩ . وأبوه خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله ابن عُمر بن مخزوم ، القائد العربى الباسل . الإصابة ٢١٩٧ .

٩ « ريطة » هى زوج المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم ،

وهى بنت سعيد ـ بالتصغير ـ ابن سهم . ولدت من المغيرة عشرةَ رجال . الإصابة ٨٣٢٩ . وفى الإصابة : « لم يَنْجُ من بنى المغيرة فى طاعون عمواس إلاّ المهاجر ، وعبد الله بن أبى عمرو بن حفص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام . وفى ذلك يقول المهاجر بن عبد الله » . وأنشد الأبيات ، ما عدا البيت الأوّل . وانظر الرِّواية عنده .

١٤٥ ٣ « أعِشّتها » . انظر لتحقيق كلمة « أعشة » ما كتبت فى ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤

١٥٣ ١١ « رقيقة » كذا فى الأصل . والوجه : « دقيقة » ، بالدال . ويؤيده ما فى السطر الثالث .

١٧٢ ٦ « قويّة المنّة » كذا فى الأصل . ولعلها : « سَرِيَّة البَنّة » . أى طيبة الرائحة . والبنّة ، بفتح الباء : الرائحة الطيبة . وفى الحديث « إن للمدينة بَنّة » . وانظر ما سبق فى (٣ : ١٤٢ س ٦) .

١٧٤ ٤ روى فى اللسان (٦ : ٢٣٦) :

عَرارةَ هَبوةٍ فيها اصفِرارُ

وفسر العَرارة بأنها الجرادة أيضاً . وقد روى الزمخشرىّ صدر البيت فى الأساس (هرش) :

مُهَارِشةِ العِنان كأَنَّ فيها

صوابه : « فيه » لأن ضميره عائد إلى العِنان . والعنان مذكر .

صفحة سطر

١٨٤ ٣ « وسواء علينا جعلوه كلاما وحديثاً منثوراً أو جعلوه رجزا وقصيدا موزوناً » . وقد طبعت « أو قصيدا » خطأ . كما أن صواب التنبيه : ط : « أو قصيدا موزونا » . وقد يظن بعضُ الناس أنّ فى العبارة تحريفا ، والحق أنها صواب ، وإن كانت مخالفةً للمذهب المشهور ، وهو أن يكون فى الجملة همزة التسوية وأن يكون العطف بكلمة « أم » لا « أو » . فتقول : سواء أكان كذا أم كذا . وجاء فى المغنى (١ : ٤٢) ، « وقد أولع الفقهاء وغيرهُم بأَن يقولوا ، سواء كان كذا أو كذا . وهو نظير قولهم يجب أقل الأمرين من كذا أو كذا . والصواب العطف فى الأول بأَم وفى الثانى بالواو . وفى الصحاح . تقول سواء علىّ قمت أو قعدت . اهـ . ولم يذكر غير ذلك . وهو سهو . وفى كامل الهذلى أن ابن محيصن قرأ من طريق الزعفرانى : سواءٌ عليهم أَنْذَرْتَهُمْ أَوْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ . وهذا من الشذوذ بمكان » . قلت . شذوذ هذا المذهب لا يمنع صحته . والجاحظ إمام عارف بالكلام متمرس به وكلامه حجة . وقد استعمل هذا المذهب هنا ، وجرى عليه مرّةً أخرى فى ٣٩٩ س ٢ ـ ٣

١٨٩ ٧ ش « وينكسر الوزن » سهو . صوابه : « ولا يستقيم به الشعر » . وذلك لما يترتب عليه من اختلاف حرف الروى فى البيتين ، ومن الاقواء أيضاً ؛ باختلاف الحركتين .

١٩١ ٥ « أعشق » قد يكون صوابها أيضًا ، « أَعْنَق » من العَنَق ، وهو ضرب من السَّير السّريع .

صفحة سطر

١٩٢ ٥ ش « رقيقا » كذا فى المعارف ٢٣٢ ، ولعلها : « رفيقا » من الرفق .

١٩٧ ١٠ « ديّاناً » قد تكون هذه الكلمة : « دِيَانِيًّا » نسبة إلى الدّيانة

٢٠١ ١ ش « الأصحاح الرابع » سقط بعدها : « من سفر التكوين » . فليثبت .

٢٠٣ ٨ « المحلَّإِ باقِرُهْ » أخذ هذا المعنى الحطيئة فى قوله :

فهلْ كنتُ إلاّ نائياً إذ دعوتَنى   مُنادَى عبيدانَ المحلَّإِ باقِرُه

الديوان ص ٨ . ولعل هذا الاشتباه هو الذى دعا إلى تحريف رواية بيت النابغة .

٢١٤ ١٤ عمر بن لجأ ، صواب كتابته ، عمر بن لَجَإٍ . ولجأ ، اسم مصروف .

٢١٤ ١٥ روى فى اللسان (٦ : ٢٦٤) مع أبيات ثلاثة أخرى :

تفَرش الحيّات فى خِرشائها

وظنّى أنها ، « تفرِّسُ الحيّاتِ » . تفرسها ، تدُقّ أعناقها ؛ فالمراد بقتلها . والخرشاء : بالكسر ، جلد الحية .

ولعلّ صواب مافى أصل الحيوان :

تفرس الحيّات فى غشائها

إذْ أنّ الرجز همزىّ . والغشاء : الجلد

٢١٨ ١٠ ش « عقرب » . انظر الكلام بتفصيل ، على منع صرف ما سمى من الذكور بأسماء الإناث ، فى همع الهوامع (١ : ٣٤) . لكن « عقرب » فى أصله مذكر ، وقد يؤنث . تقول : هذا عقرب ، وهذه عقرب . فإذا روعى أصل التذكير صرف ، وإذا روعى أصل التأنيث لم يصرف .

صفحة	سطر	
٢٢١	٣	« ويقتلها الآخر » . انظر لتوضيح هذا الكلام وتعيين المراد منه ص ١١٠ من الجزء الخامس، وكذا نهاية الأرب (١٠ : ١٤٨٠)
٢٢٢	١٥	ولادة النّسّاس ، ثبت علميًا أن الدّساس وأنواعا أخرى من الحيات ، يكون تناسلها بطريق الولادة ، لا البيض . انظر كتاب علم الحيوان المقرر للمدارس الثانوية المصرية ص ١١٤ طبع ١٩٣٤ .
٢٣٣	٨	« ويطاوله » المطاولة هنا بمعنى المباراة والمغالبة . وفى الحديث : « إن هذين الحيَّين ، من الأوس والخزرج ، كانا يتطاولان على رسول الله صلى الله عليه وسلم تطاوُلَ الفحلين » . انظر اللسان (طول) .
٢٣٤	١	« فلم يَرْع » صواب ضبطه : « فلم يُرْعِ » من الإرعاء بمعنى الإبقاء . وفى اللسان : « والإرعاء الإبقاء على أخيك » وأنشدَ البيتَ بالرِّواية التى أشرتُ إليها من حماسة البحترى .
٢٣٤	٣	« ما هو إلا صِلُّ أصلال » يروى أيضاً : « ضِلُّ أَضْلال » . انظر اللسان (ضلل) والمزهر (١ : ٣٢٣) ناقلا عن أمالى القالى .
٢٤٢	٧	« التألاق » صحت بها كلمة « التلاق » والأقرب أن تكون « التلام » ، والتِّلاَم ، بالكسر ، الصَّاغة ، ويقال أيضاً « التَّلام » بفتح التاء ، كما فى قول غيلان بن سلمة الثقفى (اللسان ، تلم) وسربالِ مُضَاعفـــةٍ دِلاصٍ قد أُحرِزَ شَــكُّها صُنْعُ التِّلَامِ
٢٤٣	٨	« دون صفاتها » أى دون إرادة صفاتها وملاحظتها
٢٤٣	٩	« عمر بن لجأ » صوابه « عمر بن لَجَإ » ، انظر ما استدركت به على ص ٢١٤

صفحة	سطر	
٢٦٧	٥	خبر أبي خراش الهذلي ، تجده ببسطٍ وتفصيل في الأغاني (٢١ : ٤٧ ــ ٤٨) والإصابة ٢٣٤١ ، وهو خبر طريفٌ معجِب .
٢٧٠	٧	نباح الحية ، جاء في المخصص (٨ : ١١٥) « الأفاعي تكشُّ خلا الأسوَد ، فإنه يصفِر وينبِح ويضبَح » . ونبح ، يقال من بابي منع وضرب .
٢٩٢	٥	يحذف قوسا العنوان ، لأنه من العنوانات الأصلية في الكتاب انظر تقديم الحيوان ص ٣٣ س ١٦ ــ ١٧
٣٠٨	٤ ش	الصواب أن يفسر اليم بأنه البحر . وحيات الماء من أخبث الحيات . انظر ص ١٢٨ من هذا الجزء . وروى البيت صاحب اللسان في (سلع) برواية : بِسِلْعٍ صَفًا لم يَبْدُ للشَّمْسِ بدْوة إذا مارآه راكب ... أرعدا وفي هامشة اللسان ، « كذا بياض بالأصل المنقول من مسودة المؤلف » . قلت : قد تكون الكلمة الساقطة هي : « اليمّ » أو « البحر » .
٣١٦	٦	« عنها » كذا بالأصل : ولعلها . « عندها » أو : « فيها » .
٣٣١	٢	« ولا خارجا » كذا بالأصل . ولعلها . « ولا حائلا » . والحائل : المتغير .
٣٣٣	١١ ش	« وكنت كالهيق غدا يبتغي . . . » الخ . تعرض هذا البيت للتصحيف ، فأنشده بعضهم : « فرحت كالعير غدا يبتغي » وقد أثبت هذا التصحيف صاحب المعاهد والتنصيص ، في ترجمته لبشار (١ : ١٠٢) . بل بالغ في تأكيد هذا التصحيف ، فعقب عليه بقوله : « قوله : فرحت كالعير ، البيت ، مثل قول بعضهم : ذهب الحمار ليستفيد لنفسه قرنا فآب وماله أذنان» . اهـ

صفحة سطر

وليت شعرى ، إن كان الحمار فاقد الأذنين ، فأى حيوان سواه ميزه الله بطول الأذنين ؟!

ومن العجيب أن يتغلغل هذا التحريف مع ظهور خطئه ، وجلاء بطلانه ، بين بعض الشعراء ، فقال آخر :

كمثل حمار كان للقرن طالبا   فآب بلا أذن وليس له قرن

فالظاهر أن « الهيق » تصحف عليهم بـ « العير » ثم ترجموا العير بـ « الحمار » فذاع الخطأ . ومن الشعر الذى يستشهد به على أن طالب القرن النعامة ، ما أنشده الميدانى — عند قولهم : « كطالب القرن جدعت أذنه » — :

مثل النعامة كانت وهى سائمة   أذْناءَ حتى زَهَاها الحين والجبَنُ

جاءتْ لتشرى قرناً أو تعوّضه   والدّهر فيه رَباحُ البيع والغَبَنُ

فقيل أُذْناكِ ظلمٌ ثمّت اصطلمت   إلى الصِّماخ ، فلا قرنٌ ولا أُذُن

٣٢٤ ٤ ش (بقية أشعار الهذليين) . الصواب : (أشعار الهذليين) فتحذف كلمة « بقية » من هذا الموضع ومن نظائره فى الصفحة .

٣٣٩ ٢ روى البيت فى الأغانى (١٠ : ٤٤) من قصيدة لمعقِّر بن أوس ابن حِمار البارقي . برواية أخرى .

٣٥٠ ٦ ش عروة بن جلهمة المازنى ، فى الأغانى (١٩ : ١٥٧) أن المازني هو زهير بن عروة بن جلهمة . شاعر جاهلى ، كان يلقب بالسكب ، لقوله :

* برق يضُىء خِلال البيتِ أُسْكوب *

وهذا الشطر الذى لايعرف صدره ، من شواهـــد سيبويه (٢ : ٣١٦)

صفحة سطر

٣٥٣ ٨ ش « جعلها كالقسى فى نحولها » . ومما يستشهد به على تشبيه الإبل المهزولة بالقسى ، قول البحترى — (انظر معاهد التنصيص ١ : ٢١٦) — :

كالقِسِىِّ المعطَّفاتِ بل الأَسْـ ... ـهُمِ مَبْرِيَّةً بَـلِ الأَوتارِ

وقول الشَّريف :

خوص كأَمثالِ القسىِّ نواحلاً ... وَإِذا سَمَا خطبٌ فهنَّ سِهامُ

٣٧٢ ١٢ « القص » لعلها : « اَقَصّ » أى موضع القصّ .

٣٨٢ ٧ « أحظى » بعد طبع هذه الكلمة مصححة ، وجدت ابن رشيق فى العمدة (٢ : ١٤٨) قد نقل عبارة الجاحظ كاملة . وفيها « أحظى » أى كما صححت به العبارة . فهو تعزيز للتصحيح .

٣٨٦ ٩ ش البيت من قصيدة للمتنبي يمدح بها ابن العميد ويودعه . ومطلعها :

نسيت وما أنسى عتابا على الصد ... ولا خفرا زادت به حمرة الخد

ورواية البيت بتمامه عند العكبرى (١ : ٢٧٧) :

وتلقى نواصيها المنايا مشيحة ... ورود قطا صم تشايحن فى ورد

وكلمة « تشايحن » تصحح ماقبلت عن الوساطة . ومعناها أسرعن . والبيت فى صفة خيل .

٤٠٨ ١ « مازلت تحت عين خرساء » تفسير الجاحظ للعبارة يشوبه بعض الغموض والتحريف . وفى اللسان (خرس) : « أبو حنيفة : عين خرساء وسحابة خرساء : لا رعد فيها ولا برق ولا يسمع لها صوت رعد . قال : وأكثر مايكون ذلك فى الشتاء ؛ لأن شدّة البرْد تخرس البَرَدَ وتطفئْ البرق » .

٤١٣ ١ خُلُق ، أى طبيعة . ويصح أيضًا أن تقرأ : خَلْقَ . بمعنى خِلْقَة .

٤١٤ ٦ ش « والرأل : فرخ النعام وحوصلته » صوابه : « والرأل فرخ النعام . وحوصلته »

٤٢٧ ٢ « أربعين عاما » . كذا جاء بالأصل . وهو خطأ ، صوابه

صفحة سطر

« أربعين يوما » . وقد جاء فى الأصحاح التاسع من سفر التثنية :
« حينَ صعدتُ إلى الجبل لكى آخُذَ لوحَى الحجَر ، لوحَى العهدِ الذى قطعه الربُّ معكُم ، أقمت فى الجبلِ أربعين نهارًا ، وأربعين ليلةً ، لا آكل خُبْزًا ولا أشْرَبُ ماء » .

٤٣٢ ١ الفصح هذه الكلمة معربة عن العبريّة . وهي فى أصلها : (פסח) وتنطق : بِيسَحْ . ومعناها اللغوى : القفز ، أو العبور . والعلّة فى تسمية هـذا العيد عند اليهود بهذه التسمية ، ماجاء فى سفر الخروج (١٢ : ٢٧) : « إنـكم تقولون: هى ذبيحة فصح للرب الذى عَبَرَ عن بيوت بنى إسرائيل فى مصر ، لما ضرب المصريّين وخلّص بيوتنا » . ومعنى عبر عن بيوتهم ، أن الله عاقب المصريين وخصّهم بالضّرب ، متجاوزًا بيوت بنى إسرائيل لم يمسها بسوء . والضّربة التى تشير إليها التوراة ، هى أن الله قد أمات كل بكر من أبكار المصريين ، وكلّ بكر من حَيوانهم كذلك . انظر (١٢ : ٢٩ ــ ٣٠) . وكلمة عبر هى فى النص العبرى للتوراة : (פסח) پاسَحْ . وهذا هو الفعل العبرى الذى أخذ منه المصدر المتقدم . فهذا أصل العيد وأصل تسميته عند العبرانيين . وعنهم أخذ المسيحيون .
هذا ولم تشر المعاجم العربية إلى أصل الكلمة ، حسبوها عربية لملاءمة نسجها للنسج العربى ، وهى ليست من ذلك .

٤٣٥ ٦ نمرود بضم النون والراء وآخره دال مهملة ، كما فى القاموس والتنبيه

صفحة	سطر	
		والإشراف ٣٤ ، ٨٢ . ويقال : نمروذ بذال معجمة فى آخره ، كما فى كامل ابن الأثير (١ : ٥٣ ـ ٥٧) ورسائل الجاحظ ١٠٠ ساسى . وعلى هذه اللغة جاء قول ابن رشيق :

يارَبِّ لا أقوى على دفع الأذَى
وبكَ استعنْتُ على الزّمان المؤذِى

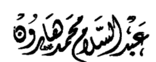
مَالِى بَعثتَ إلىَّ ألفَ بعوضةٍ وبعثْتَ واحدةً على نمروذِ

انظر شرح القاموس .

صفحة	سطر	
٤٤٩	٥ ش	« نقلا عن الأغانى » هذه الجملة موضعها الطبيعى فى السطر الذى بعدها : فالصواب حذفها :
٤٥٠	٧ ش	« فى الصفحة السابقة » عنيت الصفحة السابقة من الطبعة الأولى ، وهى ص ٤٤٧ من طبعتنا هذه .
٤٥٦	٢	« يا أحْمَدَ المرْتجَى » ضبط هذا المنادى بالفتح جائز فى مذهب الكوفيِّين فقط ، وأما البصريون فيوجبون ضمَّه ، إذ أن مذهب البصريين إجازة الضم والفتح فى المنادى العلم الموصوف بابن متصل بالعلم مضاف إلى علم آخر . ويوافقهم الكوفيون فى هذا ولكنهم يفارقونهم فى إجازة الضم والفتح أيضاً فى المنادى العلم الموصوف بأى صفة أخرى غير كلمة ابن . انظر همع الهوامع (١ : ١٧٦)
٤٧٣	٤	على ماشربتم ، أى على شربكم . وقد وضع الخط بين الكلمتين خطأً
٤٨٧	٧	البيت خامس أبيات خمسة رواها ابن سيده فى المخصص (٩ : ١٠٢) وانظر الرواية فيه .

أول جمادى الثانية سنة ١٣٥٩

كتبه



صواب أخطاء الطبع

صفحة	سطر	الصواب	صفحة	سطر	الصواب
٦	١ ش	يقال : ساس	٢٧٩	١٧ ش	رقود ضحيات
١٤	٩	الشّرّ	٣٠٢	٥	مِنْ سُمَانَى
٢٨	٩ ش	أحد وجهى	٣٢٩	٢ ش	هفهافا تخينا
٢٩	٧	والحِزِمِ	٣٥٦	٤ ش	وبلوغ الأرب
٤٥	٢	الذِّبّان	٣٧٤	٣	فبات القومُ
٦٠	١٦	غير مَيْتَةٍ	٣٧٤	٢ ش	Χάρτης
٧٣	٩	غيرَ مُمْتَنع	٤٠٠	٢	بَعِيرٍ(٣)
٨٠	٩ ش	وانظر لغراب	٤٢٢	٩	ونَصْب
٩٨	٢	يَضْحَك	٤٣٢	١٤	ولا زنادقةٌ
٩٨	٨، ١٢	الزِّواج	٤١١	٦ ش	: جمع سر
١١٢	٣ ش	بالمر واستينجاس	٤١٤	٦ ش	النعام . وحوصلته
١٣٠	٦	والخنزيرية	٤٣٣	٢	اللُّحمان
١٣٨	٦ ش	: « شرطته »	٤٣٦	٩ ش	ــ جبريا
١٤٠	٩ ش	(٧) تخيفته	٤٣٧	١٨ ش	جعله يعنى الثور
١٤٠	٩ ش	ط : « تخفيه »	٤٤٠	٨ ش	تهييج القتار
١٤٧	٨ ش	اسم لبلاد	٤٤٩	١	لأوانِ
١٨٠	٧	طَمُور	٤٥٠	٦ ش	بالقُرَان
١٨٥	٢	[كذلك(٢)]	٤٥٠	٧ ش	: « عبادة »
١٩٨	١٢ ش	على نحو مذهب	٤٥٤	٥ ش	(٤) من نفره
٢١٦	٢ ش	: يحكيه »	٤٦٥	٨	وَارِ زِنَادُهُ
٢٤٥	٨ ش	مما طرأ عليه	٤٦٧	٥ ش	« ويسوقون
٢٥١	٦	إذا كُنّا	٤٧١	٥	للحالفين
٢٥٢	٣	أزْقَمُ	٤٧٦	٥	طَيِّءٌ


Bibliotheca Alexandrina
06332857